



مبنى أبي يحيى السجدة عمار ٢٠١٢ - ١٧١

الأعمال الشعرية والنثرية
للأديب الشاعر الأستاذ
أحمد العري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كتاب الاثنينية

(٢٢)

الأعمال الشعرية والنثرية

للأديب الشاعر الأستاذ

أحمد العربي

إعداد وتقديم:

محمد بن أحمد العربي

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

ح) عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العربي ، أحمد

الأعمال الشعرية والثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي / أحمد العربي . - جدة ١٤٢٤هـ

٥٦٠ ص ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الاثنينية ، ٢٢)

ردمك X-١٦١-٤٤-٩٩٦٠

١ - الشعر العربي - السعودية أ - العنوان ب . السلسلة

١٤٢٤/٦٣٢١

ديوي ٩٥٣١ ، ٨١١

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٦٣٢١

ردمك : X-١٦١-٤٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة
لِلنَّاشِرِ وَالْوَرِثَةِ

النَّاشِرُ

عَبْدُ الْمُقْصُودِ مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ خَوْجَه

جَدَّة



الأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي

للهفداء

بمناسبة اختيار

مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

أهدي هذا العمل لمؤلفي

”وحي الصحراء“ :

والذي

محمد سعيد عبدالمقصود خوجه

ورفيق دربه

عبدالله عمر بلخير

-يرحمهما الله -

فهرس المحتويات

.....	تقديم
.....	كلمة الناشر
.....	إصدارات كتاب الاثنينية
.....	مقدمة الكتاب
.....	السيرة الذاتية
.....	الشعر
.....	صورتني
.....	الاحتفال بعيد جلوس صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
.....	عيد الجلوس
.....	حيّ عنا عبد العزيز الإماما
.....	وداع وثناء
.....	حي البطولة والحماس بجلق
.....	رثاء
.....	تحية طيبة الفيحاء
.....	إيه يا بدر
.....	إنما مصر والحجاز شقيقان

.....	تحية العلم
.....	تحية الكشافة العراقية
.....	حفلة الوداع
.....	فاز المليك
.....	تلك الرياض
.....	تحية النسر العربي
.....	هو المجد
.....	تهنئة ، ووداع
.....	نشيد
.....	ذكراه ملء كل الخواطر
.....	ليلة الزفاف
.....	صوت الفلاح
.....	إنما ينهض البلاد بنوها
.....	العاهل المحبوب
.....	منارة العلم والعلماء
.....	حفل التكريم
.....	المهرجان
.....	قدوم السعد
.....	ذكرى الهجرة
.....	مقدم حفه السنا والفخار
.....	في حمى البيت والحرم
.....	الزائر الكريم

- القصيدة العصماء
- حنين إلى الوطن الحبيب
- أيها العيد
- بين اليأس والأمل
- يقظة الشرق
- ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة والنشور
- حدث زلزل الجزيرة زلزالاً
- الوحدة العربية
- جيرة الحرم
- اليوم يومك يا بيان
- هنيئاً لك العيد السعيد
- مدح وثناء
- الروضة الغناء
- تحية النادي
- هوى الحجاز ونجد
- طلعة تملأ النفوس جلالاً
- شكر وترحيب
- لبيك يا وطني
- عَوْدٌ أَعْرَ
- وطن العروبة
- أخلاق الكرام

..... النشر	
..... مقدمة ديوان عبد الحق النقشبندي	
..... مذكرات عن الملك عبد العزيز	
..... الشعر في الحجاز اليوم	
..... محاضرة ألقى في النادي الأدبي بسنغافورة	
..... أخلاقنا وعاداتنا في ميزان النقد (١)	
..... أخلاقنا وعاداتنا في ميزان النقد (٢)	
..... كلمة المعهد	
..... عروة بن الزبير	
..... من علمائنا الأعلام	
..... عبد الله بن عباس (١)	
..... عبد الله بن عباس (٢)	
..... دار الأرقم بن أبي الأرقم	
..... التربية النبوية	
..... حول التربية النبوية	
..... العلم والعلماء في ظل الإسلام - ١	
..... العلم والعلماء في ظل الإسلام - ٢	
..... كلمة عن العرب	
..... مشاعر الجزيرة الناهضة يعبر عنها أبنائها	
..... الشعراء الذين تأثرت بشعرهم	
..... الوحدة العربية - كيف تتحقق؟	
..... الإسعاف في الإسلام	

..... ماء زمزم المبارك

..... الأدب الحديث في الحجاز

..... احتفال بمكتبة السيد جميل

..... ذكريات

..... التعاون الثقافي بيننا وبين مصر

..... حضارة العرب في الأندلس (١)

..... حضارة العرب في إسبانيا (٢)

..... حوار صحفي

..... التمثيل في مصر

..... أحاديث إذاعية

..... أمجادنا في التاريخ (١)

..... أمجادنا في التاريخ (٢)

..... أمجادنا في التاريخ (٣)

..... مواقف الفاروق

..... الخليفة العادل؛ عمر بن عبد العزيز (١)

..... الخليفة العادل؛ عمر بن عبد العزيز (٢)

..... الإثنية رقم (١١) حفل تكريم الأستاذ السيد أحمد العربي

..... الإمام الشافعي

..... نخبة من الأذكار المأثورة والصلوات على النبي ﷺ

..... فهرس المحتويات

تقديم

لقد ازدهرت «الاثنية» وواصلت مسيرتها وهي تمتح من معين النور في مكة المكرمة مستلهمة فضائل أم القرى من موقع انعقاد فعالياتها بجدة «بوابة الحرمين الشريفين».. وكان لا بد لهذا القرب الجغرافي من إلقاء ظلاله على ما يمكن أن يقدمه هذا المنتدى في مناسبة تاريخية مثل اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، وإن كانت مكة المكرمة دائماً وموئلاً العطاء وإشعاع الثقافة والفكر منذ نزول «اقرأ» بغار حراء على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

والحمد لله الذي ألهمني التوجه إلى بر والدي، وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله»... ذاكراً فضل معاليه عليّ بالتوجيه والرعاية في دروب الحياة المختلفة.. فقد غرسا في نفسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حب الكتاب... وكانت البذرة التي أخرجت ما تيسر من السنابل والحبوب كتابهما القيم (وحي الصحراء) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٥هـ، بصفته أول عمل أدبي معاصر يرصد جانباً من نتاج أدباء الحجاز بتراجهم ونماذج من أعمالهم.. وقد أعادت «تهامة» طباعته للمرة الثانية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وكان من فضل الله بما أفضلت به «تهامة» في قمة عطائها إصدار كتاب «محمد سعيد عبد المقصود خوجه حياته وآثاره» للأستاذ الدكتور محمد بن

سعد بن حسين، من سلسلة الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ثم شرفت بإصدار سلسلة [كتاب الاثنيينية] كرافد يوازي [سلسلة أمسيات الاثنيينية] وتحت مظلتها صدر كتاب «عبد الله بلخير شاعر الأصاله والملاحم العربية والإسلامية» للأستاذ محمود رداوي، في طبعاته: الأولى عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، والثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، والثالثة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. . وأردف بكتاب «عبد الله بلخير يتذكر» للدكتور خالد باطرفي (ط ١ - ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ثم كتاب «الغربال» للأستاذ حسين الغريبي (ط ١ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). . ثم كتاب «الأعمال الكاملة للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي» الذي صدرت طبعته الأولى في ستة أجزاء (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). . وكتاب «المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه» للأستاذ حسين الغريبي (ط ١ - ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) - وبين هذه الإصدارات وبعدها - أصدر [كتاب الاثنيينية] مجموعة أخرى، إلا أن التي نوهت عنها ذات ارتباط مباشر بكتاب «وحي الصحراء» الذي استلهمت منه فكرة الأعمال الكاملة لكل أديب أسهم فيه بأنموذج من أعماله.

وبدأت مرحلة شاقّة من البحث، وحصص الأعمال، التي كان معظمها متناثراً أو لدى الورثة الأفاضل الذين حافظوا عليها مشكورين، واستجابوا للإعلانات التي نشرتها في مختلف الصحف، إلى أن تجمعت حصيلة طيبة خضعت لمعايير صارمة من المراجعة والتدقيق أثناء مراحل الطباعة المختلفة. . . وقد أكرمنا الله عز وجل بطباعة هذه الكتب التي تقدمها «الاثنيينية» بكل اعتزاز بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ما بين عامين وعام من المناسبة المذكورة، وظلت في المستودعات لتري النور وتتلازم مع هذه الفعاليات. . ويسعدنا تقديم:

- الأعمال الكاملة للأستاذ حسين سراج (١٠ أجزاء).

- أخبار مكة للأزرقى (جزءان في مجلد واحد).

- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي (جزء واحد).

- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر (جزء واحد).
- الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء (٥ أجزاء).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (٧ أجزاء).
- الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخظمة (جزء واحد).
- الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي (٥ أجزاء).

- الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي (٤ أجزاء).
 - الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقروق (جزء واحد).
 - الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة (٤ أجزاء).
 - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب (جزء واحد).
 - الأعمال الكاملة للأديب عبد الله عبد الرحمن الجفري (٤ أجزاء).
- ويلاحظ القارئ الكريم أن هناك أعمالاً لم تكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أن أصحابها الأفاضل لهم ريادة وعلاقة وثيقة بهذا التوجه... أي إنها تنصهر كلها في بوتقة حب مكة المكرمة زادها الله شريفاً وتعظيماً.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خيراً يسهم في إثراء مكتبتنا العربية والإسلامية.

والله الموفق وهو من وراء القصد، ،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كلمة الناشر

بقلم: عبد المقصود محمد سعيد خوجه

«رُبَّ صُدْفَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِيعَادٍ».. عبارة طرقت أسماعنا مئات المرات.. بيد أنها في هذه المرة تلقي ظلالاً فريدة، وتترك أثراً عميقاً في النفس، حين يقترن في وجداننا أن نشر هذا الكتاب بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام (٢٠٠٥م) يوافق مرور مائة سنة بالتمام على ميلاد أستاذنا المربي الفاضل السيد أحمد بن محمد بن محمد بن رشيد العربي، المعروف بالسيد أحمد العربي، المولود بالمدينة المنورة سنة (١٩٠٥م)، فما أكرمها من مناسبة نذكر من خلالها بكل الخير والفضل والعرفان ما قدمه هذا الرائد الأديب والمربي الكبير من جلائل الأعمال التي زينت جيد الثقافة والفكر والتعليم في بلادنا الحبيبة.

إن هذا الاحتفاء المزدوج يقودني إلى عام ١٣٥٥هـ حين أصدر والذي مع صديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله» الطبعة الأولى من كتاب «وحي الصحراء» متضمناً نماذج من شعر ونثر عدد من جيل الشباب آنذاك من منطقة الحجاز.. وكان من بينهم شاب حديث التخرج في «كلية دار العلوم».. إذ لم يمض على تخرجه خمس سنوات فإذا به

يحتل مكاناً مميّزاً بين أدباء تلك الحقبة، فالكتاب الذي ضم نماذج من أعمال اثنين وعشرين أديباً. وشرفه الكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك بمقدمة إضافية، يمثل خطوة رائدة في مجال الطباعة والنشر، ويمنح من ساهم بالكتابة فيه قدراً يستحقونه عن جدارة واقتدار. . وليس بالغريب أن يكون أستاذنا السيد أحمد العربي «رحمه الله» من بين تلك الكوكبة من فرسان «وحي الصحراء».

لقد امتاز أديبنا التقدير بجملته من الصفات التي حملته إلى واجهة الصفوة من جيل النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية، فبالإضافة إلى تقلده العديد من المهام الرسمية في السلك التعليمي والإداري والتربوي، فقد كان «رحمه الله» ذا نزعة شديدة لمواكبة أحداث عصره، لم يكن منغلقاً ولا منعزلاً ولا انطوائياً بوهيمياً. . بل أسهم بجهود مقدره في معترك الحياة، وساهم عملياً في إزكاء روح الدعوة بالقدوة الحسنة، والتضحية بالوقت والمال لتحقيق طموحاته في هذا المجال الخير. . ولعلّ الرحلة التاريخية التي قام بها إلى الشرق الأقصى، مع زميله الأستاذين عبد الله الخطيب وشقيقه صالح الخطيب عام ١٣٥٢هـ، أي بعد تخرجه واشتغاله بالتدريس لمدة سنتين فقط. . هذه الروح الوثابة الأسرة تجعل كل متتبع لهذه السيرة العطرة يتساءل عن هموم أي واحد من الجيل الحالي ممن يتيسر له العمل على مدى عامين فقط؟ ما هي همومه وميوله وآفاق تفكيره؟ وأحسب أن الإجابة البديهية التي يملئها واقع الحال لا تتعدى الحصول على سيارة من آخر طراز (بالأقساط) ومنزل مؤثث، وزوجة، ليعيش في ثبات ونبات (ويخلف صبيان وبنات) هذه هي الصورة النمطية التي أصبحت الشغل الشاغل لكثير من أبنائنا - إلا من رحم ربك - غير أن ذلك الرعيل كانت همومهم تحمل أبعاداً قد لا يستوعبها غيرهم، إذ كيف

يتصور أحد أبنائنا اليوم أن مدرساً عاد مكللاً بالنجاح من بعثة علمية، يهجر الوظيفة ثم يركب البحر لمدة سبعة أسابيع ليحط الرحال في يابسة لم يعرف عنها شيئاً من قبل، بهدف إعطاء محاضرات وتدريس أبناء تلك المناطق في حقول العربية والدين، ويتم ذلك على حسابه الخاص، ودون دعوة رسمية أو غير رسمية، أو عقد عمل وتأمين طبي!! ومن نافلة القول أن مثل هذا العمل تقوم به الآن هيئات ومنظمات تتمتع بميزانيات ضخمة، ويعمل بين مكاتبها جيش من الموظفين، يحصلون على مكافآت أقلها الرواتب المغربية، وبدلات السفر وتذاكره الجوية، والإقامة الفندقية، والتنقلات بأحدث السيارات، وخدمات الهاتف والفاكس والسكرتاريا. . ولا أقلل من شأن ما يؤديه من مهام، إلا إنني أحسب أن ما قام به أستاذنا أحمد العربي وصاحبه لا يقل مردوداً إيجابياً عن أي عمل دعوي معاصر، ويزيد عليه أن منهجه، وتوجهه، وزمام أمره، كان الحب. . حب هذا العمل العظيم الذي جعله يضحى بكل غالٍ ونفيس لكي يؤدي رسالة ويلبي نداءً أقلقاً حياته، فنضى عنه ثوب السكينة والراحة، حتى إذا ما طابت نفسه عاد إلى وطنه ليواصل مشواره في دنيا الكلمة: تدريساً وتأليفاً وشعراً ونثراً وعملاً اجتماعياً دؤوباً.

لقد شرفت «الاثنية» بتكريم أستاذنا الجليل بتاريخ ٢٨/٦/١٤٠٣هـ الموافق ١١/٤/١٩٨٣م. . ليكون المحففى به رقم (١١) في سلسلة أعلامها الأكارم الذين حظيت بشرف تكريمهم وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة عالم وأديب وشاعر ومهني من داخل وخارج المملكة. . فهو من الذين لهم فضل السبق في المساهمة في كتاب «وحي الصحراء» كما أسلفت، وله ذات الريادة في سلسلة أمسيات «الاثنية» حيث اشتمل جزأها «الأول» على فعاليات تكريمه، وقد صدر منها حتى الآن «عشرين» جزء

ولله الحمد.. هذا هو جيل الهامات السامقة، والتضحيات الجسيمة، جيل كانت المادة في ذيل اهتماماته، وعلى هامش اعتباراته، فقد شكّل النبوغ ومعالى الأمور هاجسه الأول في الحياة، وعندما رحلوا عنا إلى دار البقاء، تجلت صحائفهم البيض بما كرسوا له شبابهم، وحملوا أمانته كأفضل ما يحملها الرجال الموفون بعهودهم.

وقد يرى المدقق في شعر أستاذنا الجليل أنه يمتاز برقة الحاشية، وانتقاء الكلمة البسيطة المعبرة، والتجافي عن غريب اللغة وحواشيها، كما أنه يميل كثيراً إلى الحكمة، وإسداء النصح، وأحسب ذلك نابع من طبيعته التربوية، وكثيراً ما يحض على العلم كسلاح بدونه لن تقوم للعرب والمسلمين قائمة.. أما رفته فهي من ذات المشكاة التي أمدت شعر الإمام الشافعي الذي أعجب به كثيراً، فأفردنا له فصلاً في هذا الكتاب، وقد سبق نشره في طبعتين سابقتين الأولى (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) والثانية (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) أصدرتهما (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع) في سلسلة (المكتبة الصغيرة).

إن أساتذتنا، ورموز نهضتنا، يستحقون منا كل تقدير ووفاء، فعطائهم يمنحنا الزاد الحقيقي لرحلة المستقبل، ومن ليس له ماضٍ فليس له مستقبل.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله عملاً متقبلاً لوجهه الكريم، وينفع به المسلمين، ويوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى.

عبد المقصود خوجه

إصدارات كتاب الاثنية

- ١ - ديوان (الأعمال الكاملة).
- لمعالي الأستاذ أحمد بن محمد الشامي، (رقم ١) الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢ - كتاب (عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية).
- لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي، (رقم ١/١) الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣ - ديوان (عاصفة الصحراء).
- للشاعر الأستاذ محمود عارف، (رقم ٢ / ١) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٤ - ديوان (الأربعون).
- للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، (رقم ٣ / ١) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥ - ديوان (قلبي على وطني)
- للشاعر العراقي الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ٤ / ١) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٦ - كتاب (جرح باتساع الوطن).
- للشاعر الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ٥ / ١) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٧ - ديوان (حصاد الغربية)
- للشاعر العراقي الدكتور زاهد محمد زهدي، (رقم ٦/١) الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- ٨ - ديوان (الأعمال الكاملة)
للأستاذ الراحل زكي قنصل، (رقم ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٩ - كتاب (البهاء زهير)
للأستاذ المرحوم محمد إبراهيم جدع، (رقم ٣) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠ - كتاب (التوازن معيار جمالي)
للأستاذة غادة بنت عبد العزيز الحوطي، (رقم ٤) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١ - كتاب (سوانح وآراء)
للأستاذ الدكتور بدوي طبانة، (رقم ٥) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٢ - كتاب (ترجمة حياة)
لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٦) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٣ - ديوان (قوس قزح)
لفضييلة معالي الدكتور الشيخ أحمد الزرقاء، (رقم ٧) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٤ - كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الأول).
للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٥ - كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الثاني)
للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٦ - ديوان الأعمال الكاملة (الجزء التاسع)
لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٩) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٧ - ديوان (أوراق من هذا العصر)
للشاعر الدكتور خالد محي الدين البرادعي، (رقم ١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ١٨ - ديوان (زمن لصباح القلب)
للشاعر فاروق بنجر، (رقم ١١) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٩ - الشعراء في إخوانياتهم
للأستاذ خالد القشطيني، (رقم ١٢) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٠ - عبد الله بلخير يتذكر
للأستاذ خالد باطرفي، (رقم ١٣) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٢١ - كتاب (الغربال)
للأستاذ حسين عاتق الغريبي، (رقم ١٤) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٢ - ديوان (حلم طفولي)
للأستاذ سعد البواردي، (رقم ١٥) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٢٣ - كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة وأعمال نثرية)
للشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، (رقم ١٦) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٤ - المجموعة الكاملة لأثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه
إعداد وتقديم الأستاذ حسين عاتق الغريبي (رقم ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢٥ - الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الكبير حسين عبد الله سراج رقم (١٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢٦ - أخبار مكة للأزرق رقم (١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- ٢٧ - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر رقم (٢٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢٨ - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندى رقم (٢١)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- ٢٩ - الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي رقم (٢٢)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٠ - الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي رقم (٢٣)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣١ - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان رقم (٢٤)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٢ - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي رقم (٢٥)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٣ - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء رقم (٢٦)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٤ - الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة رقم (٢٧)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٥ - الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي رقم (٢٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٦ - الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زفزوق رقم (٢٩)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٧ - الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة رقم (٣٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٨ - الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب رقم (٣١)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٩ - الأعمال الكاملة للأديب عبد الله عبد الرحمن الجفري رقم (٣٢)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

مقدمة الكتاب

بقلم: محمد أحمد العربي

زفرة... ودعاء

أبتاه نفسي للفتاء لو كان يجديك افتداء
نظراتك الحيرى تمزّ قني ويعصف بي النداء
وأنا حسير عاجز ويمور في صدري الدعاء
حتى الدّموع تحجّرت وعزّ عن عيني البكاء
ربّاه فارحم ضعفه فلأنت تفعل ما تشاء

جدة: الخميس ١١ شوال ١٤١٩هـ الموافق: ٢٨ يناير ١٩٩٩م

عبرة... وورثاء

أبتاه قد نكاه الحمام جروحي وودت لو أن أفتديك بروحي
ووقفت مكتوف اليدين وليس لي إلا سكائب دمعي المسفوح
نعم المربي والمعلم كنت لي دعمت بنياني، رفعت صروحي
برحيلك النائي شعرت بغربتي يا طول ترحالي وطول نزوحي
رباه بالإيمان كفف عبرتي واجعل دواء الصبر برء قروحي

جدة: الخميس ٩ ذو القعدة ١٤١٩هـ الموافق: ٢٥ فبراير ١٩٩٩م

وقبل هذا وذاك: [بضع كلمات...]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ١٤)

صدق الله العظيم.

وأقول:

نم قرير العين، في حزن السماء
للذي قد وسعت رحمته
تلك دعوانا بفضل الله قد
فاجعل اللهم مثواه فراديساً وعدّ
وارحم اللهم موتانا وموتى
قد رفعناها اكفًا بالدعاء
كل مخلوق له فيه رجاء
أسفرت فينا صباحاً ومساء
ليّين مثوى الشهداء
المسلمين الصالحين الأتقياء

أبتاه:

... وهذا الجهد المتواضع من محبيك.. يهدي إلى روحك الطاهرة
باقة عطرة بالعرفان والوفاء.. من كل محبيك، وهم بفضل الله كثير،
يذكرونك بالخير وبالذعاء وهل يبقى للمرء سوى الذكرى، وقد تركت
بفضل الله عاطرها، جزاك المولى خير الجزاء وأحسن مثواك مع الأبرار
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، اللهم ألحقه بالرفيق
الأعلى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأفضل صلواتك ربي
وسلامك على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى الآل والصحب
أجمعين.

الداعي لك بالمغفرة والرضوان، ابنك: محمد بن أحمد العربي

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فما كان لهذا الكتاب أن يرى النور لولا الجهود الدائبة والمخلصة من العديد من محبي الأستاذ أحمد العربي، فهو (رحمه الله) لم يترك شيئاً معداً للنشر من آثاره الأدبية، بل أنه لم يكن، حريصاً، أو على الأصح راغباً في نشرها، وهذا أمر يطول الحديث عنه، ونراه واضحاً بين ثنايا ما سينشر في هذا الكتاب، تلميحاً وتصريحاً، مما ستدركه فطنة القارئ الكريم، ولا يستدعي معه المزيد، ويجدر بنا الانتقال إلى جانب آخر، هو الإشادة بوافر التقدير والإمتنان بالجهود الخيرة التي بذلت من إخوة أفاضل كرام، لجمع شتات محتويات هذا الكتاب، من بطون مجلات وصحف شتى، متناثرة، ضاربة في أعماق الزمن، لما ينوف عن سبعين عاماً، وقد أكل الدهر وشرب على أكثرها، مما صعب مهمة البحث، ولكن الهمم القعساء بذلت كل ما في وسعها لتذليل ما قابلها من صعاب لتقديم هذا السفر - الذي وإن بدأ متواضعاً - بالنسبة لمكانة كاتبه في نفوس محبيه وعارفي فضله، إلا أنه في الواقع ثمرة جهد حثيث ودأب متواصل للحصول على أفضل ما توافر وأتيح لإخراجه.

وهنا لا بد من وقفة عرفان لهؤلاء الإخوة الكرام، نزجي فيها الشكر لوفائهم وإخلاصهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء، الشيخ عبد المقصود خوجه، الأخ الدكتور عاصم حمدان، الأخ الأستاذ نبيه الأنصاري (رحمه الله)، وابنه (الأستاذ) زهير، الأخ الأستاذ حسين بافقيه، والأخوة الأساتذة فاروق بنجر، حسين الغريبي، محمد الحسن، ولا تنسى تشجيع أستاذ الجيل

المربي الكبير الأستاذ عبد الله عبد الجبار (حفظه الله)، وحثه على إنجاز هذا الكتاب، لرفيق دربه، وأستاذنا الكريم الأستاذ: عبد الفتاح أبو مدين، لمبادرته في طلب نشر هذه الآثار الأدبية في إصدارات نادي جدة الأدبي، ولكن - سبقه بها عكاشة - فجزاهما الله خيراً.

ولا يفوتني أن أستميح الإخوة الكرام عذراً - ممن ساهموا معنا - ولم يرد ذكرهم، وحسبي أن ما قدموه لن ينسى، وخصوصاً وأنه قد عن صدر نفوس كبيرة ملؤها الوفاء، أثابهم الله.

الكاتب، والكتاب:

بداية لا نطيل التحدث عن الكاتب، فسيجد القارئ الكريم، في ثنايا الكتاب ما قد يفني بالعرض وربما يزيد، إلا أن لمحة موجزة، عن بعض ما قيل عنه - من جميع أو معظم من عرفوه - قد تكون مفيدة، ولنبدأ بما قاله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله في مقال للشيخ/ محمد بن صالح بن عدل - في العدد العاشر من مجلة الحرس الوطني - لسنتها الثالثة - لشهر شوال ١٤٠٢هـ - يولييه ١٩٨٢م، تحدث فيه عن لمحات من حياة جلالة الملك فهد، ومما جاء في فقرة منه: [.. ويذكر الملك فهد من المدرسين الذين تتلمذ عليهم وتأثر بهم: أحمد العربي وحامد حابس وعبد الله الخياط] (انتهى).

أما رفيق مسيرته التعليمية، الأستاذ عبد الله عبد الجبار، فقد كان مما جاء في كتابه [التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية]، في القسم الثاني منه الخاص (بالتيارات الأدبية) وفي الباب الخامس، في فصله الثالث: الكلاسيكية الحية، كتب في ص ٢٧٠ - ص ٢٧٣ ما يلي:

النسور الحجازية:

وأما المثل الثاني فهو قصيدة لأحمد العربي أحد أساتذة الجيل الجديد يحيي فيها نسور الحجاز ويصف نمو أجنحتهم الصغيرة في ربه الحبيبة ويصوّر خروج الشعب لاستقبالهم في حماسة بالغة ويطلب إلى الجماهير أن تتأزر وتكتب لتبني أسراب الطائرات ويهتف بها:

أرأيتموا في الجو طيراً دون أجنحة يطير؟

ثم يتساءل في عجب وأسف:

أنكون أول مبدعي الطيران آخر من يطير؟

كل ذلك وغيره من المعاني العجيبة الرائعة يصبه الشاعر في أسلوب عذب جزل وإطار تقليدي رفيع:

أهلاً بقادمة النسور طليعة العهد النضير
الرافعين لواء مجد بلادهم فوق الأثير

ويسترسل الأستاذ عبد الله في استعراض مقاطع من هذه القصيدة حتى ص ٢٧٣ من الكتاب.

وهذه القصيدة ستنشر كاملة في هذا الكتاب بعنوان [ولقد بدأنا اليوم
نشعر بالحياة وبالنشور]. ولنر ما كتبه معالي الأستاذ محمد عمر توفيق عنه
في جريدة البلاد السعودية في العدد (٨٠٢) في ١٧ جمادى الأولى
١٣٦٨هـ - ١٩ مارس ١٩٤٩م في زاويته (في الميزان)، إذ قال: السيد
أحمد العربي، في الخامسة والأربعين أو حواليها، تلقى دروسه في
المدرسة الراقية في المدينة المنورة والمسجد النبوي. ثم في مدرسة
الفلاح بمكة. . وأكمل دراسته في دار العلوم بمصر. ثم سافر إلى جاوة،

وعمل فيها مدرساً، ثم عاد من هنالك وعمل في المدينة أول ما عمل . . .
 أستاذاً في مدرسة العلوم الشرعية - وكنت فيها من تلاميذه - ثم عمل في
 مديرية المعارف العامة، ومازال إلى اليوم. فهل أنصفناه؟ كلا والله . . . وأنا
 أقولها بملء قلبي ولساني، بأنه يمثل «الجندي المجهول». نلمس آثاره في
 هؤلاء الذين تبتعثهم المعارف سنوياً إلى مصر من أبناء المستقبل. ولئن
 كان هو قد متعه الله بمزايا المجاهدين الذين ينسون أنفسهم إذا عملوا.
 فمثل هؤلاء يجب أن ينصفوا والمسؤولون أعرف بما يجب تحقيقه لهؤلاء
 ثقافة، وأخلاق تصلح لأن تكون قدوة للكثيرين، ولا نكاد نعرف منه . . . أو
 عنه إلا كل ما يشرف الشباب والشيوخ في بلادنا. وفي غير بلادنا، ولولا
 أنني أعرف تمسكه بمبدئه الخلقي، لقلت يا حبذا لو يمد عنقه قليلاً عسى
 أن ينصف؟ ولكنه لن يفعل . . . فهل يفعل المسؤولون؟ [شهادات الوفاء هذه
 محل تقدير كبير لكل المخلصين].

كما كتب علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر في المجلة العربية
 في العدد (١٥٦) لشهر محرم ١٤٤٢هـ - أغسطس ١٩٩٠م في السلسلة
 رقم - ٥٣ في [من سوائح الذكريات] قس ص ٢٣ عن أساتذته (في
 المعهد العلمي السعودي)، ما يلي: - ومن خيرة مدرسي المعهد في ذلك
 العهد الأستاذ لسيد أحمد بن محمد العربي، كان من أفراد أول بعثة
 سافرت إلى مصر للدراسة، وقد تخرج في (دار العلوم)، وأسند إليه في
 المعهد تدريس النحو، وكانت له في نفوس الطلاب منزلة سامية من
 الإجلال والتقدير، لما يتصف به من علم وعقل وخلق . . . ونكتفي بهذا
 القدر مما كتبه الشيخ حمد الجاسر (رحمه الله).

وما كتبه معالي الأستاذ/ عبد العزيز الرفاعي (رحمه الله) في تقديمه

لكتابه [الإمام الشافعي - الفقيه - الأديب]، والذي نشرته دار الرفاعي في مكتبتها الصغيرة، والمقدمة والكتاب، ضمن دفتي هذا الكتاب.

فضلاً عما كتبه عنه العديد من تلامذته في كتبهم في مناسبات مختلفة، نذكر على سبيل المثال ما كتبه عنه المربي الأستاذ/ عبد الله بغداداي، في كتابه: [الإنطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية] (٣ أجزاء). والأستاذ السيد محسن باروم، في [كتابه]: (في موكب الذكريات) ومن أعلام التربية والفكر في بلادنا)، وما كتبه أيضاً الدكتور إبراهيم بن فوزان الفوزان، في كتابه [الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد] (٣ أجزاء). وما كتبه الأستاذ محمد حسين زيدان، في بعض كتبه، وفي مناسبات عديدة، والأستاذ محمد أحمد جمال، في كتابه (ماذا في الحجاز؟)، وفي مناسبات أخرى، وأخيراً ما كتبه الأستاذ عابد خزندار، في «نشارة» في جريدة عكاظ، لرثائه، ولا يسع المجال لسرد كل من كتب عنه، وما كتب - من محبيه وعارفي فضله جزاهم الله خيراً - وهم كثر بفضل الله، مما نرفق صوراً عنه في ذيل هذه المقدمة.

بقيت لمحة موجزة عنه: فقد كانت طفولته في زمن حرب ومجاعة في المدينة المنورة، فرَّ فيها معظم أهلها إلى الشام، فيما كان يعرف بـ: (السفر برلك) أواخر العهد العثماني، وبقي مع والديه وأخيه محمد ويصغره بعامين - وقد توفي بالجدري هنالك - وبعد أن بقي فترة هناك عاد بعدها للمدينة، وكانت تلك فترة مخاض كبير عرفته الجزيرة، وإرهاصاً لتغييرات جذرية فيها، وفي خضم ذلك كله نشأ الفتى وترعرع في بيئة علمية، ودرس على يد نخبة من علماء المدينة المنور، وفي المسجد النبوي الشريف - غدت طموحاته في المعرفة والعلم - بلبانها، فنهل منها

ما شاء الله له، ثم واصل في مصر، وعاد بعد تخرجه في (دار العلوم) - بعد رحلة كفاح مضنية - ليسهم في النهضة العلمية في وطنه، (ومما يجدر ذكره، أن جريدة الأهرام المصرية كتبت في العدد ١٦٧٤٠ بتاريخ ١٧/٧/١٩٣١م، في صفحتها الأولى تحت صورته، ما يلي:

السيد أحمد العربي، عضو البعثة الحجازية في مصر وقد جاز امتحان دار العلوم العليا وأتم دراسته في أقل من أربع سنوات وكان من أوائل الناجحين، وهو من أعيان المدينة المنورة). ولقد تم له في إسهامه هذا بفضل الله وتوفيقه الريادة فيها، مجاهداً بعلمه، وقلمه في سبيل نشر العلم مع نفر من رفاقه الرواد في هذا الحقل، والذين نذكر منهم على سبيل المثال: السادة محمد شطا، إبراهيم النوري، ولي الدين أسعد، إسحاق عزوز، عبد المؤمن مجلد، محمود قاري، صالح خزامي، عبد الله خياط، وخلافهم ممن أسهموا في النهضة التعليمية - بدعم من أولي الأمر - الذين ما فتئ يستحثهم في العديد من المناسبات شعراً، ونثراً، لطلب المزيد من الدعم لتطوير وتقديم مرافق التعليم في البلاد، ولم يكن في مدحه لهم تواقاً إلى منفعة شخصية، بل كان في ذلك حاثاً ومحفزاً لمزيد من الدعم، رائده تحقيق ما يرفع من شأن هذه النهضة المباركة التي كانت من أغلى أمانيه ورفاقه.

وبعد أن شعر بقيامه بما يمليه عليه ضميره في أداؤه واجبه أثر الانسحاب من الأضواء، ليعيش باقي عمره في دعة وهدوء، وبتواضع العلماء، رأى أن الكثير مما كتبه شعراً، ونثراً، لا داعي لإعادة نشره لاستنفاذه الغرض المتوخى منه، بل أنه قرر في أحد مقالاته في مجلة المنهل، نشرته بعنوان: [الشعراء الذين تأثرت بشعرهم] قال فيه: . . لأنني

لا أدعي لنفسي منزلة في الشعر تضعني في صف الشعراء الذين يتميز شعرهم بطابع خاص وسمة واضحة الملامح. ولعلي لا أظلم نفسي ولا أخدع القارئ الكريم إذ أنا أعلنت هنا بأن قرضي للشعر لم يكن سوى نزوة من نزوات الشباب كانت بمثابة صدى للمحيط الذي اندمجت فيه عندما كنت طالباً في الأزهر ودار العلوم، إلى أن يقول: ولما كنت واحداً من هؤلاء الشبان فقد جذبني ذلك التيار الصاخب إلى زمرة الشعراء والمتشاعرين وخضت عبابه مع الخائضين، ثم ما لبثت أن شعرت بقصر نفسي دون مباراة فرسان هذه الحلبة ففضلت - بعد أن جربت في الشعر حالي - فضلت أن أنهزم مع صاحبي الذي فرق الهيجاء.

من هنا يتضح لنا جلياً سبب عدم رغبته في الاستجابة للعديد ممن رغبوا في أن يزودهم بشعره لنشره، وإن كنا اقدمنا، في هذا الكتاب، على ما يخالف رغبته - فنستميحه العذر (رحمه الله) ولعلّ عذرنا وشفيعنا في ذلك هو تحقيق رغبة العديد من محبيه.

وبالرغم من عدم وجود إخوة أشقاء له، فإن الله عوضه عنهم بإخوة روحيين، زاملوه في مسيرة حياته ربطتهم وشائج صداقة حميمة، هم: السيد عثمان حافظ، وقد زامله في مراحل تعليم الأولى بالمدينة، والسادة محمد شطا، وولي الدين أسعد، والشيخ هاشم دفتردار، وقد زاملوه في الدراسة بمصر، والشيخ عبد الحق النقشبندي (المحامي)، والدكتور فهمي بكير (الصيدلي)، فكانوا إخوة له لم تلدهم أمه.

الكتاب:

ولئن طال الحديث في الفقرة السابقة عن الكاتب - رغم الحرص على اختصارها - إلا أن إطلالة على الكتاب آن آوانها، فقد تجمعت مواده،

بفضل جهود إخوة أوفياء كما أسلفنا. من ثانياً مجلات وصحف شتى، بعضها ضارب في أعماق الزمن من قديم - مما يقرب من ثلاثة أرباع القرن - وبعضها وجد في أوراق مبعثرة كاد يعفي عليها الزمان، مما وجد بين أوراق المؤلف رحمه الله، فكان كل ذلك رافداً ثراً لمواد هذا الكتاب تم جمعها ومن ثم ترتيبها - قدر المستطاع - حسب تسلسلها التاريخي، وإلم نزعم أن الكتاب يحتوي كل إنتاج الأديب، ولكنه القدر المتاح مما توافر، بعد التمكن من فك الغموض الذي اكتنف بعضه وحسبنا أن جهد المقل هذا، قد يقيه الضياع.

كما أن فقد البعض لأجزاء منه، مما حال دون نشره، وبأمل أن يتاح مستقبلاً توافر النواقص أو الوصول لبعض المفقود، برغم تأكيدنا بوجود الكثير مما لم يتح الحصول عليه، ولكي نعطي صورة موجزة عن مؤلفات الأديب، يمكننا أن نسرد في عجالة، ما وجد بخط يده عن هذه المؤلفات، وذلك رداً على الطلب الملح وخصوصاً معالي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي (رحمه الله) - فقد كان دائب الحرص - على نشر هذا الناتج الثرّ للأديب، كيف لا وهو الابن الوفي البار، واللصيق بشيخه، والعارف لقيمته «رحمهما الله» وخلافه آخرون، فقد كتب: «إجابة على السؤال عن مؤلفاتي، المطبوعة، وغير المطبوعة»:

أقول لم يطبع لي شيء من المؤلفات سوى:

١ - كتاب (الإمام الشافعي - الفقيه الأديب).

٢ - (مجموعة من الأذكار المأثورة، والصلوات على النبي ﷺ).

٣ - (الهجاء والمطالعة) بالاشتراك مع المرحومين، السيد محمد شطا

والأستاذ عمر عبد الجبار.

ويوجد لديّ ثلاث مجموعات من الأحاديث التي أذعتها في الإذاعة السعودية وهي:

(أ) أحاديث أذعتها عن الحضارة العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية بعنوان (أمجادنا في التاريخ).

(ب) أحاديث أذعتها عن التربية عند العرب في الجاهلية والإسلام.

(ج) أحاديث أذعتها في تفسير بعض آي الذكر الحكيم.

واستجابة لاقتراح بعض المحبين أفكر في طبع أحاديث (أمجادنا في التاريخ) وأسأل الله التوفيق.

- [مما يؤسف له أن سلسلة طويلة من حلقات (أمجادنا في التاريخ)

فقد أكثرها بعد إعددها للطباعة]. كما يوجد لديّ تراجم لبعض الشخصيات الإسلامية الرائدة في العلوم والآداب والسياسة منها:

أ - ترجمة (حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس) رضي الله عنه .

ب - ترجمة (شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت) رضي الله عنه .

ج - ترجمة إمام دار الهجرة (مالك بن أنس) رحمه الله .

كما يوجد لديّ مجموعة شعري المتواضع، وأرجو أن أوفق إلى طبعه، استجابة لرغبة بعض الأبناء الكرام والأصدقاء الأعمام. وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، [أكد الواقع عدم رغبته في الاستجابة].

هذا جهد المقل - نضعه بين يدي القارئ الكريم - راجين أن يحقق بعض ما صبا إليه تلامذة وأبناء أحمد العربي، ومحبوه، راجين الله أن يتغمده - ومن رحل إلى دار الحق - من رفاقه بفيض رحمته، وأن يحفظ من ينتظر، ويبارك في حياتهم، راجين من القراء الكرام غض الطرف عما قد يعتوره

من نقص هو من طبيعة البشر، فلله الكمال وحده. [وفضلاً عن التسلسل التاريخي - المشار إليه آنفاً - لترتيب الكتاب، فإن القارئ الكريم، سيجده في جزأين، خُصص الأول منه: للشعر، والثاني للنثر].

ولا يسعنا في الختام إلا أن نزجي الشكر من الأعماق لكل من ساهم في هذا الجهد، وشجع ودعم إخراجه لحيز الوجود، آمليين أن يحوز قبولهم ويلقي لديهم الصدى المأمول، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نماذج مما كتبه أصدقاؤه وتلاميذه عنه

[من رجال التربية والتعليم^(*): - مربي الجيل الحاضر - السيد أحمد بن محمد العربي]

بقلم: المربي الكبير الأستاذ/عمر عبد الجبار (رحمه الله).

هو أحمد بن محمد بن رشيد يتصل نسبه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن، الملقب «بالنفس الزكية»، هاجر والده إلى المدينة وهو طفل وبعد أن حفظ القرآن تلقى علومه بالمسجد النبوي ثم رحل إلى المغرب لإكمال دراسته فالتحق بجامعة القرويين فتلقى العلم عن كبار علماء المغرب بضع سنين ثم عاد إلى المدينة، فواصل دراسته، ودرّس بالمسجد النبوي ثم بالمدارس الحكومية والأهلية، وقد رزق عام ١٣٢٣هـ ابنه الوحيد السيد

(*) المصدر: مجلة الرائد، العدد (١٠) ص ١٦، ١٧ - يوم الجمعة ١٦ رجب عام ١٣٧٩هـ، الموافق ١٥ يناير ١٩٦٠م.

أحمد، فحفظه القرآن ثم ألحقه بمدرسة ابتدائية، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى سافر إلى الشام وصحب معه ابنه وألحقه بمدرسة ابتدائية، ولما ألت الحرب أوزارها رجع السيد أحمد العربي إلى المدينة مع والده فأنتم دراسته الابتدائية والمتوسطة بمدارس المدينة ثم شرع في طلب العلم مدة قصيرة اكتسب خلالها طرق التدريس بالمسجد ثم سافر إلى مكة فالتحق بمدرسة الفلاح ولكن طموحه إلى ارتشاف العلم من منهل عذب، دفعه إلى النزوح إلى القاهرة فالتحق بالجامع الأزهر فجد واجتهد وثابر على دروسه إلى أن تحصل على شهادته الإبتدائية والثانوية النظاميتين كما درس في القسم العالي منه المواد المقررة ثم انتقل إلى مدرسة دار العلوم العليا فواصل دراسته فيها إلى أن تخرج منها عام ١٣٥٠هـ، وما إن عاد إلى مكة مزوداً بسلاح العلم والأدب والأخلاق إلا وعيّن مدرساً بالمعهد العلمي السعودي - وكان آنذاك «بأجياد» - فقام بواجبه خير قيام، غرس خلالها في نفوس طلابه الرغبة في طلب العلم وشجعهم على مواصلة دراستهم للوصول إلى الهدف السامي لخدمة الوطن، ثم قام برحلة عام ١٣٥٢هـ إلى أندونيسيا فنزل «جاكرتا» فاختارته جمعية الإرشاد مديراً لإحدى مدارسها لما لمستته في فضيلته من علم وأدب وخلق سمح - وكان الخلاف بين الإرشاديين والعلويين في ذلك الوقت قد بلغ أشده - ففكر في التوسط بين الفريقين بالصلح والتوفيق ولكن اضطرتة برقية مستعجلة بمرض والده إلى العودة إلى المدينة لإكتساب رضا والده وكان باراً به إلى أن لقي ربه .

وما إن وصل المدينة المنورة إلا وعمت الفرحة بين زملائه رجال العلم فعيّن مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ثم نقل منها إلى الرياض لإدارة مدرسة الأمراء وتعليمهم، ولا يزال أمراء البيت المالک

يقدرّون له تربيتهم، وقد اجتمعت معه بسمو الأمير منصور رحمه الله مرة فاعتز بأستاذيته وأثنى على الجهود التي بذلها في تعليمهم.

ولما ضمّت مدرسة تحضير البعثات إلى المعهد العلمي السعودي عيّن فضيلته مديراً للمدرستين فأدار شباب المعهدين بحزمه ونصائحه وكان بجانب إدارته يلقي سلسلة من المحاضرات القيمة في التربية وعلم النفس، على مديري المدارس ومدرسيها بمكة المكرمة، كان لها أثرها في توجيههم إلى أحدث الطرق والاتجاهات التربوية.

وكان سعادة السيد طاهر الدّبّاغ «مدير المعارف العام» - رحمه الله - يعتز به ويثني على جهوده في كل مناسبة ويسند إليه أهم أعمال المعارف بجانب إدارته للمعهد وتحضير البعثات، فقد اختير عضواً بمجلس المعارف الأعلى، وعضواً بالهيئة الإدارية للمعارف وعمل خلالها على طيب قلبه وحبه للخير.

ولما أسست لجنة تشجيع المدارس الليلية - الخيرية - اختارته اللجنة بالإجماع رئيساً فكان موفقاً في وضع مناهجها ونجاح رسالتها.

ولما أسس مكتب التعليم الثانوي والابتدائي بمديرية المعارف العامة عيّن فضيلته مديراً له وكان فضيلة مدير المعارف الشيخ محمد عبد العزيز بن مانع يثق به ويقدر له جهوده ويثني على نشاطه ويسأل الله أن يكثر من أمثاله في المعارف ديناً وخلقاً وعزّة نفس.

وعلاوة على كل عمل أسند له كان يشترك في عدة لجان لخدمة الثقافة وإشاعة التعليم في هذه البلاد، فقد انتدب لبعض المهام التعليمية والمؤتمرات الثقافية في داخل البلاد وخارجها كما انتدب لمفاوضة شركة الزيت العربية الأمريكية في الظهران بشأن المدارس التي قامت بتأسيسها في

المنطقة الشرقية وبعض مدارس نجد لتعليم أبناء العمال . . فوضع لها مناهج خاصة تتفق ومدارك العمال، والمواد التي يحتاجونها، كما أنشأ فصولاً دراسية لمكافحة الأمية بين العمال الكبار وانتهاز فرصة وجوده بالظهران فزار مدارس المنطقة الشرقية وبعض مدارس نجد والتفتيش عليها كما قام بزيارة تفقدية للبعثات العلمية بمصر وكتب تقريراً عن حالتها وما تتطلبه من وسائل إصلاحها والنهوض بها.

ومن المؤتمرات التي اشترك فيها كممثل للمعارف المؤتمر الثقافي لجامعة الدول العربية المنعقد في جدة، كما اشترك في إحدى دورات اليونسكو المنعقدة في بيروت.

وبعدها . . عين عضواً بمجلس الشورى فكان موضع تقدير رئيس المجلس ومحبة الأعضاء والأخذ برأيه في مهام ما يعرض على المجلس لدراسته .

وصدر الأمر الكريم بتعيينه مديراً عاماً للأوقاف العامة . . فملاً المركز وأداره بحكمته وحزمه ودمائة أخلاقه، وهو إلى ذلك عضو بمجلس الأوقاف الأعلى، ورئيساً للمجلس التأديبي التابع لوزارة الداخلية .

قرأت في صحف أندونيسيا خبر وصول السيد أحمد العربي إلى «جاكرتا» ونشاطه وثقافته والثناء على مساعيه فاعتزمت السفر إلى «جاكرتا» للتعارف به إلا أنه عاد إلى المدينة قبل أن أحقق أمنيته .

ولما قدمت إلى مكة أول ما فكرت فيه زيارته بعد عودته من الرياض، فإذا بي أمام فتى عربي ملء برده، مجد، سمح الطبع، رضي النفس، حلو الحديث، ينعم بعلم وفير، وثقافة إسلامية، شديد في عقيدته، لطيف في معشره، وبعد سنة من هذا التعارف اشتركت مع فضيلته في تأليف

«الهجاء الحديث والمطالعة الحديثة» فكان جذاباً في حديثه حر الضمير في آرائه، نبيل البسمات في اتزانه، دليل على نبل وكرم حاتمي.

ومضت خمسة أعوام على هذه الاجتماعات المتوالية التي تم في أول عام منها التأليف والنشر فإذا بالأمر الكريم يصدر بتعييني معاوناً لفضيلة السيد أحمد العربي بالمعهد وتحضير البعثات فسررت من هذا التعيين لمعاونة أرق الناس شعوراً وأطفهم معشراً وأحلامهم شمائلاً وأكرمهم رفداً.

خمس أعوام قضيتها بجانب السيد أحمد العربي لمست منه خلالها شدة الملاحظة إذ لا يكاد يعرض لسمعه أو بصره شيء إلا أداره على وجوهه ووجهه في الطرق التي يقتنع بصلاحها برأي حصيف وأسلوب منمق وكلام جميل..

لقد كانت أساليب السيد أحمد العربي أداة إصلاح وتهذيب وإنتاج، فكان من واجب متخرجيه الساخطين على التأديب أن يرجعوا بذاكرتهم إلى عهد دراستهم ليتذكروا أثر سياسة السيد أحمد العربي في تكوينهم وإعدادهم لخوض غمار الحياة فيتخذونه قدوة في وسائل التربية والتعليم التي تتفق وبيئتنا - لا شرقية ولا غربية - لإصلاح الفاسد وتقويم المعوج.

ويكفيه أنه أستاذ هذا الجيل الذي تولى أهم المناصب في القضاء والطب والإدارات المختلفة، وهذا الأستاذ عبد الله بغدادي مدير التعليم بمكة يعتز بأستاذه السيد أحمد العربي، إذ يقول في ندوته: أستاذنا العربي من أولئك الرجال الأفذاذ الصناديد ولكن الرجال قليل!! وهو من القلائل الذين قل أن تنجب البلاد أمثالهم وقل أن يسعدنا الزمن بأمثالهم.

إنه مثالي في أخلاقه مثالي في أدبه مثالي في إخلاصه، تبدو مثالية الرجل واضحة جلية في كل خطوة يخطوها يؤثر في نفسك برقة خلقه

ودمائه أدبه تأثيراً يترك بها صدى طيباً وينتزع منك احترامه عن إعجاب وحب وتقدير.

جاهد منذ مطلع حياته بإخلاص في سبيل عزّة بلاده وسعادتها في أهم ناحية من نواحي تقدمها، ساهم مساهمة فعّالة في نشر الثقافة، نشرها في كل مكان، في الفردوس الاستوائي - أندونيسيا - في المدينة، في الرياض، حتى ألقى عص التسيار في مكة واستقر بالبعثات ولازمها منذ تأسيسها حتى اليوم، وظل مكانه ثابتاً كالصخر لا يجزع ولا يلين بل صبر جالد كافح وناضل. . لم يطلب جزاء ولا شكوراً لا ترقية ولا مادة بل أعرض عن بريقتها الزائف المسيطر الجارف ومضى حصداً ومشى قدماً يؤدي رسالته العليا ويعمل لمبدئه الأول، المبدأ الذي يجب أن يتفانى فيه كل شخص مبدأ الإخلاص للمليك والوطن والأمة، لا ينبغي من وراء ذلك إلا رضا الله وراحة الضمير، وقد أدى رسالته في الحياة على خير وجه وحقق الله أمانيه وظهرت بواكير غرسه (ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ قال شهادة) أنظر هذا شاب مثقف وذاك حذق العلوم وحاز كل فضيلة، آبوا إلى وطنهم ليساهموا في خدمته ويعملوا في حقول الإنتاج ليعيدوا مجد البلاد إنهم أبناء (العربي) وهو والدهم الروحي وكفاه ذلك شرفاً وفخراً يعتز به الرجال المخلصون.

هذه ثمرة يانعة وتلك زهرة ناضرة إذا شممت إنصاح عطرها الشذي، فاعلم أن (العربي) من المساهمين في تكوين (باقتها الجميلة) وتقديمها هدية للوطن الغالي.

هذه صفحة ناصعة، خالدة، تالدة، باقية على الزمن لا تبلى مع القرون ولا يمحوها كر الدهور، وهذا هو الخلود، وهذه هي العظمة، فبالعلا يخلد

الرجال وبالفعال النابه، ويجب علينا أن ننشر ذلك ليرى فيها - من يريد أن يرى - مثالية الرجال وعظمة الشخصية، ليؤمنوا أن العظمة لا تقاس بمقياس مادي، وإنما العظمة كل العظمة في دنيا الخلود بمقدار إخلاص الرجال للوطن، وبمقدار إيثارهم مصلحة الجماعة على المصالح الذاتية.

وهكذا كان (العربي)، وهكذا سيظل، وهو لا شك مع الخالدين، يجب أن ننشر هذه الصفحة الناصعة لهذا المربي الكبير والأستاذ العظيم ليستوحي منها النشء والشباب مثلاً ومبادئاً ليعمل مثله ويجد ويكده ويخلص فينتج.

والسيد أحمد العربي علاوة على علمه وأدبه وحسن إدارته، شاعر وفي شعره دليل على قوة إيمانه وثروة آماله، ورقة شعوره، في جزالة لفظ ووضوح أسلوب، استمع إلى تحيته للجيل الحديث إذ يقول:

إنما ينهض البلاد بنوها وبهم تستعيد كل فخار

[ويورد الأستاذ عمر خمس أبيات أخرى من هذه القصيدة، وهي منشورة كاملة في هذا الكتاب]. رحم الله الأستاذ عمر عبد الجبار، وجزاه خير الجزاء على وفائه وإخلاصه لرفيق دربه «م. ع».

كتب الأستاذ أحمد محمد جمال في جريدة (عكاظ) بتاريخ ١٣/٦/١٤٠١هـ ما يلي:

[أستاذي السيد أحمد العربي]

أثار كاتبنا الكبير الأستاذ محمد حسين زيدان بما كتبه عن زميل دراسته ورفيق صباه وشبابه السيد أحمد العربي، أثار في نفسي ذكريات الدراسة

والصبا معاً. فلم أملك مشاعري إلا أن أسجل هنا تحية عاجلة لهذه الشخصية التربوية الحبية.

إن السيد أحمد العربي: أستاذاً الذي أحبه وأجله إلى اليوم، ومن رفاقي تلامذته الذين يحبونه ويجلونهم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، والأستاذ عبد العزيز الربيع، وغيرنا من محبيه كثيرون... ولكن الذاكرة الآن لا تسعفني بأسمائهم.

كنا طلاباً في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة في الفترة الدراسية ما بين (١٣٥٨ و ١٣٦٠هـ) وكان السيد أحمد العربي يومذاك يجمع بين إدارة المعهد ومدرسة تحضير البعثات... حيث كانت تضمهما بناية واحدة، هي بناية «القلعة» بجبل هندي في حي الشامية..

- وكان السيد أحمد - حفظه الله وأمد في عمره - يدرسنا مادة الأدب العربي.. فكان بليغاً ومؤثراً في تدريس هذه المادة لأنه هو أديب ضليع، وشاعر بديع، وخطيب ممتع ومشعب بصوته وأدائه.

- وكان يشجعنا فيما نكتب من نثر وقصص وشعر، ثم نلقيه في ندوة الخميس بالمعهد كل اسبوع، وكان يشجعنا معه الأستاذ (شيخ بابصيل) رحمه الله الذي كان يشغل وظيفة وكيل لإدارة المعهد.

- وقد ذكرني الأستاذ عبد الرزاق بليلة - وهو من جيل يكبرنا ببضع سنين - بقصيدة رائعة ألقاها السيد أحمد العربي في حفل استقبال أول فوج من الطيارين السعوديين - كان من روائعها هذا البيت:

أنكون أول مبدعي الطَّـيران آخر من يطير؟

- إن السيد أحمد العربي صاحب فضل كبير في حقل التربية والتعليم

على أجيال متتابعة من الشباب في المملكة لأن المعهد العلمي السعودي ومدرسة تحضير البعثات كانا يضمّان طلاباً من مختلف شباب المملكة . ذلك لأنهما الوحيدان يومذاك المختصان بالدراسة الثانوية وكان الطلاب يفدون من أنحاء المملكة القريبة والبعيدة .

- ولن ينسى هؤلاء الطلاب - مهما كبروا مقاماً أو كبروا سناً - هذا الفضل الكبير للسيد الجليل .

أحمد محمد جمال

وكان الأستاذ أحمد جمال قد كتب في كتابه [ماذا في الحجاز] الصادر في طبعته الأولى عام ١٣٦٤هـ في فصله الخامس عن «نماذج من رجال التعليم» ص ٥٣ ما يلي :

الأستاذ أحمد العربي :

معلم بارع، ومرّبٍ قديرٍ لأساليب تعليمه وتربيته الحديثة أثر بيّن في نهضة التعليم في الحجاز، وهو بعد أديب كبير، صوال القلم في النثر والنظيم وخطيب يسمع ويمتّع . . . ولد بالمدينة، سنة ١٣٢٣هـ، وأحرز إجازة التدريس من دار العلوم العليا بمصر سنة ١٣٥٠هـ وفي سنة ١٣٥٢هـ عيّن أستاذاً بالمعهد العلمي السعودي بمكة، ثم مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض، وهو الآن مدير المعهد العلمي ومدرسة تحضير البعثات وعضو مجلس المعارف^(١) .

(١) [كتب الأستاذ أحمد جمال في] الطبعة الثانية لكتابه الصادر عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الهامش التالي :

كان ذلك سنة ١٣٦٤هـ، أما الآن فهو عضو مجلس الشورى وهو أستاذ المؤلف سابقاً وزميله في مجلس الشورى حالياً. [وقت صدور الطبعة الثانية] رحمهما الله .

مثال من شعره^(١):

خففي السير يا عروس البحار وارفقي في سراك بالسّفار
 إنما تحمّلين أفلاذ شعب حادب بالبَنوة الأبرار
 إنما تحمّلين آمال جيل زاهيات كأنضر الأزهار
 يا شباباً نضاً إلى المجد عزمًا لا يبالي عواصف الأخطار
 سر على اليمن في سبيل المعالي وامض قدماً في ذلك المضمّار
 واقتبس من معاهد العلم في مصر ر شعاعاً يهدي سبيل السّاري
 أنت عنوان أمة الخلف الفاضل ل والمعشر الكريم التّجار
 إنما ينهض البلاد بنوها وبهم تستعيد كلّ فخار
 وبنوها لا ينهضون بغير الـ علم والعلم أثمن الأذخار
 فلقد مهد السبيل إلى النهـضة (عبد العزيز) فخر نزار

كتب المربي الكبير الأستاذ عبد الله عبد المجيد بغدادي في الجزء الأول
 من كتابه المعنون بـ:

[الإنطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية]، في الفصل الذي
 تحدث فيه عن: [أوائل المديرين للمعهد العلمي]: (المعهد الإسلامي
 سابقاً)، في الصفحة ٢٦٧ ط٣ - ما يلي:

- وفي عام ١٣٥٨هـ أدمجت إدارة المعهد وتحضير البعثات في إدارة
 واحدة، وعيّن السيد أحمد العربي مديراً (للمعهدين)، وبعد أن تقرر عام
 ١٣٦٥هـ فصل إدارتي هاتين المؤسستين أسندت إدارة المعهد إلى الأستاذ

(١) ثم قالها في توديع البعثة العلمية إلى مصر سنة ١٣٦١هـ.

الكبير البحاثة عبد الله عبد الجبار، كما عيّن الأستاذ محمد حلمي معاوناً له، وقد كان ذلك في ١٧ محرم ١٣٦٦هـ. ثم يواصل الأستاذ عبد الله بغدادي، في نفس الصفحة كما يلي:

والسيد أحمد العربي (أمد الله في عمره) شخصية تربوية هامة أسهمت في الحركة التعليمية منذ انبثاقها وأوائلها وطلّاعها وكان في كل أعماله الإدارية والتعليمية مثلاً طيباً وأمثولة المربين والمعلمين علماً وحزماً، وله قصائد شعرية تعتبر من غرر الشعر العربي، وقصيدته: «أيها العيد كم تثير شجونني» قصيدة رائعة فذّة، برغم أن أبياتها لم تتعد الثمانية والعشرين بيتاً إلا أنها جمعت فأوعت، وأجملت فأبدعت، وأوجزت فبدّت، مما يدل على قريحة مبدعة، وعقلية مفكرة وعاطفة جياشة شديدة الحساسية تنفعل لآلام الناس وتنزعج لكروبهم وتخف لنجدتهم مع دعوة الناس للتدبر والتأمل، وموعظتهم. . . نقتطف منها هذه الأبيات الثمينة ذي اللهجة الرصينة والحكمة الرزينة والتبصر لعواقب الأمور:

[يورد الأستاذ البغدادي عشرة أبيات من هذه القصيدة، وهي منشورة كاملة في هذا الكتاب] ثم يواصل الأستاذ البغدادي:

والقصيدة تحفة فنية وجدانية واقعية رائعة، فمن يطلبها فليرجع إلى كتاب «وحي الصحراء» فإنه واجدها مع غرر شعره وقصائده. (وهي موجودة أيضاً في هذا الكتاب كما أسلفنا). ثم ينقل الأستاذ البغدادي ترجمة حياته - السيد أحمد العربي بقلمه، كما كتبها في نهاية كتابه (الإمام الشافعي - الفقيه الأديب)، والذي نشر في المكتبة الصغيرة الصادرة عن دار الرفاعي، وهو أيضاً منشور هنا في هذا الكتاب.

ثم يواصل الأستاذ البغدادي :

وأحمد بن محمد بن رشيد العربي هو مربى الجيل المعاصر وأحد رواد التربية والتعليم في الوطن كله، وهو أستاذ ومعلم لجيل من رواد النهضة الشاملة.

أخذت منه كثيراً وتعلمت عليه وتعلمت على يديه الكثير تعليماً وإدارة، فقد كنت معاوناً له في إدارة مدرسة تحضير البعثات بمكة من عام ١٣٦٨/١٣٧٠هـ وبعدها عينت خلفاً له في إدارة هذه المدرسة الثانوية الكبيرة، والسيد أحمد العربي يتميز بشخصية فذة أو شخصية نفاذة رغم أنه لا يتصف من حيث المظهر بطول فارع.. ولا بعرض سميك.. بل على العكس تماماً، فإنه ناحل الجسد نحولاً لافتاً للنظر.. إلا أنه يسيطر بشخصيته النفاذة على طلبته.. بل على طلبة مدرستين كبيرتين هما أكبر مدارس المملكة آنذاك.. في حقل الدراسة الرسمية، وهما المعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات.. فقد كان مديرهما معاً.. حيث أطلق عليه لقب (مدير المعهدين) وكان من طلبته من يكاد يقاربه في السن.. يتمتع بعمق في الثقافة وأدب رفيع من طراز بديع وهو من خيرة أدباء العربية الذين يحسنون صناعة الكلمة وإبداع الحرف وتنسيق الأسلوب، وبكل ذلك يعد قدوة مثلى.. وقد كان خير قدوة وأفضل أسوة لطلابه.. فهو مهيب حازم، بارع الحديث حسن الصوت، متناسق الملامح، بعيد النظر، وهو أديب، شاعر، عالم.. إنه ينتزع منك «احترامه» عن إعجاب وحب وتقدير، وبكل ذلك فهو ثروة هائلة في التربية والتعليم، وهو وفي مخلص لرسالة التعليم، أقبلت عليه الدنيا فتركها وتفرغ لرسالته الكبرى، أداها خير الأداء، أمد الله في حياته. [كتب ذلك قبل وفاته رحمه الله، وأمد الله في حياة الأستاذ البغدادي وأحسن جزاءه].

[كتب المربي الكبير، الأستاذ السيد محسن باروم، في كتابه [من أعلام التربية والفكر في بلادنا] ط ١ في الصفحة ١١، (أحمد محمد العربي من الأعلام الرواد في التربية والأدب)، «أحمد محمد العربي في سطور» وبدأ بنقل ترجمة حياته بقلمه - المنشورة في كتابه (الإمام الشفاعي - الفقيه الأديب)، ثم استطرد: يسعدني أن أتناول بالحديث الموجز عن سيرة علم من أعلام التربية والفكر والثقافة في بلادنا العربية السعودية، في عصرها الحديث وهو مربي الأجيال السيد أحمد محمد العربي، الذي تمثل حياته فترة من فترات التطور والنشوء والارتقاء لهذه البلاد في عهد مؤسسها الراحل العظيم جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

فقد ولد الأستاذ السيد أحمد العربي في المدينة المنورة في أوائل عام ١٣٢٣هـ، وطلب العلم على علمائها في المسجد النبوي الشريف، وبعدها في المسجد الحرام بمكة المكرمة علوم الشريعة واللغة العربية حتى أتقن أصولها ومعارفها العامة، ثم دفعه طموحه إلى الاستزادة من هذه العلوم، بانخراطه في سلك البعثات العلمية السعودية التي حرص موحد هذه الجزيرة على إرسالها إلى مصر، للنهل من مواردها العلمية الصافية، حيث التحق بدار العلوم، وتخرج فيها عام ١٣٥٠هـ.

وعاد الشاب المثقف الطموح يشق طريقه بقوة واقتدار في مجالات التربية والتعليم: مدرساً قديراً، تميز بين أقرانه بسعة العلم وقوة الشخصية ورحابة الفكر وبلاغة الأداء اللغوي وحسن التمكن في فن التدريس إضافة إلى بروزه في مناحي الفكر والأدب والشعر، يبدج المقالات ويقرض الشعر، وينشره في «صوت الحجاز»، ثم «البلاد» مما لفت إليه الأنظار

فاختاره جلاله الملك عبد العزيز، لتأسيس أول مدرسة لتعليم أبنائه الأمراء بمدينة الرياض في أواسط عام ١٣٥٤هـ. حيث اضطلع بمهام التأسيس والتوجيه التربوي والثقافي لطلابها، مما أكسبه ثقة جلاله الملك عبد العزيز، فعينه مديراً لها، إلى أن اتجهت الأنظار إلى كفاءته العلمية والتربوية والأدبية لإدارة مدرسة تحضير البعثات في مستهل عام ١٣٥٦هـ ثم انضاف إليه المعهد العلمي السعودي وبقي في هذا العمل التربوي والإداري الحساس يربي أجيال الشباب بما يغرسه في أعماق وجدانهم من ضروب المشاعر الوطنية الكريمة، من حب للعمل، والإنتاج في سبيل هذا الوطن، وما ينميه في قرارة نفوسهم من ألوان القيم الروحية والفكرية والاجتماعية والإنسانية الفاضلة، ليدفع بهم إلى مقدمة الصفوف لإنماء مناهج الثقافة، وطرائق التفكير، وتراث الإنسانية في مجالات الأدب بفنونه وأجناسه المختلفة، والعلم ونظرياته وفروعه المتعددة.

وقد استطاع خلال هذه الحقبة من عمره المديد أن ينشئ أجيالاً من شباب هذا الوطن على حب العلم، والبحث عن المعرفة بما آتاهم الله من قدرات فكرية، ومدارك عقلية حتى غدوا في مستقبل الأعوام رجالاً كراماً، ومثقفين بارزين في طليعة العاملين لخدمة مليكهم ووطنهم وأمتهم.

ومن المؤكد أن في طليعة هؤلاء الرجال الذين كان لهم أدوار بارزة في الحياة الثقافية والأدبية والإدارية الإخوة والأصدقاء الفضلاء أحمد محمد جمال، وعبد العزيز أحمد الرفاعي، وسراج خراز - رحمهم الله - وعبد الله بغدادي، واللواء علي زين العابدين، ومحمد عبد القادر فقيه - أمد الله في عمرهم - فقد أثروا الحياة الأدبية والثقافية في بلادنا بإنتاجهم الفكري والأدبي الخصب، الذي كان أحد مراجع التوجيه اللغوي والأدب القوي

الذي حظي به هؤلاء الشباب من مربيهم الفذ السيد أحمد العربي .

ولست أنسى بعض قصائد شاعرنا الموهوب السيد أحمد العربي التي ضمنها كتاب «وحي الصحراء» في منتصف الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري، فقد كنا نتلوها ونحن شداة للأدب، وطلاب للمعرفة وسعاة إلى الزاد الثقافي، بمختلف صورته وألوانه، بكل شغف واهتمام وتطلع إلى الجديد في عالم الفكر والأدب والثقافة يشدنا ذلك الشعر إليه، بما اشتمل عليه من نصاعة البيان، وقوة المعاني وتوهج العاطفة .

وأرقلت بي وبصحبي من ابناء جيلي سفينة الحياة حتى وجدت نفسي وجهاً لوجه مع أستاذنا السيد أحمد العربي في رحاب مديرية المعارف العامة منتصف عام ١٣٧١هـ حين كان يشغل منصب مدير مكتب التعليم فيها، وكنت آنذاك قد انتقلت إلى هذه المديرية مفتشاً للغة العربية فكانت سعادتني عظيمة وسروري بالغاً بلقائه والتعرف به شخصياً، ومجازبته أطراف الحديث في مكتبه، وفي أبهاء مبنى المديرية وهو باسم الثغر متهلل الوجه دائماً، عذب الحديث، فصيح اللغة في غير تكلف ولا تقعر لها فكنت التقط من بين ثنايا أحاديثه درراً من العلم، ولطائف من المعرفة، ولمحات من الثقافة، أضيفها إلى رصيدي الفكري في ابتهاج بالغ وسعادة غامرة .

ولقد بقي هذا الأثر الفكري في أعماق وجداني حتى إذا غادر السيد أحمد العربي منصبه التعليمي في مديرية المعارف وتقلبت به عجلة الحياة بين مديرية الأوقاف العامة وعضوية مجلس الشورى بين عامي ١٣٧٢هـ - ١٣٩٢هـ كنت أردد دائماً بيني وبين نفسي قصيدته (أيها العيد) المنشورة في «وحي الصحراء» فأطرب لمعانيها، مما يدفعني إلى اقتراح تقديمها ضمن النصوص الأدبية المقررة على طلاب المرحلة المتوسطة كنموذج

للإبداع الشعري المعاصر، ذي النزعة الإنسانية المؤثرة ليجد فيها هؤلاء الطلاب ما أجده في نفسي من متعة الفكر، وطمأنينة النفس، وزاد الروح والاندفاع لعمل الخير.

إن السيد أحمد العربي^(١) هو أحد الرواد القلائل الذين تركوا بصمات قوية في حياة أبناء أجيالنا الحاضرة وإنني أتوجه إلى الله القدير وهو يجتاز عامه الثالث والتسعين أن يمتعه الله بالصحة السابغة، والعافية التامة وأن يجزيه خير ما يجزي به الصالحين من عباده وأن يبارك في أولاده الأصليين، والروحيين، ليكونوا امتداداً لحياته العامرة بضروب المكرمات والتضحيات والقيم الإنسانية العليا، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

(وجوزيت يا سيد محسن، على نبلك ووفائك، وأنعم عليك بالشفاء الناجز العاجل) (م.ع).

أحمد العربي

كتب الأستاذ عابد خزندار في زاويته اليومية «نثار» بجريدة (عكاظ) في العدد ١١٨٧٣ يوم الأحد ١٢/١١/١٤١٩هـ الموافق: ٢٨/٢/١٩٩٩م، ما يلي:

قلائل أولئك الذين عاشوا في حياتنا وعصرنا، ولكنهم لم يحيوا حياتهم، وإنما حياة الوطن، ولم يعيشوا لأنفسهم، وإنما عاشوا لقضية آمنوا بها وخدموها وضحوا من أجلها، ومن هؤلاء أحمد العربي، وقد

(١) نشرت هذه المقالة في حياة المرابي الكبير الذي اصطفاه الله لجواره في ٥ ذي القعدة من عام ١٤١٩هـ الموافق ٢١ فبراير عام ١٩٩٩م، ودفن في مقبرة المعلا بمكة المكرمة لذا لزم التنويه.

عرفت الرجل عن كذب ستة أعوام هي عمر دراستي في مدرسة تحضير البعثات، وأشهد أنني أيامها لم أفهمه بل كنت واحداً من الساخطين عله، والناقمين على نهجه في إدارة أمور المدرسة، وكنت أيامها مراهقاً مصاباً بما يمكن أن يسمى بمرض الطفولة الوطنية، كنت أريد لوطننا أن ينهض نهضة تختصر الزمن وتتجاوز المراحل وتسبق التطور الطبيعي، ولم أكن أدرك أن ذلك مستحيل وقد يؤدي إلى الإنتكاس والرجعة إلى الوراء، أو حتى الردة إلى مهاوي التخلف الذي كنا نريد أن نتجاوزه، وكانت لي بعض المغامرات التي لم تكن بريئة من الحماسة والصبيانية والتي دفعني إليها هذا الاندفاع الصبياني، أذكر منها أنني كنت أعتقد أن التقدم في بلادنا لا يتحقق إلا إذا اقلعنا عن الزي الذي كنا نلبسه واتخذنا الزي الإفرنجي لباساً لنا، وفعلاً نفذنا الفكرة أنا وبعض الزملاء وخرجنا من بيوتنا مرتدين الزي الإفرنجي، وتجمعنا في أحد الأماكن، وذهبنا معاً إلى المدرسة في جبل هندي^(١)، وكان منظرنا، ونحن نسير في الشوارع مثيراً للفضول والقبيل والقال والاستنكار الخ.. وكان السيد أحمد العربي في استقبالنا على باب المدرسة فأمرنا بالرجوع إلى بيوتنا، وفي ثاني يوم جمعنا وأفهمنا أن التقدم لا يتم بتحدي التقاليد والعرف والخروج عليهما، بل إن ذلك يؤدي حتماً إلى النقيض أي الردة، وأضاف مؤكداً على كل كلمة يقولها إن مدرسة تحضير البعثات نفسها تجربة جديدة على مجتمعنا وأن هناك العديد من فئات المجتمع التي ترى فيها خروجاً على التعليم المتعارف عليه، وأن بعض الآباء قد أخرجوا ابنائهم منها لأنها تدرس اللغة الإنجليزية والكيمياء

(١) تمت تظاهرة ارتداء الزي الإفرنجي، بعد انتقال المدرسة إلى القشاشية، والعتب على ذاكرة

الزميل الأستاذ عابد، وطول المدة، (م.ع).

والفيزياء، وأن هؤلاء وغيرهم يتربصون بالمدرسة، ويتحينون الفرص للإيقاع بها وقفلها، وإنما بتصرفنا هذا قد قدمنا لهم لما يسعون إليه، وقد اقتنعت بكلام الرجل، وقامت بيني وبينه علاقة حميمة لا تختلف عن علاقة الابن بأبيه، وكنت أحس فيما بعد وإلى الآن بأن محمداً ونزاراً هما الأخوان اللذان لم تلدهما أُمِّي (وأنا لا أعرف هشاماً ولو أنني بالطبع اعتبره أخاً لي) ومضت الأيام واستطاع أحمد العربي أن يقود سفينة تحضير البعثات في بحر تلك الأيام المتلاطم إلى أن أصبحت شيئاً مألوفاً وطبيعياً بل نموذجاً جرى تطبيقه في كل أنحاء المملكة، بل تطور الأمر وأصبحت لدينا جامعات للبنين والبنات، وكل ذلك بعبء رجال في مقدمتهم أحمد العربي. وأحمد العربي لم يكن مجرد موظف صاحب رسالة، بل كان مسكوناً بالهم الوطني والاجتماعي، يتجلى ذلك في قصيدته التي حيا فيها أول دفعة من طياري المملكة، والتي يقول فيها:

أهلاً بقدامة النسور طليعة العهد النضير الرافعين لواء مجد بلادهم فوق الأثير

أما الهم الاجتماعي فيتجلى في هذه القصيدة:

أيها العيد كم تخطيت قوماً هم من البؤس في شقاء قطين
لم تزدهم أيامك الغرّ إلا حِسرة في تأوه وأنين

وبعد: فلا أستطيع أن أقول إن أحمد العربي قد مات، فنحن تلامذته امتداد لعطائه وحياته.

عابد خزندار

السيرة الذاتية (*)

- السيد: أحمد بن محمد العربي

- السيد أحمد بن محمد بن محمد بن رشيد العربي: مُرَبِّ، وعالمٌ، وخطيبٌ، وأديبٌ وشاعرٌ مُبدِعٌ مبرِّزٌ؛ من أعلام الرعييلِ الأوَّلِ من التربويين المؤسسين، ومن طلائعِ رُوَادِ النهضةِ الأدبيةِ في المملكةِ العربيةِ السعودية.

- الميلاد والنشأة:

وُلِدَ الشريفُ السيدُ أحمدُ بنُ محمدِ العربي في المدينة المنورة: في شهرِ ربيعِ الأولِ من عامِ ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م؛ وفيها تشكلت نشأته الأولى؛ مُوطأةِ الأكنافِ في بيئةٍ علميةٍ دينيةٍ احتضنت طفولته النجيبَةَ المبكرة في ظلِّ سَرَوَةِ أسرةٍ علميةٍ عريقةٍ العلمِ والشرفِ؛ تهيأت بين الأُسْرِ المدنيَّةِ الكريمةِ التي أنجبت العديداً من أعلامِ النهضةِ العلميةِ والفكريةِ والأدبيةِ في بلادنا المقدسة.

وأسرة آل العربي تنتمي إلى الأشراف العلويين العياشة في ينبع النخل، الذين نزع بعض أجدادهم إلى المغرب الأقصى في العصر العباسي، وجدهم: محمد النفس الزكية، والمدفون في ينبع النخل.

(*) المصدر: فاروق بنجر، برنامج من أعلامنا التربويين، إذاعة جدة، الحلقة التاسعة:

الاثنين: ٣٠ صفر ١٤٢٠هـ الجمعة ٢٧/٢/١٤٢٠هـ.

كان والدُه الشريفُ محمد العربي عالماً وفقهياً ومدرساً في (المسجد النبوي الشريف)؛ حيث كان يُلقِي دُرُوسَ العربيةِ في (النحوِ والصرف) في حلقاته التعليميةِ بالحرمِ النبويِّ الشريفِ.

وقد تَلَقَّى السيد أحمد العربي تعليمَه الأوليَّ على يدِ والدِه، وفي مدرسة (جَوهرَ أَعَا)، وفي حلقاتِ التعليمِ بالمسجدِ النبويِّ الشريفِ مع نَفَرٍ من زملائه الذين صاروا من أعلامِ الثقافةِ في بلادنا. وفي طليعتهم: السيد عثمان حافظ، والشيخ محمد حسين زيدان.

وحَفِظَ السيد أحمد العربي (القرآنَ الكريمَ) على يدِ والدِه، وأتم حفظه وهو في العاشرة من عمره، وأمَّ به في صلاة القيام في رمضان بالمسجد النبوي بعض المصلين. وتعلَّم وتخرَّجَ في المدرسة التحضيرية الأميرية بالمدينة المنورة، ثم انتقلَ إلى مَهَبِطِ الوحي (مكة المكرمة) - كما يَذكرُ ابنُه السيد محمد بن أحمد العربي - مع شيخه العَلَامَةِ المحدثِ الشيخ عمر حمدان المحرسيِّ؛ حيث التحق بمدرسة (الفلاح المكية)، ودَرَسَ بها عِدَّةَ أشهر، مع حضورِ حلقاتِ الدروسِ الدينيةِ والعربيةِ في المسجدِ الحرامِ، ومُلازِمَةِ شيخه عمر حمدان والعلامة الشيخ محمد علي بن حسين المالكي.. وغيرهما.

وفي عام ١٣٤٣هـ ألحَّ عليه هاجسُ التعليمِ الجامعيِ العاليِ؛ فسافر إلى (مِصرَ)؛ حيث التحق بالأزهرِ الشريفِ، ونالَ شهادةَ ثانويةِ الأزهرِ. وعندما أنعمَ الملكُ عبد العزيز آل سعود بإصدارِ قرارِ أولِ بعثةٍ تعليميةٍ سعوديةٍ عاليةٍ/عام ١٣٤٦هـ انضمَّ إليها السيد أحمد العربي مع زملائه: السيد محمد بن أحمد شطا؛ والسيد وليِّ الدين أسعد، والشيخ هاشم دفتر دار المدني. وكان عدد المُبتَعَثِينَ (١٤ مبتعثاً).

وفي عام ١٣٥٠هـ تخرّج السيد أحمد العربي في كلية (دار العلوم) الشهيرة، وكان واحداً من ثلاثة كانوا أوائل الحاصلين على الشهادة الجامعية في تاريخ المملكة العربية السعودية، وهم: السيد أحمد العربي، والسيد ولي الدين أسعد من (كلية دار العلوم)، والسيد محمد شطا، والشيخ هاشم دفتر دار من (كلية الشريعة) بالأزهر.

- دوره الريّاديّ التربويّ والأدبيّ :

كان السيد أحمد بن محمد العربي من أولئك التربويين البناة الذين لم يُفارقهم هاجسُ التعليمِ والتثقيفِ والتنويرِ في كلِّ أدوارِ حياتهم الجليّة التي بسطوا ظلالَ زمانها الرّفافِ لصناعةِ التّعليمِ وإعدادِ الأجيالِ المتعلّمةِ والمثقفةِ المتنوّرةِ.

وقد تميّزت ريادةُ السيد أحمد العربي بدورينِ تَنْويريّين: دورِ رياديّ تربوي، ودورِ رياديّ أدبي. وتمثّل دوره الأولُ في ريادةِ التربية: معلماً، ومديراً، ومسؤولاً تعليمياً مشاركاً في كلِّ مجالاتِ النشاطِ التعليمي. وتمثّل دوره الآخرُ في عِقدِ الريادةِ الأدبية: أديباً وشاعراً مُبدِعاً، وخطيباً مُفوّهاً عرفته منابرُ الخطابةِ الأدبيةِ والتربويةِ في ألمعيةِ البديهة، ولودعيةِ الارتجال.

- السيد أحمد العربي المربي :

أنهى السيد أحمد العربي دراسته الجامعية، وتخرّج في كلية (دار العلوم العُليا) عام ١٣٥٠هـ - كما ذكرنا - ثم عاد إلى بلادِ الحرمين الشريفين ليؤدّي رسالته التربوية؛ فعُيّن مدرّساً في المعهد العلميّ السعودي بمكة المكرمة (الذي تأسس عام ١٣٤٥هـ) فتلقّى العِلْمَ على يديه جيلُ الرعيّلِ الأوّلِ من تلاميذِ وخريجي هذا المعهد العتيّد.

وبَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنَ التَّدْرِيسِ فِي المَعْهَدِ العِلْمِيِّ طَافَتْ بِهِ فِكْرَةٌ (الرِحَالِ العِلْمِيَّةِ الدَّعْوِيَّةِ)؛ فَسَافَرَ مَعَ زَمِيلَيْهِ: السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ الخَطِيبِ وَأَخِيهِ السَّيِّدِ صَالِحِ الخَطِيبِ إِلَى (مِصْرَ) عَامَ ١٣٥٢هـ، وَمِنْهَا رَكِبُوا البَحْرَ إِلَى جُزُرِ الهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ (إِنْدُونِيسِيَا)؛ حَيْثُ اشْتَغَلَ بِالتَّدْرِيسِ فِي بَعْضِ المَدَارِسِ الأَهْلِيَّةِ فِي (جَاوَا)، مَعَ إِقَاءِ المَحَاضِرَاتِ الدِّينِيَّةِ. ثُمَّ عُيِّنَ مَدِيرًا لِمَدْرَسَةِ (الإِرشَادِ العَرَبِيَّةِ) بِجَاكْرَتَا مَعَ التَّدْرِيسِ فِيهَا. وَبَعْدَ عَامٍ شَدَّ رِحَالَ العَوْدَةِ إِلَى (الديار المقدسة) مَرُورًا بِسِنْغَافُورَةَ؛ حَيْثُ التَّقَى بِالجَالِيَّةِ العَرَبِيَّةِ المُسَلِّمَةِ وَأَلْقَى مَحَاضِرَتَهُ التَّعْرِيفِيَّةَ بِأَدَبِ بِلَادِهِ فِي النَّادِي الأَدَبِيِّ بِسِنْغَافُورَةَ عَنِ (الأدب الحديث في الحجاز).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ١٣٥٣هـ حَطَّ رَحْلَهُ عَلَى ثَرَى وَطْنِهِ؛ فَعَمِلَ مَدْرَسًا فِي مَدْرَسَةِ (العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ) الَّتِي أَسَّسَهَا فِي المَدِينَةِ المُنُورَةِ/ عَامَ ١٣٤٠هـ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الفَيْضِ آبَادِي. وَفِي مَطْلَعِ عَامِ ١٣٥٤هـ صَدَرَ أَمْرٌ مُؤَسِّسِ البِلَادِ المَلِكِ عَبْدِ العَزِيزِ بِتَعْيِينِهِ مَدِيرًا (لِمَدْرَسَةِ الأَمْرَاءِ) فِي الرِّيَاضِ الَّتِي قَامَ بِتَأْسِيسِهَا، وَهِيَ أَوَّلُ مَدْرَسَةٍ تُنْشَأُ عَلَى ثَرَى (نَجْد)؛ تَحْتَ نَظَرٍ وَرِعَايَةِ مَلِكِ البِلَادِ الَّتِي أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَبْنَاءُ طَلِيْعَةِ المَتَعَلِّمِينَ فِي المَدَارِسِ النِّزَامِيَّةِ بِنَجْدِ.

وَفِي عَامِ ١٣٥٦هـ وَجَّهَ إِلَى (مَكَّةِ المَكْرَمَةِ) لِتَوَلَّى إِدَارَةَ أَوَّلِ مَدْرَسَةِ ثَانَوِيَّةٍ حَدِيثِيَّةٍ فِي المَمْلَكَةِ، وَهِيَ مَدْرَسَةُ (تَحْضِيرِ البَعَثَاتِ) عِنْدَ افْتِتَاحِهَا.

وَفِي عَامِ ١٣٥٧هـ رُقِّيَ فَوَجَّهَ مَدِيرًا لِمَعْهَدِ العِلْمِيِّ السُّعُودِيِّ. وَفِي عَامِ ١٣٥٨هـ عُيِّنَ - لِجِدَارَتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ التَّرْبَوِيَّةِ الفَدَّةَ مَدِيرًا لِمَعْهَدَيْنِ العَتِيدَيْنِ: المَعْهَدِ العِلْمِيِّ السُّعُودِيِّ وَمَدْرَسَةِ تَحْضِيرِ البَعَثَاتِ حَيْثُ ضَمَّهُمَا صَرَحًا وَاحِدًا فِي قَلْعَةِ (جَبَلِ هِنْدِي). وَفِي عَامِ ١٣٦٥هـ فُصِّلَتْ إِدَارَةُ

المعهدين، ففترّد بإدارة مدرسة (تحضير البعثات) إلى نهاية عام ١٣٦٩هـ. وفي عام ١٣٧٠هـ عين مديراً للتعليم الابتدائي والثانوي بمديرية المعارف العامة؛ كما كُلف بالعمل وكيلاً لمدير أو عميد كلية الشريعة بمكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع؛ مدير عام مديرية المعارف بين عامي ١٣٦٩ و ١٣٧٠هـ.

وفي عام ١٣٧٢هـ عين عضواً بمجلس الشورى. وفي عام ١٣٧٨هـ عين مديراً عاماً للأوقاف إلى منتصف عام ١٣٨٢هـ؛ حيث عاد عضواً في مجلس الشورى، بناء على طلبه عندما تحولت الأوقاف إلى وزارة. كما كلف عضواً في مجلس المعارف في عهد الشيخ محمد بن مانع خلال الفترة الأخيرة من مديرية المعارف العامة بين عامي ١٣٦٤ و ١٣٧٢هـ.

- إنجازات وشهادات:

لقد كان السيد أحمد العربي في كل أدوار حياته موضع ثناء مليكه وحكومته لإخلاصه ونزاهته في خدمة بلاده وأمته، ولفضله وجدارته وإنجازته التربويّ الرائد في التربية والتعليم؛ فقد تعلّم وتخرّج على يديه وفي ظلّ إدارته ورعايته التربوية أجيالاً من بُناة الدولة وساستها ووزرائها وأعلام العلم والفكر والأدب والثقافة فيها.

من تلاميذه في مدرسة الأمراء أبناء الملك عبد العزيز، جلالة الملك خالد، وخدام الحرمين الشريفين الملك فهد، وولي العهد الأمير عبد الله، وأصحاب السمو الملكي الأمراء: سلطان، وعبد المحسن، ومشعل، ومتعب، وبندر، ومنصور، وناصر، وسعد، ومساعد، وطلال، ونواف، وسلمان، ونايف.

ومن أبرز تلاميذه في المعهد العلمي السعودي من العلماء والأئمة

والوزراء والأدباء: عبدُ الله خياط، وحمد الجاسر، وأحمد عبد الغفور عطار، وحسين عرب، وأحمد جمال، وعبد العزيز الرفاعي، وحسن آل الشيخ، وحامد دمنهوري، وعبد العزيز الخويطر.. وغيرهم.

ومن أعلام تلاميذه في مدرسة تحضير البعثات ممن تَقَلَّدوا مناصبَ وَزَارِيَّةَ: أحمد شطا، وحسن نصيف، وحامد هرساني، وعمر السقاف، وأحمد جمجوم، وأحمد زكي يمانبي، وعلي الشاعر، وناصر المنقور، وعبد الرحمن أبا الخيل، وحسن المشاري، وعبد الوهاب عبد الواسع، وإبراهيم العنقري.. وغيرهم - في جميع تخصصات العلم والأدب - من رجال الدولة وطلائع أدبائها ومثقفها، والقادة العسكريين فيها. ويقول عنه تلميذه العلامةُ الشيخ حمد الجاسر:

«كنت تلميذاً في المعهد العلمي بمكة المكرمة حتى تخرجت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف (١٣٥٤هـ)، وكان السيد أحمد العربي أستاذاً ومربياً من الطراز الأول، قَلَّ أن نَجِدَ من الموجهين والمربين والمعلمين والمثقفين مَنْ يَصِحُّ أن نُطَلِّقَ عليه صِفةَ المربي [مِثْلَهُ].. إِنَّهُ يُعَدُّ أBRَزَ علماء هذه البلاد، أBRَزَ مثقفها، وكذلك أBRَزَ مَنْ عُنِيَ بوضع أسس علمية لهذه البلاد في مجال التربية والتعليم». (الأربعاء، جريدة المدينة: ١٥/١١/١٤١٩هـ).

- السيد أحمد العربي الأديب الشاعر:

كان السيد أحمد العربي - الدَّرْعَمِيُّ الذي تخرَّج في (دار العلوم)، وتتلَّمَدَ على أفذاذ العلماء والأدباء والشعراء كـ (علي الجارم) - يتمتع بشخصية أدبية تُسَامِقُ في شهرتها سُمعته التربوية والعلمية.

لقد عرفته منابر المحافل والمنتديات خطيباً مُفَوِّهاً. وشهدته منابر

الصحافة والمناسبات الاحتفالية، ومجالس الأدب أديباً وشاعراً قوياً الصوت، ساحر الإنشاد، عميق الشاعرية. وقد عرّف المعهد العلمي السعودي ومدرسة تحضير البعثات - في عهد إدارته لهما - النشاط الثقافي والأدبي، وبرزت مواهب الطلاب في الأدب والشعر والخطابة والمسرح المدرسي، وكانت (ندوة المسامرات الأدبية) من ثمار تشجيعه وتوجيهه ورعايته الحركة الأدبية الطلابية. وقد ذكر الشاعر طاهر زمخشري - في إحدى المناسبات - أن أولية انطلاق المسرح المدرسي كانت في (مدرسة تحضير البعثات) في النصف الثاني من عقد عام ١٣٥٠هـ؛ أي في بدايات عهد هذه المدرسة العريقة؛ وهو ما ينبغي إدراكه عند توثيق تاريخ المسرح المدرسي في بلادنا؛ لأن أقدمة المدارس النظامية والنشاط المدرسي كانت في مكة المكرمة قبل سواها من المدن العزيزة في بلادنا.

إن أحمد العربي الشاعر صاحب تجربة شعرية مسكونة برؤية إنسانية وتربوية مشحونة بطاقة فنية، مكنزة بلغة مقتدرة من ذخيرة تكوينه الأدبي، وموهبته الشعرية المتميزة. وبين قصائده روائع من النماذج الشعرية التي تبرزه في مصاف الشعراء المبدعين - من أبناء جيله - الذين نالوا ما لم ينل من شهرتهم، لالتصاقهم بالصحافة والإعلام، وانشغاله بتعليم وبناء الأجيال، وزهده في الظهور والشهرة الأدبية.

ومن نماذج تلك الروائع الشعرية: (قصيدته السينية)، و(نور الطيارين السعوديين)، و(يقظة الشرق)، و(قصيدته الرائية) التي حيا بها وفود حجيج عام ١٣٥٥هـ في (منى)، و(بين اليأس والأمل)، وقصيدته (أيها العيد) الشهيرة التي ظلت مقررة لسنوات طويلة في كتاب النصوص الأدبية المقرر على طلاب المدارس عندنا؛ وهي من روائع الشعر الإنساني العربي الحديث.

يقول الشاعر أحمد العربي، من قصيدة^(١) وَجَّهَهَا إِلَى نُخْبَةٍ مِنْ
زملائه وتلامذته أقاموا احتفالاً وفاءً وتكريماً له في (مكة المكرمة):

يا جِيرَةَ الحَرَمِ المَغْبُوطِ جِيرَتُهُ إِنِّي لَيْشُكْرُكُمْ: قَلْبِي، وَوَجِدَانِي
قلدتموني مِنْ تَكْرِيمِكُمْ مِئْناً تَنِمُّ عَن خُلُقِ البَلْبَلِ رِيَانِ
لَمْ آتِ أَمراً جَلِيلاً أَسْتَحِقُّ بِهِ ما نِلْتُهُ مِنْ: حَفَاوَاتِ وَشُكْرَانِ
وما بَدَلْتُ سِوَى جُهْدِ المُقِلِّ يَدًا لِمَوطِنِي، ولأَبْنائِي.. وإِخوانِي
فصَادَفَ البَدْرُ رَوْضاً طَيِّباً فَنَمَا وطابَ مِنْهُ الجَنَى فِي ظِلِّهِ الحَانِي
ولم أَقْمِ بِسِوَى فَرَضِ أَدِينُ بِهِ لِمَوطِنِ حُبِّهِ: عَهْدِي.. وإِيمَانِي
وَلَوْ بَدَلْتُ لَهُ رُوحِي وما مَلَكْتُ يَدَايَ، لَمْ أُؤْفِهِ ما كانَ أَوْلانِي!

- آثاره ومؤلفاته:

١ - الأدب الحديث في الحجاز؛ محاضرة ألقى في النادي الأدبي
بسنغافورة، في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥٣هـ (نُشِرَ بعضُها في كتاب
وَحْيِ الصَّحْرَاءِ، مع مقالة بعنوان «الوحدة العربية كيف تتحقق؟»).

٢ - كتابُ الهجاءِ الحديث؛ تأليفٌ مُشترَكٌ مع السيد محمد شطا،
والأستاذ عمر عبد الجبار.

٣ - الإمامُ الشافعيُّ / الفقيهُ الأديبُ.

٤ - نُخْبَةٌ مِنْ الأَذْكارِ المَأثُورَةِ والصلواتِ على النَّبِيِّ ﷺ.

٥ - قصائدٌ شعريَّةٌ متفرقةٌ؛ منشورةٌ في الصحف، وفي كتابِ «وَحْيِ
الصَّحْرَاءِ»، وفي الجزءِ الأولِ مِنْ كِتَابِ «الاثنيِّية».

٦ - ديوان شعرٍ مخطوط فقد أكثره للأسف .

٧ - أحاديث إذاعية عن الحضارة العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية، بعنوان: أمجادنا في التاريخ، وتراجم لبعض الشخصيات الإسلامية الرائدة في العلوم والآداب والسياسة، ومقالات مخطوطة، ونشر بعضها في عدد من الدوريات، والصحف، والمجلات فقد أكثرها للأسف .

- أسرته وأبناءؤه :

شارك السيد أحمد العربي مشوار حياته زوجته، السيدة/ فاطمة عبد القادر عرداتي، والدة كل أبنائه وبناته، ولهما من الأبناء الذكور: محمد، ونزار، وهاشم، ومن البنات: نوال، ورجاء، وآمال .

- خاتمة رحلته الحياتية :

عاش المربي والأديب الشاعر السيد أحمد العربي فُصُولَ حَيَاةٍ مَدِيدَةٍ بَارَكَهَا اللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْبِنَاءِ الْمَعْرِفِيِّ وَالْوَطْنِيِّ، إِلَى آخِرِ أَيَّامِ أَوْقَاتِهِ الَّتِي اسْتَظَلَّ فِيهَا بِالْعِبَادَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالتَّأَمُّلِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ! وَكَانَ وَاحِدًا نَادِرًا مِنْ الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَهَبُوا حَيَاتِهِمْ لِبِلَادِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ .

وقد لَبَّى نِدَاءَ رَبِّهِ الْكَرِيمِ فِي مَسَاءِ يَوْمِ الْأَحَدِ ٥/١١/١٤١٩هـ - ٢١/

٢/١٩٩٩م.. رحمه الله، وأكرم في الجنة مثواه!

* * *



الشعر



هَذِهِ صُورَتِي سَجِلُّ صَغِيرٌ لِحَيَاتِي يُتْلَى عَلَى الْأَعْقَابِ
فَهِيَ الْيَوْمَ رَمْزٌ جِدَّةٌ نَفْسِي وَهِيَ بَعْدَ الْمَشِيبِ ذِكْرَى الشَّبَابِ
وَهِيَ بَعْدَ الْمَمَاتِ ذِكْرَى حَيَاتِي رَبُّ ذِكْرَى أَوْفَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ

الاحتفال بعيد جلوس صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها^(*)

احتفلت الوكالة الحجازية النجدية بمصر صباح يوم الخميس الموافق ١٩ شعبان ١٣٤٩هـ في الساعة التاسعة افرنكي «صباحاً»، بعيد جلوس صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، على أريكة ملك الحجاز، وقد أم دار «الوكالة الحجازية النجدية»^(١) تهنئة بهذا اليوم المبارك، الجالية العربية بمصر يتقدمها حضرة صاحب السعادة عبد الله رضا زينل قائم مقام جلالته بجدة، وأحمد بك باناجه، وجم غفير من الأدباء المصريين والسوريين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حمد باشا الباسل أحد أعضاء الوفد المصري وقد سمعنا سعاداته يحادث سعادة المعتمد الشيخ فوزان السابق، وهو يعرب له عن أصدق تهنئاته، وأطيب تمنياته نحو العرب عامة وجلالة الملك خاصة، وإسماعيل بك شيرين رئيس قلم المطبوعات وأحمد

(*) المناسبة: قيلت هذه القصيدة بمناسبة عيد جلوس جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها الذي أقيم في العام الماضي وألقيت في احتفال الوكالة الحجازية النجدية الذي أقيم بمصر عام ١٣٤٩هـ..

المصدر: مجلة (الحرم) لصاحبها فؤاد أفندي شاكر تصدر في مصر. (بحر الخفيف).

(١) الوكالة الحجازية النجدية: هي السفارة السعودية حالياً.

زكي باشا مدير البنك الحجازي والسيد رشيد رضا والأستاذان خير الدين الزركلي وبدر الدين الخطيب ونبيه بك العظمة وإحسان بك البكري وعلي بك حيدر وبعض وزراء الدول المفوضين منهم حضرة صاحب السعادة السيد صادق المجددي وزير الأفغان المفوض والجنرال محي الدين باشا وزير تركيا المفوض والبارون فون شتورن وزير ألمانيا المفوض، وملحق المفوضية الألمانية، وملحق المفوضية البلجيكية، وقد ترك فخامة المندوب السامي والمستر هور والمستر ثمارت والمستر جرافث سميث والأتورابل سيسل كامبل بطاقتهم وأرسل كثير من وزراء الدول المفوضين والقناصل بطاقتهم. وكان في استقبال الجميع سعادة المعتمد وحضرات محمد أفندي رضا سكرتير الوكالة وعبد الوهاب أفندي مظهر مأمور الجوازات بما عرف عن حضراتهم من طلاقة المحيا ودماثة الأخلاق، وبعد أن تناولوا القهوة العربية النجدية والحلوى أخذت لهم صورة فوتوغرافية أمام مدخل الوكالة، وفي الساعة الثالثة مساءً أم الدار المذكورة صاحب العزة يوسف بك مصطفى مراقب البعثة الحجازية النجدية مع حضرات أعضائها، وبعد أن أعرب سعادته لحضرة معتمد الحكومة العربية بمصر عن عظيم تهنئاته وأطيب تمنياته نحو ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، قام الشاب النجدي الصغير محمد العبدلي وهو من تلاميذ المدرسة الابتدائية وألقى كلمة قوبلت بالاستحسان من الحاضرين، وتلاه الشاب النجدي الصغير عبد الله الطريقي^(١) وألقى كلمة برباطة جأش ثم تلاه الشاب النجدي الأديب يوسف يعقوب الهاجري^(٢) الطالب بالمدرسة الخديوية الثانوية بكلمة بليغة

(١) عبد الله الطريقي: وزير بترول سابق في المملكة فيما بعد.

(٢) يوسف الهاجري: الدكتور الطبيب، وزير صحة سابق في المملكة فيما بعد.

امتدح فيها صاحب الجلالة وهنأه بهذا اليوم المبارك، داعياً له ولأنجاله
الأمراء الكرام، ثم أعقبه الشاب الحجازي عبد المجيد متبولي وتلا كلمة
بليغة نالت استحسان الحاضرين، ثم قام بعد ذلك الشاب النابه الأديب
الحجازي السيد أحمد العربي الطالب بمدرسة دار العلوم العليا، وألقى
قصيدة بليغة استعيدت مراراً بين التصفيق الحاد والتهتاف المتواصل
لصاحب الجلالة الجالس على عرش الحجاز، وسيجدها القارئ في غير
هذا المكان، ثم ألقى الشاب الأديب الفاضل السيد محمد شطا الطالب
بتخصص الأزهر شعبة التاريخ وفلسفة الأخلاق، خطبة قيمة بليغة نالت
إعجاب الحاضرين بحسن بلاغتها وروعة إلقائها...، القاهرة - سعيد
شاكر.

عيد الجلوس (*)

عيد الجلوس ألا حيت من عيد
فأنت في العُربِ يومٌ لا مثيل له
يا ايها المهرجانُ الفخْمُ رونقُه
عليك بهجةٌ حسنٍ غير مفتعلٍ
وإنَّ يوماً سناء الملك جلله
يومٌ تمجد فيه العُربُ عاهلها
العاهل الفذ من أمست مآثره
ذاك المليك الذي مُذ لآخ كوكبُه
فقامَ بالأمرِ فيها جدٌ مقتدرٍ
وقادَ بالحزمِ والتوفيقِ نهضتَها
سعى لضمِّ شتاتِ العربِ فالتأمتُ
أقال عَثرتَها من فرقةٍ عصفت بها
وما ونى قط في إسعاد أمته

لأنتَ أحرى بتكريمٍ وتمجيدٍ
وأنتَ غرة ما في الكونِ من عيد
لأنتَ في العينِ أبهى من سنا الغيد
وروعةٌ وجلالٌ غير محدود
يومٌ جديرٌ بتكريمٍ وتخليد
عبدَ العزيز سليلَ السادةِ الصيد
ملء الممالكِ والأمصارِ والبيد
للعربِ أَلقت إليه بالمقاليد
يسوسُها بنظامٍ جد محدود
فلم تذلَّ ولم تجمح بمقصود
به وفازتُ بتأليفٍ وتوحيد
وكم بددتها شر تبديد
وجلبُ كل جديد غير منقود

(*) المناسبة: ألقى هذه القصيدة حضرة الشاب النابه السيد أحمد العربي بمناسبة احتفال الوكالة العربية بعيد الجلوس صاحب الجلالة الملك ١٩ شعبان ١٣٤٩هـ.
المصدر: مجلة الحرم لصاحبها فؤاد أفندي شاكر، وكانت تصدر في مصر (بحر البسيط).

فكم له من يدٍ جلّت صانعُها
تلكم معاهدُه بالعلمِ زاهرةٌ
وتلك بعثأته في كل منتجعٍ
تفياّت عطفه الحاتي فكان لها
عن البيان وفاقت كلّ تمجيد
إلى مصانعٍ شيدت أي تشييد
لها مناهلٍ تثقيفٍ وتسديد
من حبه خير تشجيعٍ وتأيد

حيّ عنا عبد العزيز الإماما (*)



... ننشر فيما يلي من جيد الشعر وروائعه قصيدة لشاب حجازي أديب هو من أعضاء البعثة الحجازية النجدية بمصر ومن طلبة دار العلوم فيها عرف بالذكاء والجد والتفوق إلى جانب شاعرية خصبه وملكة أدبية امتاز بها واجتهاد في الدرس وانكباب في التحصيل جعلاه يقارب النضوج وشارفه هو السيد أحمد العربي من أبناء المدينة المنورة. قيلت هذه

(*) المناسبة: قيلت هذه القصيدة بمناسبة عيد جلوس جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها الذي أقيم في العام الماضي وألقيت في احتفال الوكالة الحجازية النجدية الذي أقيم بمصر عام ١٣٤٩هـ..

المصدر: مجلة (الحرم) لصاحبها فؤاد أفندي شاکر تصدر في مصر. (بحر الخفيف).

القصيدة بمناسبة عيد جلوس جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في العام الماضي وألقيت في احتفال الوكالة الحجازية النجدية الذي أقيم بمصر نشرها اليوم لأنها لم تنشر من قبل؛ ونثني على أدب ناظمها الفاضل.

يا لك اللّهُ من نهار إذا ما
شهد الملك فيك ملك بلادا الـ
ازدهى عرشه بمن عرفت فيـ
فجدير أن تزدهي أيهذا الـ
وخليق بأن نرى فيك عيداً
فاخر الدهر كان أرفع هاما
عرب ملكاً أعز من أن يسامى
ه المعالي زعيمها المقداما
يوم بل إن تفاخر الأياما
يحتفي العرب فيه عاماً فعاما

* * *

(يا عميد المليك)^(١) في أرض مصر
حي عنا سليل آل سعود
ملك أكبر العدا عقله الرا
عاهل رد للعروبة ماضيـ
طاب فرعاً ومحتدأً وفعالا
كم نرى للعلوم في عهده الزا
وبعوثاً قد هاجرت في سبيل الـ
حظيت منه بالرعاية والعطـ
واصطفت مصر منهلاً فأفادت
ومديراً جم المكارم لا ينـ
فرعى اللّهُ بالعناية مصراً
حاطه اللّهُ بالرعاية والحفـ

حيّ عنا ذاك المليك الهماما
حي عنا عبد العزيز الإماما
جح بله الصديق والأرحاما
ها وأحيا ربيعها البساما
وسما همة وعز منالا
هر من معهد وسوق مقاما
علم أوطانها فقضت مرما
ف فهامت إلى العلوم هياما
منهلاً طيباً وأهلاً كراما
فك للبعث مرشداً قوأما
ورعى اللّهُ ملكنا المقداما
ظ وأبقى أنجاله الأعلاما

(١) يخاطب فضيلة الشيخ فوزان السابق معتمد الحكومة الحجازية النجدية بمصر.

وداع وثناء (*)

اللّه أكبر ماذا انتاب نادينا
وأضرم النار في أحشائنا شجناً
كأننا لم نكن بالأمس في كنف
وطالع اليمن مقرون بطالعنا
والشعر يخطر في ثوبي نضارته
ونحن نحسب أن النصر حالفنا
وما درينا بأن البين عن كذب
حتى رأينا النوى أمست تجرعنا
أفديه من نازح ما كان أنبله
هو الوفي فلا خلّ يماثله
وكم له مننا أسدت فواضلها
أبا هشام إذا شط المزار بنا
فرب زورة طيف أنعشت دنفاً

وروع الصحب واستدرى مآقينا
وكاد لولا بقايا الصبر يردينا
من السعادة والنعمى تناجينا
والسعد يرمل في أرجاء نادينا
وينثر البشر طلقاً في مغانينا
على النوى والمنى باتت تواتينا
منا تحفزه ذكرى تشفينا
كؤوسها وسهام البين تصميننا
وما أجل مقاماً حله فينا
وهو الخليل الذي برأ يوافينا
شمائل بصفات الحمد تضرينا
فأذن لطيفك عن يعد يوافينا
وكم له من يد عند المحبيننا

(*) المناسبة: نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة وداع الصديق الفاضل الشيخ هاشم دفتردار وذلك في آخر رجب سنة ١٣٤٧هـ. (من بحر البسيط).

أبا هشام^(١) لئن أزمعت فرقتنا
وأن عهداً مضى بالسعد متشحاً
يأيها النازح الميمون طالعته
وحاطك السعد في كهل وفي صغير
فسوف تبقى لنا الذكرى تعزينا
لا شيء عنه من الإعلان يغنينا
لازال طالعك الميمون ميمونا
ولا برحت بحفظ الله مقرونا

(١) هشام نجله الأكبر.

حي البطولة والحماس بجُلِّق (*)

(قصيدة يرجع تأريخها إلى الخمسينات الهجرية، الموافقة للثلاثينات الميلادية لم يسبق نشرها).

فيم الشعوب تردد التحنانا
ما بالها تتنفس الصعداء والـ
أربت على الثكلي ولبت ثاكلاً فال
هذي الحضارة قد أضاءت أفقه
وتربع العرفان خير أريكة
مهلاً عذول الشرق في تحنانه
أن الرزية في الشعور لواجب الـ
نعم استهمنا بيد أن سهامنا
الكل يهتف باسم قصد واحد
ونؤسس الأحزاب شتى في البـ
أسفاً وما أسفي بناقع غلة
يا أمة الشرق النجيب دعو الونى
وعلام تذرف دمعا الهتانا؟
برحاء والآلام والأشجانا؟
شرق لم يفتأ يدل كيانا
وتبوات عرشاً يجلل مكانا
ونما الصروح وشيد الأركانا
إن المصاب ليصدع الصفوانا
وطن المقدس كارث أعيانا
طاشت عن الهدف الذي استهوانا
ومن العجاب نؤمه وحدانا
لاد وكلها يصم الرصيف هوانا
قد خاب في مأمولنا مسعانا
لايقتني العلياء من يتوانا

فشل الذي يستأصل البنيانا
فس والهوى والحظ والشنأنا
واسعو الحثيث تجاهه سرعانا
مد غداهما طيب النجار لبانا
وطان واحتقنوا به أعوانا
فأدلوا إليه فديتكم أشطانا
صدق الوئام وناوؤا الخذلانا
إقدام ليث يزدري الفرسانا
بجهاد ثبت يقحم النيرانا
والذكر بالأعمال كان مصانا
ضحوا النفوس وخلدوا الذكرانا
اجعل دمشق لفخرهم عنوانا
يملي عليك من السداد بيانا
يستام أنفسهم أذى وهوانا
بقواصف لا تألف الأجفانا
شمل العدو وأثخنوه طعانا
يفرون من أشلائها العصبانا
والشيب والشبان والولدنا
الراويات صدهم الحرانا

وذرو الشقاق فإنما هو رائد الـ
وذرو التنابذ والتخالف والتنا
ثم اشربوا نحو تالد مجدكم
متكافين تكاتف الصنوين قد
يا أمة الشرق استجيبوا داعي الأ
طال الوقوف على شفير طلابنا
واستشعروا الإخلاص والدثروا له
وتدرّعوا درع الثبات واقدموا
وتوشحوا بيض الفعّال وجاهدوا
إن الرجال حياتها في ذكرها
أعظم بهاتيك الحياة حيات من
وإذا ذكرت الخالدين مفاخرأ ف
واستشهد التاريخ عن وقفاتهم
عن معشر أنفوا الخضوع لغاشم
ثارو مثار الرعد سلّ صواعقأ
هبوا هبوب العاصفات فبددوا
خاضوا معامعها كماء وأنثنوا
حي البطولة والحماس بجُلَّت^(١)
والآنسات الضامدات جراحهم

(١) جُلَّت: من أسماء دمشق القديمة وغوطتها.

يا آل "أطرش"^(١) ، أسمعت صرخاتكم
قلدتموا جيد الزمان مآثرا
فوعت كرامتكم صحائف سوّدد
يا أمة العرب الغطارفة الأولى
أين التراث؟ تراث آباء كرا
أين الإباء؟ والنجدة القعساء هل؟
هلا استفزكموا الشّام شقيقكم؟
عار على العرب الأباة إذا دعوا
عار علينا أن نغادر إخوة
عار علينا أن نغادر للمصائد
حق علينا أن نعضد بالنّفو
ونشنّ في الأعداء أسحق غارة
كيما نوّدي واجباً ملقى على
صمّ الصخور وفتّحت آذاننا
أمسى بهن يكائر الأزماننا
تطوي العصور وتنشر الشكرانا
هزّوا العروش وزلزلوا التيجانا
م أكسبونا عزّة ومكاننا
غيرتموا يا قومنا الأبدانا؟
ورجاله من دوّخوا العدووانا
ألا يلبّوا في الوغى ميدانا
منا يعانون الشّقا أفنانا
ب والرّزايا إخوة أخداننا
س وبالنفيس الإخوة الإخوانا
شعواء لا نبقي لهم وجدانا
أعناقنا ونوفي الأوطاننا

(١) آل الأطرش: أسرة من أمراء جبل العرب بسوريا قاوموا الاستعمار الفرنسي.

رثاء (*) ..

راعك الدهر رائع الأمجـ
ورمى قلبك الخلي بسهم
كارث ألبس الفضيلة والعر
جلل أرهق الزمان طلاباً
قد رزئنا وأي رزئ كهذا
من لإحياء العلوم من بعد
فعلى الزهد والعفاف سلام
وعزائي إليك يا شبلة الأخـ
سنة اللّه في الخليقة طرّاً
غير أن ليس كل من مات ولى
إن من كان مثل والدك الحبـ
كان من خيرنا الخيار فأمسى
فسقى اللّه ذلك الجدث الطّا
وحباك اللّه خيراً وفا

عاد بمصاب يزلّ بالأطواد
أنفد الصبر أيّما إنفاد
فان درعاً من سابغات الحداد
من أطنابه بكل بلاد
في فقيد البلاد الأبرّ الهادي
له ومن لتحقيق دقيق وانتقاد
والتقي والصلاح والإرشاد
ذ في نهجه بخير سداد
كل حيّ مستهدف للنفاد
عهده تحت طية الألحاد
ر لحي على مدى الأباد
سيداً من خيار دار المعاد
هر صوب النعيم والإسعاد
داك بهذا المصاب كل تفادي

تحية طيبة الفيحاء (*)

حيا الحيا طيبة الفيحاء حياها
دار الرسالة والوحي التي شرفت
دار لها العزة العقساء من سعدت
دار صحبتُ الصبا غصّ الإهاب بها
أيام أغدو طليقاً لا يغادرني
في رفقة قلما جاد الزمان بهم
قضيت فيهم عهداً جد ناضرة
مرت بنا مثل أحلام مجنحة
لولا طلاب العلا ما كنت تاركها
وصاح داعي النوى فينا ففرقنا
ورب نحس يكون السعد غايته
وما الحياة وما تحويه من محن

أحب دار إلى نفسي وأغلاها
على البلاد وفاق الكون مثواها
بسيد الخلق هاديها ومولاها
اختال في حلل من وشى نعمائها
هم الحياة ولم أشعر ببؤسها
تخيروا من خلال المجد أسناها
أكرم بصحبتها أجمل بمغناها
وخلفت في شغاف القلب ذكراها
ولم أفارق أضحابي بمغناها
وجرعتنا الليالي من حمياها
ورب نعمى يكون البؤس عقبها
سوى المقادير إذ تجرى بمجراها

(*) المناسبة: ألقى في الحفل الذي أقامه نخبة من شبان المدينة المنورة بمناسبة عودتي من مصر بعد إتمام دراستي فيها وقد شرف الحفل فضيلة مدير المعارف العام الأستاذ الجليل الشيخ أمين فودة نغمده الله برحمته ومغفرته سنة ١٣٥٠هـ. (من البحر البسيط).

وما على غير الأيام من حرج
لو أنني ما تجرعت النوى غصصاً
ففيم نحمدها طوراً ونلحهاها
ما كنت أسعد باللقيا ونعماها

* * *

لولا رعاية ملك بات يكالنا
عبد العزيز رعاه الله من ملك
بعطفه في النوى ما كان أقساها
سادت به العرب لما صار مولاها
ولا يزال بعين العطف يرعاها
بحسبه تلکم البعثات يوفدها

* * *

أقمت في مصر أعواماً ثمانية
لم تتعد قط عن ذهني معاهدها
كانت بلادي هي السلوى وذكرها
ولا تمشت إلى الأحشاء سلواها
وهاج شوقي وتحناني لرؤياها
خير الصحاب وأحيا طيب مغناها
والدار داري ولست الدهر أنساها
يفوح طيب النوادي من ثناياها
ومحفل ونواد كنت أغشاها
إلا وعطرت الأرجاء رياها
فدت نفوسكموا نفسي ومحياها
بشرا بها وتجلت عنه سيماها
تلك الحفاوة قد فاقت بمغزاها
منكم وما كان أحرها وأولاها
بالحمد ما بقيت نفسي وأرعاها
أليتوني جميلاً سوف أذكره
لقد شرفت بكم في كل مجتمع
لم تجر ذكراكم في منتدى ملأ
يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم
يا أيها السادة الميمون طالعهم
قيم الحفاوة بي فاضت وجوهكموا
لم آت أمراً جليلاً أستحق به
ما كان أجدرها مني بكل فتى
أليتوني جميلاً سوف أذكره

يا عميد^(١) النهى والعلم لا فتئت
ولا برحت مناراً تستضيء به
ويا جهابذة أعتت مواهبهم
المجد يعرف في أعطافكم همماً
فجردوا مرهفات العزم واستبقوا
فبارك الله أشياخاً عباقرة
وبارك الله مسعانا وسدده
جهودك الغرّ ملء الفخر ذكراها
مواكب العلم في منهاج مسراها
براعة المجد عن تصوير إحداها
شماء تصبوا إلى الجلى وتهواها
إلى المعالي تصافحكم بيمينها
وفتية عز في العلياء مرمها
حتى نحقق آمالاً رجوناها

(١) عميد النهى: يقصد فضيلة الشيخ أمين فودة مدير المعارف آنذاك.

إيه يا بدر (*)

إيه يا بدر كم يد لك وضا
إيه يا بدر بوركت يدك البيضاء
عند كل أريب
أنت يا بدر شعر وحي الخلود
أنت أنشودة الرجاء السعيد
أنت (قيثارة) لحن هذا الوجود
أنت (إلياذة) العوالم مذ فجر
شروق الحياة حتى الغروب
وعلى لوحك الوضيء تجلى
(سينما)^(١) هاته الحياة اللعوب
رب ليل نهبتة في جوارك
أتسلى عن الهوى بحوارك
اجتلى الكون من ظلال إطارك
وأناجي الوجود حراً طليقاً
وأحييه من فؤاد طروب

(*) المصدر: جريدة المدينة المنورة - العدد الأول الصادر يوم الخميس ٢٦ محرم ١٣٥٦هـ الموافق: ٨ إبريل ١٩٣٧م. (من بحر الخفيف).

(١) (سينما): هي دار الخيالة، وقد كانت آنذاك مثار دهشة وإعجاب لحدائثة العهد بنشوتها، وهي تعرض الصور المتحركة (الأفلام).

إيه يا بدر بوركت يدك البيد ضاء عندي وعند كل رقيب

* * *

طالما كنت ملهم الشعراء
وسمير الملوكة والعظماء
وأنيس الرواد والغرباء

هيه بح لي بما لديك من السر وزدني من الحديث العجيب
هات أحدثة الحياة كما مر ت على لوحك التليد القشيب
كم أديب قضى إليك الليالي
مستمدداً من فيضك السلسال
ثم ألقى في مسمع الأجيال
طرفة من طرائف الفن أبقت له حديثاً على لسان الحقوب
إيه يا بدر بوركت يدك البيد ضاء عندي وعند كل أديب

* * *

وطريد طوى السرى لاهياً بك
يتعزى عن الحظوظ بقربك
قانعاً بالحياة في ظل حذبك
تتبدى له الفلاة ولا مؤ نس فيها - سواك - روضاً خصيباً
ويرى في الفضاء إذ عزفت عنه قلوب الأنام صدراً رحيباً
ولكم نازح عن الأهل أمسى

يتحسى الهموم كأساً فكأساً
ثم طالعتَه فأنس أنسا
وتراءى له المزار - وقد شط عليه المزار - جد قريب
إيه يا بدر بوركت يدك البي ضاء عندي وعند كل غريب

* * *

ولكم ربُّ صبية وعيال
حاربتَه أقصى صروف الليالي
وأناخت عليه مثل الجبال
فتعهدته بنورك يا بدر ر وأنست من دجاء المهيب
وتمشى ضياؤك الساطع المب هج في كوخه الصغير السليب
فإذا الكوخ بعد صمت القبور
شع فيه الحبور ملء الصدور
وتداعى صغاره كالطيور
ومضوا يمرحون في ضوئك الف ضي حبراً في جيئة وذهوب
إيه يا بدر بوركت يدك البي ضاء عندي وعند كل حريب

* * *

إيه يا بدر كم تعهدت صباً
قد نما الحب في حشاه وشباً
فاجتلى فيك وجه من قد أحباً
حينما صغت من شعاعك أسد لاكاً إلى قلبه وقلب الحبيب

رُضت موج الأثير من قبل (مركو ني)^(١) بريداً محبباً للقلوب
فمضت تلتقي عليك الشفاء
ويناجي المحب فيك هواه
كل قلب يفضي إليك جواه
فتؤدي رسالة الوجد والشوق وتشفى جوى الفؤاد الكئيب
إيه يا بدر بوركت يدك البيضاء عندي وعند كل أديب

(... العربي)

(١) ماركوني: العالم الإيطالي الذي اخترع مبرقة (اللاسلكي).

إنما مصر والحجاز شقيقان (*)

أيها الوافد الكريم تحييــــ
تضممر الود والولاء لمصر
وهي في شخصك العظيم تحي
إنما مصر والحجاز شقيقان
أحكم الدين والعروبة والفصحى
فإذا ما احتفت معارفنا اليو
بك يا ساعد المعارف في مص
فبوحى من الوفاء لمصر
ليس ينس الحجاز مصر
ليس ينس ما للكنانة من فضل
أيها المحتفى به لست أوف
كم أيادٍ بذلت في خدمة العلم
عرفت مصر قدرها فاحلت

ك قلوب تفيض حباً صميما
وبنيها وتعلن التكريما
ي وطناً غالياً وشعباً حميما
وصنونان في الفخار قديما
أو أخيهما وطابا أروما
م وأقطابها احتفاء كريما
ر وربانها القدير العليما
ظل في حنايا الضلوع ظل مقيما
وما كان ينسى الحجاز قطراً حميما
على العلم سوف يبقى عظيما
يك ثناء وأن أجدت التنظيما
وجهد حبوته التعليما
تك في رجالاتها مكاناً فخيما

(*) المناسبة: القصيدة التي ألقيت في الحفلة التي أقامتها مديرية المعارف العامة بالحجاز تكريماً لوكيل وزير المعارف المصرية عوض بك إبراهيم. وألقاها عندما كان مديراً للمعهد العلمي السعودي. (من بحر الخفيف).

ودرى الشرق فضلها في بعوث
فتمشى في كل قطر صدى مصر
وتدانت خطا الثقافة في الشر
وتبدت بشائر الوحدة الكب
حبذا هذه البشائر نس
حبذا هذه السفارة تحت
وعلى الرحب ايها الوafd الميم
إنما أنت بين معشر الأد
وجدت من لدنك عطفاً صميما
ر يثير الإعجاب والتعظيما
ق وأمسى منهاج مصر الزعيما
رى فأذكت ذاك الرجاء القديم
تن على ضوئها السبيل القويما
ث الأمانى وتحفز التعليما
ون وفداً وطب مقاماً كريما
نين رهط الخليل إبراهيم

تحية العلم (*)

ليت شعري هل يستطيع قصيدي
ويؤدي تحية العلم والعرفا
ليت شعري أنى لشعري أن يط
وعلى كل طلعة من سمات البشر
فلك العذر يا أميري إن قصر
وبحسبي هذي القلوب التي تخف
من شباب ترعرعوا في ربي العد
فجرى في عروقهم حب هذا البي
هو حب الوفاء للوطن الغالي
واعتراف الشباب بالفضل للمس
ولشتان بين حب على علم
فعلى الرحب يا أمير المعالي

أن يوفي إطراء هذى الوفود
ن للزائر العظيم المجيد
ري معاني هذا الجلال الفريد
ر آي تفوق أسمى قصيد
شعري عن شأوه المعهد
ق من حبها كخفق البنود
م وشبوا على الولاء الأكيد
ت وأنساب بين كل وريد
وللعاهل العظيم الجهود
دي وعهد الشباب غير جحود
وحب يبني على التقليد
من قلوب تفيض بالتمجيد

(*) المناسبة: ألقى في حفل المعهد السنوي بين يدي سمو الأمير فيصل المعظم في ١/٢٤/١٣٦٣هـ. الذي كان نائباً للملك في الحجاز.

المصدر: جريدة أم القرى - الجمعة - ٣ صفر ١٣٦٣هـ الموافق ٢٩ يناير ١٩٤٤م، في مهرجان المعارف لتوزيع شهادات الطلبة الناجحين. (بحر الخفيف).

بالأمير المحبب المودود
لم في حلبة الفخار المجيد
بوب في محفل الشباب العتيد
س كف الربيع غرس الورود
وة كالكهرباء بين الحديد
ب دم الخصب والنماء الجديد
قده يا قائد الشباب الرشيد
وستلقى منه أعز جنود
م وتبديد واجبات الجمود
ات بالعطف عطفك المعهود
وتلك البعثات خير شهيد
وكم قد حبوتها من جهود
في رياض عطفك المحمود
مستهيناً بكل جهد جهيد
رى مشيداً بفضل آل سعود
المليك العظيم زاكي الجدود
ن النهوض المؤمل المنشود
ويحيي ذكر الفخار التليد
يبثه على أساس وطييد
وتسمو لأوجه المقصود
وابن الخطاب وابن الوليد
والقيادة الكماة الأسود

تتنزى بين الضلوع احتفاء
يا أمير الشباب والقائد المع
إن أصداً صوتك الساحر المح
لمست أنفس الشباب كما تلم
فسرت في عروقه نشوة القد
وكذاك الشباب يحمل للشعد
فإلى ساحة الفخار المرجى
فله منك قائد لا يبارى
فارعه في جهاده في هوى العد
وتعهد معاهد العلم والبعث
أتت أوليتها أيادي لا تنسى
لك في بعثها لمصر اليد الطولى
فنما غرسها وطاب جناه
وتبارى شبابها في المعالي
دائباً في سبيل أهدافه الكب
همه خدمة البلاد وإرضاء
همه أن يشيد بالعلم بنيا
همه أن يعيد تاريخه الزاهي
وحرى أن يبلغ المجد شعب
ليس بدعاً أن تمتطي صهوة المجد
أمة أنجبت محمد والصدیق
والبهاليل من أمية والعباس

لام والعرب هام كل كئود
لها عزة الملوك الصّيد
الفيافي تشع ملء الوجود
لم يجتاحه ظلام الجمود
ب دليل الإبداع والتشيد
ن سجل لمجدهم والخلود
من هذه الربي والبيد
ينشء المجد والعلا كالجدود
فد محب العلوم والتوحيد
وأعظم بفيصل وسعود
فيهم بالنصر والتأييد

والأولى وطئوا لألوية الإسـ
وأشادوا اليعرب عزة تعنو
حملوا شعلة الهداية من هُذي
رفعوا مشعل الحضارة والعا
تلك آثارهم لدى الشرق والغر
تلك آثارهم على العلم والفـ
أمة أنجبت عباقرة الأبطال
ليس بدعاً أن تنجب اليوم جيلاً
في ظلال المليك عبد العزيز الـ
وبنيه الغرّ العظام الميامين
خلد الله عزهم وأدام الملك

تحية الكشافة العراقية (*)

وفد العراق احتفاء
حللتموا دار عهد
هذا الحجاز ونجد
تهللا عن حبور
فمرحبا ملء ذاك الـ
ما أروع اليوم يوم
شعب يصفح شعباً
جيل يجد عهداً
بخ بخ فلهدا
يوم نودع فيه
مستقبلين حثيثا
عهد السعادة واليسـ
لطالما قد رجونا
ومرحباً بالشباب
ومعشرٍ وصحاب
سهولهُ والروابي
بكم وعن ترحاب
فضاء وملء الرحاب
ملء الحشا والشعاب
هو الشقيق المحابي
بالآل والأحباب
يوم الرجا المستطاب!!
عهد السنين الصلاب
عهد الأمانى العذاب
ر والمعالي الرغاب
ذا العهد مذ احقاب

(*) المصدر: «ذكرى الكشافة العراقية» ص ١٢، ط ١، ص ١٣٥٣هـ.

المناسبة: ألقاها الشاعر ترحيباً وتكريماً لوفد الكشافة الزائر في ٧/١٢/١٣٥٣هـ. (من بحر المجث).

وها هو اليومَ وأفى
والفضلُ فضلُ المليك
عبد العزيز المفدى
وشبل فيصل^(١) فخر الـ
وقاهما الله للعرب
هما اللذان أذلا
ومهدا أيَّ نهج
وشعب كل يواليه
وكيف لا يستجيبُ الشـ
والكلُ في الأصلِ شعبُ
نمتهُ خيرُ فروعِ
وألنفته أصول
فإنما نحنُ عرب
دمُ العروبةِ يجري
سلاوا به أيَّ فردِ
تلقون في كلِّ عرقِ
فلنُ يفرقُ أمر
ولنُ ينالَ مشـت
وسوف نبلغُ يوماً
أشبالَ غاب العـرا

ففي أروع الأثوابِ
ين وُفقًا للصبابِ
العاهل الغلابِ
ملوك فخر الشبابِ
معقلاً غير نابي
ممنعات العقابِ
واستفتحا أيَّ بابِ
بالولاء اللُّبابِ
عبانٍ خيرَ مجابِ
موحداً الأحسابِ
لأكرم الأنسابِ
في الـدين والآدابِ
سلائل الأعرابِ
في هذه الأصلابِ
كهولنا والشبابِ
ببه أجملُ جوابِ
ما بيننا من قرابِ
من هذه الأسبابِ
ما نرتجي من ربابِ
قين كلكم اسدُ غابِ

(١) الملك غازي بن فيصل ملك العراق آنذاك.

لَبَسْتُمْو لَامَةً المَجْدِ
وإنما المجدُ والسببُ
لمن يعدُّ ليوث الشد
والساريات الغوادي
والمرسلات شواظا
والناضحات لهيبا
أمَّا المطايا العوادي
ولأمةُ السابريات
فتلك آثارُ عهدِ
واليومَ قد ضرب العد
فحبذا القوة اليو
وحبذا قبس العد
فغامروا قادة الغدِ
فإنما الأملُ اليوم
هموا العتادُ المرجى
وإنكم لشبابُ الـ
طليلة لارتياذ الـ
فبارك الله هذا الـ
ووفقَّ العربَ طرا

دِ والعلا والغلابِ
قُ واعتزاز الجنابِ
رى واسد الوثابِ
في أليمٍ أو في السحابِ
يدك شم الهضابِ
والزاحفات الغرابِ
وسابحات العرابِ
والقننا والعضابِ
مضى لغير إيابِ
صرُّ فوقها بالقبابِ
م عدَّة الغلابِ
لم إنه غيرُ خابِ
غامروا في الصعابِ
في جهودِ الشبابِ
وعندة الآرابِ
جزيرة الأتجبابِ
علا ونيل الطلابِ
شبابَ رمز الرغابِ
في سعيهم للصوابِ

حفلة الوداع (*)

وداعاً بني عمناً الأقربين
نودعكم بقلوبٍ تكنُ
نودعكم بقلوبٍ تحنُ
ونقرىء فيكم شبابَ العراقِ
نحييهم باسمِ مهدِ العروبةِ
تحية عاصمةِ الراشدين
نحيي بها وفدَ دارِ السلامِ
نحيي بها فيكم يَعرُباً
فأنتم طلائعُ يقظاتها
تجشّمتموا العقباتِ الصعابِ
لشدُّ أوأخي بني يعربِ
وتوطيدِ أقدامِ نهضاتها

وفدَ العراقِ وفتيانها
لكم ودّها ملء وجدانها
إلى الرافدينِ وقطانها
تحايا الشبابِ لإخوانها
شيب البلادِ وشبانها
يثرِب معقلِ إيمانها
مهدَ الحضارةِ ميدانها
بعدنانها وبقحطانها
وفرسانُ وحدةِ أوطانها
وجبتم مجاهلَ كثبانها
وتجديدِ سالفِ أزمانها
وتشييدِ أبراجِ عمرانها

(*) المصدر: «ذكرى الكشافة العراقية» - ص ٥٣ ط ١ سنة ١٣٥٣هـ.

المناسبة: بمناسبة الاحتفال الذي أقامه النادي الأدبي بالمدينة المنورة وداعاً لوفد الكشافة العراقية سنة ١٣٥٣هـ. (من بحر المتغارب).

فمرحى لكم لبعوث النهوض ورسل الحياة وعنوانها

أعدتم إلينا عهدَ العروب
وعهدَ الخلافةِ في الرافدين
وعهد أمية في المشرقين
ممالكُ كانت تشعُ الحياةَ
فأوهى التفرقُ دولاتها
وأودت بها عاصفاتُ النزا
و شاء القضاء بأن نكتوي
ولأياً أراد القضاء بأن
فأوحى إلى عقلاء العروب
فكانت مساعي الملوك العظا
إمام العروبة عبد العزيز
وفيصلها العلم المنطوي
وكانت مساعي شيوخ العروب

بة والراشدين وسلطانها
ومأمونها فرع هارونها
تصولٌ وتزهى بتيجانها
وتبعثُ أنوارَ عرفانها
وصدَّعَ أركانَ بنيانها
عِ وألوتُ بها ريحُ حدثانها
وأن نصطلي حر نيرانها
يكفرَّ عن عهدِ أشجانها
ة أن يجمعوا شملَ أجدانها
م ليوث الجزيرة شجعانها
زِ فارسها وابن فرسانها
وغازيَّه رمز فتيانها
ة تَعُضدُ أحرار شبانها

وها قد بدأنا نرى ثمرات ال
فإن اتصال بلاد الجز
وإن الخطوط تقومُ مقا

جهود تلوح بأغصانها
يرة خير سبيل لعمرانها
م وريد الحياة وشريانها

أجلُ قد أنسنا ديب الحيد
وقدماً علمنا^(١) بأن الحياة
لأنَّ حياة الشعوبِ اقتصاداً
وإنَّ السبيلَ إلى الاقتصادِ
هو العلمُ مفتاحُ بابِ الحيا
هو العلمُ ثروة أغنى الشعوبِ
ياةٍ وإيراقِ أعوادِ أفنانها
ستدفقُ في إثرِ رُكبانها
هو اليومُ محور ميزانها
ويمنَ الحياةَ وإحسانها
ةٍ وإسْ دعائمِ بنيانها
ومنشأ قوة سلطانها

* * *

وما الفقرُ بالمالِ لكنه
وما الفقرُ بالمالِ لكنه
وما الفقرُ بالمالِ بل بالر
هو الفقرُ فقر عقول الرجال
وإننا إذا لم ننظم لنا
وندعمُ بالعلمِ والاقتصادِ
أغارثُ علينا نسورُ الشعوبِ
بفقر الرجالِ وأذهانها
بفقر القلوبِ ووجدانها
جال إذا فقدت روح إيمانها
إن فقدت نور عرفانها
حياة ونحكم من شأنها
سياجِ جماها وميدانها
وألوثُ علينا بغربانها

* * *

فَحَيِّهْلا بجهودِ الشبابِ
وَحَيِّهْلا بجهودِ الشبابِ
لتوحيدِ آراب^(٢) أوطانها
ليسرِ وإسعادِ بلدانها

(١) في نسخة لهذه القصيدة تعدلت جملة (وقدما علمنا) إلى (وكنا رجونا).

(٢) في نسخة من القصيدة استبدلت كلمة (آرب) بكلمة (أقطار).

وَحَيْهَلَا بِالْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ^(١) تَفْتَرُّ عَنْ يُمْنِ أَزْمَانِهَا
أَأَحْفَادَ يَعْرَبُ تِلْكَ الْمَدِينَةَ تَقْرَأُكُمْ آيَ وَجْدَانِهَا
تَحْدِثُكُمْ بِعَهْودِ الرِّسَالَةِ إِبَانِ تَنْزِيلِ فَرْقَانِهَا
وَتَنْبِئُكُمْ بِحَيَاةِ الرَّسُولِ وَتُرَوِّي لَكُمْ بَعْضَ أَلْوَانِهَا
وَتُذَكِّرُكُمْ بِجَهْودِ الصَّحَابِ وَمَا كَانَ مِنْ فَضْلِ إِيْمَانِهَا^(٢)
وَكَيْفَ نَمَا الدِّينُ فِيهَا وَكَيْفَ تَرَعْرَعُ مَا بَيْنَ جِدْرَانِهَا
وَكَيْفَ تَوَالَتْ عَلَيْهَا النِّوَابُ تَثْرَى سِرَاعاً بِحَدِّ ثَانِهَا
وَكَيْفَ هِيَ الْيَوْمَ تَخْطُو وَتَيْدَا إِلَى مَجْدِهَا وَلِعِمْرَانِهَا
بِفَضْلِ الْإِمَامِ الْعَظِيمِ الْمَفْدَى مَلِيكَ الْبِلَادِ وَرَبَانِهَا

فَتِلْكَ الْمَدِينَةُ سَفُرُ خَلُودٍ يَجْلُ التَّحَدُّثُ عَنْ شَانِهَا
وَهَيْئَذَا الْيَوْمَ شَاعِرُهَا أَرْدُدُ أَصْدَاءَ وَجْدَانِهَا
فَمَنْ لِي بِالشَّاعِرِ الْعَبْقَرِيِّ فَأَسْمَعُكُمْ صَوْتَ حَسَانِهَا
وَأَقْضِي حَقُوقَ وَفَادَاتِهَا وَأَعْرَبُ عَنْ قَدْرِ ضَيْفَانِهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْعَبْقَرِيُّ فَحَسْبِي تَرْجِيْعُ أَلْحَانِهَا
وَقَدْنِي! إِعْلَانُ تَكْرِيْمِهَا وَقَطْنِي إِسْدَاءُ شُكْرَانِهَا^(٣)

(١) في نسخة أخرى استبدلت كلمة (الجديدة) بكلمة (العزيرة).

(٢) في نسخة أخرى استبدلت كلمة (إيمانها) إلى (سكانها).

(٣) تعدل هذا البيت في نسخة أخرى بقلم الشاعر:

فاز المليك (*)

لتهناً العرب ولتخساً أعاديها
فاز المليك ففازت أمة ونجا
والبشر واليمن قد مدا رواقهما
وها هو البرق ينبئكم فإن له
هو البشير الذي زفت بشائره
أنعم بسارية البرق التي حملت
وبوركت تلکم البشرى ترددها
لابدع أن تحتفي أقطارنا فلقد
عبدُ العزيز الذي ألقى مقالدها
ووسدت أمرها منه لذي بصر
فهو المليك الذي تُخشى بواده
لا عيب فيه سوى ما في سجيته

فاز المليك وأخزى الله غاويها
فاعتزت العرب وازدادت به تيتها
على الجزيرة فافترت مغانيها
لمنةً عمت الدنيا أياديها
إلى بني يعرب أسمى تهانيها
بشرى النجاة إلى الأقطار تزجيها
شتى الممالك دانيها وقاصيها
فاز المليك الذي ما انفك يحميها
إليه يعربُ وانقادت نواصيها
موفق وحببت بالقوسِ باريها
وُترتجى فيه أفضل تباريها
من مكرمات تناهت في معانيها

(١) المناسبة: ألقى إثر محاولة اغتيال فاشلة للملك عبد العزيز (يرحمه الله)، أقدم عليها وافد عربي من جنوب الجزيرة. (من بحر البسيط).

فهاجم الأسد وسط الغاب يرديها
وسددت سمها في نحر شانيها
أيدي البغاة التي باتت توريتها
صقر الجزيرة راعيها وحاميتها
وارتد حين الأعداي في أمانيتها
وموقظ الفتنة العمياء مذكيها
يكيد للعرب بالتفريق يغريها
أما كفاها عدا من مواليها
تيك الدماء التي قد أهرقت فيها
عبد العزيز المزجي في مذاكيها
فريدة ليس يدري ما يضاهاها
ما بيننا وحدة جلت مراميها
في يعرب وتواخينا أواخيها
وموطن العرب حاضرها وماضيها
بأن نراعيها طرا ونحميها
مآثر أعظمت فينا أياديها
وأوسع الغرب ذاك الجهد تنويها
قد آن للعرب أن تجني أمانيتها
وبلغ العرب آمالاً ترجيها
عزت به العرب لما صار راعيها
عز وأمتعته يمناً وترفيها
كواكباً لشباب العرب تهديها

شمائل أغرى الغر الجهول بها
فأوردته الردى حُمرأ موارده
وأخمدت فتنة كادت تؤرثها
فآب بالفوز والحمد الجميل معاً
وآب بالخزي والخذلان شأنه
تبت يدا كل دساس وباغية
ولا أقال اللّه عثرة من
أما كفى العرب ما لاقته من إحن
لم يمض حول على تلك الحروب وها
وذلك الموقف المغبوط فارسه
مواقف سجل التاريخ منتها
رعى بها حرمة الدين التي وشجت
وحرمة الدم والأنساب تجمعنا
وحرمة لبلاد العرب موطننا
أواصر جمة ما كان أخلقنا
أعظم بموقفه منها فإن له
وأكبر الشرق ذاك السعي في جذل
ونادت العرب الأحرار هاتفه
فحقق اللّه للإسلام نصرته
في ظل عاهلها عبد العزيز الذي
أدامه اللّه ذخراً للعروبة في
وصان أنجاله الميمون طالعهم

وحاط بالفوز والتوفيق واليه
عبد العزيز بن إبراهيم من بلغت
وسدد الله سعي المسلمين له
أمير طيبة من بالحزم يحميها
به المدينة شأواً في مراقبيها
ووفق العرب طراً في مساعيها

المدينة في ١٨/١٢/١٣٥٣هـ

تلك الرياض (*)

اللّه أكبر هذا أعظم الأرب
وذاك موكبه ملء القلوب سنى
وذاك بندر^(١) يبدو بين إخوته
يزهى به مهرجان اليوم وهو له
يا يوم منصور^(٢) قد أبهجت كل حشا
هذي الرياض تبدت وهي طافحة
ألبستها حلة للسعد ضافيه
ولا برحت أبا الأشبال في كنف
وليهنك اليوم يا مولاي إن له
أمنية طالما تاقت لمنهلها
فكم صبوت إلى نجد واربعها
وكم حننت إلى لقياء معاهدها
معاهد الآل والإخوان إخوتنا

تلك الرياض وهذا عاهل العرب
جلاله وجلال الجحفل اللجب
في طلعة البدر بين الأنجم الشهب
تحية الود والتكريم والحدب
فكل قلب به معنى من الطرب
بالبشر تختال في أثوابها القشب
لا زلت عنوان سعد غير مقتضب
من العلى والتهاني ضافي الطنب
معنى من اليمن والتوفيق للأرب
نفسى الطموحَ وها قد فزت بالرغب
وكم تمنيت مرءآها على كئيب
معاهد الفضل والعلياء والأدب
في الدين والوطن المحبوب والنسب

(*) المناسبة: أنشدتها بين يدي جلالة الملك عبد العزيز على أثر وصولي إلى الرياض للاضطلاع بمهمة تعليم أصحاب السمو الأمراء في سنة ١٣٥٤هـ. (بحر البسيط).
(١) بدر ومنصور أسماء لأصحاب السمو الأمراء، الذين كانوا طلبة بمدرسة الأمراء.

فأثمرت ثمرات المجد والحسب
ولو آل السعود السادة النجب
ونافس العصر فيهم سالفُ الحقب
صقر الجزيرة مولاهما وخير أب
عزت به دولة الإسلام والعرب
خليقة إن تُسامى أرفع الشهب
يستلهم المجد في ينبوعه السرب
وكيف لا أتغنى اليوم من طرب
حق التجلة والأعظام والأدب
شأو المليك العظيم القدر والحسب
جليلة بوأتنا أرفع الرتب
وقصرت أبلغ الأشعار والخطب
ونفتديها بغالي النفس والنشب
من الثقافة والعرفان والأدب
أمضى سلاح يرى في السلم والحرب
من آلك الغر بيت المُلِك والنسب
من أيدوا الدين بالأسياف والكتب
آثاره وتولّتها يد النوب
بأن نحقق ما ترجون من إرب
أبقاكم اللّه للإسلام والعرب

أحمد العربي

معاهد جبلت باليمن تربتها
وأنبئت دوحة الصيد الأولى نسـ
آل السعود الأولى ازدان الزمان بهم
عشيرة الملك الميمون طالعه
عبد العزيز الذي - أفديه من ملك -
معاهد ذاك ماضيها وحاضرها
خليقة أن يؤم العلم ساحتها
فكيف لا يزدهي من أمّها شرفاً
وكيف أستطيع أن أقضي لسيدها
وكيف تشئو القوافي وهي قاصرة
مولاي أن الذي أوليت من ثقة
أمر عظيم تناهت دون غايته
ومنة سوف نرعى عهدها أبداً
وسوف نبذل للأشبال خير جنى
العلم للمُلِك مثل الصولجان له
ومن أحق بمجد العلم يذخره
آل السعود حماة الدين قاداته
وجددوا مجده من بعدما درست
فكم لنا ثقة باللّه ثم بكم
وأن نتمّم ما قد شدتموه لنا

الرياض في ٤/٢/١٣٥٤ هـ

تحية النسر العربي (*)



السيد صالح الخطيب

«لصديقي العزيز السيد
أحمد العربي، أهديك رسمي
ذكرى صداقتنا القوية وأيام
زمالكنا الجميلة، فعسى أن يحل
محل القبول لديك، ، ، .

إيطاليا ١٧ ذو القعدة
١٣٥٤ هـ - ١٠ فبراير ١٩٣٦م
"التوقيع" صالح الخطيب.
وجاء الرد على الإهداء الأبيات
التالية:

حييت يا فخر النسور وبوركت
لوددت إنني في لقاءك أنشر
همم الشباب تذلل الأخطارا
الأشعار بين يديك والأزهارا

أحمد العربي

مكة المكرمة

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر، لرفيق دربه، وكان من أوائل الطيارين الحجازيين.
(من بحر الكامل).

هوى المجد (*)

في هوى المجد في سبيل المعالي ما تلاقى في الحل والترحال
كل يوم لك احتمال به تسد تهدف العرب أعظم الآمال
كل يوم لك ارتحال لتوث يبق عُرى يعرب وشد الوصال
فعلى مركب السلامة واليَم من وفي ذمة النهى والمعالي

* * *

وعزيز على الحجاز وأهلي ه فراق المليك ذي الأفضال
وعظيم وداع من أودع الله هواه في كل قلب وبال
ملك خص بالسماحة والعط ف وما شاء من كريم الخلال
ألمعي الفؤاد حلو السجايا عبقري السمات والإفعال
ألف المجد منذ كان غلاماً وابتغاه بعزمة الرئبال
وتخطى إليه كل عظيم مستهيناً بأخطر الأهوال
وكذا عزمة العظيم إذا رجى عظيماً وهمة الأبطال

* * *

(*) المناسبة: أُلقيت بين يدي جلالة الملك في الحفلة التي أقيمت لوداعه بالقصر - ٢٦ - ٢٧
محرم سنة ١٣٥٥هـ. (بحر الخفيف).

ذ وفي هم نفسه المتعالي
وب بين الملوك والأقيال
ه مشيداً بالحب والإجلال
خلاص أوفى على ذرى الأجيال
سند كان محكم الأوصال
ج عليك العروبة المفضال
عب بفضل الوئام والاتصال
ليفديك بالنفوس الغوالي
لاص في القصد والمنى والفعال
ت عليه محبات الخصال
كاد يطوي فيه فخار الأوالي
عب وعنوان نهضة وكمال
بسنا عصرك العصور الخوالي
بك في حلبة العصور التوالي
عاطفاً مثل عطفك المتوالي

من كعبد العزيز في خلقه الف
من كعبد العزيز في شخصه المحب
ملك عرشه قلوب رعايا
وإذا المُلْك شيد بالحب والإ
وإذا المُلْك كان للشعب فيه
هكذا فليك الملوك على نه
هكذا فليؤثّلوا المُلْك في الش
يا أبا الشعب إن شعبك هذا
أنت علمت شعبك الحب والإخ
أنت علمته الوفاء وأملي
أنت شرفت يعرباً في زمان
أنت تاريخ أمة ورجا ش
فخليق بيعرب أن تباهي
وحرى بيعرب أن تغالي
ما رأَت مثلك القرون مليكاً

* * *

قد تجلى في أروع الأمثال
ب إلى الاجتماع والاتصال
أن يؤموا ذاك الجناب العالي
عب من العاطفات والآمال
م عطف المليك ضافي الظلال

أي عطف يكون أعظم مما
يوم ناديت شعبك المخلص المح
وبعثت النداء حراً نبياً
لتحس الذي يجيش به الش
يا لها سنة افاءت على العال

وقف الدهر دونها مطرق الرأ
ووعاها التاريخ في صدره الزاخر
فإذا الشعب أعرب اليوم عن إك
وإذا الشعب مجد اليوم ذاك الف
س مصيخاً من روعة وجلال
سفر الخلود والأبطال
بباره ذلك النداء الموالي
ضل والعطف والحنان الغالي
عب وبعض الولاء والإجلال

أحمد العربي

٢٦/٢٧ محرم ١٣٥٥هـ

تهنئة، ووداع (*)

حب يجل عن الملام وهوى يفوق هوى الغرام
وشجت وشائجه العروبة في العظام ما بين مكة والشّام
وسما به الإسلام أوجاً لا ينال ولا يرام
فإذا الحجاز أخو الشّام وصنوه الوافي الذمام
إخوان لا يعرفهم في اللّهُ والعرب الفصام
متعاقدان على التّأخي والتّأزر والوئام
فإذا اشتكى هذا فذاك يبيت فيه على ضرام
وإذا دعا داعي الإخاء مشى الحجاز إلى الشّام

* * *

فاليوم بيتهج الحجاز بفوز إخوته الكرام
ويهني القطر الشقيق بعهد الزاهي الوسام
وتعود خير رجاله الغرا الميامين العظام
واليوم تغفر للنوى هذا الفراق وذا الأوام

(*) المناسبة: ألقى في وداع الدكتور محمد علي الشواف في مكة المكرمة في ١٨/٤/١٣٥٦هـ (من مجزوء الكامل).

من أجل سوريا وإخوان
أما الصديق المحتفي
صنو الأولى خاضوا الجهاد
وأخو الشهامة والنبالة
فلسوف نذكر عهده فينا
في اللّه والوطن العزيز
هيهات أن ينسى الحجاز
وهو الذي أخلاقه
بشفي برقة بشره
ويشع في نفس السقيم
هيهات أن ينسى الذي
أو كيف ينسى وهو ملء
فعلى جناح اليُمن موف
وإلى اللقاء المرتجى
لنا فيها كرام
بوداعه في ذا المقام
وجابها الموت الزؤام
في ميادين السلام
بما يرضى الذمام
ونصرة الحق المضام
طبيبه النطس الهمام
كالزهر باكره الغمام
وحديثه ألم السقام
بعطفه أمل السلام
يتخذ القلوب له مقام
(عيون)^(١) أخوان كرام
ور الرفاهة والجمام
في ساحة البلد الحرام

(١) كان الدكتور/ محمد علي الشواف طبيباً للعيون.

(*) نشيد

الـديـن والـوطـن والأهل والسكن
تـحيـا مع الزمن بـقـوة الشـباب

* * *

الـعـلـم والأدب تراثنا المحب
نـحـن - بني العـرب - في الحق لا نهاب

* * *

الموت ممتهن إذا دعا الوطن
بالروح في الأحن نفديته والرقاب
يا أيها الرفاق امضوا إلى الوفاق
فالنذل لا يطاق في عزه الشباب

* * *

المسلم الجري لن يرضى أن يسيء

(*) المصدر: جريدة المدينة المنورة العدد ٢٢ في ١٣٥٦/٦/٢٦هـ (مجزوء البسيط). (مع تجديد وتنويع الوزن في بقية الأبيات).

لمثله بَرِيءٌ بالكيد والعذاب

* * *

الوطن الكريم والبيت والحطيم
شعارنا العظيم ورمزنا المهباب

* * *

الغرب قد وثب وناطح السحاب
والموج قد غلب ونحن في ارتياب
هيا بني الأبطال كي نضرب الممثال
في الجدل الهزال ونقتدي الصحاب

* * *

هيا انشروا اللواء في الصبح والمساء
ثم اطلبوا العلاء بعزيمة الشباب

ذكراه ملء كل الخواطر (*)

حسن أن تلوح تلك البوادر
وجميل إعلاننا أن في الشعب
أمة تعرف الجميل لمسديه
وشباب موفق الرأي وثا
يقدر المخلصين للوطن الغا
فحرى به وليس غريباً
الطبيب الأديب فخر الأطبا
فلكم عالج النفوس مع الأبداء
مبضع يحسم الشكاة وكف
ويد ملؤها الحنان سلوا الأطفاء
وبنان يراعتها تنفث السحر
في بيان كأنما هو أنفا

وعظيم هذا الوفاء الزاخر
الحجازي الكريم مهد المفاجر
وتصغي إلى نداء الضمائر
ب إلى المجد عبقري البوادر
لي ويطري جهود كل مناصر
أن يوقى حق الصديق (الطاهر)
ء وفخر البيان فخر المنابر
ن بالعلم والبيان الساحر
تضمد الكلم والجراح الفواغر
ل عنها فكم لها من مآثر
فتفضي إلى مقر السرائر
س الرياض المضمخات العواطر

(*) المصدر: صوت الحجاز ١٣٥٦هـ.

المناسبة: القصيدة العامرة التي ألقاها الأستاذ أحمد العربي في حفلة تكريم الدكتور حسني الطاهر. (طبيب أطفال بمكة المكرمة) له نشاط أدبي واجتماعي. وتربطه علاقة صداقة وطيدة بالشاعر، وقد حصل فيما بعد على الجنسية السعودية. (من بحر الخفيف).

هاديء تارة يداعب في رفق
ثائر تارة يصول ويغشى
لا يبالي في الحق عتب صديق
هكذا أصبح الطبيب صديقاً
فلئن أزمع الرحيل إلى حين
ماثل شخصه على القرب والبعد
فإلى العود واللقاء وشيكاً
ولنعم الرسول أنت إلى الأ
فتذيع الذي تكن من الو
وظرف أوتار أسمى المشاعر
كل واهٍ من الخلائق خائر
أو رضاه إن كان أرضى الضمائر
وحبيباً إلى القلوب مخامر
فذكراه ملء كل الخواطر
تناجيه بالقلوب المحاجر
أيها النازح الكريم المآثر
خوان في مصر والشأم المغامر
د وتروي حديث هذي البوادر

ليلة الزفاف (*)

غن يا بلبل الهناء وشارك
هذه ليلة تجلى بها السعد
شاع فيها السرور واكتمل الأ
يملاً الأفق واحد منهما نورا
لو رأت صاحبات يوسف هذا
وتجلى لهن أحمد أو لاح لهن
لتمثلن فيها قائلات
نبضات القلوب لحن غنائك
وحفت بها الأمانى الضواحك
نس ببدرين أشرقاً في سمائك
فكيف البدرآن لله زانك
الحفل والموكب الأغر المبارك
محمد في الأرائك
إنما هؤلاء بعض الملائك^(١)

(*) المناسبة: نظمت هذه القصيدة بطلب ورجاء من الأخ محمد سعيد عبد المقصود خوجه ليلة زفاف أحمد ومحمد ملائكة بتاريخ ١٨/٤/١٣٥٧هـ. (من بحر الخفيف).

(١) الملائك: إشارة إلى لقب عائلة العريسيين «ملائكة».

صوت الفلاح (*)

صوت الفلاح لقد شدوت نبيلاً
داعي الفلاح لقد دعوت قبيلاً
وهززت أوتار القلوب فرجعت
واستبق إخوان الفلاح يمجدون
وأنا الذي أصبو لتمجيد النبوغ
بادرت أنظم من معالي نبله
يبقى على مر الزمان ورب ناج
أبا الفلاح وأنت أحرى من نكرمه
لك في الحجاز مآثر مغبوبة
أسديت للوطن المقدس منة
وأشدت صرحاً للثقافة شامخاً
ومعاهداً شقت لناشئة البلا
حملت على صرح الجهالة حملة
ولمست نبضاً بالشعور حفيلاً^(١)
وأتيت مكرمة وشدت جميلاً^(٢)
لحن الوفاء مرتلاً ترتيلاً
أبا الفلاح شبيبة وكهولا
ومحضه التقدير والتبجيلاً
وجلاله وفخاره إكليلاً
لم يعمر في الحياة طويلاً
ونصفيه الثناء جميلاً
سيذيعها التاريخ جيلاً فجيلاً
ويداً تصون الحمد والتسجيلاً
أمسى يباهي النجم والإكليلاً
د إلى النهوض مناهجاً وسبيلاً
كادت تخلف صرحها مثلولا

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر. (من بحر الكامل).

(١) (٢) يبدو أن الشاعر قد استقر رأيه على أحد هذين البيتين مطلعاً ولم يتضح أيهما يفضل
إيردهما.

وأنارت الأذهان منها شعلة
وأمدت التعليم منها نخبة
أسدت لنا في ربع قرن خدمة
وتكاد تنطق بيننا آثارها الكبرى
في كل ميدان ومجتمع وديوان
ما ضر من تلکم صدى آثاره
ما ضره ألا يكون أباً وقد
ما ضر موري جذوة التعليم فينا
فلقد تطور كل شيء في الحياة
ومعاهد التثقیف أخرى أن يجاری
ولعل في هذا الفلاح المرتجى
ولتبق يا زين^(١) الفلاح موفقاً

كانت لنا في الحالکات دليلاً
من خير أبناء الحجاز عقولاً
جلى تفوق الوصف والتمثيلاً
وتعلن فضلها المبذولاً
نرى أثراً لذاك جليلاً
إن كان فرداً في الرجال قليلاً
أنشا لنا جيلاً وأنجب جيلاً
أن يجدد عهدا المأمولاً
وساير التجديد والتحويلاً
خطوها الإصلاح والتعديلاً
ولعلّ فيه المأمل المعسولاً
ولتبق ذخراً للبلاد جليلاً

(١) إشارة إلى مؤسس الفلاح «محمد علي رضا» «زينل». في ٢٩ صفر ١٣٥٧هـ.

إنما ينهض البلاد بنوها (*)

خففي السير يا عروس البحار وارفقي في سراك بالسَّفار
إنما تحملين أفلاذ شعب حادب بالبنوة الأبرار
إنما تحملين آمال جيل زاهيات كأنضر الأزهار
فإذا ما بلغت شاطئ مصر وأتيت الوادي الكريم الجوار
فاقرئيه من الحجاز تحايا ملء إعزازه لتلك الديار
ثم ألقى بركبك الطامح الو ثاب في ربعا عصا التسيار
يتفيا في ساحها من رياض الـ علم والـفن أكرم دار
ويجد من بني الكنانة ما ينـ سيه عطف الأبوة الأخيار
يا شباباً نضى إلى المجد عزماً لا يبالي عواصف الأخطار
سر على اليمن في سبيل المعالي وامنض قدماً في ذلك المضمار
واقتبس من معاهد العلم في مصـ ر شعاعاً يهدي سبيل الساري
واطرح زخرف الحضارة لا يفتـ نك واحفل بما حوت من ثمار

(*) المصدر: كتاب «ماذا في الحجاز» - لمحمد أحمد جمال - ط ٢ - ص ٥٣ «نماذج من رجال التعليم» ومخطوطة بقلم الشاعر.

المناسبة: قالها في توديع البعثة العلمية إلى مصر في ١٣/١٠/١٣٦١هـ. (من بحر الخفيف).

يد المغاوير قدوة في الغمار
ضل والمعشر الكريم النجار
يرضي المعالي من ماجد الآثار
إد ذكرأ يضوع في الأمصار
لي يحييكم غداة السفار
وتفديكمو من الأخطار
تعودون فيه بالغى الأوطار
لكم بالعشي والإبكار
إل مستقبل سني المنار
ي بنيها العباقر الأبرار
وبهم تستعيد كل فخار
مجدها العريق النجار
مخ صرحاً كامجد الآثار
ضة (عبد العزيز) فخر نزار
ن مناط الآمال والأوطار
فناهيك من علأ ووقار
شبل عبد العزيز أصل الفخار
وملاذأ، وعهده في ازدهار

واتخذ من تراث أسلافك الصـ
أنت عنوان أمة الخلق الفـا
فارو عن مهبط الرسالة ما
واذع من مفاخر العرب الأمجـ
أيها البعث ها هو الوطن الغـا
بقلوب تحدوكمو في سراكـم
ونفوس تتوق شوقاً إلى يوم
فاذكروه في نأيكم مثل ذاكره
واذكروا أمة أناطت بكم أمـ
أمة تنشد النهوض على يد
إنما ينهض البلاد بنوها
فاقبسوا منه ما يعيد إلى أمتكم
وارفعوا من بناء نهضتها الشـا
فلقد مهد السبيل إلى النهـ
وبنوه الغر الكرام الميامـي
وإذا ما خصصت فيصل بالذكر
وهل الفيصل المحبوب إلا
صانه الله للعروبة ذخرأ

(*) العاهل المحبوب

بهُج الوادي ورففت ضفتاه وشدت ورق التهاني في رباه
وزهت أم القرى تيهاً على مدن الدنيا وحياتها الرفاه
مذ سرى البرق ببشر مقدم غمر الأنفس بالبشر سناه
مقدم جدد للشعب أمانيه وأحيا في حناياه رجاه
لمليك غمرت آلاؤه الشعـ ب كما طوقه فضلاً نداه
فاحتوى كل فؤاد حبه وتفانى كل شخص في هواه

* * *

أرأيتم ملكاً شادت رعايا ه له من حبها عرشاً علاه
أرأيتم ملكاً حل من الشعب قلوباً تتبارى في رضاه
إنه عبد العزيز العاهل المحبـ وب صان اللّه بالعز لواه

(*) المصدر: جريدة أم القرى - الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٣٦١هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٤٢م ونشرت بعنوان: (إنه عهد عبد العزيز) القصيدة التي ألفها الأستاذ أحمد العربي مدير مدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمي السعودي.

المناسبة: نظمت بمناسبة عودة جلالة الملك عبد العزيز بن السعود إلى عاصمة المملكة (مكة المكرمة). وألقيت في حفل استقباله بالقصر العالي في ١٧/١١/١٣٦١هـ. (من بحر الرمل).

رأى إلى فخر له تعنو الحباه
ه فعز العرب شأناً في حماه
لم طراً قد دهاه ما دهاه
ر أتون الحرب مشبوب لظاه
ه وتفتر حبوراً للقاءه
عر والنثر وجوه وشفاه
شعبك المخلص في صدق ولاه
ب يحطك السعد دوماً والرفاه
عزمة تدني من الفوز خطاه
بسقت من غرسك الزاكي شذاه
الأمل المستقبل الزاهي جناه
لاق نال الشعب أقصى مبتغاه
جد فيما قد ورثنا من علاه
خالداً تعنو لذكراه الجباه
أشرق النور الذي عم ضياه
مُكْبِراً مجدداً تغشاه رؤاه
علم فينا مجده السَّامي ذراه
علم من مكة في الدنيا سنه
مصلح الذائع في الدنيا صداه
وسيتلو فجره هذا ضحاه
حقق اللّه لذا الشعب رجاه
ملوّه يمن وعزّ ورفاه

ملك قد حازت العرب به فخر
ساس بالعدل وبالجزم رعايا
نعموا في عهده بالأمن والعا
نعموا بالسلم والعالم مسعو
أفلا تهتز من بشر رعايا
رحبت ابلغ ترحيب يفوق الش
فتقبل أيها الملك تحايا
وأقم بين حناياه على الرح
وافض من روحك العالي عليه
وتعهد نهضة العلم التي قد
فهو أس النهضة الكبرى ورمز
وإذا العلم اهتدى بالدين والأخ
هكذا أوحى إلينا السلف الما
هكذا بالعلم شاد العرب مجدداً
من هنا من بين هاتيك الهضاب
حقبة قد وقف التاريخ فيها
حبذا العهد الذي فيه يعيد ال
حبذا العهد الذي فيه يُشعُ ال
إنه عهدك يا عبد العزيز ال
فجره قد لاح وضاح المحيا
حقق اللّه أمانى العرب فيكم
وليديم عهدك للعرب سعوداً

منارة العلم والعلماء (*)

رفل اليمن وارفاً في رحابه
زائر طوق المعارف والعلم
وأمير حبا بتكريمه العلم
وزها (معهد الثقافة والبعث
واستهلت به المعارف عهداً
حسبه أنه سعود ولي العهد
يا ابن عبد العزيز أعظم بمس
ها هو النشاء يحتفي بكم الي
نشأ الحب في حناياه للمل
فإذا الحب والولاء لهذا البيت
يتبارى في شكركم بقلوب

ومشى موكب المنى في ركابه
فخاراً يبقى مدى أحقابه
فأذكى الطموح في طلابه
ثات^(١) تيهاً به على أترابه
حافلاً بالرجاء ملء إهابه
د سر المليك رمز رغبه
عاك إلى العلم رافلاً في جنابه
وم يفيض الحبور في ترحابه
ك المفدى والصيد من أنجابه
والعرش منتهى آرابه
أين منها اللسان في إعرابه

(*) المصدر: أم القرى الجمعة ١٦ محرم ١٣٦٢هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩٤٢م.

المناسبة: زيارة سمو ولي العهد الأمير سعود للمعهد وتحضير البعثات. (من بحر الخفيف).

(١) معهد الثقافة والبعثات (منارة العلماء): المقصود بهما (المعهد العلمي السعودي) ومدرسة تحضير البعثات، وكان الشاعر مديراً لهما - المعهدين كانا - في قلعة جبل هندي بمكة المكرمة؛ بين عامي: (١٣٥٨هـ - ١٣٦٥هـ).

فيه ينمو الجميل ملء شبابه
فيض عطف يُدني جموح طلابه
من سناكم يهديه نهج صوابه
علم يستن في مجال اكتسابه
بريز في علمه وفي آدابه
مد قريراً بنأيه واغترابه
لي وفي ذمة العلاء وأطالابه
خطو في سيره وفي ندابه
صرح مستقبل العلوم النابه
ب ويزهو به ربيع شبابه
يتحدى الأجيال في أحقابه
عبقرياً يروع سحر عجابه
ن وتدوي أصدائها في شعابه
تتحدى في اليم لج عبابه
و وتلوي بنسره وعقابه
ق وفي الغرب وهو بين صحابه
عناد في هولته وعذابه
راً ويطوي عمارها في خرابه
ب تعاني ما عز من أوصابه
ر يزهى بها على أترابه
لم وبالعلم راضٍ متن صعابه
وهو سر النجاح في أقطابه

وقلوب الشباب حقل خصيب
فأفض أيها الأمير عليه
إن ذا النشاء يستمد شعاعاً
يتبارى شبابه في سبيل الـ
ففريق هنا يشعر للتـ
وفريق في مصر يستعذب الكـ
في سبيل المليك والوطن الغا
فهو في ظل عطفكم يستحث الـ
وعلى الدين والفضيلة يبني
وعلى العلم نبتني نهضة الشعـ
فعلى العلم أثل العرب مجداً
وبه اليوم أبداع الغرب مجداً
تلك آثاره يجيش بها الكو
سفن تنهب الفضاء وأخرى
ومناطيد تزحم الطير في الجـ
وجماد يحدث الناس في الشر
وعتاد للحرب أربى على كل
كادت الأرض أن تميد به ذعد
وأساليب في العلاج وفي الطـ
وأعاجيب في الحضارة أضحي العصـ
سخر اللّه كل ذلك للعد
فهو أس النهوض في كل جيل

وحري بباعث النهضة الكبير
ذلك العطف والحفاوة بالعد
أيد الله ملكهم وأدام الـ
ى وآل السعود من أنجابه
م وتحقيق مرتجى آرابه
عز في بيتهم وفي أعقابه

المعهد العلمي السعودي في ١٤/١/١٣٦٢هـ

حفل التكريم (*)

حبذا الحفل يزدهي بأولي الفضل
يحتفي بابن مانع حفله الزا
يتبارى فيه الشباب احتفاء
شد من أزرهم وسدد بالنص
واحتسوا من معين آدابه الرق
ثم فاضت على النفوس ولاء
فإذا ذلك الشعور يناجي
وإذا الحقل صورة يتجلى
وضمير الشباب أنقى سجل
وإذا ما الشباب كرم شيخاً
فلهم في مليكهم أسوة فيما
فهنيئاً تلك الرعاية والعط

ويزهو بالعالم النحرير
هي ويشدو بفضله المشكور
بنصير للعلم أي نصير
ح خطاهم إلى معالي الأمور
راق كأساً تغلغلت في الصدور
ووفاء ويقظة في الشعور
هم بأسمى شعائر التقدير
في سناها ولاء كل ضمير
يتجلى عن الوفاء النضير
هو بالمكرمات جد جدير
حباه من عطفه المأثور
ف وما فيه من جلال كبير

(*) المناسبة: أُلقيت في الحفل الذي أقامه طلاب المعهد تكريماً لفضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف العام ليلة الجمعة ١٩/٢/١٣٦٤. (من بحر الخفيف).

وهنيئاً لك السلامة والصح
وليدم عاهل العروبة للـ
وليدم آله الميامين في ظل
ة في نعمة وعيش قريـر
دين وللعلم في رفاه وفير
لواه المؤيد المنصور

المهرجان (*)

هاتف الشعر عُجُ بذا المهرجان
واقتبس من سنى المليك معاني
ثم ضعه في سلسل من ولاء
فلقد أسعد الزمان بأغلى
أشرقت طلعة المليك على الشُع
فعلى الرحب أيها الملك المحـ

وأشد فيه رائع الألحان
ك ومن روض خلقه الريان
الشعب للعاهل العظيم الحنان
ما نرجيه من هوى وأماني
ب بما شاء من أمان حسان
بوب أحلل شغاف كل جنان

* * *

مقدم كالربيع للبلد المحـ
فاض باليمن في البلاد وبالبدش
وبدا الشعب من حفاوته في
ما رأت مثله الجزيرة بل لَمَّا
مهرجان تسابق الشعب في تمـ

ل حفيل بالخصب والعمران
ر فطابت ربوعها والمغاني
مهرجان يفوق كل بيان
تشاهد نظيره عينان
جيد أيامه بكل لسان

(*) المناسبة: بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز لمصر في ٢٥ صفر الخير عام ١٣٦٥هـ. (من بحر الخفيف).

موم حتى ضفاف بحر عمان
ها الهوى لا الهوى ذو الطغيان
تتهادى في نشوة الجذلان
عرشه صيغ من قلوب حواني
ك تغنى بعهد الخافقان
ذكره في مسامع الأزمان

* * *

اء يشدو بذكرها المشرقان
حاء فافتتر جوها عن جمان
هل سماها بوابل هتان
نا وحياء ركابك الهرمان
شعبها والمليك في مهرجان
قبا صنوا لحفله المزدان
يف المفدى في موكب جذلان
والتقى في لقاءهما الشعبان
من إحاء موطد الأركان
حى وغذى أصوله الملىكان
ريخ فخراً يزهى به القطران
ل فؤاد تحوطها الأمتان
ن لمصر وفي الهوى إخوان

يتبارى من شاطيء القلزم^(١) المي
في جموع كأنها الموج يحدو
ووفود يقصر الوصف عنها
هرعت تجتلي محيا مليك
هو عبد العزيز حسبك من مل
وهوت نحوه القلوب ودوى

يا مليكي لتهنك الرحلة الغر
حظيت مصر منك بالطلعة السّم
جاءها الغيث في وفودك فاند
وجرى النيل في قدومك جذلا
ومشت مصر تحتفي بك طراً
موكب لم تر الكنانة في الأح
سار فيه الفاروق يستقبل الض
فالتقى العاهلان خير لقاء
وتجلى ما بين مصر ونجد
وشجته وشائج الدين والفص
رحلة سجلت على صفحة التا
نقشت صورة المليكين في ك
فإذا نجد والحجاز شقيقا

(١) القلزم: البحر الأحمر.

أن تفرقهما السياسة يوماً
أو تباعدهما الديار مقاماً
فهما في الولاة متفقان
فهما في هواك يلتقيان

* * *

رحلة زادت العروبة عزاً
وزكت في ظلالها وحدة العر
وستؤتي خير الثمار وتوحي
يا مليكي وقائد النهضة الكب
أنت جددت نهضة الدين في العر
وتعهدتها بعطف كريم
وستمضي في ظل عطفك نحو ال
تنهج المنهج القويم وتستهد
تستحث الخطا لرفع منار الد
وتجاري مواكب العلم في الدن
ذاك بعض الرجاء في عهدك الزا
صانك الله للعروبة والدي
وليدم سالماً سعود المرجى
وليعش فيصل وإخوانه الشم
وليعش ألك الميامين في عز
وأشادت بمجدها الفتان
ب وأعلى من صرحها العاهلان
لبنى يعرب أجل المعاني
رى وحامي حمى بني عدنان
ب وعهد العلوم والعرفان
فخطت في رزانة واتزان
هدف المبتغى وأوج الأمانى
لدى بهدي الرسول والقرآن
ين والعلم سامق البنيان
يا وتمضي في ذلك الميدان
هر عهد النهوض وال عمران
ن وأبقاك وارف السلطان
للمعالي وللأمانى الحسان
ومنصور غرة في الزمان
ومُلك مؤيد الأركان

قدوم السعد (*)

مقدم كالربيع أو هواستي
ذاك وسميه يجود على الأر
وربيع القدوم تندى به الأ
ولشتان بين ما ينعش الأر
ولشتان بين ذاك وهذا الـ
مقدم جدد المباحج للشعد
فإذا الشعب من حفاوته في
وإذا مكة الوقورة في نشـ
خفق السعد فوق أعلامها الشـ
وتبارت عنادل الأبطح المحـ

أين منه الربيع حسناً ومعنى
ض فتمسي القفار روضاً أغنا
نفس بشراً ويغمر الشعب يمنا
ض ومن ينعش القلوب فتهنا
موكب المجتلى يروعك حسنا
ب وقرت به الجماهير عينا
مهرجان كالعيد أو هو أسنى
وة بشر تكاد أن تتثنى
م وكادت ربوعها تتغنى
بور تشدو أندى الأغاريد لحنا

* * *

ليس بدعاً فهذه طلعة الملـ
ملك طاولت به العرب الشـ

ك المفدى عبد العزيز المهنا
ب وعزت به العروبة شأنأ

(*) المناسبة: ألقاها الشاعر في حفل استقبال الملك عبد العزيز ٢٨/١١/١٣٦٥هـ. (بحر الخفيف).

ريخ فيها له الفخار وأثنى
ل فلسطين والعروبة تمنى
س إلى العاهل الذي قد تجنى
من فصول الكفاح أنبل معنى
ن وصانت حق العروبة صونا
ب صداها ولم يزل يتغنى
يف حماها فشاد للعدل حصنا
ل وليست تقيم للحق وزنا
فأمر تجد رعاياك رهنا
جندك المخلص الذي ليس يثنى
لا يعضون للمهانة جفنا
ساء فلن يغمضوا على الضيم عينا
ب فلن يقبلوا على العرب غبنا
د وللنهضة التي بك تبني
م ستؤتى خير الثمار وتُجنى
ين، والعلم خير ذخز وأسنى
سا وللدين والعروبة حصنا
للمعالي وللمفاخر ركنا

كم له من مواقف سجل التا
حسبه تلکم المواقف من أج
حسبه تلکم الرسالة بالأم
تتحدى صهيون جهراً وتملى
دحضت ترهاتهم في فلسطين
ردد العالم الجديد بإعجا
يا أبا الدولة الذي شاد بالس
إن صهيون ليس يجدي بها القو
لا يفل الحديد إلا الحديد الصلب
خض بنا الجو والخضم تجدنا
إن في شعبك الوفي رجالا
أنت نشأتهم على العزة القعد
أنت أيقظت فيهم نخوة العر
سر بنا نقدم العروبة للمجد
نهضة أسست على الدين والعد
إنما تنهض البلاد بهدى الد
دمت للعلم والمعارف نبرا
وليعش آلك الميامين ذخرأ

ذكرى الهجرة(*)

أعظم بذكرى شدا باليمن شاديها
ولاح فجر الهدى الوضّاح مؤتلقا
ذكرى تمثل في أطيافها مثل
تصارع الحق فيها رغم قلته
فلم تكن غير جولات أديل بها
تأمّرت بالأمين المصطفى سفهاً
فما ونت في سبيل الحق همته
فرجعت شدوه الدنيا وما فيها
فانجاب من حالك الأحقاب داجيها
من البطولة في أسنى مجاليتها
بعصبة الباطل المزهو حاميتها
للحق من فئة ضلت مراميها
وبيّنت قتله بغياً بناديها
ولم يبال قريشاً في تحديها

* * *

وهاجر الوطن المحبوب محتملاً
مضى يشق طريق النصر منتضياً
مضى وصاحبه الصديق تكلؤه
وهكذا من يرم إصلاح أمته
مخاطراً دآن بالإيمان عاصيها
عزيمة تتحدّى ما يلاقيها
عناية باء بالخذلان شانيها
يبذل أعز نفيس في ترقّيها

* * *

سلوا به غار ثور فهو ينبئكم
فكم ثوى فيه من نبل ومن كرم
مواقف يتجلى في مشاهدنا
قف حولها ساعة وارقب حوادثها
انظر عيون قريش حول مكمنه
هل زعزعت من ثبات المصطفى فث
أم كان كالطود جأشاً رابضاً ومضى
أجل فما هو ذا يسدي لصاحبه
يقول: لا تحزن، واللّه ثالثنا
فلا يني الصاحب الصديق يكلؤه
عن البطولة في أسمى مراتبها
ومن شمائل غربات يحويها
سر الرسالة والإيمان حاديها
تشهد فصلاً تنهت في تساميتها
في لحظة يذهل الأبطال عاديها
نت من عزمة في سبيل الله يزجها
بهمة فذة لا شيء يثنيها
أسمى الشجاعة في رفق يؤديها
وهل تخاف نفوس وهو راعيها؟
ويبذل النفس في نفس يفديها

أعظم به موقفاً تملي مشاهده
عليه من رونق الإيمان أبهة
وفيه من روعة الإيثار أمثلة
مواقف تبعث الإعجاب تتبعها
فها هو المصطفى يمضي لعزمته
وتلك يثرب قد رقت بشائرها
خفت ترحب بالهادي مواكبها
واستقبلت خير خلق الله قاطبة
مثل البطولة في أسمى أماليها
ومن رواء الهدى معنى يساميتها
ومن جلال الفدا نور يغشيها
مواقف ملء برديها معاليها
يطوي الفدافد لا يخشى عواديها
تكاد ترقص من بشر نواديها
في مهرجان شدت فيه شواديها
وخير عهد تجلى بين واديها

فأصبحت منذ ذاك اليوم عاصمة الإ
وأصبحت بعدما عاناه خزرجهما
رمز السلام وعنوان الأخوة والإ
سلام تزهى علي الدنيا مغانيها
والأوس من فتن لجت دياجيهما
يثار أرض في الدنيا تدانيها

* * *

ولم يكد يركز الإسلام رايته
حتى مشى النصر قدماً في كتائبها
يقيم فيها صروح الدين شامخة
ويبتني أسساً للعلم يحرسها
والعلم والخلق أبهى درّة سطعت
فيها ويخفق لواه في أعاليها
يغزو الممالك دانيها وقاصيها
وينشر العدل سمحاً في نواحيها
سور من الخلق الزاكي ويحميها
في تاج تاريخنا، لا درّ يحاكيها

* * *

مفاخر أطرق التاريخ هامته
وهجرة أثلت للدين عزته الـ
قامت بها دُعْم للحق سامقة
فليس بدعاً إذا الفاروق خلدّها
لله درُّ أبي حفص فإن له
أقامها علماً يوحى لأمته
يجدد العزم فيها للجهاد كما
فهل أفدنا بهذا الدرس موعظة؟
وهل نجدد حقاً عزم أمتنا
إن كان هذا فقد دانت لأمتنا
لها ودانت بها الأمجاد تنويها
قعساً ووجهت التاريخ توجيهها
ودولة سادت الدنيا ومن فيها
بدءاً لتاريخنا الزاهي بها تيهها
مآثراً هذه إحدى أواسيها
أي البطولة في أسمى معانيها
يبني لها السؤدد الزاكي ويعليها
وهل نحقق للذكرى مراميها؟
بأن تسير على منهاج ماضيها؟
آمالها الغرّ وانقادت أمانيتها

مقدم حفه السنا والفخار (*)

مقدم حفه السنا والفخار
خطرت حوله الأماني نشوى
فإذا الشعب يغمر الوادي المي
خرجوا في مواكب تبهر الطر
هرعوا يحتفون بالقادم المحبو
إنه مقدم الأمير المفدى
ذلك الفارس الذي شرف العر
شهدت من هيئة الأمن فذاً
فاز في حلبة السياسة فوزاً
فاز بالفعل والكياسة تحدو
وأياب قرت به الأنظار
وتهدات في ركب الأوطار
موم حشداً يحدوه الاستبشار
ف وترتد دونها الأبصار
ب تزهو بعوده الأمصار
فيصلُ العرب سيفها الحَطَّار
ب ودوت بذكره الأقطار
عبقرياً تعنوا له الأقدار
أكبرته العباقر الأحرار
ها خلال يزينهن الوقار

* * *

كم له من مواقف عن فلسطين
حسبه في رحاب (شابو) وفي أر
من عليها من الجلال اطار
جاء (واشنطن) جهود كبار

(*) المناسبة: قيلت في حفل استقبال الأمير فيصل بمناسبة عودته من مجلس الأمن في ٣/٥/

١٣٦٨هـ. (من بحر الخفيف).

ط (قرار التقسيم) بئس القرار
كاد منها صرح العدى ينهار
قوم لَمَّا تشفَع الدينار
ومنهم للمعتدى أنصار
ن فلسطين وهي للعرب دار
سيف منهم أن يقر قرار؟
يُسحق المعتدى فيُغسل عار

بعض آثارها العظيمة إحبا
حسبه في النضال جولات صدق
غير أن الأهواء قادت هناك الـ
ويح من يخذلون بالباطل الحق
ويح من يمنحون شذاد صهيو
كيف خالوا أن يقبل العرب هذاالح
تعسوا لا قرار للعرب ما لم

* * *

ن؟ وأين الميثاق والآصار؟
رق يمنى بحلمها الأغرار
ينكث العهد مطمع ونُضَار!!
م وأما الضعيف فهو جبار
مدّ يخشونه وذاك الشنار
دة وهي التي عليها المدار
واحدلاً لا يشوبه الانشطار
لّه لم يثن عزمها الأخطار
بار والشأن في اليهود الفرار
ونرى ذلك إلبننا ينهار
د طهوراً يحفه الأطهار
ن هدانا الكتاب والآثار
ولم تختلف بنا الأوطار

ويحهم أين ما ادعى مجلس الأمم
إنما تلك خدعة الغرب للشـ
ليس للعالم الجديد عهد
ليس غير القوى يحترم القو
واليهود الطغام لا شيء غير الجسد
إنما يرهب اليهود قوى الواحد
فإذا دامت العروبة صفاً
ومضت في جهادها في سبيل الـ
سيولي اليهود في حربنا الأد
وسيندك عرشهم عن قريب
ونرى الوادي المقدس قد عا
ذاك وعد الإله فيهم إذا نح
واعتصمنا بعروة الوحدة الوثقى

حقق اللّٰه للعروبة ما يصـ
وليدم عاهل العروبة للّعز
وليدم شبلة العظيم سعود
وليعش فيصل المحبب والأشبال

بو إليه رجالها الأحرار
ب مناراً تزهو به الأعصار
تتغنى بمجده الأشعار
ولتسّم يعرب ونزار

في حمى البيت والحرم (*)

حبذا الحج موسما
تتبارى وفودهم
يتلاقون في ربو
في البلاد التي بها
في الديار التي نمت
والتي أنجبت ليو
والتي أشرق الهدى
حبذا هذه الوفو
حبذا ذلك النَّد
حملت مصر في طلي
وأهابت بصوتها السـ
فهوت نحوها القلو
إيه يا مصر جدي

تلتقي عنده الأمم
في حمى البيت والحرم
ع الرسائل والحكم
هبط الوحي واستتم
سيد العرب والعجم
ث الفتوحات في القدم
من رباها على القمم
د بها الجمع يلتئم
يُّ به الحفل ينتظم
عة أقطابه العلم
أحر اللحن والنغم
ب وأصغت لها الأمم
ماضي العرب ذا العظم

(*) المناسبة: ألقى هذه القصيدة في الحفل الذي أقامه الإخوان المسلمون برعاية رئيسهم الأستاذ حسن البنا في ١٨ من ذي الحجة سنة ١٣٦٤ هـ بفندق بنك مصر بمكة المكرمة. (مجزوء الخفيف).

وحدة العرب عن أمم
حقها ليس يهتضم
وتراث من القدم
عاهلا البيت والهرم
ب جنى دوحها وتم
واحد ليس ينقسم
قلبه البيت والحرم
ف وكالمعقل الأشم
وإذا صرحها ثلم
عارها شر ما وصم
حرم المجد والشمم
سد في الغاب والأجم
أسوداً تحمي الحُرم
أعلى الهول يقتحم
وحدة الدين والكلم
حبها ليس ينفصم
ة حمى العلم والقلم
ن إلى ذروة العظم
مِذرها ينثر الحكم
في ذرى البيت والحرم
قد غدا صاحب العلم

إيه يا مصر حقيقي
إنما العرب أمة
وحدتها أواصر
وتولى زمامها
فنما غرسها وطا
إنما العرب موطن
وطن واحد القوى
وفلسطين كالشفا
فإذا ثل عرشها
إنها سبة الدنى
أن يجوس اليهود في
وتصول الذئاب بالأ
كذبوا إن في العرين
وشباباً محمدياً
أخوة ألفتهم
لغة الضاد عروة
وبنو مصر هم حما
رفعوا راية البيبا
كل عام ترى لهم
تتهادى أصداؤه
هو جيل (بناؤه)^(١)

(١) إشارة إلى «حسن البنا» رحمه الله.

حب مصر به فخا
رددت ذكره الووفو
وسيبقى به اسم مص
فليعش عاهلا العروبة
ولتدم مصر والحجاز
رأ إلى فخرها العمم
د من العرب والعجم
ر عالياً بين الأمم
في وارف النعم
منارة بين الأمم

(*) الزائر الكريم

أيها الزائر الكريم المفدى طبت سعيًا وطاب وفدك وفدا
شكر العلم ما أتيت وحيث ك قلوب تفيض بشرا وودا
من شباب يدين بالحب للعر ش ويرعى لصاحب العهد عهدا

* * *

أيها الزائر المكرم للعل م بك العلم يزدهي اليوم مجدا
قد تسامت بك المعارف قدراً وشدت ورقها بفضلك حمدا
وزها المعهدان فخراً بهذا الي وم واستقبلا بيمينك سعدا
وسرى في الشباب من روحك الع الي شعاع به العزائم تحدى
يحفز النشء للنهوض ويهد يهم سبيلاً إلى التقدم قصداً

* * *

يا ابن من شاد للمعارف صرحاً ومناراً يبث هدياً ورشدا
إن تكريمك المعارف يا مو لاي عنوان نهضة تتبدى
هي لا ريب غرس والدك المح بوب وهو الذي رعاها وأسدى

(*) المناسبة: تحية سمو ولي العهد الأمير سعود بمناسبة زيارته للمعهد ومدرسة البعثات ١/٢٨ /
١٣٦٧هـ. (بحر الخفيف).

وتعهدت ذلك الغرس بالعط
فهي اليوم في ظلالك تستق
ف ولم تأل في الرعاية جهدا
بل عهداً يفيض يمناً وسعدا
تتبارى في نهضة الوطن الغا
لي وفي خدمة المليك المفدى

* * *

إنما تنهض البلاد على العد
تلك آثاره لدى الشرق والغر
م وتبنى به فخاراً وخُلدا
ب تحدث أزهى الحضارات مجدا
أصبح العلم وحده صاحب السد
فهو في الحرب نكبة ودمار
وجحيم شواظه يصهر الفو
ذرة تَنسِفُ الدساكر في طر
صعقت عند قصفها (هاروشيما)
تلك آثاره إذا الحرب دارت
وهو في السلم واحة ينعم الإن
راض سلطانه العتيد قوي الكو
وإباحته سرها فسطا بالك
ومضى يستثير ما جنت الأر
فإذا الخصب غامر للصحارى
ذلك العلم في الحياة فمن شا
م وتبنى به فخاراً وخُلدا
ب تحدث أزهى الحضارات مجدا
طان في الحرب والسلام استبدا
يتردى في هوله من تردى
لاذ صهراً ويترك الطود وهذا
فة عين وتحصد الناس حصدا
وتداعت (برلين)^(١) ذعراً ووجدا
برحائها واصلت الكون وقدا
سان في فيئها ويهنأ وردا
ن فدانت وأذعنت إذ تحدى
نزل لم يخش طلسماً أو رصدا
ض ويأتي من العجائب إذا
وإذا عالم جديد تبدى
ء حياة فليعمل للعلم بندا

* * *

(١) في نسخة العجز هو: وتداعت «برلين» تُنهدُّ هذا.

يا شباباً سما إلى المجد عزمًا
إنما المجد في غد في ظلال الـ
فابذلوا في سبيله كل غال
وانهلوا من مناهل الدين والعد
نحن في حاجة إلى الدين والد
فشعار الحياة في عصرنا المسجود
فاستعدوا بما استطعتم من القد
واشكروا للمليك آلاءه الكـ
واذكروا بالثناء فضل ولي العهد
عاش عبد العزيز عاش ولي الـ
وليعش فيصل العظيم ومنصو
ورعى الله شبلي الملك، عبد اللـ
وليديم بالفراه آل سعود

وانبرى ينشد الرُّقِيَّ مُجِدًا
علم والعز في ضفافيه يحدى
لا تبالوا في مطلب العلم جهدا
لم وضموا إلى اليراع الفرندا
نيا لنسمو روحاً وندفع كيدا
ر، كن عالماً وكن مستعدا
وة فالفوز للقيوى أُعدًا
ثر وهيئات أن نوفيه حمدا
كم من يد حباكم وأسدى
عهد للدين والعروبة سعدا
ر^(١) أمير الوغى إذا الخطب جدا
ه والماجد المحب فهذا
ويصون الله الحجاز ونجدا

(١) الأمير منصور (يرحمه الله) كان وزيراً للدفاع آنذاك.

(*) القصيدة العصماء

أهلاً بأعلام الحجيج ومرحباً
وعلى الرحابة والكرامة حلکم
هذا الحجاز تهللت أرجاؤه
ومشى الشباب مردداً أصداً
وهل الشباب سوى عواطف أمة
وهل الشباب من البلاد سوى الفؤا
فإذا لحجاز أناب عنه شبابه
وإذا نشيد فباسمه وإذا نحّ

بسرّاته ووفوده الأبرار
في مهبط التنزيل والأنوار
بوفودكم وافترّ كالنّوار
أمته ووحى شعوره الفوار
وشعور شعب مرهف الأوتار
د، النابض الوئاب بالأوطار
فلأنه رمز الشعور الساري
ي حفلکم فبوحیه الزخار

* * *

والفضل في إيقاظ تلك الروح لك
عبد العزيز عماد نهضتنا مجد

ملك العظیم العاهل المغوار
دّد مجد يعرب في أجلّ إطار

(*) المصدر: جريدة أم القرى، يوم الجمعة ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ - ٥ مارس ١٩٣٧م
وأعدت نشرها «مجلة المنهل» ج ٢، مج ٣٣، صفر - ربيع ١ ١٣٩٢هـ/مارس - أبريل
١٩٧٢م. (من بحر الكامل).

المناسبة: ألقى في الحفل الذي أقامه شبان مكة المكرمة، في منى في موسم حج عام
١٣٥٥هـ، ترحيباً بوفود الأقطار الإسلامية الشقيقة، وتحقيقاً لبعض أسرار الحج، وقد
قوبلت بكثير من الإستحان.

لله طلعة عهده الزاهي لقد
وبحسبه عنوان مجد باهر
ومحافل تزهو بأعلام الحج
يتصافح الشّرقي والغربي فد
أضفت على التاريخ أي فخار
أقطاب هذا الموسم البهّار
يج العاملين لوحدة الأقطار
ي أكناف خير أخوة وجوار

* * *

أعظّم بما في الحج من حكمٍ وما
ناهيك تلك الوحدة الكبرى التي
الكلُّ إخوانٌ وهل في الملة الغد
الكلُّ إخوانٌ ولكن أين من
يا ليت شعري هل دنا فجر الإخ
في الجو بارقة ولكن ومضها
والفوزُ كل الفوز في أن نقتفي
في شرعة الإسلام من أسرار
انتظمت وفود الحج كالأسوار
راء مثل أخوة الإيثار
يرعى حقوق الأخوة الأبرار؟!
ء ولاح حقاً لائح الأسفار
مدق من الأمال والأخطار
هذي الكتاب وسنة المختار

* * *

ومن المشاهد ما يثير الذكرى
هذا الحجاز تأملوا صفحاته
في كل سطر من سطور سجله
ومواقف لم يشهد التاريخ مث
جثمت على تلك الأباطح والهضا
ومضت تقص على العصور حديثها
ثبتت على رغم الحوادث والخطو
ت الحافزات وأبلغ التذكار
سفر الخلود ومعهد الآثار
عبر تفيض بأروع الأسرار
ل جلالها في أمجد الأطوار
ب وأشرق ترنو إلى الأقدار
والقوم في لهو وفي إدار
ب تعيد سيرة مجدها المنهار

وتهبُّ بالهمم الأبِيَّةُ أن تهب لبعث كنز تراثنا المتواري

هذا حراء سائلوه يجيبكم فلعَّله سفرٌ من الأسفارِ
واستلهموه مواقف الوحي التي شعَّ الهدى منها إلى الأقطارِ
وسلوه ماذا قد اقل من البطولة والحجا أكرمُ به من غارِ
أخلق بغار حراء أن يزهي على الأ يوان والأهرام والآثار
كم بين صاحبه وبين بناتها من فارق أربى على الأقدار
شتان بين محرر الإنسان والمس تعبدین سائل الأحرار

الله أكبر ما أجل صحائف السد ففر الحفيل بسيرة المختارِ
ما أروع الذكرى تطيف بنا هنا لمحمد وصحابه الأخيار
في مثل ليلتنا وفي تلك الموا قف من منى وحيال هذي الدارِ
وقف ابن عبد الله يملي عهده ويهيب بالنقباء والأنصارِ
أن ينصروا دينَ الإله ويمنعوا أشياعه من سَطوة الكفارِ
ما كان أعظمه وأنبل موقف الأنصار منه بذلك المضمارِ
لله قالتهم لقد زانوا بها فرق الزمان وهام كل فخارِ
خذ يا رسول الله ما أحببت من عهد وما أحببت من إيثارِ
ولنمنعك بالنفوس وبالنفية س ونفتديك مصارع الأخطارِ

الله أكبر يا له من موقف يوحى إلى الأحفاد خيرَ شعارِ

لله همة أحمد ما كان أعـ
لم يثنِ عزمَ محمد خذلانُ معـ
فمضى إلى الهدفِ العظيمِ بهمةٍ
وكذلك النفس الكبيرة لا تني
لاها وهمة صحبه الأبرارِ
شره وإلب خصومه الأشرارِ
وعزيمة كالصارمِ البتارِ
أو ترتقي أسمى ذرى الأوطارِ

* * *

هذا هو النهجُ الذي قد سنَّه
أفيستضيء المسلمونَ بشعلةٍ
مهلاً سراة المسلمينَ خواطر
ولعلكم أدري بها ولعلكم
ولنعّم ما تسدون للإسلام أن
ولكم من الأجيال ما ترضون من
فينا الرسولُ وذاك خيرُ شعارِ
وهاجةٍ من هذه الأنوارِ؟
جاشتِ بهنَّ جوائشُ التذكارِ
أهدى لما فيها من الأسرارِ
تجلوا مناقبَ هذه الآثارِ
شكرٍ ومن حمدٍ ومن إكبارِ

حنين إلى الوطن الحبيب (*)

هذه القصيدة كنت أتشوق فيها إلى المدينة المنورة وأنا أدرس في مصر متأثراً بقصيدة البحري السينية الشهيرة: «صنت نفسي عما يدنس نفسي»،
... وقصيدة شوقي: اختلاف النهار والليل يُنسي، على أنني لست
أزعم أنني أستطعت أن أرتقي إلى مستوى أي من القصيدتين، وحسبي أن
أقتفي أثرهما في محاولة للتعبير عما جاش في صدري من مشاعر أرجو أن
أكون قد وفقت إلى إبراز صورة مقبولة فيها:

طال عهد النوى وعز التآسي	عن بلاد غرامها ملء نفسي
وربوع فديتها بفؤادي	سمت فيها سوم المنى دون وكس
ورياض كأنها من زهور	وطيور تزف موكب عرس
وكان الورود ثوب عروس	عسجدي منمق بدمقس
وتخال النخيل والشمس تكسو	ه بالألأئها، منارة قس
وترى الظل يَسْتَسِرُّ حديثاً	أذنَ الزهر بين خفت وهمس
ثم يفشي ذاك الحديث هزار	دأبه الشدو حين يضحى ويمسي

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر. (من بحر الخفيف).

وتحي الصبا الغصون فتختا
وإذا ما التفت نحو الروابي
سانحات حول الربى يتصيد
فاتكات بسهم لحظ مراس
لابسات من العفاف ملاء
ل اغتباطاً كمن يحي برأسي
شمت سربا من الظبا غير كُنس
ن قلوب الشباب من غير حس
بجفون في كسرهما النصر يرسي
تحسر الطرف دونهن وتخسى

* * *

يا ربوعاً بالجزع حول قباء
كم لنا فيك ذكريات غوال
مع رفاق عُرِّ سِراة تساموا
نتساقى من البيان رحيقاً
وأفانين في الدعابة من لهو
ولنا في مجالس الشاي ندوا
نحتسي الشاي أخضر يتحلى
جللته سحابة العنبر الزا
في كؤوس تكاد تخفي صفاء
من يدي ماجد أريب نبيل
مع ندامى من كل أروع وضا
والعوالي قُرْيَانَكْنَ بنفسي
لم يشب سورهن قط بخس
لذرى يعرب وسادة فُرس
أدباً تالداً وطُرفة طرس
بريء إلى حلاوة جرس
ت مجون وبعض جد وهلس
في اصفرار كأنه ذوب شمس
كي فأمسى أمنية المتحسي
تُطمح الشاربين فيها بلمس
ملء قلب الجليس بهجة أنس
ح المحيا يصغي له كل حس

* * *

في حمى طيبة المفدّاة جادتها
مهبط الوحي دار أكرم
الغوادي بكل غيث مرس
خلق الله خير الأنام من كل جنس

هي دار الإيمان والسادة الأنصار
وإليها آوى المهاجرة الأبطا
حملوا من ربوعها شعلة الدين
هي داري ولست أسلو هواها
كيف أسلو وذاك شأن بلاد
زادها الله عزة وازدهارا
من خـزرج كـرام وأوس
ل من هاشم ومن عبد شمس
فدكوا عروش روم وفرس
ما حييت وإن أوارى برمسي
في رباها نما وأينع غرسي
وحماها من كل ضر وبأس

أيها العيد (*)

أيها العيدُ كم تثيرُ شجوني
فلكم خلفَ ثوبكِ الفاتنِ الخـ
أيها العيدُ كم تخطيتِ قوماً
لم تزدهم أيامكِ الغرُّ إلا
أبصروا المترفينَ فيكِ وللنعـ
كل رَهْط يفتنُّ في المأكَلِ المـ
لا يبالي ما أنفقته يداهُ
وإذا ما دعاه للبرِ داعٍ
وتورّي من وجدّي الممكنونِ
لابٍ من لوعةٍ وشجو كمينِ
هم من البؤسِ في شقاءِ قطينِ!
حسرةً في تأوّه وأنينِ!
حى عليهم رواء يسر ولين
ذوذ والملبسِ الأنيقِ الثمينِ
في الملاهي من طارفٍ ومصونِ
فهو في المكرماتِ جد ضنينِ

* * *

أيها العيدُ ربُّ طفلٍ يعاني
هاجه ترُّبه بملبسه الزا
فرنا نحوه بطرفٍ كليلٍ
ثم ولّى والحزنُ يَفري حشاهُ
وجثا ضارعاً إليها يناجيـ
فيك من بؤسه عذابَ الهونِ
هي وكم فيه للصبأ من فتونِ
ليس يقوى على احتمالِ الشجونِ
مستغيثاً بعطفِ أمِّ حنونِ
ها بدمعٍ من مقلتيه هتونِ

(*) المصدر: وحي الصحراء - ص ١١٤ ط ١ - ١٣٥٥هـ، ط ٢ - ١٤٠٣هـ. (بحر الخفيف).

ويحها ما عسى تنال يداها
كل ما تستطيعه عبرات
أيها الناس إنما العيشُ ظلُّ
فلكم قوَّضَ الزمانُ صروحاً
ربّ ذي نعمةٍ وجاهٍ عريضِ
وهي خلُوُ الشمالِ صفرُ اليمينِ
من عيونٍ مقرّحاتِ الجفونِ
زائلٌ والحياةُ كالمنجنونِ^(١)
وصروف الزمانِ شتى الفنونِ
أض^(٢) ذا شقوةٍ وهَمِّ حزينِ

* * *

أيها الموسرونَ رفقاً وعطفاً
ربما باتَ جارُكم طاوياً جو
ربما ظلُّ طيلةَ العيدِ يستخ
يتوارى من سوءِ منظره المزُ
أي فضل للعيدِ يستأثرُ المثل
كل دهر المثرين عيدٌ فما أغنى
وحناناً بالبائسِ المحزونِ
عاً ويتم تشكونَ بشمّ البطونِ
في من الصحبِ قابعاً كالسجينِ
ري ومن حاله الكريه المهينِ!
رونَ فيه بالطالع الميمونِ!
تراهم عن عهدهِ المضمنونِ!

* * *

ليت شعري متى يكون لنا عيدٌ
فيشيعُ الهناء في كلِّ نفسٍ
قد لعمرى أنى لنا أن نرى العد
حقيقٌ برمزه المكنونِ
ويؤاسي فؤادَ كلِّ حزينِ
يد مُشاعاً وقرّةً للعيونِ

* * *

(١) المنجنون: العجلة أو الدولاب.

(٢) أض أيضاً: رجع رجوعاً.

بين اليأس والأمل (*)

فإني وجدتُ اليأسَ أشفَى لِمَا بيا!
أصيبُ بها ورداً من العيشِ خاليا!
أفيءُ إلى ظلٍ من المجدِ ضافيا
وأكبرتُ من يلقي الكوارثَ لاهيا
وأحداثها تنثالُ شتى حِياليا
أشيمُ بها برقاً من السُعدِ باديا
وقلتُ علامَ المرءِ يلحي اللياليا؟
إلى أن بدا فجرُ الحقيقةِ ضاحيا
تكاءده المسعى وما زال صاديا
وبشرُ الليالي فحُ من ليس صاحيا
فأدلجتُ في لجج من الغي داجيا
من اليأسِ تجتاحُ الجبالَ الرواسيا
بدنيائِي خيراً حسب ما قد دَهَانيا
وغضُّ الأمانِي حين يرتدُّ ذاويا

أرْحِنِي ببردِ اليأسِ إن كنتُ آسيا
تعلقتُ بالآمالِ دهرأ لعلني
وعللتُ نفسي بالأمانِي رجاء أن
وأنكرتُ بأساء الحياةِ وضرَّها
وأحسنْتُ ظني بالليالي وعهدُها
صمدتُ إليها رابطُ الجأشِ باسمأ
وأرغمتُ لوأمي وخالفتُ ناصحي
وطاوعتُ أحلامي وتابعت طيفها
إذا أنا كالمخدوعِ بالآل^(١) ضلة
وبرقُ الأمانِي خلب يخدع الفتى
تعاهدني حتى أطباني وميضها
وطوَّح بي حتى اصطدمتُ بصدمةِ
فعاهدتُ نفسي لا أراني مؤملا
فما أروعَ المأساةَ إذ تفجأ الفتى

(*) المصدر: وحي الصحراء ص ١١٦ - ط ١ - ١٣٥٥، ط ٢ - ١٤٠٣هـ. (بحر الطويل).

(١) الآل: السراب.

وما أتعسَ المرءَ الذي قد تذبذبْتُ
فلا هو مثلجُجِ الفؤادِ منعمٌ
ولا هو مرتاحٌ إلى اليأسِ مخلدٌ
له الله من ذي حَيْرَة تصدعُ الحشا
فأخلقِ بذي الرأيِ السديدِ وذي الحجى
وأحرِ بهِ ألاً ينيطُ رجاءه
فليستُ أمانى المرءِ إلا غوايةً
فإن شئتَ أن تحيا حياةً قريرةً

به كفتا يأسٍ وأخرى أمانيا!
فيمرحُ في روضٍ من السعدِ زاهيا!
إلى حالة يلقى بها الخطبَ ساجيا!
وتتركه نهبَ الجوى والمآسيا
بأن يحذرَ الآمالَ ثم اللياليا!
بغيرِ مساعيه (إذا كان راجيا)!
وليس الرجاءُ الحقُّ إلا المساعيا!
فلا تغترزُ بعدي بدنياك ثانيا!

* * *

يقظة الشرق (*)

(صدى رحلة في المشرق)

أي صوتٍ هزّ في النفسِ رجاها ودعاها فاستجابت إذ دعاها
وانبرتْ تعدو إلى الغاية وثبا
أنفسٌ قد وطنتْ عزمًا وقلبا
إن تغدُّ السيرَ في الآفاقِ دأبا
لا تبالي ما تلاقي في نواها أتلاقي السعد أم تلقي رداها

* * *

أيُّ صوتٍ ذاك أم أيُّ نداء
دبّ فينا كدبيبِ الكهرباء
فاستهننا كل جهد وعناء
وهجرنا فيه أهلاً ورفاهاً وبلاداً ملء أحشاء هواها
إنه هاتف ذا الشرق العتيد

(*) المصدر: وحي الصحراء ص ١١٧ - ط ١ - ١٣٥٥هـ، ط ٢ - ١٤٠٣هـ. (بحر الرمل).
والقصيدة وصف لرحلة الشاعر مع صاحبيه صالح وعبد الله الخطيب. إلى جزر الهند
الشرقية (جاوه) وتعرف الآن باندونيسيا.

هاتف أسفر عن عهد جديد
ربما أربى على الماضي المجيد
لم لا، والشرق قد عَجَّ انتباها وخطا للغاية الجلى خطاها؟
ما أهَابَ الشرق بي وبصاحبيا^(١)
هاتفاً إلا وأحسنا دويًا
لصداه بين جنبينا قويا
فإذا أنفسنا جُلَّ مناها أن تلبّي صوتَه لَمَّا احتواها
فعزّمتنا وامتطيناها سفينا
تمخرُ اليمَ بنا رفقاً ولينا
وهو كالمهد لها حيناً وحيناً
تارة تبصره طوعَ رجاها فتراها كعروسٍ في سراها
وأحايينَ تراها تتنزى
كتنزي الحوتِ في الإشراك قفزا
وعباب البحرِ من ذلك يهزا؟
فهو لا ينفك مغرى بأذاها كلما مرث على موجِ رماها!
هَبْ عباب اليم أضلى الفلك بأسا
أتراها طأطأت للعجز رأسا؟
أم تُراها نكصت خوفاً ويأسا؟
إنها ما أسلمت قط شباها لا ولا لانت على الغمزِ قناها!
يا لها من صاحب نعم المؤسّي

(١) عبد الله وصالح الخطيب، صاحباها في الرحلة.

فلقد أَلقت علينا خير درسٍ
في طلاب المجد لو يجدي التأسّي
ولكم موعظةٍ أسدى هداها أعجم لم يدر يوماً ما لُغَاها؟
يا ابنَ هذا الشرقِ إن رمّت النجاحا
وثقفتَ العلمَ واعتدتَ الكفاحا
فتعلمْ أنّ للفتوزِ سلاحا
همة شماء لا يدري مداها وجهاداً دائباً في مبتغاهَا
أيها المسلمُ في الشرقِ العريق!
أنتَ للمسلم في الدين شقيق!
لِمَ لا تعتز منه بصديق؟
وحدةٌ قد شيد الدين بناها لِمَ لا نبلغها أسمى ذراها؟
لِمَ يا اخوتنا لم نأتلف؟
لِمَ لا نعمل كِتفاً لكتف؟
أنسينا ماضياً فينا سلف؟
حيث كنا قوة عزّ حماها أحكم الإسلام توثيقَ عراها!!
إننا لم نرقّ في تلك العُصُر؟
ونسُدُ إلا بذا الدين الأغر!!
وبتوحيدِ الجهودِ والوطر!!
هل رأيتم أمةً نالت مناها بسوى الجدِ وتوحيدِ قواها؟!
هكذا تاريخُنا عَلّمنا
أن نسوي أبداً وحدتنا
ونضحى نفتدي عزتنا!

شرعة إن نحنُ أعلينا لواها بلغتْ أوطاننا أوجَ علاها!!
لا أغالي أنا إن كنت البشير!
بالذي نرجوه من شأوٍ خطير
فجهاذُ الشرق بالفوز جدير!
إننا نلمسُ روحاً يتضاهى في شبابِ طبابٍ في الشرقِ جناها!
لم لا والشرقُ مهدُ الحكماءِ؟
لم لا وهو منارُ النبغاءِ؟
أيظل الشرقُ وهو ابن ذكاء؟
ظلمات أطبقَ الجهل عماها؟ سبة تلك، سينجابُ دُجاها!
فلقد لآخ سنا الفجرِ المبين
وتبارتْ عزماتُ العاملين
سدّد الله جهودَ المخلصين
أمة إن يهدِ ذا نفسٍ هُداها يكنِ التوفيقُ صنواً لرجاها

ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة والنشور (*)

أهلاً بقادمة النسو ر طليعة العهد النضير
الرافعين لواء مجد بلادهم فوق الأثير
المنتضين عزائمنا أمضى من السيف الطير
أهلاً بمفخرة الحجا ز ورمز سؤدده الخطير

* * *

إن الحجاز وكل من ضم الحجاز بكم فخور
هو أيكم وعلى ربا ه نما جناحكم الصغير
ولكم حباكم عطفه وحنانه الجم الغزير
وغذاكم بلباناه... وبمائه العذب النمير
وأظلكم بسمائه... وبجوه الصافي المنير
أفلا ترفرف في ذرا ه اليوم أعلام السرور؟
وهو المهاد ومنبت ال أجداد والوطن الوثير

* * *

(*) المصدر: وحي الصحراء ص ١٢١ ط ١ - ١٣٥٥هـ و ط ٢ - ١٤٠٣ هـ. وجريدة أم القرى: في ١٨ محرم ١٣٥٥هـ الموافق: ١٠ إبريل ١٩٣٦م. (مجزوء الكامل).

وطنٌ أقلتُ أرضُهُ
ومشى على جنباته...
وتمخضتُ أعطافهُ
أفلا يحنُّ إلى النهو
خيرَ الخلائقِ والعصور
جبريلُ والروحُ الكبير
عن ذلك الماضي النضير
ضٍ ويستجيبُ إلى البشير؟

* * *

هذا الحجازُ اليومَ في
خرجتُ زُرافاتٍ بنو
يتسابقونَ إلى الحما
يا ليتَ شعري أي جَدُ
ولهذه الأصواتِ تذ
إن لم نعدَّ الطائرا
ونشدُ أزرَ نسورنا..
أرأيتم في الجو طي
أرأيتم أمراً بغْيِ
المالُ أكسيرُ الحيا
والمالُ مثلَ الغيْثِ من
وقليلهن من الكثيرِ
فليسد كل ما يطي
هذا لعمركم الفخا
بالجد تكتسب العُلا
لو أن بالآمالِ والـ

طربِ وذاك صدى الشعور
ه تموجُ في حليلِ السرور
سةٍ والحفاوةِ بالنسور
وىٍ للحفاوةِ والحبور
هبُ في الفضاءِ ولا تحور
ت تبرزُ أسرابَ الطيور
بالمالِ والعضدِ النصير
راً دونَ أجنحةٍ يطير؟
رِ المالِ تمَّ له الصدور؟
ةٍ وعنصرُ الفوزِ الكبير
قطراته تجري البحور
يكافئُ الجم الغفير
ق لرفعةِ الوطنِ الجدير
ر وذاك مضمارُ الفخور
لاً بالأمانِ والغرور
أقوالِ تنقأُ الأمور

لم يلف في الجلي لنا ند ولم يذكر نظير
فلقد ملأنا الوهم آ مالاً تضيقُ بها الصدور
ولقد ملأنا الصحفَ أف والأ تضيقُ بها السطور
ولقد وقفنا والزمنا ن وكل ما فيه يسير
ولقد هجعنا والحياء ة وكل ما فيها يمور

* * *

ولقد بدأنا اليوم نشـ عرُ بالحياة وبالنشور
عجباً أنحنُ سلائل الـ أعرابٍ معجزة العصور
عجباً أنحنُ بنو أسا تذة الحضارات الصدور
أنكون أول مبدعي الطـ يرانٍ آخر من يطير؟
أسفاً وقد يجدي التأس فُ حين يحثث الشعور
ولعلّ في هذا الشعو ر بوارق العهد المنير

* * *

يأيها السربُ المجد قدومه الأمل النضير
حدث بني الشرقِ الطمو ح بما لدى الغربِ الخطير
وأبنُ لنا كيف استبد وا بالبرور وبالبحور
واستعبدوا الجوَّ الطلي ق وذلوا متن الأثير
واذكر أعاجيبَ التقدم م، ثم، والعلم الجسور
واضربْ لنا مثل الفتو ة والشبابِ المستنير
وارفعْ لواء العرب خفّ اقا على هام الدهور

فعليك قد عُقِدَ الرجا ءُ وَأَنْتَ جَدُّ بِهِ جَدِير

وَإِذَا النَّسُورُ تَكُنْ طَلِيحٌ عَةً أُمَّةً وَهَمُّ الصَّدُورِ
بَلَّغُوا ذُرَى الْمَجْدِ الرَّفِيحِ حِ وَحَلَّقُوا بَيْنَ الْبَدُورِ
وَإِذَا النَّسُورُ تَرَسَّمُوا آثَارَ عَاهِلِنَا الْكَبِيرِ
صَقَرِ الْجَزِيرَةَ وَابْنَ ذُرُو ةً مَجْدِهَا وَأَبِي الصَّقُورِ
ضَمَّنُوا لِيَعْرَبَ نَهْضَةً سَتَكُونُ مَفْخَرَةَ الْعَصُورِ

عَاشَ الْمَلِيكُ وَيَعْرَبُ بَقِيَتْ عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ
عَاشَ الْمَلِيكُ وَعَاشَتِ الْ أَشْبَالُ وَلْتَعِشِ النَّسُورِ

حدث زلزل الجزيرة زلزالا(*)

ويك يا موت كيف غلت الهماما
كيف فوّت فيه سهمك يا موت
كيف قوضت ذلك العلم الشامخ
كيف أطفأت ذلك القبس الوهاج
كيف أسكت فجأة ذلك القلب
كيف أصميت فيصل^(١) الصمصاما
وأغمدت في الحسام حساما
قد كان يبهر إلا علاما
والكوكب الذي لا يسامى
وقد كان لا يطيق الحماما

حدث زلزل الجزيرة زلزالا
أض من هوله العراق جميعاً
ريع في ملكه العزيز فأزجى
ورثاه رثاء شعب وفى
رحمة الله للحجاز لقد أثخن فيه
فهو يبدي تجلداً وعزاء
وأذكى عراقها والشأما
مأتماً جازعاً وشجوا ركاما
عبرات الجوى عليه سجاما
ورعى عهده ووفى الذماما
ه الأسى القلوب كلاما
ويواري بين الضلوع ضراما

(*) المناسبة: ألقى في النادي الأولى بسنغافورة بمناسبة الحفلة التي أقامها النادي للفقيد العظيم. (بحر الخفيف).

(١) فيصل الأول ملك العراق.

إن دمعي من دمعه ونشيجي من نشيج أودى به آلاما

* * *

بالهول المصاب كيف نعى الغد
أقضى فيصل أليس عجيباً
أيموت الذي يعلم جيلاً
أيموت الذي يخلف شبلاً
أيموت الذي يخلف شعباً
لم يمت من يكون أعقب ذياك

رب إلى المشرق المليك الهماما
موت من كان للحياة قواما
كيف يحيا وكيف يحمي الذماما
غازي^(١) العاهل الفتى المقداما
يأنف الذل أو يذوق الزؤاما
التراث المخلد المعتاما

* * *

فإلى الخلد أيها الراحل المفدى
نم قريراً فقد قضيت حقوق
نم قريراً فإن شعبك ماضي
نم فقد شدت للعروبة مجدداً

لو يدفع الفداء الحماما
الملك والمجد قد بلغت السناما
في السبيل التي شرعت قواما
سوف يبقى لناهضين إماما

(١) الملك غازي الأول الذي توج بعد اغتيال والده، الملك فيصل .

الوحدة العربية (*)

بدرت بوادر نجمها وتجاوبت
وأهاب داعيها يردد صوتها
يا أيها العرب استجيبوا داعي الو
لبوا العروبة إن داعيها الأبر
فهي السبيل إلى إعادة مجدنا
لا يرتجى للعرب أية نهضة
العرب جسم واحد وحياته
كيف الحياة لكائن متقطع الأو
فتداركو يا قوم صدع كياننا
كيما نجدد مجدنا وفخارنا
إذ ذاك يحمد سعيينا وتمجد الأ
ونورث الأعقاب خير رسالة
فيسجل التاريخ أروع صفحة
هذا لعمركم الفخار فشمروا

أصدائها في أبعد الأنحاء
فدوى دوي الرعد في الأجواء
طن الكريم ومحتد الآباء
دعاكم للوحدة العصماء
وطريق نهضتنا إلى العلياء
إلا بتلك الوحدة العماء
تساند الأجزاء والأعضاء
صال والأعصاب والأحشاء
وتعاهدوه بحكمة وذكاء
ونعيد سالف عهدنا الوضاء
جيل فضل جهودنا الغراء
منًا إلى الأحفاد والأبناء
عنا على صفحاته البيضاء
يا قوم وابتدروا إلى العلياء

جيرة الحرم (*)

يا جيرة الحرم المغبوط جيرته
قلدتموني من تكريمكم مننا
أوليتموني جميلاً سوف أذكره
لم آت أمراً جليلاً استحق به
وما بذلت سوى جهد المقل يداً
فصادف البذر روضاً طيباً فنما
وما بذلت سوى فرض أدين به
أرض الرسالة والهدى الذي غمرت
ومولد المصطفى الهادي الذي سعدت
ولو بذلت له روعي وما ملكت
يا جيرة الحرمين الأقدسين لكم
وليحفظ الله للحرمين عاهلنا

حياكم الله من أهل وخالان
تنم عن خلق بالنبيل ريان
مدى الحياة بإكبار وإحسان
ما نلت من حفاوات وشكران
لموطني ولأبنائي وأخواني
وطاب منه الجنى في ظله الجاني
لموطن حبه صنو لإيماني
أنواره كل ذي لب ووجدان
به البرية من ظلم وطغيان
يदाي لم أوفه ما كان أولاني
حبي وخالص تقديري وعرفاني
سعوداً وليبقه ذخراً لعدنان

(*) المناسبة: ألقى هذه القصيدة في حفل التكريم الذي أقامه موظفو مديرية الأوقاف العامة - التي كان الشاعر مديرها العام - إثر عودته من رحلة استشفائية في مصر وبعض البلدان العربية الأخرى، صيف عام ١٣٨٠هـ، وذلك في ليلة ٢ - ١ / ٦ / ١٣٨١هـ وقد جرت الإشارة إليها، مع بعض أبياتها في ص ١٧ من السيرة الذاتية. (بحر البسيط).

اليوم يومك يا بيان (*)

اليوم يومك يا بيان فرتل
وأعزف على قيثارة النعمى وأح
وتخط أطلال البلاد محاتم الار
فلأنت أجدر يا بيان بمحفل
أمست بنات الشعر فيه عرائساً
تختال في وشى طريف يزدهي
نسجت غلاته قرائح فتية
أخوان صدق أقبلوا يحدوهم
فأتو يحفهم الجلال وأحدقوا
عبد الإله ووافد السعد الذي
ولطالما عصفت بتاريخ النوى
فثبت كالطود الأشم أصددها
وزجرت عادية السلو ترومني
ولكم نقت على النوى وتحفزت

أي الهناء وشعره المترسل
ي لنا ليالي معبد والموصلي
ض الأولى ومغاني المتغزل
أمسي يحلك في المكان الأول
تفتر عن سحر القريض المثل
حسناً على وشى الربيع المبقل
من نسل يعرب ذي الفخار الأمثل
صوت الضمير بوحيه المتنزل
بفتى الندى ورب هذا المحفل
نلنا بمقدمه عزيز المأمل
منى بقلب الواله المتبلبل
ووقفت منها موقف المتجمل
هيهات ما عهد الإخاء بمنسل
نفسى من الوجد الممض القاتل

واليوم اغفر للنوى بقدمه
لله هذا اليوم يجمع شملنا
ولشد ما كانت تتوق نفوسنا
وشهود هذا الحفل يحفل بالمنى
الأخى عبد الله^(١) تلك تحيتي
وودت لو أن القريض مطاوعي
ما أسلفت لي في الزمان الأول
عقد الهناء وعقد أنس أشمل
للقائه وورود هذا المنهل
وتجيش فيه ببشرها المهلل
لم أعد فيها حد قول مجمل
فأجىء بالقول السديد الفيصل

(١) عبد الله: وهو الذي ذكر في البيت العاشر في هذه القصيدة باسم (عبد الإله)، المقصود به (عبد الله الخطيب) صديق الشاعر المحتفى به هنا.

هنيئاً لك العيد السعيد (*)

أمولاي يا مولى العروبة إنني
أمولاي يا عبد العزيز تحية
هنيئاً لك العيد السعيد وأنه
هنيئاً لك الحمد الذي قد ذخرته
هنيئاً لك الفضل الذي عمّ سيبه
تعهد مكدوداً وأنجد لائذاً
فكم كبد حرى رويت أوارها
ويا رب طفل بات لولاك طاويا
مددت إليهم أيديا لاعدمنها
فبات قريراً كل طرف وأثلجت
وفاضت قلوب بالبشاشة والرضـ

محييك باسم العرب يا فخر عهده
يجيش بها قلبي كمكنون وده
ليعرب عيد أنت عنوان سعده
ومجد يروع المجد سابغ برده
وطابت مراعيه ومنهل ورده
وأحيا قلوباً داميات برفده
وكم بائس فرجت كربة وجده
وشيخ كئيب كاد يقضي لجهده
هي البلسم الشافي لنادب جده
صدرور براها الهم برياً بحده
يا وكلهم يولييك خالص وده

* * *

لك اللّٰه يا عبد العزيز مملكاً
غدى عرشه بين القلوب مقره
أناف على الأملاك زاهر عهده
وأمست قلوب العرب من بعض جنده

وأضحى الرياض اليوم مطمح يعرب
سرى ذكره في المشرقين ورجعه
ففي كل قطر آية لفخاره
مكارم يفنى الشعر دون كمالها
وعبد العزيز الملك إكليل فوده
تجاوب في غور البلاد ونجده
وفي كل صقع شاديات بحمده
وفضل يضيق الوصف عن حصر حده

* * *

أعبد العزيز الفذ والعاهل الذي
تهنىء فيك العرب رمز فخارها
فلا زلت حصناً للعروبة شامخاً
ولا برح البيت السعودي معقلاً
أعاد إلى الإسلام سالف مجده
ويهنى بك الإسلام عنوان سعده
ولا زلت للإسلام رافع بنده
ليعرب تستذري بشامخ طوده

مدح وثناء (*)

أمر هذا النوى أباد اصطباري
لوعة في الضلوع حرى
فدعو مهجتي تطير شعاعا
أو أطيلو عهد الوداع لعلني
اجتلي أحقبا من العيش مرّت
أبدعتها يد الأماني فحارت
كم نهار كأنه مهرجان
وليالٍ محجلات قضينا
خطرت خلصة ومرت كما لو
فرعى اللّه ذلك العهد عهداً
أيها السيدان من (آل ريدي)
قد رسمتم بصحبكم خير رق
وأبنتم لكل غر حسود
ها هو الأزهر الأغر كئيب

وتداعى له عماد إقتداري
فأنى يهدأ الوجد أو يقر قرار
ودعوني أسير شجو مثار
أتقضى تعلقة الأوطار
حافلات بأمتع الآثار
في زهاها ثواقب الأفكار
واضح البشر باذخ المقدار
ها على نعم غبطة وإزدهار
لم تكن غير ساعة من نهار
وسقاه بالوابل الممدار
حسبكم ما حيتمو من فخار
في حسان الأخلاق والأطوار
مبلغ الفضل في كريم النجار
لنواكم مصوح الأزهار

(*) المناسبة: في حفل بعض زملاء الأزهر إبان الدراسة فيه. (بحر الخفيف).

ولكم تاه وازدهى يوم جئتم
وقبستم من نوره ما اردتم
فقفا بي على ضفافيه حتى
قسماً إن عهدكم ليس ينفك
فعلى اليمن والسعادة سيرا

وبدوتم في أفقه كالدراري
فطلعتم مطالع الأعمار
تعداني بأوبة وقرار
حديثي ومنتهى تذكار
يا رعى الله منكما التسيار

الروضة الغناء (*)

ليت شعري أيرجى في السنين
يوم جد الصحب للنعمى فلم
وابتدرنا جنة زاهية
روضة المالية الغناء ما
منحتها مصر أصفى بقعة
حبر الوسمي برديها كما
تحسب النيل على حافتها
يتمشى مشية الساقى إذا
وتساقى المرج من سلسله
تترك الروح طروباً ثملاً
والصبا يختال في أرجائها
ذلك الروض الذي ظللنا
وقضينا فيه عهداً قلما
بين بشر وهناء حافل

صنو ذاك اليوم وضاء الجبين
يتوانو وتنادو مصبحين
قد تبدت بهجة للناظرين
مثلها من روضة للنابهين
ربوة ذات قرار ومعين
ككل الزهر أماليد الغصون
علم الثوب الموشي كالأجين
طاف بالصهباء بين الشاربين
خمرة أحسبها من أندرين
يتثنى كتثنى المنتشين
أرجاً من وردها والياسمين
سرحه الفتان بالظل السدين
أنجبت شرواه آلاف السنين
ورفاق نبلاء ماجدين

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر (من بحر الرمل).

في خشوع الناسكين
بفنون اللحن خلاب الرنين
ردد القلب صداه والوتين
فهو بالسكر جدير وثمانين
وتغنى طرباً فوق الغصون
حارة الأبواب فيها (والعيون)
غمر البشر نفوس السامعين
بلسان عربي مستبين
يلبس الحكمة أثواب المجون
كتنزي الليث في وسط العرين
في النهى والخلق والمجد الركين
وعلى اللذات ظلنا عاكفين
وتناشدنا حياة النابغين
آية الشعر وفخر الخالدين
قهوة سائغة للشاربين
حظوة الشرب وأنس المحتفين
لا ولا الندمان عنها ينزفون
ونهار وصحاب طيبين

إيه لو أبصرتنا من جذل
إذ يغنيننا صديق لبق
ساحر النغمة مُهمّما صيدحا
لحنه العذب إذا أسكرنا
كيف والبلبل أصغى ثملاً
إنها معجزة الذوق التي
زفها السعد لنا حتى إذا
قام خل بيننا يخطبنا
فكه التمثيل والقول معاً
يتنزي وهو في خطته
وهو في ذاك وهذا آية
هكذا ظل يعطينا المنى
وتجاذبنا أحاديث العلى
وتساجلنا نشيداً رائعاً
وتساقينا على نخب المنى
قهوة الشاهي الشهى المحتسى
قهوة صبّت فلا غول بها
قهوة طيبة في روضه

تحية النادي (*)

(نادي) الفضيلة رائد الآمال
بوركت من ناد وبورك معشر
ولطالما كنا نتوق لمثل ذا الـ
واليوم قد أذن الإله لشأننا
هذا هو الشأو الرفيع ونهجه
مجد عظيم قوضت أركانه
أم اللغات تبیت لا مأوى لها
أم اللغات لأنت أجدر غاية
أم اللغات لأنت أعظم تالد
أم اللغات وآية الآيات لأ
إنا سنبدل في سبيلك جهدنا
يا معشر الأعضاء خير تحية
شكراً فقد قمتم بواجبكم كما
ها نحن نشرع في طلاب ماجد

نهج الرقي ومعقل الأبطال
دعمو أساسك في أجل مثال
يوم المحجل مذ سنين طوال
فلنا الهناء بخالد الأعمال
همم الرجال وجرأة الرئبال
إذ سامه الأهلون بالإهمال
كطريدة في شعبها والآل
غراء نفديها بأكرم غالي
أبقى الخلود لسالف الأجيال
برّ الأولي لم ينصفوك بحال
ونذود عنك بكل ذات نصال
مشفوعة بمراسم الإجلال
يرجى له من حكمه وكمال
يحدو إلى الإقدام والإقبال

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر (من بحر الكامل).

فتقدموا بعزيمة وتضامن
فالعزم مرقاة النجاح وأسه
أما الثبات فإنه الركن الوحيد
فلنتخذه لنا شعاراً ولنسر
حتى نرى ثمر النجاح مكللاً
فهناك نحمد سيرنا وجهادنا
كيما نواصل سيرنا ونوالى
الإخلاص في الأقوال والأفعال
به ينال الشأو خير منال
سيراً حثيثاً دونما إمهال
أعمالنا إكليل مجد عالي
إن الجهاد مطية الآمال

هوى الحجاز ونجد (*)

وعلى ذكر حنيني إلى الوطن المقدس وإشادتي بالحرمين الأقدسين أود
ألا يفوتني في موقفني هذا أن أردد بعض ما نظمته في شبابي في الإشادة
بنجد وأبنائها الغر الميامين، والتنويه بما لها في القلب من حب مكين،
مكتفياً بالأبيات التالية من إحدى تلك القصائد:

هوى الحجاز ونجد	شغل الحشا والفؤاد
أفديهما من بلاد	بطارفي وتلادى
فهذه منبت الدين	والحجا والسداد
وتلك مهد المعالي	والسادة الأمجاد
هما رضيعي لباني	قربابة ووداد
قد شد من أزر قريبا	هما لسان الضاد
وأوثق الود عهداً	دين الهدى والرشاد
والدين أعظم راع	لألفة واتحاد
فكيف إن أزر الدين	محتد الأجداد

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر (بحر المجث).

وكيف والكل اخوا ن موطنن وببلاد

* * *

تباً لدهر رمانا
في حقبة لا سقاها
كانت علينا وبالاً
وكان للظلم فيها
محكّم في البرايا
والجهل قد كان فيها
له المقام المجلى
بفرقة وتعادي
الغمام صوب العهد
من فتنة وفساد
سيف طويل النجاد
مسألط في العباد
شيخاً رفيع العماد
وسابقات الجياد

* * *

حتى إذا ما أراد
تقلد الملك جلد
عبد العزيز سليل
فقام بالأمر فينا
ولم شملاً شتيتاً
وبث روح التآخي
واستل ما خلفته
ثم انبرى يستحث
وما ونى في اقتباس
فشاد للعلم شتى
الرحمن سعد البلاد
جم الحججا والرشاد
الأشأوس الأنجاد
بحكمة وسداد
قد صدعته العوادي
والحجب والاتحاد
الحروب من أحقاد
الإصلاح في كل وادي
المستحدث المستجاد
معاهد ونوادي

وكم له من بعموث
في الشرق منها وفود
وطالع الغرب منها
وكم جنينا ونجني
والفضل فضل ملك
يسير في الحكم سير
ويجعل الرأي شورى
وأفضل الحكم شورى

للعلم جد صوادي
موفقات الجهاد
طلائع الارتداد
من غرسها خير زاد
موفق للسداد
الخلائف الأمجاد
إلى وجوه البلاد
وفيه خير البلاد

طلعة تملأ النفوس جلالاً (*)

إن ذا اليوم في بهاء وسامه يزدهي البدر في زهُوٍ تمامه
خامر السعد فيه كل فؤاد وسقى المحتفين مترع جامه
وزها معهد العلوم وأذكت نشوة البشر ساجعات حمامه

* * *

طلعة تملأ النفوس جلالاً لأمير يجل وصف مقامه
يكلاً العلم والمعارف بالعط ف ويولى النهوض فضل اهتمامه
وحري أن يشبه الشبل أخلا ق أبيه في همه واعتزامه
وقمين بفيصل^(١) الملك أن ينه ج فيه على غرار حسامه
وجدير بعارف الفضل للعد م احتفاء به ورعي ذمامه
إنما العلم للشعوب حياة وهو روح النهوض سر قوامه
وإذا الشعب شاء للعلم صرحاً بلغ الشعب نيل أقصى مرامه

* * *

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر (بحر الخفيف).

(١) الأمير فيصل وكان نائباً للملك في الحجاز.

أيهذا الأمير بورك مسعا
شكر العلم زورة لك أحيت
فتقت شمسها عقول صغار
وإذا ما تفتح النور فارقب
وسلوني بالنور إني خبير
كنت ارتاد روض زهر نضير
شملتني فيه رعاية ملك
فزكت زهرتي وأينع غرسي
ك إلى معهد النهي ومقامه
نشأة كالربيع غب غمامه
هي كالنور وهو في أكمامه
نضج أثماره وقرب تمامه
فقريباً قضيت عهد فطامه
يبهر العقل حسنه في نظامه
لا يدانيه عاهل في مقامه
مذ رعاني بعطفه واهتمامه

* * *

ذاك عبد العزيز رمز أمانى الـ
ملك شاد للعروبة مجدداً
صانه الله للعروبة ذخراً
ورعى طلعة الأمير المفدى
عرب في عقله وفي إقدامه
هو للمجد درة فوق هامه
وحمامه في ظعنه ومقامه
فيصل الملك شهمه وهمامه

* * *

يا بن عبد العزيز لا زلت للعد
ما تجشمت فيك نظم القوافي
فزها في علاك قولي وقد طا
م نصيراً يشد أزر اعتصامه
لسناء زهت عقود نظامه
ب ابتداء وطاب مسك ختامه

ألقيت بمناسبة زيارة الأمير فصيل بن عبد العزيز (نائب الملك) في
الحجاز، للمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة في ٢٥/٨/١٣٥٠هـ.

شكر وترحيب (*)

مولاي صاحب السمو الملكي . .

ما أسعدنا بهذه التي حظي فيها طلاب المعهدين بتشريف سمو الأمير عبد الله الفيصل المحبوب لحفلهم هذا وتنويجه برئاسته السامية فيا لها من فرصة ثمينة لشد ما أرتقبها الطلاب بقلوب جياشة بالحب والولاء ولطالما منوا بها نفوسهم أعذب الأمانى وأغلاها وها هم أولاء ينعمون اليوم بهذه الطلعة السعيدة وهذا العطف الكريم .

مولاي :

إنه ليشرفني أن أرحب باسم المعهدين بسموكم الكريم وبمن في معية سموكم من سرات الأمة ورجالات البلاد الشقيقة، كما يطيب لي أن أشكر هذه الخطوات الغالية التي خطرتموها في تكريم العلم وتشجيع طلابه وأنها لخطأ موفقه سيكون لها أحسن الأثر إن شاء الله في شحذ عزائم الشباب وحفزهم همهم الوثابة إلى التسابق في مضمار العلم والمعرفة، والتفاني في خدمة الوطن وجلالة الجالس على عرشه المفدى .

(*) ألقاها أحمد العربي مدير مدرسة تحضير البعثات أمام سموه في حفل ندوة المسامرات الأدبية التي تقام بالمعهدين عصر كل خميس . (الآيات : من بحر الخفيف) .

يا صاحب السمو الملكي :

إن في تفضلكم بتلبية دعوتنا المتواضعة وتنازلكم بترأس هذا الحفل الفخور لكم لمكرمة غراء تطوقون به أعناقنا بأعظم المنن وأسمائها، وإن فيها لدليلاً ساطعاً على ما تحملونه سموكم للعلم ورواده من شعور نبيل ورعاية سامية للنهضة العلمية التي غرس بذورها جلاله جدكم العظيم وتعهدها سمو والدكم الكريم بالعطف والرعاية فنما غرسها وزكا واستوي على سوقه فإذا هو يعجب الزراع وإذا هو يبهج المحبين .

مولاي :

إنه لجدير بنا أن نتفاءل كثيراً بهذا القطف السامي وأن نتطلع إلى مستقبل باهر يحقق للبلاد التي انبثق منها نور الهداية والحضارة الصحيحة ما يصبو إليه المخلصون من تقدم ورقي لاثنين بماضي هذا الوطن المجيد وحاضره المتوثب، وما ذلك بعزيز على همم المصلحين وأحفاد العرب الماجدين :

أمة أنجبت محمد والصد
والبهاليل من أمية والعبا
أنجبت أعظم العباقرة الأفذا
ليس بدعاً أن تنجب اليوم جيلاً
في ظلال المليك عبد العزيز الفذ
وبنيه الغر الكرام الميامين
يق وابن الخطاب وابن الوليد
س والقادة الكماة الأسود
ذ من هذه الربي والبيد
ينشئ المجد والعلا كالجدود
رمز النهوض والتجديد
وأشبال فيصل وسعود

سيدي الأمير الجليل :

لقد كنت أود الإفاضة في الإشادة بفضل هذه المنة الكريمة لولا أن

برنامج لجنة المسامرات الحافل يقتضي - الإيجاز وإفساح المجال لغيري
من خطباء الحفل وشعرائه وإني لأرجو أن يكون شفيعي في هذا الإيجاز -
صادق الحب وخالص الولاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد العربي

مكة المكرمة ١٣٦٧/٦/٧هـ

لبيك يا وطني (*)

وطني فديتك أنت كل رجائي
فيك اغتربت وما اكرثت لشقوتي
لم أجف أرضك نابياً عنها ولا
لكن داعيك المطاع أهاب بي
ومضيت اقتبس الثقافة والنهي
حتى إذا أدركت ما أمّلته
بادرت يا وطني إليك ملبياً
لبيك يا وطن العروبة أينما
أنا لا أدين بغير وحدتنا التي
ما الرافدان ومصر واليمن السعيد
وهل الحجاز ونجد إلا أخوة
فعلام يا قوم التخاذل والجفا
الغرب رغم عتاده ورقيه
والهند والصين الشتيت كلاهما

ومناطق آمالي ورمز هنائي
إذ كان برك مطمحي وعزائي
وليت شطر سواك وجه ولائي
واجبته فأجبت أي نداء
ارتاد مرج رياضها الفيحاء
وثقفت خير وسائل العلياء
لبيك يا وطني ومهد رخائي
كانوا وكنت من الفضاء النائي
فيها التئام الشمل والأجزاء
سوى قبيل قرابة وولاء
للشام والبحرين والأحساء
وعلام نستخذي إلى الأهواء
ماض لوحده مضى الماء
يسعى لها بعزيمة وفتاء

ما كان أحرانا بذاك وشعبنا
فتشمروا يا قوم واستبقوا إلى
ضموا الجهود وناضلوا لمنالها
لا تدعنوا للزاعمين بأنها
تكلم دعايات يحيك خيوطها
قد خاب فألهم وفُلاً سلاحهم
وبدت بوادر وحدة عربية
وضع النواة لها وأحسن غرسها
جعل الجزيرة نجدها وحجازها
واليوم عزز صرحها وبناءها
والشام مهد الفكرة الأولى ومن
لا ينثني أبناؤها الأحرار عن
ولدى الفرات جهابذ يفدونها
وعلى ضفاف النيل أي أمجد

أولى الشعوب لوحدة وإخاء
إحراز تلك الغاية الغراء
إن الجهاد سبيل كل رجاء
أشباح آمالٍ وظيف نائي
المرجفون وزمرة الأعداء
إذ لاح فخر الكوكب الوضاء
عمّاء تحي ماضي الأباء
عبد العزيز مجدد العرباء
وعسيرها في ظل خير ولاء
يحي الإمام سلاله الأذواء
رفعت لدعوتها أجل لواء
تحقيق تلك الفكرة القعساء
بجهود أنبل قادة حصفاء
يذكون جذوة روحها الشماء

عَوْدٌ أَعْرَ (*)

عود أعْر ومقدم مشكور
أبقى صداها في بني (التاميز)^(١) ذكرا
مثلث فيها العرب خير ممثل
في مهرجان الملك والتاج الذي
والتاج إن لم يزه بالفرق الذي
ولرب تاج لم تضعه يد ولم
صاغت جواهره القلوب فجاء خلا
ولذاك تاج أبيك سيد يعرب
قد صيغ من حب الشعوب فكان مح
ولانت سرّ أبيك يا فرع المليك
وإذا المليك أحاط نهضة يعرب
فلأنت ساعده الذي ترجو به
ولأنت أحرى أن تضاعف ذلك
ولأنت أحرى أن تضاعف شعلة

وسفارة يزهو بها التوقير
ملؤه الإجلال والتقدير
ورفعت قدر الشرق وهو خطير
بهر الممالك مجده المأثور
يعلوه فهو كربه مغمور
يفتن فيه الفن والتزوير
بأ عليه من الجلالة نور
عبد العزيز العاهل المنصور
ببوب القلوب وإنه لجدير
وأنت رمز رجائنا المذخور
ورعى المعارف عطفه المشكور
تحقيق ما ترجوه وهو خطير
القبس الذي قد شع منه النور
العلم التي تهدي التهي وتنير

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر (بحر الخفيف).

(١) نهر التاميز في لندن.

للعلم فيها الطالع الموفور
ألا وحق لها به التصدير
يجثو أمام جلالها التفكير
يرتد عنها الطرف وهو حسير
ماضيه وهو فخاره المأثور
حيناً وأقفر ربه المهجور
وأسفر صبحه المنظور
يزهى به الإطراء والتقدير
وهمامها وإمامها المنصور
يسمو به السلطان والتدبير
فاتت رجاؤها المذخور
يعرب وعتادها المذكور
وسيادة سلطانها موفور

وسبيل ذلك نهضة علمية
فالعلم ما من أمة نهضت به
والعلم مصدر نهضة الغرب التي
والعلم مصدر قوة الغرب التي
والشرق لم ينهض بغير العلم في
ولئن توارت شمسه عن أفقنا
فلقد تبلج فجره بسمائنا طلقاً
والفضل فضل أبيك عاهلنا الذي
عبد العزيز عميد يعرب كلها
لا زال محروس الجناب موفقاً
ولنبق ذخراً للعروبة يا (أبا فهد)^(١)
وليبق آل سعود الأمجاد معقل
في ظل ملك وارث ورفاهة

(١) أبا فهد: الملك سعود بن عبد العزيز . . كان ولياً للعهد.

وطن العروبة (*)

وطن شجا بنداؤه
أرض سقا السلف المجد
فإذا فلسطين العزيزة
أفلا نلبي صوتها؟
عجب وما أنكى عجائ
زعموا بأن بني يهود
صهيون أو شاب الشعو
سحقاً لبلفور^(١) وما قد
ولسوف تفسد يعرب
وطن العروبة وحدة
هيئات أن نرضى انقسام
وليسوف نفدي مجده
حتى يُظَلَّ العرب
وطن دعا فأجابيه

اللّه في شهدائه
يد ترابها بدمائه
رمز سر علائه
ونداؤها كنداؤه
ب عصرنا وبلائه
أحق من أبناؤه
ب أيهنئون بمائه
جَرَّ من بلوائه
ما كان من حوبائه
لا فرق في أجزاءه
تراثه وسنائه
ونذود عن أرجائه
من أرضه لسمائيه
الأحرار من أبناؤه

(*) المصدر: مخطوطة بقلم الشاعر (بحر مجزوء الكامل).

(١) بلفور: وزير خارجية بريطانيا ذي الوعد المشؤوم.

وتحفظوا وتواثبوا
وسقوه حر دمائمهم
وتحفظوا كالأسد في
هذا زئيرهم يدوي
دوى زئيرهم دوي
هيئات أن يُغضوا على
وتسابقوا لفدائه
وتسابقوا لفدائه
آجامها لفدائه
ملء جو سمائه
الرععد في أجوائه
إذلاله وشقائه

أخلاق الكرام (*)

بنفسي عادة ربا الفطام
تروح غزلة وتلوح بدرأ
عقرت لها فؤادي يوم زارت
وجُدْتُ لها غداة وفت بنفسي
جُعِلْتُ لها الفداء وإن تناست
عجبت لها تراع لخفق قلبي
وعهدي في لواظها فتور
وأعلم في مراشفها حياتي
عذرتك لست أول ذات غدر
وحسبي من زماني خير صدق
صديقي السيد المفضل (عثما
فتى عشق المكارم وهو طفل
ولما أن ترعرع في المعالي
فلباها بعز لا يباري

مهفهفة المعاطف والقوام
بدا وهلاله أفق اللثام
فألقته على وضم الضرام
تحل من العلا أعلا السنام
عهود الود أو جحدت غرامي
فكيف اليوم تجراً لاقتحام
فكيف أصبن قلبي بالسهام؟
فكيف اليوم توردي حمامي
وما أنذا بأول مستهام
عريق المجد محترم المقام
ن حافظ^(١) خلّتي راعي ذمامي
فشبت فيه أخلاق الكرام
أتت لحماء ملقية الزمام
وقام بريّها أوفى قيام

(*) قصيدة في رفيق الدرب، وصديق العمر السيد عثمان حافظ . (بحر الوافر).

(١) السيد عثمان حافظ .

تقلد كاتب العرفان وهو
ألا قل للمعارف^(١) إن تكن قد
لقد سعدت بكاتبها مليكاً
صبا نحو المعارف فاصطفته
أخا ودي ليهنك منصب قد
فهزّ لنا يراعك إن فيه
وزفّ لنا بنانك إن فيه
ودم وازق العلا صراحاً فصراحاً

المبرز في الكتابة والنظام
(أصيبت) في سميدعها^(٢) الامام
للبيان ورب دولته الهمام
لأول كاتب رب العظام
زها بك فازدهى بأجل هام
علاج النشئ من داء طغام
شفاء النفس من شر السقام
يقارنك السعود على الدوام

(١) كان السيد عثمان حافظ معتمداً للمعارف بالمدينة المنورة منذ عام ١٣٦٢هـ ثم نقل عام ١٣٦٥
مفتشاً لوزارة في الشمال، ومديراً لإدارة الحج بالمدينة. لذلك يعتبر الشاعر أن مديرية المعارف
قد فقدته، رغم أن نقله هذا ترقيه إلى منصب أكبر.

(٢) السמידع: بفتح السين والميم: السيد الكريم الشريف السّخي الموطأ الأكناف والشجاع.
(القاموس المحيط).

النثر

مقدمة ديوان عبد الحق النقشبندي

بقلم: أحمد العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه .

أما بعد، فقد تفضل الصديق الكريم الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحق النقشبندي، بإهدائي مجموعة شعره التي اعتزم إصدارها كديوان لما نظمه من الشعر في مناسبات شتى . كما تفضل بانتدائي لتقديم هذا الديوان . وإنه ليسعدني أن أقدم إلى القراء الكرام هذه الإضمامة الشذية من الشعر الوجداني الرقيق، وإن كنت أجد بعض الحرج فيما لو أردت أن أفي هذا الصديق الوفي النبيل ما هو أهل له من الثناء والإطراء، وأن أشيد بمواهبه الأدبية بما تستحقه من الإشادة والتنويه . ولعلّ ما يتمتع به أديبنا المربي الكبير من مكانة مرموقة بين أدبائنا ومثقفينا وبين رجال التربية والتعليم، يغنيني عن التنويه بفضله والإشادة بعلمه وأدبه . وحسبي أن أشير إلى بعض جهوده في حقول التربية والثقيف، وبعض آثاره في مجالات الأدب والبيان، المتمثلة فيما يلي :

١ - في جهوده المثمرة في معاهد التربية والتعليم، التي اغتذى

بثمارها عشرات المئات من الدارسين والمتخرجين على يديه من أبناء المدينة المنورة ومثقفیها، الذين أسهموا إسهاماً بارزاً في الحركة العلمية والأدبية.

٢ - ما نشرته له بعض الصحف والمجلات من مقالات ممتعة عن جولاته ورحلاته في البلاد العربية.

٣ - مشاركته في بعض الندوات والمجالس الأدبية التي كانت تلتئم في مواسم الحج وغيرها من المناسبات الأدبية، مشاركة بارزة بما يلقيه فيها من القصائد الغراء والخطب البليغة.

٤ - صلاته الأخوية بكثير من أدبائنا ومبادلته لهم الرسائل والمطارحات الأدبية.

وقد يكون من المستحسن أن أنوه هنا ببعض سمات شخصية أدينا الكبير، وما يتحلى به من دماثة في الخلق ونبل في الشمائل. ولعلَّ أجدر تلك الخلائق بالتنويه. ذلك الوفاء المثل الذي جذب له القلوب، وشدها إليه بأوثق وشائج الود والولاء، وجعل منه صديقاً محبوباً إلى كل من اتصل به أوهبت عليه نسمة من سمات خلقه الرضي. ولقد كان إلى جانب وفائه النبيل ميالاً إلى التسامح بأوسع معانيه. فلم يتنكر لأحد إخوانه، ولم يجف صديقاً من أصدقائه مهما كان خلق ذلك الصديق. بل كان يقابل تجنّي بعض من يتجنى عليه من الصحاب بالعفو والصفح الجميل، وإذا كان خلق التسامح قد جاء منسجماً مع وفائه ومكماً له، فإن ما جبل عليه أو بان من دماثة الخلق حب إليه التواضع ولين الجانب مما ضاعف من استمالة القلوب له وانعطافها إليه. وإذا كانت صراحة أدينا مع إخوانه وأصدقائه مما قد لا يحتمل البعض فإن المنصف لا يسعه إلا

أن يكبر فيه هذه الخلة متى أدرك الهدف السامي الذي يهدف إليه من تمحيص مودته لإخوانه من كل شائبة تشوبها ليظل جوهرها نقياً مصوناً من كل ما يعكر صفاءه .

وإذا كان لا بدّ لي وأنا أقدم هذا الديوان من كلمة أعبر فيها عن رأيي في شعر أدينا الملمهم، فإنني أستطيع أن أجمل رأيي فيما يلي :

إن السمة المميزة لما تضمنه هذا الديوان من شعر وجداني رائع، هي الرقة والعدوبة وصدق العاطفة وحسن البيان، بالإضافة إلى الروح الإسلامية العربية التي تنبض بها قصائده، التي تناولت من أغراض الشعر الأهداف القومية والوطنية إلى جانب المدائح والمراثي والغزل البريء . على أنني أفضل أن أترك للقارئ الكريم أن يجلي بنفسه روائع هذا الديوان ليستمتع بما فيها من معانٍ سامية وخيال بديع .

وأخيراً يطيب لي أن أقابل تفضل الصديق الكريم بإهدائي هذه الطاقة العبقة من شعره، وتلك التحية العاطرة التي حياني بها عند عودتي إلى الوطن الحبيب من الخارج، والتي ضمنها هذا الديوان - يطيب لي أن أقابل تلك التحية الزكية وتلك القصائد الرائعة النابضة بالوفاء وصدق العاطفة - بالقصيدة التالية أملاً أن تكون معبرة عما ينطوي عليه القلب من مشاعر الود والوفاء نحو هذا الصديق الكريم، وما يعتلج بين الجوانح من ذكريات خالدة لتلك العهود الغالية مشيداً في الوقت نفسه ببعض شمائل الصديق ومواهبه وبما يضم هذا الديوان من شعر رائع بديع :

تحية للصديق عبد الحق النقشبندي ولديوان شعره، قالها السيد أحمد العربي حينما طلب منه صديقه عبد الحق النقشبندي التقديم لديوانه :

هذه طاقة شعور فاقت الورد النديا

تفعم النفس عبيراً
قد حبانيتها صديق
ذو يراع ينفث السحر
يرسل الحكمة نثراً
شاعر قد هام بالآ
وتحلى بالخلال
لم يزل منذ عرفناه
يحفظ العهد ويرعى
قد حبانني وده المـ
لست أنسى زمناً
في حمى طيبة، في عيش
نتبارى في رياض
نتهادى طرف الآدا
يا أبا العز^(١) لك الشكر
أنت ما زلت إلى الأفـ
دممت لـلآداب والأ

ينعش القلب الشجيا
كان بالود حفيا
ر بياناً عبقريا
ويصوغ الشعر حيا
داب مذ كان صبيا
الغر كهلاً وفتيا
فتى خلاً وفتياً
الود دفاقاً سخيا
حض قريباً وقصيا
قربنا حلواً رضيا
مضى سمحاً هنيا
العلم نجنيه زكيا
ب والشعر السريا
آن أزجيه سننيا
ضال سباقا حفيّا
خلاق نبراساً وضيّا

(* المصدر: أوراق عبد الحق النقشبندي ١٣٩٩/٧/٢٣ هـ.

(١) الابن الأكبر للشيخ عبد الحق النقشبندي - اللواء م عبد العزيز.

مذكرات عن الملك عبد العزيز (*)

(. .) وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء. . . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين). . .
في الساعة الثالثة^(١) من مساء يوم ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ تشرفت وزميلي بمقابلة صاحب الجلالة في قصره بالرياض وكان في مجلس سمره جالساً على أريكة من الخشب عليها مقعدة، ووسائد كبار، وحوله بضع أرائك، أو دكك خشبية مفروشة فرشاً بسيطاً، وقد بسطت بين هذه المقاعد بضع حصر فكان مجلساً ساذجاً بعيداً من تكلف وزخرف، وبعد السلام على جلالته أخذنا مقاعدنا بين يديه، ولم يكن في المجلس سوى الشيخ يوسف ياسين كاتم سر جلالته ومستشاره الخاص، فأقبل علينا، أطال الله بقائه، بلطفه المعهود يسألنا عن أحوالنا، ويذكر لنا في لطف وبشاشة بساطة الرياض وخلوها من المغريات وأسباب المدنية، وعدم تمتعها بسوى الهواء اللطيف والماء. فكانت مقابلة ملأت نفوسنا أنساً وسروراً، تلا ذلك

(*) المصدر: مخطوطة بخد يده عندما كان مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض. لم تنشر.
إن هذه المذكرات الخاصة في كراس خاص لم تنشر ولم تكن معدة للنشر. لعدم اكتمالها وظلت مفتوحة. يتم نشرها للذكرى.

المقصود بنشر الجميع: نشر القصائد الخمسة المنوه عنها في المقال.

(١) التوقيت الغروبي "أي بعد صلاة العشاء بساعة".

نزولنا في القصر ثم افتتاح المدرسة وزيارة جلالته لها في يوم افتتاحها، وقبل ذلك دعانا واستشارنا في طريقة تكوين المدرسة وخصوصاً بشأن الأطفال الصغار الذين لا يزالون مبتدئين عند المطوع: في القصر أيضاً قائلاً بمنتهى البساطة إنني رجل بدوي لا أعرف شيئاً من هذه الأنظمة فتذاكروا أنتم ويوسف وخالد (أبو الوليد القرقي).

وفي الأربعاء ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤هـ افتتحنا مدرسة الأمراء بالرياض وقد حضر في اليوم الأول جلالة الملك حفظه الله وحضّ الأمراء على الجِد والاجتهاد وأوصانا بتعليمهم الشيء المفيد وعدم إضاعة وقتهم فيما لا يفيد كالمحاوراة بين السيف والقلم ونحو ذلك، وفي يوم الثلاثاء ٢٣ منه بلغه تهاون بعض الأمراء في الحضور فجاء إلى المدرسة وعلامات الغضب بادية على وجهه ووبخ الأمراء والكبار منهم بصورة أخص وهددهم بسحب السيارات منهم وطرد أتباعهم وحبسهم وأخطرنا إذا لم نخبره كل يوم بحضورهم وغيابهم وكل أسبوع يسيرهم في الدروس.

١ - وصف مجالس جلالته كيف يقضي جلالته يومه في القصر بالرياض.

يجلس جلالته ضحوة كل يوم إما في المختصر أو في المربعة الكبيرة إذا كان لديه بعض الوفود، ثم ينتقل فيجلس أيضاً في ديوان الشعبة السياسية ينظر فيما يعرض من شؤون الدولة، وتعرض عليه البرقيات التي لا تكاد تنقطع ويستمر في مجلسه هذا، إلى قبيل الظهر بنحو ساعة ثم يدخل إلى الجناح الخاص به ليتناول الغداء ويستريح قليلاً وقد يضطجع قليلاً ولا يأتي عليه العصر إلا وهو متطهر متطيب وإذا أذن حضر إلى مقصورة الصلاة المطلة على مسجد القصر وصلى جماعة ثم يخرج إلى

المختصر، ويجلس ساعة تقريباً ثم يخرج بسياراته يتجول قليلاً خارج البلاد، وفي زمن الصيف يقضي هذا الوقت من قرب الظهر إلى المغرب في البديعة وهي ضاحية تبعد عن الرياض نحو ثلث ساعة بالسيارة، ويجلس عقب صلاة المغرب في جناحه الخاص يجتمع ببعض أهله وأطفاله يداعبهم ويؤانسهم ثم يأخذ في الاستعداد لصلاة العشاء وعقب الساعة الثانية^(١) عربي يصلي العشاء ثم يخرج إلى السطح في الصيف وأحد المقصورات في الشتاء لقراءة الدرس. يقرأه بين يديه عبد الرحمن القويز، إمّا تفسير ابن كثير أو البداية والنهاية أو غير ذلك من الكتب. برهة يسيرة ثم يغادر ذلك المجلس إلى مجلس سمره فيدخل عليه بعض الخاصة ويفيض جلالته في الحديث، ويعدل بين جلسائه فيه، وينصت ويقبل على من يكلمه وعندما يريد جلالته القهوة يطلبها وفي آخر المجلس يدعي لسفرة من الفواكه متنوعة وقد تستبدل في زمن الشتاء بالحليب وهو يدعوه تسالي.

ويشتمل مجلس جلالته على سماع أخبار الراديو الذي يلتقطها، أما الشيخ يوسف يسن أو رشدي أفندي ملحس وهو الغالب ما دام في الرياض يأخذ عنها مذكرات ثم يقرؤها على جلالته، وتعرض عليه البرقيات التي ترد أيضاً يعرضها رئيس ديوان البرقيات وإذا كانت هناك معاملات تعرض أيضاً على جلالته في بعض المجالس ويبيدي فيها رأيه، كثيراً ما يشير بأخذ رأي الجهات المختصة والتحرر واختيار الأشخاص المحايدين الذين لا مصلحة لهم في أحد الطرفين، وقد سمعناه ليلة ينفي ظلم بعض العمال ويتأكد منه ويقول الناس لا يعرفون ويقولون هذا عمل ابن السعود

(١) بالتوقيت الغروبي.

ويتظلمون منا. وبين الساعة الرابعة والخامسة يدخل جلالته إلى حرمه ويمكث إلى قرب الساعة السادسة ثم ينام نحو ساعتين، وبعد ذلك يستيقظ ويتطهر ويصلي ويقرأ القرآن إلى الفجر حيث يخرج ويصلي في مصلاه ثم يرجع ويبقى إلى قرب طلوع الشمس أو إلى الضحى ثم يصفر أي ينام وقت صفرة الشمس زهاء ساعة، ثم ينهض ويلبس ويتناول فطوراً خفيفاً ثم يخرج إلى المختصر كالعادة - والعشاء يكون عقب جلسة المختصر وجلالته يراعي هذا النظام بدقة ولا يخلفه.

في ليلة أول رمضان أرسل لنا جلالته أحد رجال خاصته (ابن مسلم) يسألنا عما قد نحتاج إليه بمناسبة رمضان فشكرنا عطف جلالته ودعونا له بطول العمر، ثم وما أن غربت شمس تلك الليلة حتى أرسل إلينا كسوة خاصة تتكون من بشت شمال وزيون جوخ (وعقب الأخير)^(١) تشرفنا بحضوره مجلس سموه وبينما نحن نستمع إلى أحاديثه الشيقة دخل أحد الحجاب يستأذن لطارىء من الأحسا تحمل رسالة لجلالته فأذن له بالدخول وبعد أن سلم قدم صرة نقود لجلالته فلفت نظره إلى أنه مخطيء وإن هذه النقود لسعود ولي العهد وكان جالساً فذهب الرسول بالنقود لسمو الأمير سعود ثم عاد جلالته فطلبها وشرع بفضها فقام له الشيخ يوسف وقال الخدمة فرده ومضى في حلها فأسفرت عن مائتي ريال ٢٠٠ فابتسم جلالته وقال أتفعل كما كان يفعل بعض الخلفاء وكان يظهر على جلالته شيء من الخجل لكون النقود لم تكن دنانير على خلاف ما تعود، وسائل الحاضرين أيهجمون عليها؟ إذا بذرها فأجابه البعض بنعم فأخذ ينثرها في المجلس وطفق الكل يلتقط ويجمع من سمو الأمير سعود ويوسف يسن والسيد

(١) يقصد: "بعقب الأخير" عقب صلاة العشاء.

حمزه غوث إلى الكاتب وبعض الفراشين وهو يضحك ويتهلل كأنك معطيه الذي أنت آخذه.

٢ - مجلس ليلة ١٤ رمضان :

وفي ليلة ١٤ رمضان تفضل جلالته فأرسل إلينا مع فخري أفندي شيخ الأرض يعرض علينا الحضور في مجلسه (عقب الأخير) من كل يوم دون تكليف علينا في ذلك. فحضرنا في هذه الليلة وبعد أن سمع جلالته الأخبار العالمية من الأستاذ رشدي وأخذ يتحدث قليلاً في الشؤون الإسلامية ثم تشعب الحديث وجر إلى الحديث عن الإسلام والمسلمين فصرح جلالته بأنه إنما يدين بعقيدة السلف مع احترامه للمذاهب الأربعة والأخذ بما يعتضد بالدليل من كل مذهب وأنكر الإجتهد وبريء من تكفير من يدعي الإسلام كما برئ من الحكم بإسلام من يدعي الإسلام وبفعل ما يخالفه مثل أكثر المسلمين، وانتقد أحوال بعض الحجاج مثل الجاوين الذين يعتمرون ويفطرون في رمضان. وأنكر التعصب لمذهب من المذاهب والطرق.

واستطرد في آخر المجلس

في ١٧ رمضان حضرنا مجلسه وإذ دار الحديث حول السياسة فذكر دهاء الإنكليز وتحريكهم للسياسة وطيش الفرنسيين وسياسة مصر وعدم تقدمها خطوة تذكر لطلب الإنجليز تبعاً للمقتضيات ثم ذكر أنه رأى قبل الحرب العظمى رؤيا وهي أنه رأى ملك الإنجليز يرتدي عباء برقاء أي ملونة فاستدل بها على تغير نيه الإنجليز وقلبهم ظهر المجن للعرب ثم ذكر كلمة سياسة التفاهم والتساهل عند الإنجليز وروي الحادثة الآتية التي وقعت له مع كلايتن فقال كنا نتفاوض مع كلايتن فقال لي إن تسامح

حكومتي وتساهلها الشديد هو الذي أغراكم فأجابه جلالته صدقت فقد أعطوني نصف إيرلنده أليس كذلك ثم قال له هذه بلاد آبائي وأجدادي وأنتم تريدون أن تمنوا عليّ بها.

ثم انتقد جلالته

وقال لا أعظم من يجد الملك من صنعه القدرة على الاضطلاع بأعباء الحكم ويكون لديه حكومة قوية تستطيع أن تدير البلاد إدارة حازمة تريح الملك من العناء، واستقبح الاستبداد وقال حبذا الملك الذي يكون فيه حكومات قوية تريح الملك وتساعد بالمشورة وتحفظ مصالح البلاد.

في ليلة ٢٣ رمضان: تحدث جلالته عن سياسة الإنجليز والطلليان ووازن بينهما وأعرب عن بعض مزايا السياسة الإنجليزية وحكمتها وجشع الطليان ومقته لهم وصرح بأنه يمقت الطليان بالرغم من أنه لا توجد دولة غربية تتقرب إلى حكومته وتخطب ودها مثل الطليان ورجح السياسة الإنجليزية بالرغم من تصريحه بأن الإنجليز هم أقوى أعداء العرب وأنه لا يكاد يمضي يوم دون أن تكون له معهم مشكلة وقضايا. وجر الحديث إلى ذكر السياسة العربية فأبدى أشد أسفه لتفرق العرب واختلاف قلوبهم وتهافتهم على المناصب وتراميمهم في أحضان المستعمر، واستشهد على ذلك بما وقع له شخصياً من إمارات الخليج فصرح بأنه تنازع والإنجليز بشأن هذه الإمارات وتمسك بأنها بلاده وبلاد أجداده وأنها حق من حقوقه فاقتراح عليه الإنجليز حلاً وهو استفتاء هذه البلاد في اختيار الانضمام إلى جلالته أو إلى الإنجليز. فلم يسع جلالته إلا قبول هذا الاقتراح لعدالته المنطقية فلم يلبث المفاوضات الإنجليزية أن أحضر له عرائض موقعة من أصحاب الشأن في البلاد يطلبون فيها الإنجليز فدهش جلالته لذلك وأسف

أشد الأسف وقد تعرض جلالته في هذا المجلس لبعض رجال السياسة والزعماء الشرقيين وذكر أن من أنبل هؤلاء الزعماء المرحوم سعد باشا زغلول إلا أنه خطأه في تقلد الحكم والوزارة وعد أن ذلك كان سبباً في سقوطه وفضل لو أن سعداً بقي خارج الحكم يقود البلاد ويناضل عنها.

ليلة ٢٥ منه، دار أكثر حديث جلالته حول العادات النجدية والمرأة النجدية واحتشامها وقلة جراتها على الرجل وإقلالها من الاجتماع به ومجالسته.

وروى في هذا المجلس.....

وذكر أن أجمل النجديات أهل عنيزه وتعرض في هذا المجلس لاكتفائه بالقليل من الأكل والنوم بحيث لا يزيد مجموع منامه بالليل والنهار على نحو أربع ساعات ولا يحب جلالته الخلط في الأكل وأفضل المآكل عنده الرز واللحم النظيف وهو أكثر ما يحب اللحم ويأكل إذا كان في البر ولذلك يفضل البر ويمقت جلالته كثيراً الدهن والسمن الكثير والحلويات ولا سيما أصناف العجين منها كالبقلاوة ونحوها.

ومن أمثلة لطف جلالته:

تناولنا العشاء ليلة ٢٤ رمضان في منزل سمو الأمير سعود في معية جلالته وكان ممن حضر هذه الوليمة سمو الأمير محمد الكبير أخوة جلالته فلما هم بالانصراف عقب الأكل أقبل عليه جلالته يبادله القبلات بوجه متهلل طافح بالبشر وثرغ باسم.

بعض الأمثلة الدالة على خلق جلالته الملك العظيم:

مثال من ديمقراطيته ومقته للأرستقراطية، دخل عليه في إحدى الليالي بعض الخدم القائمين مقام الحجاب يستأذنون لبعض موظفي مالية الرياض

الذين حضروا للسلام عليه فوبخهم على ذلك أشد التوبيخ وقال لهم متى أمرتكم بأن تمنعوا الناس من السلام عليّ .

مثل من يقظته: حدث في أول ليلة من ليالي رمضان سنة ١٣٥٤هـ أن الباحث الموكل بالمصباح الغازية والمكلف بأن ينزل أحد المصباحين المرفوعين بأعلى قصر الرياض علامة الإمساك عن الطعام أن تقدم عن الموعد الذي حدده له جلاله الملك دقيقتين فحبسه جلاله الملك في المصمك سحابة يومه ولم يخرجه إلا قبيل الغروب ثم نبه عليه ألا ينزل بعد ذلك اليوم السراج إلا بعد أن يراجعه بالهاتف ليعرف الموعد بالضبط .

(*) الشعر في الحجاز اليوم

لشد ما يأسف أبناء الجزيرة العربية حينما يجدون من بعض إخوانهم المصريين جهلاً فاضحاً بأحوال بلادهم العربية وغفلة مزرية عما تجيش به تلك البلاد من عوامل اليقظة والنهوض والتقدم، حتى إذا تحدث أحدهم عن شأن من شؤون البلاد العربية أطلق لخياله العنان وحلّق في جو حافل بالأخيلة والأوهام وأنزع من تهاويل تلك الأشباح صورة مشوهة ممسوخة ثم قدمها في زهور وإعجاب على أنها الحقيقة الناصعة قد تمخض عنها البحث وأنجبها التتبع والاستقراء.

أقول هذه الكلمة المرة بمناسبة ما نشرته جريدة كوكب الشرق الغراء في عددها المؤرخ (٢٨ رمضان سنة ١٣٥٣ - ١٣٥٤هـ يناير سنة ١٩٣٥م) تحت عنوان الشعر في الحجاز اليوم لصاحب التوقيع المرموز له بحرف (ص) ونحن الشعوب العربية نشكر لكوكب الشرق الأغر عنايته بتتبع سير النهضة الفكرية والأدبية في البلدان العربية وإذاعة ما تصل إليه من المعلومات عنها؛ تنشيطاً لها وتوكيداً للروابط التي بين هذه الأقطار الشقيقة، غير أننا كنا نود لمثل هذه الصحيفة السيارة ذات المكانة الممتازة بين الشعوب الناطقة بالضاد إن تفسح صحائفها لمثل هذا الخلط

والتهويز ولكن قد كان ما كان فلنعرض للمقال المذكور بما يجلو الحقيقة وبين نصيبه من الصحة أو البطلان.

يقول كاتب المقال المذكور: «لقد أتيت لنا تتبع بعض شعر الحجاز في العصر الحاضر، بل شعر الجزيرة العربية (كذا) فوجدناه غريباً يتعبك أن تعرف أي نوع هو من أنواع الأداء.. أهو نثر أم شعر أم شيء يبتعد عن النثر والشعر ثم قد نرتاب فنتساءل عن اللغة التي يقال بها هذا الشعر ونحن نستثني من هذا المحيط شعر المديح في مكة الذي يوجه للبيت المال وأقول في مكة وحدها وتأمل هذا التخصيص ومقابلة مكة ببادية نجد كأن ليس في الحجاز غير مدينة (مكة) لأن بادية نجد، وجميع بوادي الجزيرة تقول هذا الكلام الغريب الذي قدمت لك جهلى بطبيعته».

أكتفي بهذا القدر من كلامه ثم أقول إنه استشهد بعد ذلك بشواهد من شعر بدوي مختل الوزن سقيم المعنى ركيك العبارة أخذه من كتاب (قلب الجزيرة العربية للأستاذ فؤاد بك حمزه والأستاذ فؤاد حمزة بك إنما ذكر ذلك على أنه أمثلة لشعر البادية لا على أنه الشعر الحجازي وهبه ذكره على أنه شعر الحواضر الحجازية فهل كان يليق بجناب الباحث الفاضل الذي أتيت له تتبع بعض شعر الحجاز بل شعر الجزيرة العربية أن يحكم على جميع الشعر الحجازي بأنه من هذا النوع السخيف الفاسد اعتماداً على مقالة في كتاب، ثم لا يتورع من أن يدخل في عموم هذا الحكم جميع الجزيرة العربية.

لست أحاول أن أدافع في هذا المقام عن مكانة الشعر في الأقطار العربية جميعها فذلك يحتاج إلى سفر خاص ووقت طويل، وإنما بحسبي أن أقدم في هذه العجالة السريعة صورة موجزة أشد الإيجاز للشعر في

الحجاز اليوم جلاء للحقيقة وتنويراً للأذهان. وفيما يلي قصيدة للشاعر الحجازي صاحب التوقيع المستعار (ابن رشيق) نشرها تحت عنوان (السياسة) وهي هذه القصيدة:

قيل عنها بأنها بنت أفعى حية في سباسب الأرض تسعى

ويلى ذلك قصيدة الشاعر العبقري حسن عواد، وعنوانها (القمر يتكلم)، وأصلها لتوماس هاردي علي طريقة حوار بين الشاعر والقمر عربيها نثراً عن الإنكليزية، الأستاذ العقاد ونظمها شاعرنا في القصيدة الآتية:

أيا بدر طال عليك الشباب فماذا رأيت ألا من جواب؟

وبعد هذه قصيدة لبعض أدباء المدينة المكنى عن اسمه (أبي الطيب)^(١) وعنوانها: (أيها العيد) ومطلعها:

أيها العيد كم تثير شجوني

وبعد ذلك قصيدتان الأولى (موشح) بعنوان (مساء في روض) للأديب الكبير الأستاذ (عبد الوهاب آشي) والثانية بعنوان نثارات للأديب صاحب التوقيع الرمزي (م. س. ع)^(٢) أرجو نشر الجميع^(٣) ليطلع عليه القراء الكرام ليبدو حكمهم فيه أهو شعر سائغ جميل أم كلام لا يدرى أشعر هو أم نثر.

ولولا ضيق الوقت والمقام لأوردت عشرات الأمثلة من الشعر الذي إن لم يفق هذا فإنه لا يقل عنه جودة وجمالاً.

(١) (أبو الطيب): هو هنا ماكنى به الشاعر أحمد العربي نفسه.

(٢) (م. س. ع): هو الأستاذ محمد سعيد العافودي.

(٣) هنا طلب الكاتب نشر جميع النماذج التي أشار إليها في مقاله.

محاضرة أقيمت في النادي الأدبي بسنغافورة (*)

حضرات الضيوف الكرام ، حضرات السادة . .

إنها لليلة سعيدة غراء ليلة تفضلتم فيها بتشريف هذه الحفلة الزاهية بكم الفخورة بتكريمكم . وإنها لفرصة ثمينة غالية - فرصة أتاحت لهذه الدار المتواضعة أن تضم حفلاً من خيرة رجالات العرب وقادتهم وزعمائهم - أداء لواجب الحفاوة والتكريم لهؤلاء الضيوف الأماجد وتوثيقاً لأواصر المحبة والإخاء بين أولئك السادة وإخواننا العرب الطوامح العصاميّين ونخبة من سراة هذا الوطن المقدس ووجهائه ونبهائه . ولا شك أنه مما يسر كل عربي معتر بعروبته - ما أبداه إخواننا الحضرميون في هجرتهم إلى جزائر الهند الشرقية من صفات الرجولة الممتازة والكفاح في سبيل الحياة الرافهة مما جعلهم بحق يكونون هناك جالية من أكبر الجاليات وأقواها عنصراً وأعزها جناباً.

ولست أود الآن أن أثير الأسف على الصدع الذي كان أصاب صفوف العرب في ذلك المهجر البار فقد أوشك أن يندمل جرحه وأن تطوى شقته بفضل مساعي الزعماء الموفقين . وإذ أردت أن أطري جهود المخلصين من

قادة العرب الإرشاديين هناك العاملين على إماتة الفوارق والأحقاد، الدائبين على الأخذ بأسباب التفاهم والتقارب وجمع الكلمة بأسلوب حكيم فإني أذكر في طليعة من عرفتهم السيد سعيد مشعبي وصحبه المصطفين الأخيار. وإذا كانت الفرص لم تسنح لي أثناء وجودي في جاوة للاجتماع بهذا الزعيم الكبير السيد عثمان العامودي رئيس جمعية الإرشاد في سرابايا وعميدها الجليل فإن فضله ومقامه في العروبة والنبالة أشهر من أن أعرض له في هذا الموقف بالثناء والإطراء.

ولعله يلذ لكم أيها السادة أن أتحدث إليكم ببعض ما لمستته من نبل نوايا السيد سعيد مشعبي ورفقائه الأبرار لتتبينوا الروح العالية التي أشربها قلب هذا الرجل الكبير والخطة الحكيمة التي دبرها مع أولئك السادة الكرام لقد دعانا هذا السيد عندما كنا في جاوه أنا ورفيقي السيد عبد الله الخطيب والسيد صالح الخطيب لتأسيس مدرسة الإرشاد تأسيساً، جديداً نعم تأسيساً جديداً برغم أن مدرسة الإرشاد كانت أقدم عهداً من نزوحنا إلى جاوه. ووجه ذلك أن هذا السيد حينما دعانا إلى تأسيس تلك المدرسة أفضى إلينا بأسفه الشديد على ما منيت به أمته العزيزة من تفرق وتخاذل وتناحر، وأعرب لنا عن استيائه الأليم من تغلغل روح الشقاق والعداء في كل شيء وإفسادها كل شأن من شؤون العرب هناك حتى تعليم الأطفال الأبرياء، وأفضى إلينا بهذه الحقيقة في كثير من الأسى والأسف ثم نوه لنا بغايته الشريفة من دعوتنا ألا وهي تأسيس مدرسة الإرشاد الكبرى تأسيساً علمياً حراً يفتح أمام أبناء العرب باباً للتعليم الصحيح الخالص من كل شائبة وينشئ أبناء العرب هنالك نشأة عربية كريمة أساسها المحبة والتعاون والاتحاد واجتثاث جذور الحزازات والأحقاد.

ولما كان هذا التطور الجديد في مناهج التربية والتعليم الإرشادية يحتاج إلى كثير من الحكمة والحزم والإقدام فقد وقف السيد مشعبي موقف القائد البصير الجريء وأخذ يناضل ويجادل المخالفين والمتعنتين وظل يجاهد بها والقادة المخلصين في سبيل إقامة صرح مستقبل الإرشاد أو العرب المهاجرين بتعبير أصح على أساس من التربية والتعليم قويم، ولقد كان في جهاده هذا مثلاً أعلى في التضحية بالمال والوقت والراحة ولم يقتصر هذا السيد على ذلك المجهود الإصلاحى الجليل بل لقد ضرب للعرب مثلاً آخر في تطلب التعليم الراقى والثقافة العالية بأبنائه الذين عنى بتعليمهم تعليماً راقياً وله اليوم أربعة أبناء يتممون تعليمهم العالى في أكبر جامعات أوروبا في إنجلترا أو المانيا وهولندا. وعمّا قليل إن شاء الله يعودون إلى أمتهم أعلاماً يهتدى بهم في شتى النواحي الحية والميادين النافعة.

ولقد نهج السيد عثمان العامودي نحواً من هذا المنهج فأوفد أبناءه للارتشاف من مناهل التعليم الراقى في مصر والحجاز ولا شك أنها بادرة طيبة تبشر المتفائلين بمستقبل مشرق للعرب إن شاء الله. وأخيراً قد أطلت عليكم فاسمحو لي أن أقدم لحضراتكم أجمل الشكر وأطيب الثناء على تشريفكم الحفل ثم على تفضلكم بسماع هذه الكلمة على علائها.

أخلاقنا وعاداتنا في ميزان النقد (*)

(١)

ما أحسب أن بيتاً من الشعر كتب له من الذبوع والخلود ما كتب لبيت شوقي الخالد:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فكم عالم وأديب ومصلح وحكيم بلغ بهم الإعجاب بهذا البيت أن يتمثلوا به في كثير من المواقف والمناسبات وأن يرددوه في شتى المحافل والمنتديات. فأى سلطان نافذ هذا الذي جمع عقول الحكماء وقلوب الأدباء على استحسان هذا البيت والافتتان به! إنها الحكمة الخالدة والحقيقة الرائعة. إنها الدعامة التي تركز عليها السعادة الإنسانية إنها الكلمة التي ضمنت سر الحياة الفاضلة وخطت دستور العظمة والخلود. وإذا كنا ممن يؤمن بهذه الحقيقة الناصعة ويوقن بما فيها من كلمة صادقة أفينبغي لنا أن نستخذي لسلطان العادات الفاسدة والتقاليد البالية، وأن ندع حمى الأخلاق

(*) المصدر: جريدة المدينة المنورة يوم الخميس ٨ ربيع الثاني ١٣٥٦هـ - ١٧ يونيو ١٩٣٧م. هذه المقالات نشرت بتوقيع ناقد.

تعبث به الشهوات والأهواء فنتدلى من حيث نشعر أولاً نشعر إلى قرارة الهاوية وبؤرة الشقاء.

ولئن بذل عقلاء الأمم ومصالحوهم قصارى جهودهم وكفاحهم في صيانة صرح الأخلاق والذود عن سياجه فإن قوماً ورثوا وطن نبي الأخلاق القائل صلوات الله وسلامه عليه «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وأن أمة استوطنت مهد أولئك الأسلاف الأماجد الأولى قد بهروا العالم أجمع بقوة إيمانهم وسمو هممهم وأرواحهم، ثم استطاعوا أن يكسبوا إلى جانب غلبهم وسلطانهم ولاء الأمم والشعوب المغلوبة وإعجابهم واحترامهم بفضل ما امتازوا به من نبل الأخلاق وصفاء العادات حتى أصبح الخلق العربي والسجيا العربية مضرب المثل في الكرم والشرف والروعة والصفاء مما جعل الكثير من قادة الفكر وعلماء الاجتماع يعززون انتصار العرب المدهش وانتشار دينهم ولغتهم بتلك السرعة النادرة إلى الخلق العربي القويم والعادات العربية اللامعة.

ولشد ما يتملك الناقد الأسف والدهش حينما يحاول الموازنة بين أخلاقنا وعاداتنا وأخلاق وعادات سلفنا الصالح وأجدادنا الأولين، للبون الشاسع والهوة السحيقة التي تفضل ما بين أخلاقنا وأخلاقهم وعاداتنا وعاداتهم فأين تلك الأخلاق الفاضلة المتينة من أخلاقنا الواهية المتذبذبة بين الفضيلة والرذيلة وأين هاتيك العادات ذات الطابع العربي الإسلامي الناصع من هذه العادات المشوهة التي تمثل من مجتمعنا صورة ممسوخة تجمع من أشتات العادات وحثالات التقاليد ما يجعله كالثوب الخلق المتردم الذي يضم من مختلف الألوان والأصناف ما يمججه الذوق وتآباه الفطر السليمة.

إن في هذه الموازنة أولاً ثم في تضافر الجهود على تطهير أصول عاداتنا وتنقيتها من هذه الأوضار والأوشاب أنجع وسيلة لعلاج مجتمعنا وأكبر ضمان لبناء نهضتنا الفتية على أساس ثابت مكين يتفق وقداسة بلادنا وعظمة أسلافنا ومجادة ماضيها. ذلك ما حدا بي وحفزني إلى خوض عباب هذا الموضوع على ما فيه من حرج ودقة فإن وفقت فذاك وإلا فقد حاولت أداء بعض ما أنا مدين به من النصح والإرشاد لأمتي وبلادتي (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

مكة: «يتلى - ناقد»^(١)

(١) هناك مقالات أخرى نشرها أحمد العربي تحت توقيع «ناقد» في جريدة المدينة. كما نشر له بتوقيع (ن) أيضاً.

أخلاقنا وعاداتنا في ميزان النقد (*)

(٢)

قيمة الوقت عندنا وعندهم

كثيراً ما تطالعنا الصحف والمجلات بصور عظماء الغربيين وساستهم وقوادهم وهم يتريضون على صهوات جيادهم أو يتسلقون غوارب الجبال أو يشقون بقواربهم عباب الماء أو ينزلقون على متون الثلوج أو يزاولون إحدى الألعاب الرياضية الأخرى أو يعملون في حقولهم ومزارعهم وملء وجوههم البشر وملء إهابهم القوة والنشاط وما أكثر ما نجد الصحف طافحة بصور وأخبار المباريات والمسابقات في مختلف الألعاب وشتى الرياضات وليس كل ذلك سوى أنموذج مصغر لما طبع عليه الغربيون من حيوية ونشاط في جميع أحوالهم. ولقد كنا نحن العرب أجدر وأحق بذلك بحكم طبيعة بلادنا وسعة أرجائها وكثرة جبالها وشهرة جيادها واعتزازها بماضيها المجيد وما أنجبته صحاريها من الأبطال والفرسان والرماة

(*) المصدر: جريدة المدينة المنورة - في يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ الموافق

والعدائين وغيرهم من الأفاذا الذين لا يشق لهم غبار في مضممار السبق والرهان. ولكن والأسف يملأ القلوب قد أضعنا الكثير من ذلك وأصبحنا ننظر إلى مظاهر القوة والنشاط في (الغرب نظرة المبهوت) المشدوه فالتنقد إذا بالغببيين لنسترجع منهم ما أخذوه عنا ولنوازن بين أحوالنا وأحوالهم علّ ذلك يكون حافزاً لنا وباعثاً لهممنا ونشاطنا.

يحرص الغرييون على الاستمتاع بأوقات فراغهم حرصهم على الانتفاع بأوقات أعمالهم فتراهم يمنحونها من زمنهم وعنايتهم ما لا يقل عما يمنحونه أوقات العمل وساعات الكفاح، فكما تجدهم في أوقات العمل دائبين فيه منكبين عليه، تجدهم في أوقات فراغهم منصرفين إلى اللعب والمرح بملء النشاط والابتهاج فلا العمل يطغى على وقت الراحة والاستجمام ولا المرح والاستجمام يطغيان على وقت الجد والعمل. ثم هم حين يلهون ويمرحون تتمثل في لهوهم ومرحهم تفوق الحياة وتدفق النشاط لا كما نلهو نحن ونمرح فتراهم يصرفون جانباً كبيراً من أوقات فراغهم في الألعاب والأعمال الرياضية على نحو ما أشرت إليه في صدر هذا المقال.

أما نحن فكما أننا مقصرون في العمل متوانون فيه كذلك تجدنا في لهونا ومرحنا، نقضي أوقات فراغنا غالباً في مجالس فاترة تبعث على الملل والسامة وتخري بالكسل والتثائب ولعلي لا أبالغ إذا قلت أن أمتع لهو في نظر الكثير منا هي لعبة (الجوكر) وشركاه والويل لمن لم يعرف أحدث ما ابتكره اللاعبين في الميدان إذا استنبذه الجماعة وسيتركونه ملقى في زاوية من المجلس كالشيء المهمل أو المنسي مهما كانت منزلته منهم ومهما كانت حظه لديهم. والآن لنحاسب أنفسنا أي فائدة نفسية أو عقلية

أو خلقية أو جسمية نجنيها من هذه الألعاب؟ إن الذي أظنه وأكاد أعتقده أن هذه الألعاب لم يبتكرها إلا العجزة والمقعدون وكأني بمجالسنا وقد أصبحت ملاجئ للعجزة ومطارح للمقعدين. آسف أي آسف. لقد كان أحرى بنا وأجدي علينا أن ننظم أوقات فراغنا ونقسمها بين الرياضة والتنزه ومطالعة المطبوعات الشائقة المفيدة وتبادل المسامرات الأدبية الممتعة مما يعود علينا بالفائدة والنشاط ونمو الجسم والعقل ورفع مستوى الفكر والمجتمع. عفواً أيها السادة لعلّ قارئاً فطناً يعترض على هذا الرأي بقوله: وهل نظمنا نحن أوقات عملنا حتى تدعونا إلى تنظيم أوقات فراغنا وعذرى إلى القارىء الكريم أني لما وجدت أوقات الفراغ عندنا تكاد تلتهم كل أوقاتنا رأيت أن ابدأ بالمطالعة بتنظيمها وأنا أوأمّل أن يستدرجنا ذلك إلى تنظيم أوقات العمل أيضاً لأن الخير كل الخير إنما هو في القصد والاعتدال وما أجمل قول الشاعر الأريب.

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والخلاعة جانب

ويا حبذا لو نغير الأندية الرياضية والأدبية حظاً وافراً من عنايتنا واهتمامنا. وإنه ليسرني أن أشيد بجهود إدارة المعارف العامة وعملها على نشر الروح الرياضية الفنية في الحجاز كما يسرني أن أثنى على جماعة المحاضرات والحفل الأدبي راجياً أن يكون ذلك نواة لأسس الأندية والمجتمعات التي نريدها، ولا بد لي من عودة إلى هاتين النقطتين في فرصة قريبة إن شاء الله.

كلمة المعهد (*)

مولاي صاحب السمو الملكي :

إنكم لتتوجون يا مولاي بهذه الزيارة الكريمة هامة المعهد العلمي السعودي بإكليل باهر من الغار وتعقدون له بهذا التفضل لواء الشرف والفخار وتقلدون أعناق أبنائه المخلصين منة جليلة تمدهم بقبس من شعاع الأمل الوهاج وتزكي بين جوانحهم جذوة الطموح والحماسة والنشاط وتنطق عواطفهم قبل ألسنتهم بجميل الشكر وصادق الولاء . وإني يا مولاي بنيابتي عن المعهد أستاذة وطلاباً أقوم بالترحيب بسموكم الكريم والتعبير عما انطوت عليه قلوب المعهدين من حفاوة وحبور تتحدث عنهما هذه الوجوه المسفرة وتفصح عنهما تلك الأسارير المتهللة أبلغ إفصاح ابتهاجاً بالزائر العظيم وامتناناً بهذا اليوم الأغر .

يوم تمناه الزمان وطالما مدت إليه رؤوسها الأعصار

(*) المناسبة: الخطبة النفيسة التي ألقاها الأستاذ السيد أحمد العربي مدير المعهد العلمي السعودي بين يدي سمو الأمير فيصل المعظم وكان سموه نائب الملك في الحجاز آنذاك في احتفال المعهد.

المصدر: أم القرى العدد - ٨٧٣ - ١١/١١/١٣٥٨هـ، الموافق ١٩٣٩/١٢/٢٢ السنة السادسة عشر.

مولاي :

إنه لمن دواعي الغبطة والإفتخار أن يخطو المعهد في هذا العام بفضل ما أضفاه عليه حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من المنن الجسام وما شملتومه به من عطف ورعاية كريمتين، خطوة فسيحة في سبيل بلوغ الغاية السامية التي أنشئ من أجلها وأشيد لتحقيقها إلا هي خدمة الدين الحنيف واللغة العربية ونشرت تراث المعارف الإسلامية لا في هذه البلاد فحسب بل فيها وفي غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى مما جعل هذا المعهد مطمح أنظار طلاب العلم الوافدين على هذه البلاد من شتى الأقطار الإسلامية هذه الخطوة يا مولاي كانت وستظل ذات أثر بعيد في نهوض المعهد وتقدم نتائجه ذلك إن تفضلكم على المعهد بهذا الصرح الرفيع الذرى الفسيح الأرجاء قد أتاح للمعهدين فرصة ثمينة للتقدم وحباهم ميداناً فسيحاً لمضاعفة الجهود وزيادة الإنتاج كما مكن إدارة المعارف العامة من أن تختار للمعهد نخبة من الأساتذة القديرين فكان من أثر ذلك أن تقدمت الدراسة وارتقت أساليبها في المعهد بقسميه الابتدائي والثانوي .

وسرعان ما امتد تيار ذلك النشاط يحمل إلى نفوس أساتذة المعهد وطلابه روح المنافسة والمباراة المحمودة ثم لم يلبث هذا التيار المتدفق إن لمس نواحي الإنتاج الأخرى فازدهرت بين طلاب المعهد وتلاميذه بعض أوجه النشاط الاجتماعي والتعاون المتمثلة في مكتبة التلميذ وصندوق التعاون الاقتصادي وفرق الرياضة والعمل والخطابة على نحو يبشر بعهد جديد ومستقبل مجيد إن شاء الله .

مولاي :

إذا صح لنا أن نقيس عمر المؤسسات العلمية بإعمار الآدميين أمكننا

أن نقول: إن الأربعة عشر عاماً التي قضاهها المعهد في خدمة العلوم والمعارف في هذه البلاد وتزويدها بطائفة صالححة من الشبان المثقف العامل.

هذه الفترة - قد كانت بمثابة مرحلة الطفولة من حياته الطويلة بعون الله. فهو الآن يستقبل مرحلة جديدة من مراحل حياته الحافلة بالعمل والنشاط هي مرحلة الاضطلاع برسائله العالية الجديرة بما أنيط به من رجاء واسع وأمان غوال.

هذه المرحلة الجديدة التي يستسهلها المعهد بزيارتكم الكريمة يستقبلها أساتذته وطلابه بحماسة وأمل كبيرين.

إنما هي أثر مهم من آثار عطفكم وتشجيعكم وإن المعهد يستمد من ذلك العطف وهذا التشجيع قوة ومضاء فيضمنان له بإذن الله تعالى النهوض بالتعليم العالي إلى المستوى اللائق في بلاده.

شع من بطحائها نور الهدى فاهتدى الناس به دنيا ودين ومشت ألوية الحق إلى دول الأرض بأيدي الفاتحين

وفق الله العاملين وأدام بكم إعلاء منار العلم والدين وحفظ عاهل العرب الأكبر وأنجاله له الغر الميامين.

عروة بن الزبير (*)

ليس غريباً أن يقترح عليّ الأستاذ الصديق صاحب مجلة «المنهل» الغراء أن أكتب لعدد المنهل الممتاز مقالاً عن عروة بن الزبير، فهو شخصية من تلك الشخصيات الإسلامية الجديرة بالدرس والتحليل، الخليقة بأن تكون قدوة لشبابنا في الرجولة والفضيلة، ومثالاً يحتذونه في العلم والأدب، ولكن الغريب في نظري تقييد الكتابة في هذا الموضوع بأربع صفحات من صحائف المنهل المعتاد. على أن للأستاذ الأنصاري عذره في هذا التحديد بالنسبة لهذا الجزء من المنهل، فهو يريد أن يجعل منه تحفة لقرائه تضم ألواناً زاهية من المعرفة الخالصة والأدب الرفيع، وطُرفاً رائعة من تراث السلف وسير أبطالنا النابهين من دون أن يمل قراءه أو يثقل عليهم بالدراسات الطويلة والأبحاث المستفيضة؛ وهأنذا نزولاً على رغبته وإرادته أقدم للقراء الكرام صورة مجملة بقدر ما يسمح به المقام لهذه الشخصية الجليلة:

ينتمي عروة إلى الزبير بن العوام حواري الرسول صلوات الله عليه، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وأخواه عبد الله

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ١١ - ١٢، مج ٦، ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٦٥هـ - أكتوبر

ومصعب الزبيريان البطلان الشهيران، فهو إذاً سليل أسرة عريقة في المجد والعبقرية، فلا بدع إذا تجلت فيه خلال من تلك المجادة والألمعية، ولا غرابة في أن يصبح صاحب هذا النسب وتلك البيئة علماً من أعلام المعرفة ومثلاً من أمثلة الشرف والسؤدد وسيداً من سادات التابعين، وأحد فقهاء المدينة المعدودين، ممن كان يرجع إليهم أصحاب رسول الله ﷺ ويسألونهم. وحسبه فضلاً على العلم وتراثه أن يكون من الذين وضعوا اللبنة الأولى في تدوين العلوم الإسلامية، فقد قال عنه الواقدي: «كان فقيهاً عالمًا حافظاً ثبتاً حجة عالمًا بالسير، وهو أول من صنف في المغازي»؛ وقال ابنه هشام: «أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»؛ وقد كان إلى جانب علمه ذلك من أروى الناس للشعر وقد رويت له مقطوعات من الشعر الرقيق سنذكر بعضها في سياقها من هذا الحديث.

ومن أبرز الأحداث في سيرة عروة مصيبتة بقطع رجله وفقد ولده وتلقيه ذلك بصبر ورباطة جأش ينذر مثلهما، ما جعل اسم عروة علماً من أعلام الشجاعة والرجولة الحق، ومثلاً عالياً في الصبر والإذعان للقضاء؛ فلقد حدثنا كتب التاريخ أن عروة بن الزبير خرج من المدينة إلى دمشق ليجتمع بالوليد بن عبد الملك ف وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة فذهب في وجهه ولم يثنه ذلك عن عزمه، فما وصل إلى دمشق إلا وقد أكلت نصف ساقه، فلما دخل علي الوليد جمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها أكلت رجله كلها وربما رقت إلى جسده فأكلته، فطابت نفس عروة بقطعها فقالوا له: ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب

عقلك فلا تحس بألم النشر؟ فقال: لا، والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإنني لا أحس بذلك ولا أشعر به، فنشروا رجله وهو قائم يصلي فما تضور ولا اختلج، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله. فقال: اللهم لك الحمد كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد ابتليت فطالما عافيت. وكان عروة قد صحب معه في سفره هذا بعض أولاده من جملةهم ابنه محمد وكان أحبهم إليه، فدخل إسطنبول الوليد ففرسته فرس فمات فاتوه فعزوه فيه، فقال: الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة، فلئن كنت قد ابتلت فلطالما عافيت، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت. وقدم في تلك السنة قوم من بني عيس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه، فقال: يا أمير المؤمنين: بت ليلة في بطن واد ولا أعلم عسيماً يزيد ماله على مالي، فطرفنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال غير بغير وصبي مولود. وكان البعير صعباً فنذ (شرد) فوضعت الصبي واتبعت البعير فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأسه في فم الذئب وهو يأكله فلحقت البعير لأحبسه فنفحني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر. فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء، فكان له فيه عزاء أي عزاء. وكان من أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال له: «والله ما بك حاجة إلى المشي ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله تعالى وقد أبقى الله لنا منا ما كنا إليه فقراء وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به؛ والله ولي ثوابك والضمين بحسابك». فلما

قضى عروة حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، فما سمعه أحد ذكر رجله ولا ولده، حتى إذا دخل وادي القرى وبلغ المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال: "لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً" فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه في ولده ورجله، فبلغه أن بعض الناس قال: إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه، فأنشد عروة أبيات معن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قاذني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
ولست بماش ما حييت لمنكر من الأمر ما يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي
وأعلم أنني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

هذه صورة مصغرة لبعض نواحي حياة عروة، وهي على صغرها تعطينا صورة رائعة لكبر النفس وقوة الإرادة وجلال اليقين، وهناك نواح أخرى من حياته تتجلى فيها البشاشة ونضرة النعيم وتفيض بألوان من خلال النبل والمكارم نود أن لا نحرم القراء الإلمام بها، فلقد أتيح لعروة حظ من الثراء والنعمة غير يسير وكان ميالاً لإظهار هذه النعمة، محباً للعمارة والزراعة ينفق فيهما بسخاء وطيب نفس، ولم يكن كمعظم أثرياء هذا الزمان يضمن على الفقراء والمحتاجين، بل كان من المحسنين الذين في أموالهم حقّ للسائل والمحروم، والأمثلة على ذلك كثر في حياته نكتفي بذكر مثالين منها فإنهما على إيجازهما يدلان أبغ دلالة على ما تحلت به هذه النفس الكبيرة من كرم وأريحية تهتز لهما النفوس الكريمة نشوة وطرباً ويستثيران في القلوب النبيلة أسمى عواطف البر والإحسان. أما المثال

الأول، فقد روت كتب الأدب والتاريخ أن عروة هذا كان يثلم حائطه (بستانه) في أيام الرطب فيدخل الناس فيأكلون ويحتلمون دون أن يجشمهم ذل الطلب والاستئذان أو يجرعهم غصص الصد والحرمان وحسبك بهذا كرماً وأريحية. وأما المثال الآخر، فقد كان لعروة قصر في العقيق أنفق عليه من حرّ ماله ما يضمن بمثله الموسرون حتى فاق غيره من القصور فخامة وبهاء وأصبح مرموقاً بعين الغبطة والإعجاب حتى من الخلفاء والأمراء، فإذا عروة يتصدق بهذا القصر المنيف وبما كان له من أرض وآبار على المسلمين فيضرب بذلك المثل الأعلى للمثريين في السخاء والأريحية، فما أحوج المسلمين في حاضرهم إلى أمثال عروة من أجواد السلف ليساعدوا على مطالب الإصلاح ويساهموا في إقامة صروح العزة القومية لأمتهم ووطنهم.

وعلى ذكر قصر عروة، يحسن بنا أن نعرج قليلاً على بعض ما سجله الشعر في وصف هذا القصر وما اتصل به من آبار، ولنبدأ بقول عروة نفسه فهو أحق الناس بوصفه وقديماً قيل: صاحب الدار أدرى بالذي فيها. قال عروة:

بنيناه فأحسننا بناه بحمد الله في خير العقيق
تراهم ينظرون إليه شزراً يلوح لهم على وضح الطريق
فساء الكاشحين وكان غيظاً لأعدائي وسر به صديق
يراه كل مرتفق وسارٍ ومعتمر إلى البيت العتيق

وفيه يقول بعض الشعراء:

حبذا القصر ذو الظلال وذو البئر ببطن العقيق ذات السقاة

ماء مزن لم يبع عروة فيها غير تقوى الإله في المفضعات
بمكان من العقيق أنيس بارد الظل طيب الغدوات

أما بئر عروة، فقد سارت بذكرها الركبان وضربت بعذوبة مائها
الأمثال، قال الزبير بن بكار: رأيت الخارج من المدينة إلى مكة وغيرها
ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة، وإذا قدموا
منها بماء يقدمون به على أهلهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم، قال:
ورأيت أبي يأمر به فيغلى (أي يعقم كما تقضي به قواعد الصحة) ثم يجعل
في القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون في الرقة. وفي بئر عروة
يقول السري بن عبد الرحمن الأنصاري.

كفنونني إن مت في درع أروى واستقوا لي من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة في الصيف ف سراج في الليلة الظلماء

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن عروة وآثاره خوفاً من الإطالة
والخروج على شرط الأربع الصفحات. ولعلّه من المناسب أن نختم هذا
المقال بكلمة عن تاريخ ولادة عروة ووفاته وكلمة أخرى عن حبه للعلم
وطموحه إليه منذ صباه. اختلف في السنة التي ولد فيها عروة والسنة التي
توفي فيها، وقد رجح ابن كثير في تاريخه أنه ولد في سنة ثلاث وعشرين
وتوفي سنة أربع وتسعين (من الهجرة). وكانت وفاته في قرية قرب المدينة
يقال لها «فُرْع» ذات نخيل ومياه.

وقد روى ابن خلكان عن العتبي: أن المسجد الحرام جمع بين عبد
الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وأخويه مصعب وعروة المذكور أيام

تآلفهم بعهد معاوية ابن أبي سفيان. فقال بعضهم هلم فلنتمنه: فقال عبد الله بن الزبير أمنيته، أني أملك الحرمين وأنال الخلافة، وقال مصعب: أمنيته أن أملك العراقيين وأجمع بين عقيلتي قريش، سكينه بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وقال عبد الملك بن مروان: أمنيته أن أملك الأرض كلها وأخلف معاوية، فقال عروة: لست في شيء مما أنتم فيه، أمنيته الزهد في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يروى عنه هذا العلم. قال: فصرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى ما أمله. وكان عبد الملك لذلك يقول: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة ابن الزبير.

وهكذا سمت بعروة همته إلى العلم فكان علماً من أعلامه وسمت همم زملائه إلى الملك والسيادة فبلغوا من ذلك الغاية. ورحم الله المتنبي إذ يقول:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

من علمائنا الأعلام (*)

(يُعنى سعادة مدير المعارف العام فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن مانع ببث المعرفة الرشيدة كلما تتسنى له ذلك جرياً على السنة الحميدة التي اختطها فضيلته لإنهاض المعارف العامة في هذا العهد الزاهر. وهذه المحاضرة القيمة من علمائنا الإعلام التي ألقاها الأستاذ السيد أحمد العربي بالمعهد العلمي السعودي والتي مهد لها بهذه الكلمة قد اقترح عليه فضيلة الأستاذ نشرها مع أمثالها تبعاً في المنهل لما فيها من توجيه وإثارة وإمتاع، وقد استجاب حضرته لهذا الاقتراح القويم الذي يرمي إلى حسن التوجيه والتقويم).

في تاريخنا الإسلامي ثروة عظيمة من العلماء الأعلام، الذين وقفوا حياتهم على طلب العلم وتعليمه، وتحملوا المتاعب والآلام وتجشموا المصاعب والأخطار في جمع شوارده، واقتناص أوابده، واستنباط قوانينه وقواعده، وأنفقوا أئمن ما يملكونه من جهد ووقت ومواهب سنية في سبيل هداية الخلق، وتنوير العقول بنور المعرفة، فكانوا بذلك مصابيح يهتدي بهم العالم، وأئمة يقتدي بهم المصلحون، على مدى العصور والأحقاب، ذلك أنهم أدركوا بفطرهم النيرة وبصائرهم النافذة، أن العلم خير وسيلة لإرشاد البشر إلى السعادة الكاملة والحياة الفاضلة، وأقوى عامل لإنقاذ الإنسانية من حمأة الشقاء والفوضى والرذيلة، فأحبوا العلم وشغفوا به، وبذلوا قصارى جهودهم في نشره والحض عليه، وودوا بملء جوانحهم

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ٤، ص ٧، ربيع الثاني ١٣٦٦هـ/مارس ١٩٤٧م ص ١٤٩.

وجوارحهم أن يستضيء العالم أجمع بسناه، شهدت بذلك أقوالهم وأيدته أفعالهم ونطقت به سيرهم وآثارهم، وحسبنا من ذلك في هذه المقدمة ثلاث كلمات لعلمين من أعلامهم، فيها من النبل واللوزعية ما يكفي للتنويه بفضلهم على العلم وطلابه، وفيها من جلال التضحية وروعة الألمعية ما يغني عن الإشادة بعبقريتهم وسمو إنسانيتهم، وإنها لعبقرية تزهو بها الإنسانية، وإنسانية تعتز بها العبقرية. أما أولى هذه الكلمات، فهي قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لرجل سبه: "إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو إليه ولعلي لا أقاضي إليه ولا أحاكم أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به، وما لي بها من سائمة أبداً".

بهذه الكلمات الخالدة أجاب المرابي العربي العظيم الرجل الذي شتمه فألقى عليه بل على الأجيال المتعاقبة درساً بليغاً في الأدب ومكارم الأخلاق، وضرب لنا مثلاً عالياً للشخصية العظيمة التي تتمثل فيها الإنسانية بأسمى معانيها فتود للناس جميعاً من الخير ما توده لنفسها. وأما الكلمتان الثانية والثالثة فهما للإمام الشافعي رضي الله عنه، أجاب بأولاهما عن ثلاثة أسئلة على النمط الآتي:

«قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمع به فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت به الآذان، فقيل له: فكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، قيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره».

كنت أود أن أقف ملياً عند كل كلمة من هذه الكلمات لأجلو بعض ما انطوت عليه من معان سرية وبلاغة مونقة لولا ما يقتضيه المقام من إيجاز، ولذا أجتزئ بما تعرب عنه عبارتها من بيان مشرق وهدف شريف، وأنتقل إلى الكلمة الأخرى:

قال الربيع سمعت الشافعي وهو مريض وقد ذكر ما جمع من الكتب، فقال: «وددت لو أن الخلق تعلموه ولا ينسب إلي منه شيء». وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: «وددت أن كل علم يعلمه الناس، أوجر عليه ولا يحمدونني».

هذه الكلمات على إيجازها تدل على ما اتصفت به تلك النفوس الكبيرة من شغف بالمعرفة ورغبة ملحة في نشرها بين الناس إلى نكران للذات وإيثار للصالح العام، وكان لسان حالهم ينشد قول الشاعر:

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

في سيرة أولئك العلماء المرشدين من سلفنا الصالح خير قدوة لنا فيما نستقبله من نهضة علمية، وأكبر أسوة لشبابنا فيما يستهدفون من رقي وتقدم، ولذلك فكرت منذ حين في إذاعة نخبة من تراجمهم بين شبابنا تكون نبراساً للمهتدين وحافزاً للطامحين، وبدأت بترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما في شخصيته العظيمة من عبقرية متعددة النواحي ممتعة الجوانب، وجعلت من هذه الترجمة موضوعاً لمحاضرة ألقيتها في بهو المعهد العلمي السعودي على حفل من رجال المعارف وطلاب العلم، وكنت مزماً متابعاً الكتابة عن أولئك الأئمة الأجلاء فحالت دون ذلك الشواغل، إلى أن جدد من عزيمتي سعادة مدير المعارف العام باقتراحه

على صاحب (المنهل) الأغر تخصيص باب في مجلته لتراجم العظماء، واقتراح سعادته على نشر ما يتسنى لي نشره في هذا الباب، فعقدت العزم على تحقيق هذه الرغبة بحول الله تعالى، ورأيت أن أبدأ بنشر محاضرتي عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما بشيء من الاختصار، وما توفيقني إلا بالله.

عبد الله بن عباس (*)

(١)

نسبه وولادته :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وجد الخلفاء العباسيين .

ولد رضي الله عنه بمكة، والنيبي وبنو هاشم محاصرون في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهاجر مع أبيه قبيل الفتح فشهد الفتح وحينئذ والطائف وغزا إفريقية مع عبد الله ابن أبي سرح سنة سبع وعشرين .

ولايته :

تولى إمارة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور بالمدينة، وحضر مع علي واقعة الجمل، وكان على ميسرة جيش علي في صفين وشهد معه قتال الخوارج، وولاه علي، على

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ٥، ص ٧، جمادى الأولى ١٣٦٦هـ/أبريل ١٩٤٧م.
المناسبة: (المحاضرة التي ألقاها الأستاذ السيد أحمد العربي على طلاب المعهد العلمي السعودي واختص بنشرها مجلة المنهل).

البصرة وكان أهل البصرة مغبوطين به يفقههم ويعلم جاهلهم ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم، ولم يزل والياً على البصرة حتى قتل علي فاستخلف عليها عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز ثم خرج إلى الطائف وفي الطائف قضى الأيام الأخيرة من حياته وفيها قضى نحبه سنة ثمان وستين بعد أن نيف على السبعين. وقد صلى عليه ابن الحنفية رضي الله عنه وكبر عليه أربعاً وقال: «اليوم مات رباني هذه الأمة».

وفي رواية: مات خير هذه الأمة. وقد كف بصره في آخر عمره فكان يقول:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

طلبه للعلم:

صحب ابن عباس النبي ﷺ وهو صبي لم يبلغ الحلم، فأخذ عنه وحفظ الأقوال وضبط الأفعال والأحوال وتوسم فيه الرسول العظيم مخايل النجابة والألمعية فدعا له بالحكمة وسأل الله أن يفقهه في الدين ويعلمه تأويل القرآن، فلا غرابة بعد ذلك أن نراه يبلغ الشأو الذي ليس بعده شأو؛ والدرجة التي تقصر دونها الدرجات، وقد أخذ كذلك عن الصحابة علماً كثيراً، وكان يكتب ما يتلقاه في ألواح تكون معه، وأحياناً كان يستكتب بعض أتباعه وتكبد في سبيل التحصيل ما يتكبد أولو الهمم العالية، والنفوس الكبيرة، ونحن ندعه هنا يتحدث عما بذله من جهد في سبيل العلم.

قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل

أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإن كان ليبلغني الحديث من الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح على التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا - أنا أحق أن آتيك: قال، فأسأله عن الحديث قال فعاش هذا الرجل الأنصاري، حتى رأني وقد اجتمع حولي الناس يسألونني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني. وهكذا سمت بابن عباس همته حتى أصبح قدوة للطامحين وعلماً في النابهين، وقعدت بصاحبه همته فبات من المغمورين؛ ولله در شوقي إذ يقول:

شباب قنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحين

قال ابن عباس: «وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ولكن ابتغي بذلك طيب نفسه». . . أنظروا إلى هذا الأدب العالي، يقضي هذا الفتى السري الشريف وقت القيلولة اللافحة بباب أحد مشايخه يتحين وقت انتباهه من نومه ولا يبيح لنفسه أن يزعجه أو يجشمه استقباله في وقت راحته على ما كان يعلمه من سرورهم بلقائه، كما قال في حديث آخر: «وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني إليه، لقربي من رسول الله ﷺ. وهاكم مثلاً آخر من أدب ابن عباس مع شيوخه وأساتذته: ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ. قال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فأخذ زيد يد ابن عباس فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

بمثل هذه الأخلاق، وبمثل هذا التوقير للعلم والعلماء أصبح ابن عباس حبر الأمة وعالمها وقدوة الشباب وفخاره.

طريقته وآراؤه في التعليم:

كان ابن عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها، فإن لم يقل بها رسول الله ﷺ ووجدها عند أبي بكر وعمر قال بها وإلا اجتهد رأيه. وكان يميل إلى التنوع في الدروس والتنوع في الأساليب وإلى الأخذ من كل فن بطرف، ويتحرى ميول السامعين وما ينشطون إليه، وقد أثرت عنه جملة أقوال في هذا، كما أن عمله كان خير شاهد على ذلك، فمما أثر عنه قوله: العلم كثير فارعوا أحسنه، أما سمعتم قول الله تعالى: في آخر الآية (١٧) من سورة الزمر وجزء من الآية (١٨): ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: ١٧ - ١٨). وقوله العلم أكثر من أن يؤتى على آخره فخذ من كل شيء أحسنه، وقوله: كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل.

وقال: حدث الناس مرة في الجمعة، فإن أبيت فمرتين وإن اكرث فثلاثاً ولا ألفينك تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك.

وقد أثرت عن ابن عباس طريقتان في التعليم، الأولى أنه كان يخصص لكل فن يوماً خاصاً به فكان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه،

ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل، ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازي، ويوماً للشعر ويوماً لأيام العرب.

والطريقة الثانية هي التي رواها أبو حمزة الشمالي عن أبي صالح ونذكرها فيما يلي بشيء من الإيجاز. قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر. لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب، قال فدخلت عليه فأخبرته عن مكانهم على بابه. فقال ضع لي وضوءاً فتوضأ وجلس وقال: أخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل فأذنهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر، ثم قال: إخوانكم. ثم قال: أخرج فقال من أراد يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فأذنهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، وهكذا دخل أصحاب الفرائض، وما أشبهها ثم أصحاب العربية والشعر والغريب من الكلام.

ولعلّه من أبلغ الشواهد على حب ابن عباس للطرافة وميله إلى دفع السامة عن طلابه وتجديد نشاطهم الحكاية الآتية:

روي أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أمّله، فجعل ابن عباس يظهر الضجر.

وطلع عمر بن ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس: ألا تنشدنا شيئاً من شعرك فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتاً فقال له ابن الأزرق: لله أنت يا ابن عباس!!

أنضرب أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قریش
فينشدك سفهاً فتسمعه فقال: تالله ما سمعت سفهاً، فقال ابن الأزرق أما
أنشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزي وأما بالعشي فيخسر

قال ما هكذا قال، إنما قال: فيضحى وأما بالعشي فيحضر.

قال أو تحفظ الذي قال؟ قال والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ولو
شئت أن أردّها لرددتها، قال فأردّها فأنشده إياها.

وفي هذه القصة زيادة على ما تقدم دليل على ذوق ابن عباس الأدبي
وقوة حفظه وذكائه.

مدرسة ابن عباس وتلاميذه:

علم ابن عباس في كل من مكة والمدينة والبصرة وكان الطلاب
بلازمونه حتى في السفر.

قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجاً ومعه ابن عباس فكان
لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم، ونظرت عائشة
رضي الله عنها إلى ابن عباس ومعه الخلق ليالي الحج وهو يسأل عن
المناسك، فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك.

وقد مر بنا وصف أبي صالح مجلس ابن عباس للتعليم وازدحام
الطلاب عليه وفي ذلك ما يغني عن الإشادة والتنويه.

يقول صاحب فجر الإسلام: كذلك علم بمكة عبد الله بن عباس في أخريات أيامه فقد علم في البصرة وعلم في المدينة، ثم لما كان الخلف بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ذهب إلى مكة وعلم بها، فكان يجلس في البيت الحرام ويعلم التفسير والحديث والفقاه والأدب، وإلى عبد الله بن عباس وأصحابه يرجع الفضل فيما كان لمدرسة مكة من شهرة علمية، وأشهر من تخرج في هذه المدرسة من النابغين مجاهد وعطاء بن أبي رباح وطاوس بن كيسان.

واستمرت هذه المدرسة قائمة تتلقى العلم فيها طبقة عن طبقة، ويطول بنا القول لو عددنا مشهوري العلماء من كل طبقة الخ

ولقد اشتهر ابن عباس بصفة خاصة في التفسير حتى لقب بترجمان القرآن وأثرت عنه أقوال وروايات كثيرة جمعت فيما بعد في السفر المعروف بتفسير ابن عباس. أما آثاره الأدبية فنجد منها نماذج كثيرة مثبتة في تضاعيف كتب الأدب.

عبد الله بن عباس (*)

(٢)

عبقريته :

لا ريب في أن ابن عباس من العباقرة الأفاضل، ولو أردنا أن نستقصي نواحي عبقريته لألفينا أنفسنا أمام سفر حافل بأروع أسرار العبقرية وأقوى عناصرها: وحسبنا في هذه العجالة أن نعرض بعض مظاهر هذه العبقرية عرضاً موجزاً. وقبل أن نعرض لهذه المظاهر بشيء من التفصيل يحسن بنا أن نذكر هنا كلمة صعصعة بن صوحان وقد ورد على علي بن طالب رضي الله عنه - من البصرة فسأله عن ابن عباس - وكان على خلفه بها - فقال صعصعة: «يا أمير المؤمنين»: إنه آخذ بثلاث، وتارك لثلاث، آخذ بقلوب الرجال إذا حدث، ويحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر الأمرين إذا خولف. وترك المرء، ومقارنة اللئيم، وما يعتذر منه.

هذه الكلمة على إيجازها تشير إلى جملة نواح من عبقريته، فهي تشير إلى قوة شخصيته وعلمه وفصاحته ولولا ذلك لما استطاع أن يأخذ بالقلوب

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ٥، ص ٧، جمادى الأولى ١٣٦٦هـ/ أبريل ١٩٤٧م.

إذا حَدَّثَ، وفي أخذه. يحسن الاستماع إذا حَدَّثَ دلالة على أدبه العالي ونبيل تواضعه؛ وفي أخذه بأيسر الأمرين إذا خولف دليل على دماثة خلقه ورحابة صدره، وناهيك بما في تركه للمرء ومقارنة اللئيم وما يعتذر منه، من دلالة قوية على حكمته وحصافة عقله وسمو أخلاقه. وحسب الرجل أن يتصف بمثل هذه السجايا والمواهب ليكون من أعظم عباقرة العالم وأخلدهم في صحائف التاريخ، وما نحن أولاء نحاول أن نفصل بعض ما أجملته هذه الكلمة الجامعة فيما يأتي:

علمه وعقله:

يروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس: «إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم عقلاً، وأفقههم في كتاب الله عز وجل»، وكان عمر يحبه ويدنيه ويشاوره مع أجلة الصحابة، وكان يقول إذا اقبل ابن عباس: جاء فتى الكهول ذو اللسان السؤول، والقلب العقول، وعن الواقدي أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر وكان يفتى في عهد عمر وعثمان إلى أن مات. وعن طاووس قال: أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت أو صدقت وعن عمر بن دينار قال: ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام، والعربية والأنساب، وعن أبي الزناد وعن عبيد الله بن عبد الله قال: «ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ولا أجل رأياً ولا أثقب نظراً من ابن عباس، ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين» ومما يدل على بعد نظره وأصاله رأيه إشارته على علي بن أبي طالب أن يستنيب معاوية على الشام وألا يعزله عنها في بادئ الأمر حتى قال له فيما قال إن

أحببت عزله فولّه شهراً وأعزله دهرًا. ولما تراوض الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافئ عمرو بن العاص، فامتنع أهل اليمن إلا أن يكون أبو موسى الأشعري من جهة علي فكان من أمر التحكيم ما كان؛ ولما عزم الحسين على الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس وأراد أن يتعلق بشيابه وأشار عليه بآرائه الصائبة فلم يقبل منه، وله من أمثال هذه المواقف مع علي ومعاوية وابن الزبير ما يشهد له بالنظر الثاقب والرأي السديد.

قال أبو عمرو بن العلاء: نظر الحطيئة إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه - غالباً عليه فقال: من هذا الذي يرع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه؟ قالوا: عبد الله بن عباس فقال فيه أبياتاً منها:

إنني وجدت بيان المرء ناقلة تهدي له ووجدت العي كالصمم
والمرء يفنى وتبقى الكَلِمُ سائرة وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم

وهكذا استطاع ابن عباس أن يزاحم بمنكبيه شيوخ الصحابة وأكابرهم وأن ينتزع من عبقرتهم العظيم لقب فتى الكهول. فكان بذلك خير قدوة للشباب الطموح وكان أصدق مثل لقول المتنبي:

فما الحداثة من حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

بلاغته وقوة بديهته :

«كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلم الناس».

قال الجاحظ: ومن الخطباء الذين لا يضاؤون ولا يجارون عبد الله بن

عباس قالوا خطبنا بمكة - وعثمان رضي الله عنه محاضراً - خطبة لو
شهدتها الترك والديلم لأسلمتا! وذكره حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال:

إذا قال لم يزل مقالاً لقائل بمنتظمات لا ترى بينها فضلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي أربة في القول جداً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلاً

ولقد كان له في حلبة البيان والمناظرة مواقف سجلت له الفخر الخالد
والفضل الذي لا ينازع. ولعلّ من أروعها وأولها على سمو بيانه وقوة
بديته مناظرته لمعاوية الرهط الذين انتدبهم لمناظرته وفيهم عمرو بن
العاص وزياد والمغيرة بن شعبة وأمثالهم من دهاة العرب وفرسان البيان،
ولولا ضيق المقام لأوردنا هذه المناظرة لما فيها من بلاغة وسحر بيان،
وحسبنا أن نشير إليها هنا ليرجع إليها من أراد في كتب الأدب ومراجعته.

دار الأرقم بن أبي الأرقم (*)

أول مدرسة في الإسلام

على الجانب الشرقي لهذا الوادي المبارك، الذي اختاره الله تعالى حمى لنبيه وموطناً لأكرم خلقه؛ ومهداً للدين الذي ارتضاه لهداية البشر، تقع دار الأرقم بن أبي الأرقم بالقرب من الصفا، يشرف عليها جبل أبي قبيس؛ القائم على ناحية هذا الوادي؛ كالحارس الأمين؛ يحرس هذه البقعة المقدسة؛ ويشيد بما لها من كرامة عريقة وعزة قعساء.

وصاحب هذه الدار - هو الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي؛ أحد السابقين الأولين إلى الإسلام؛ شهد بدرًا وأحدًا وغيرهما من المشاهد العظام، واقطعه النبي ﷺ داراً بالمدينة، وفيها توفي سنة خمس وخمسين من الهجرة!

دار الإسلام - أطلق هذا الاسم على دار الأرقم، إشارة إلى أنها حصن الإسلام الأول، ومعقل قادته السابقين، وإشادة بما لها من فضل في نصرة الدين وحماية دعوته، وإيواء أبطاله، فكان اسماً جديراً بماضي هذه الدار وأثرها في خدمة الإسلام.

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ١١ - ١٢، مج ٦، ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٦٥هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٤٦م.

دار الخيزران - ثم عرفت بدار الخيزران، وهو الاسم الذي تعرف به الآن. ويروي لنا التاريخ في سبب هذه التسمية أن أبا جعفر المنصور اشترى هذه الدار من ولد الأرقم بن أبي الأرقم، ومنحها ولده المهدي، ثم أعطاها المهدي للخيزران أم ولديه الهادي والرشيدي.

وعلى باب هذه الدار الآن حجارة نقشت عليها عبارة تشوبها العجمة، تشير إلى أن هذه الدار دخلت في حوزة شيخ الإسلام السيد فيض الله بن السيد محمد حبيب المقني سنة ثلاث عشرة ومائة بعد الألف (١١١٣هـ) من الهجرة.

صفة الدار

- تتألف هذه الدار من رواقين وفناء وحجرة داخلية، الرواق الغربي وهو مستطيل الشكل، يتوسطه محراب في قبلته، وتعلوه قبة مستديرة وأمامه فناء مستطيل، وإلى الشرق من هذا الفناء، رواق ذو سقف مجصص، تقرب مساحته من مساحة الرواق الغربي، وفي الجهة الشرقية من هذا الرواق باب يفضي إلى صفة مسقوفة أمامها أرض مكشوفة مرتفعة قليلاً، تدل أعالي (جدرانها) على قبة كانت معقودة فوقها.

هذا وصف مجمل للدار التي كان يقيم رسول الله ﷺ مع صحابته الأولين يلقتهم أصول الدين، ويثقفهم بتعاليمه، ويؤدبهم بأدابه السامية.

أقام النبي ﷺ مع صحبه الأبرار في هذه الدار إلى أن تكامل عددهم أربعين، كان آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان حدث إسلامه يوماً مشهوداً في تاريخ هذه الدار، كبر له المسلمون تكبيرة هزت أصدائها أرجاء مكة، وماجت لها أندية قريش، وخرج الرسول على أثرها بين صفيين من أصحابه في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة، حتى دخل المسجد

في ذلك الموكب المهيب فكان ذلك مبدأ عزة المسلمين، وطلیعة نصرهم على المشركين.

إن داراً هذا مجمل وصفها، وذلك بعض أثرها في خدمة الإسلام، لهي سجل حافل بأعظم الذكريات وأمجدها، سجل ينطوي على أبلغ صفحات التفاني في سبيل العقيدة، وأروع أمثلة الشجاعة والبطولة في الدعوة إلى الحق وإعلاء كلمته. في هذه الدار هبط الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بأعظم رسالة هبطت من السماء فاستضاء بها ذلك القلب الكبير، وأضاء بذلك النور القدسي قلوباً أضحت مصابيح هداية للعالمين.

من هذه الدار انبعث أول شعاع غمر العالم بأنواره الساطعة فبدد ظلماته المطبقة ثم أبدله بحياة الشقاء والعبودية، حياة الحرية والسلام.

وفي هذه الدار نَسَّأَ محمد ﷺ الرعيل الأول من أصحابه، وأعددهم لإنقاذ البشر من جحيم الجهالة والضلال، وهدايتهم إلى فراديس السعادة والطمأنينة.

ليس بدعاً بعد هذا أن تعتبر هذه الدار أول مدرسة في الإسلام، فهي أول دار أذاعت دعوة الإسلام ومبادئه، وفيها تخرج أعظم قادته وأبطاله. وناهيك بمدرسة من رجالها الخلفاء الراشدون، والقواد الفاتحون، والحكام العبقريون، الألى رفعوا راية الإسلام في الخافقين، وثلّوا عروش كسرى وقيصر، وشادوا على أنقاضهما حكماً ما رأى العالم أعدل ولا أرحم منه، وحضارة لا تزال آثارها ناطقة بفضل العرب المسلمين، تشهد لهم بسمو الفكر، وبعد الهمة، وقوة الإبداع.

فما أحرانا إذاً أن نستلهم صفحات هذه الدار المطوية أسمى آيات

الجهاد في سبيل الحق والعقيدة، وما أجدرنا أن نتخذ من تاريخها حافزاً لنا على استعادة مجدنا الغابر وعزتنا التالدة.

إن أربعين مسلماً خرجتهم هذه الدار بعد أن نشأهم محمد ﷺ على الحنيفية السمحة، استطاعوا أن يغيروا معالم الدنيا، وأن يخطوا على صفحاتها عالماً جديداً حقيقياً بالخير والفضيلة والسلام، يدين بدين الإسلام، دين الأخوة والمدنية والعمران، ويتخاطب بلغة القرآن، لغة العلم والأدب والبيان، وينشئ حضارة من أرقى الحضارات وأبعدها أثراً في سعادة الإنسان.

إن أربعين رجلاً استطاعوا أن يضعوا أساس أعظم انقلاب في تاريخ العالم بفضل العقيدة التي اعتنقوها، والروح التي بثها فيهم المرشد الأعظم ﷺ، لخير قدوة لنا معاصر المسلمين فيما نستهدفه من نهوض وإصلاح، فلو صدقت منا العزائم، وتجردت في كل قطر طائفة لنصرة هذا الدين بإخلاص وبصيرة وعملت بهدي من عقائده الصحيحة وأحكامه الرشيدة، واقتدت بهذا السلف الصالح، لاستطاع المسلمون أن يستردوا غابر مجدهم وسالف عزتهم، ولأصبحوا سادة الدنيا وقادة العالم فيما ينشده من خير وتقدم، ولحققوا قول الله تعالى فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

التربية النبوية (*)

ذلك هو الموضوع الذي اقترح علي الأستاذ الفاضل صاحب «المنهل» الأغر أن أكتب فيه لحوليته الممتازة. وهو الموضوع الذي شغفت بالبحث فيه منذ أتيح لي الوقوف على بعض مصادره وينابيعه الزاخرة بأطرف التوجيهات التربوية وأروع مثلها العليا، وهو البحث الذي أذعت عنه بضعة أحاديث من منبر الإذاعة السعودية، ولم أوفه بعد ما هو جدير به من بحث واستقصاء وعرض وتحليل، وإذا كنت لم أستطع أن أوفيه حقه في سلسلة من الأحاديث وجملة من الصحف والمقالات؛ فما عساي أن ابلغه في الصفحات التي حددت لي من هذا الجزء الخاص من (المنهل) وإذا لم يكن لي بد من تلبية رغبة الأستاذ الأنصاري الكريم فلأحاول في مقالي هذا أن أقبس قبساً من ذلك السراج الوهاج، وأن أرسم الخطوط الأولية لتلك التربية المثالية، سالكاً سبيل الإجمال والإيجاز:

عنايته ﷺ بالتربية والتعليم :

تحتل قضية التربية مكانة مرموقة من عنايته عليه الصلاة والسلام، وقد تجلت هذه العناية في كثير من مواقفه وتوجيهاته العالية وفي طائفة كبيرة

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ١١ - ١٢، مج ١٠، ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٦٩م ص ٣٨٣ سبتمبر أكتوبر ١٩٥٠م.

من أحاديثه الشريفة وإرشاداته الثمينة، وحسبنا في هذا المقام قوله عليه السلام في الإشادة بفضل التربية؛ والتنويه بما لها من شأن خطير: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

ويكفينا هنا من مواقفه الدالة على إجلاله لشأن العلم والتعليم، إثارة حلقات الدرس على مجالس الذكر والعبادة، وتوجيه هذا العمل الجليل بقوله: (إنما بعثت معلماً) وناهيك بما في ذلك من تنويه بفضل التعليم وتشريف لزمرة المعلمين.

ومن أقواله الدالة على ما للتعليم من فضيلة عظيمة قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ليعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها".

أهداف التربية النبوية:

يمكن تلخيص الأهداف الأساسية للتربية النبوية في الأحاديث الآتية:

١ - (بعثت لأتمم مكارم الخلاق) في هذا الحديث أبلغ تنويه بالتربية الخلقية وبالمنزلة السامية التي تحتلها من عنايته ﷺ.

٢ - (خيركم من لم يترك آخرته لديناه، ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلاً على الناس).

في هذا الحديث أوضح دليل على أن التربية النبوية كانت ترمي إلى إعداد المسلم لأن يكون عضواً صالحاً في المجتمع، عالماً لما يعلي من شأنه ويصونه عن ذل العجز والافتقار إلى الناس، آخذاً بأوفر نصيب من أسباب السعادة الحقة في الدنيا والآخرة.

٣ - (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل

خير، إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز). . إن في هذا الحديث خير دعامة لتربية المسلم على القوة والعزة والكرامة والطموح والإقدام، والحرص على العمل النافع والاعتماد على النفس بعد الله، وعدم الإخلاق إلى العجز والقنوط.

طريقته ﷺ في التربية :

تجنح التربية النبوية إلى التيسير على المتعلمين والرفق بهم وصيانتهم عن مواقف العنت والتعنيف، ومن الآثار الداعمة لهذا الاتجاه قوله: «إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً». وقوله: «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف». ومن شواهد رفقته بالمتعلم حديث ذلك الصحابي الذي شمت أحد المصلين وهو في الصلاة، فما زاد عليه السلام على أن أرشده - بعد الصلاة - إلى ما ينبغي له أن يفعله في مثل هذه الحال، وفي ذلك يقول الصحابي: (فأبى هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كبرني - أي ما نهزني ولا ضربني ولا شتمني. . الحديث).

ولقد كان ﷺ ينهج في التعليم منهجاً عملياً يتجلى في تعليمه الصحابة الوضوء والصلاة، ومناسك الحج وغيرها من التكاليف الشرعية بطريقة عملية، وقد سار على نهجه هذا الصدر الأول من السلف الصالح، وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي: (حدثنا من كان يقرؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يُعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قال فيعلمنا العلم والعمل).

ومن أبرز خصائص التربية النبوية التدرج بالمتعلمين والتبسط معهم،

وفي ذلك يقول ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء، نخاطب الناس على قدر عقولهم» ومن شواهد هذا النهج القويم ما أورده صاحب (الترتيبات الإدارية) حيث يقول: «ذكر البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه»: كونوا ربانيين، علماء فقهاء. قال البخاري: ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. قال الحافظ «والمراد بصغار العلم ما وضح من مسأله؛ وبكباره ما دق منها».

القدوة الحسنة:

لا يخفى ما للقدوة من أثر قوي في التربية ولا غرابة في أن يكون الرسول صلوات الله عليه، المثل الأعلى في القدوة الصالحة، فقد أدبه ربه باريء الخلق ومربيهم بأمثال قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: ٩٠) وقوله ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧) وقوله ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ولقد زكاه جل شأنه وأثنى عليه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) ونوه سبحانه وتعالى بمنزلته في القدوة بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) فليس بدعاً إذاً في أن يكون ﷺ خير أسوة لأصحابه في مواقف البر والإحسان والبطولة والتضحية، وأعلى مثل لهم في الفضائل ومكارم الأخلاق، وأعظم قدوة للمربين في التربية والتأديب وحسن الرعاية للأطفال؛ يحدب على صغارهم ويترفق في توجيههم وإرشادهم ويتلطف في محادثتهم وإيناسهم ويفسح لهم المجال للعب المباح ولا يضمن عليهم

بمزاحه ومداعباته، كما يحبو النابهين من الأحداث ثقته وحسن تقديره ويندبهم للمهمات تشجيعاً لهم وإذكاءً لمواهبهم، أما الشبان وذوو الكفايات الممتازة، فقد كانوا يلقون من تكريمه وتقديره ما يكون أقوى حافز لهم على الإمعان في التفوق والتبريز، كما كان يمنح الكهول والشيوخ من عطفه ورعايته ما يكون خير عون لهم على بلوغ الدرجة التي ترشحهم لها مؤهلاتهم.

وسائل التشويق :

لوسائل التشويق والإيضاح مكانة بارزة في طريقته ﷺ تهدف إلى زيادة الإيضاح والبيان وإلى تجديد القوى والنشاط، فقد كان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة أي يتعهدهم بها أنا بعد أن منعاً للسامة، وكان يلقي عليهم من الأسئلة ما يجدد نشاطهم وانتباههم، وكثيراً ما يستعمل الأسلوب الاستفهامي كقوله: ألا أخبركم بكذا؟ أتدرون ما مثل هذا؟ ونحو ذلك؛ كما كان لضرب الأمثال والقصص الحق نصيب ملحوظ من أسلوبه التعليمي، بل لقد أباح رواية القصص والحكايات العجيبة عن بني إسرائيل وقال «حدثوا عن إسرائيل ولا حرج» وكانت تجري في مجالس سمره طرف من القصص والأسمار، كحديث أم زرع وحديث خرافة؛ ولم يهمل صلوات الله عليه وسائل التشويق والإيضاح الحسية، ومن أمثلة ذلك تصويره الأمل والأجل بالتخطيط تارة وبالحصا تارة أخرى؛ وتمثيله بعض المسائل بأصابعه ويديه الكريمتين: ولما كان اللعب عاملاً بعيد الأثر في حياة الأطفال فقد أولت التربية النبوية هذه الناحية ما هي جديرة بها من رعاية وعناية، ومن المأثور في ذلك: «من كان له صبي فليتصاب له» وإذا كان التراب ومشتقاته كالصلصال ونحوه ذا أثر بارز في ألعاب الأطفال

وإشباع غرائزهم وميولهم وتمارين حواسهم مما جعله يحتل مكاناً مرموقاً في رياض الأطفال، فإن في الأثر الآتي: «التراب ربيع الصبيان» أبلغ إشارة إلى الدور الذي يمثله التراب ومشتقاته في ألعاب الصبيان، ولما كانت الصور عنصراً مهماً من عناصر لعب الأطفال ووسيلة ناجحة في تثقيفهم وتدريبهم على بعض شؤون الحياة، فقد رخص عليه السلام للصبيان بالصور كما يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أَلعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان صواحيبي يلعبن معي فكان النبي ﷺ إذا دخل ينقمعن منه - أي يستترن - فيسر بهن إلى فيلعبن معي) وقد فسروا البنات باللعب والصورة شبه الجوارى يلعب بها الصبيان، وعلى العلماء الترخيص فيها بما في هذه اللعب من تدريب للأطفال على تربية الأولاد؛ على أن لهذا الحديث بقية تمكن أن يفهم منها أن الرخصة في هذه اللعب قد لا تقتصر على تدريب البنات على تربية الأولاد، وقد تتسع لبعض الأهداف الرفيعة التي ترمي إليها التربية الحديثة المتزنة، كتربية الحواس والخيال. وإيضاح المعلومات وتقرير الحقائق البعيدة وما إلى ذلك.. فقد جاء في سياق لعب السيدة عائشة بالبنات أنه ﷺ رأى بيدها فرساً مربوطاً له جناحان فقال: ما هذا؟ قالت فرس قال: فرس له جناحان؟ قالت ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك ﷺ..

ومما يمكن اعتباره داخلياً في هذا الاتجاه التربوي الطريف مما يتمشى مع أحدث اتجاهات التربية الحديثة، ترخيصه ﷺ بتربية بعض الحيوانات في المنزل واللعب بها بما لا يؤدي إلى تعذيبها؛ كما يدل على ذلك حديث أبي عمير، وأبو عمير هذا طفل كان له نغر يلعب به فمات فدخل على رسول الله ﷺ ذات يوم حزيناً فقال ما شأنه؟ قال مات نغره فقال ﷺ

مداعباً له (يا أبا عمير ما فعل النغير؟) والنغير طائر صغير كالعصفور وهو تصغير للنغر ولعلّه الطائر المعروف اليوم في المدينة بالنغري .

وقد ذكر صاحب «الترتيبات الإدارية» في هذا الباب أمثلة لترخيصه ﷺ بتربية بعض الحيوانات في المنزل نذكر منها ما يأتي :

١ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لآل النبي ﷺ وحش فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل، ربض فلم يرم، ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه .

٢ - وعن علي رضي الله عنه أنه شكى إلى النبي ﷺ الوحشة فقال له «ألا اتخذت زوجاً من حمام فآنسك وأكلت من فراخه؟ أو اتخذت ديكاً فآنسك وأيقظك للصلاة» .

كلمة ختامية :

هذا عرض مجمل للتربية النبوية نختمه بكلمة موجزة نلفت بها الأنظار إلى الأثر العظيم الذي أحدثته تلك التربية في الرعيل الأول من السلف الماجدين، فإن ذلك الأثر الجليل أسطع برهان على عظم تلك التربية وبلوغها الدرجة العليا من السمو والكمال، أليست هذه التربية التي جعلت من المؤمنين السابقين أبطالاً يستعذبون الموت وأقسى ألوان العذاب في سبيل العقيدة ويخوضون من أجلها أهوال الحروب والأخطار؛ بنفوس تؤثر الجهاد تحت راية التوحيد على عيش الراحة والنعيم وقلوب تحب الموت والاستشهاد في سبيل الله كما يحب الناس الدعة والحياة؟ أليست هي التربية التي آخت بين المهاجرين والأنصار تلك المؤاخاة التي أصبحت مضرب الأمثال في الحب والوفاء والإيثار؟ أليست هي التي جعلت

المسلمين الأولين يتسابقون في بذل أعز ما يملكون من ثروات ونفوس،
والمسلمات السابقات يتبارين في تقديم أئمن ما لديهن من حلي وزينة،
ويضحين بفلذات أكبادهن راضيات مغتبطات.

أليست هذه التربية التي تمخضت عن أولئك الخلفاء العظام الذين
بسطوا لواء الإسلام على أكثر أقطار المعمورة وأفاءوا على الدنيا ظل العدل
والحرية والمساواة؟ أليست هي التي أنجبت للعالم تلك النخبة الممتازة من
العلماء الأعلام والعباقرة النابهين الذين وضعوا أقوى الأسس والدعائم
لأعظم تشريع وأنصر حضارة عرفهما التاريخ؟ أليست هي التربية التي
أخرجت من سكان الصحارى والقفار قواداً دهاة في ميادين الحرب
والسياسة، ورواداً هداة في حقول التعليم والإرشاد.

أن تربية هذه بعض آثارها الرائعة، وتلك آثاره من تراثها الخالد،
لقمينة بإثارة كنوزها الثمينة والاسترشاد بمثلها العليا.

وأخيراً، أختتم كلمتي هذه بحديث من جوامع كلمه عليه الصلاة
والسلام اشتمل على خير أساس لسعادة المجتمع ألا وهو حديث (كلكم
راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ والأمير راع والرجل راع على أهل بيته،
والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعيته).. لو عمل المسلمون بهذا الحديث الشريف كل في دائرة اختصاصه
لأصبحوا أقوى أمة وأعز أمة وأرقى أمة، وفق الله الجميع للسير على هذا
المنهج القويم.

حول التربية النبوية (*)

لقد شاء وفاء الابن البار الأديب النابه الأستاذ على غسال أن يطري الكلمة التي نشرها لي صاحب المنهل الأغر في عدده الممتاز عن التربية النبوية، فكتب في العدد ٩٦٧ من البلاد السعودية الغراء مقاله الكريم، الصادر عن شعور نبيل ووفاء جميل، يجلوها بيان دائم وأدب رفيع - كتب يشيد بهذا البحث بما شاء له أدبه ونبله، ويستحثني على استقصاء البحث وتقديمه، ويدعوني إلى تبسيطه وتيسيره، وتزويده بأوفر نصيب من الأمثلة والقواعد، مشيراً إلى ما اتسم به المقال من تركيز أدى إلى حشد موضوعاته وتلاحق فصوله وتزاحم معانيه، وأنه ليسرني أن أستجيب إلى دعوة الأستاذ الفاضل فيما استأنفه من بحوث إن شاء الله تعالى لعل ما اعتذرت به في صدر المقال المنشور في المنهل الممتاز يبرر إلى حد ما ما اتسم به ذلك المقال من تركيز وضغط شديد، ذلك الضغط الذي دعنتني إليه اعتبارات خاصة بالعدد الممتاز من المنهل فلبيتها نزولاً على رغبة صاحبه المفضل ووقوفاً عند الحدود التي رسمها لكل مقال وأنه ليسرني ويثلج صدري أن أوفق إلى تحقيق رغبة الأستاذ الغسال وصحبه الأكرمين في إدراج هذا البحث في سفر مستقل أتوج به أبحاثي في التربية الإسلامية

(*) المصدر: البلاد السعودية ١١/٢/١٣٧١ عدد ٩٦٩.

ما أذعت منها وما سأذيعه، وهل التربية الإسلامية في حقيقة الأمر سوى قيس من التربية النبوية وامتداد لتيارها الزاخر وصدى لمثلها العليا وتوجيهاتها السامية إنَّ إخراج تلك البحوث في كتاب مطبوع، يشغل حيزاً ولو صغيراً في مكتبتنا الحديثة ويحقق رجاء طائفة من الإخوان الكرام والأبناء البررة النابهين، لهو بعض ما تصبو إليه النفس فيما تصبوا إليه من خدمة وطننا العزيز ولغتنا الكريمة وتراثنا الثمين، وذلك ما أرجو الله عز وجل أن يوفقني إلى تحقيقه: وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

العلم والعلماء في ظل الإسلام (*)

- ١ -

استهل الإسلام رسالته الخالدة بالترغيب في العلم والتنويه بشأن المعرفة، فكانت أول آية نزل بها الوحي السماوي على أشرف المرسلين قول الله جل وعلا: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١ - ٥).

وتواترت بعد ذلك الآيات في الإشادة بفضل العلم والعلماء، فقال تعالى في تمجيد المعرفة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩) وقال في تفضيل العالم على الجاهل ولفت الأنظار إلى ما بينهما من بون شاسع: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩) وقال في تكريم العلماء وإعلاء قدرهم: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).
بمثل هذا الأسلوب الرائع حث القرآن على العلم والمعرفة، فكان الرسول صلوات الله عليه أول من صدع بهذا الأمر الكريم وأول من استجاب لهذه

(*) المصدر: الحج سنة ٤ عدد ٩ غرة جمادى الأولى ١٣٧٠هـ فبراير ١٩٥١م.

الدعوة النبيلة، فإذا هو يقف في مقدمة صفوف المعلمين ويضرب لهم أعلى مثل بمواقفه وكلماته الخالدة، فكان عليه الصلاة والسلام المعلم الأول للمسلمين، يعلمهم بأقواله وأفعاله ويربيهم بسيرته وأدابه، وينفق في سبيل ذلك أثمن أوقاته، وينهج للتعليم منهجاً جديداً يخالف ما كان معروفاً في العالم من مناهج مدموغة بطابع الأثرة والاستبداد. فالنبي ﷺ لم يؤثر بالتعليم طائفة دون طائفة ولا خص به صنفاً من البشر دون سواه، بل أباحه للرجال والنساء على السواء وبذله للفقراء والأغنياء بلا تمييز، وسوى فيه بين الأحرار والأرقاء إن صح أن نطلق صفة الرق على أمثال بلال ابن رباح وزيد بن حارثة وخباب ابن الأرت وغيرهم ممن وجدوا في ظل الإسلام من نعمة الحرية والعزة والكرامة ما لم يظفر به كثير من أحرار هذا العصر في ظلال حكوماته المتمدنة المتشدقة بدعوى تحرير الرقيق، الممعة في التنافس على استرقاق الشعوب واستعباد المستضعفين، وكان لسان حالهم ينشد قول القائل:

قتل فتى في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

أما الرسول العربي الكريم صلوات الله عليه، فقد أتاح العلم للناس جميعاً وسلك في سبيل إفشائه والدعوة إليه شتى الطرق والأساليب فحضر المسلمين على تحصيله بأمثال قوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ورغبهم في بثه وإذاعته بمثل قوله «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»؛ وليس أبلغ في الحث على نشر العلم ومكافحة الأمية من المنهج الذي رسمه الرسول العظيم في بعض خطبه الخالدة وذلك إذ يقول: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون. والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم

وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو أعاجلنهم العقوبة...» أليس هذا هو المنهج الذي حذت حذوه بعض الأمم الناهضة أخيراً في محاربة الأمية وإشاعة الثقافة بين جمهور الشعب؟! أجل إن مربي العرب الأعظم هو أول من فكر في هذه الطريقة ودعا إليها بأبلغ بيان وأوجز أسلوب. وكان من الطبيعي أن تؤتي هذه الدعوة الحكيمة وذلك المنهج القويم أحسن النتائج وأطيب الثمرات، فإذا أعلام الصحابة رضي الله عنهم يتبارون في نشر العلم وبث المعرفة وإذا أمراء المسلمين وعلماءهم يتلقون هذا المشعل بإيمانهم وينهضون لإشاعة هذا النور في أرجاء المعمورة ويجندون خير قواهم لإقامة منائره وإمدادها بأسنى وقود. وإذا طوائف شتى من المسلمين يساهمون أكرم مساهمة في مؤازرة هذه النهضة ويبدلون في سبيلها من جهودهم ونشاطهم وأموالهم ما يكفل إنماء ذلك التراث ومد آفاقه وتيسير مناهله العذبة وتشجيع وزادها.

وإن في التحدث عن تلك الحركة الموفقة وهاتيك الثروة الخالدة لمتعة وغذاء شهياً للعقول والقلوب وحافزاً قوياً للشعور العربي والإسلامي. وذلك ما أرجو أن أوفق إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

العلم والعلماء في ظل الإسلام (*)

- ٢ -

لقد كان لدعوة الإسلام إلى العلم وسياسة الرسول صلوات الله عليه - في بثه وإذاعته - أبلغ الأثر في إقبال المسلمين الأولين على العلم وإكبارهم لشأنه، وكان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم - في طليعة العاملين على إشاعة المعرفة بين جمهور الأمة، فنصبوا أنفسهم لنشر العلم في أنديةهم ومجتمعاتهم، وأوصوا به قادتهم وأمرأهم وبالغوا في إثارة أهل العلم بأجل المناصب، وتكريمهم في المجالس والمحافل، فكان منهم بطانتهم ووزرائهم وأهل شوراهم ونجواهم. وكان في مقدمة ما يعنى به الخليفة من أمر البلاد المشمولة براية الإسلام - بعث البعث العلمية لتعليم الناس وتفقيههم في دينهم. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفارس المجلى في هذا المضممار، فقد ضرب للأمة الإسلامية أعلى الأمثلة في الحرض على التعلم والتعليم، فكان في حياة الرسول عليه السلام يحرض الحرض كله على حضور مجالسه والاقتراس من هديه حتى إذا حالت بينه وبين تلك المجالس الكريمة بعض مهام الحياة ومعاناة أسباب المعاش -

(*) المصدر: الحج سنة ٤ عدد ١٠ غرة جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ مارس ١٩٥١م.

تناوب وجاراً له من الأنصار الاختلاف إلى دروس النبي العظيم، فينزل عمر يوماً لينهل من ذلك ينبوع الصافي النмир، فإذا عاد إلى منزله في بعض أرياض المدينة، أخبر صاحبه بما تلقاه في ذلك اليوم. وينزل صاحبه الأنصاري في اليوم الثاني فيصنع مثل صنيعه. أما حرص عمر على نشر العلم بين عامة المسلمين وصرامته في إلزامهم بتلقي مبادئه فإن له من سيرته شواهد ملؤها الطرافة والعبقرية. فمن ذلك أنه جعل في المدينة أشخاصاً يفحصون المارة، فمن وجدوه غير متعلم أخذوه إلى الكتاب قسراً ومن ذلك أنه كان يبعث إلى أهل البوادي من يستقرئهم فمن لم يقرأ ضربه. ومن شواهد اهتمامه بشأن التعليم خطبته التي ألقاها في أحد المواسم وقد حشد إليه عماله من مختلف الأمصار؛ وخطب فيهم خطبته الزاخرة بأروع مثل العدالة والشفقة على الرعية والعناية بالمحافظة على حرية الأمة وكرامتها، وصيانة أموالها وحقوقها وهي التي يقول فيها: «أيها الناس إني والله لم ابعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم. فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي. فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه». ولم تكن عناية الفاروق مقصورة على تعليم الدين وأصوله، بل كانت تستهدف ضرباً شتى من الثقافة قد يحسبها البعض من مبتكرات هذا العصر. وقد يعدها فريق آخر من ألوان الترف الثقافي؛ فقد كتب عمر إلى ولاة الأمصار يقول لهم: «علموا أولادكم العوم والفروسية وما سار من المثل وما حسن من الشعر»، وإذا تبادر إلى بعض الأذهان أن هذا اللون من الثقافة قصد به أبناء الولاة دون غيرهم، فإن أبلغ رد على هذا الرأي سيرة عمر المطبوعة بطابع العدالة والمساواة، فهو إذن لم يوجه هذه الدعوة إلى أبناء الولاة إلا لأنهم القدوة الذين يقتدي بهم الشعب وعلى نهجهم يسير.

ولا غرابة بعد هذا في أن نرى العناية بالعلم والتعليم فاشية بين جميع طبقات الأمة؛ لا يختص بها الأمراء، دون عامة الشعب ولا يستأثر بها الرجال دون النساء.

ولعلّ بعض المفتونين بحضارة الغرب يظنون أن الدعوة إلى تعميم التعليم وجعله حقاً مشاعاً كالماء والهواء - إنما هي من محدثات هذا العصر عصر الحرية والنور كما يزعمون، ولذلك نراهم يكثرون من ترداد هذه الدعوى في إعجاب ومغالاة، ولكن الذين يمعنون النظر في تراث الثقافة الإسلامية يجدونه زاخراً بالمثل والشواهد الدالة على أن كثيراً من أعلام التاريخ الإسلامي قد هتفوا بهذه الدعوى وعملوا لها منذ مئات السنين بعد أن وضع أساسها إمام المرابين وخلفاؤه الراشدون.

وسنذكر فيما يلي أمثلة من ذلك تنوياً بفضل السلف الماجدين وإشادة بما أحرزوا في هذا المضمار من سبق وتقدم باهرين: فهذا الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يصور لنا شعور المسلمين بالحاجة إلى العلم وتقديرهم لخطره وأهميته في الحياة منذ مائة وألف سنة ونيف فيقول: «الناس محتاجون إلى العلم قبل الخبز والماء، لأن العلم يحتاج إليه في كل ساعة والخبز والماء في اليوم مرة أو مرتين»؛ وإذا كان علماء الأمة وقادة الرأي فيها يؤمنون بهذه الفكرة ويبثونها في مجالسهم وأنديتهم ويذيعونها على الشعب بشتى الطرق والأساليب، فليس غريباً أن تصدع الأمة بهذه الدعوة العظيمة تساهم جميع الطبقات في اقتباس العلم وإشاعته وتيسير سبله للأفراد كافة. وهذا الإمام الشافعي رضي عنه يضرب لنا أنبل الأمثلة على الشغف بالعلم والتفاني في إذاعته فيقول: «وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس؛ أوجر عليه ولا يحمدونني».

ولقد بلغ من حرص الناس على تحصيل العلم في عصور الإسلام الذهبية أن كان أحدهم ينفق جميع ما يملك في صدد هذا الطلب النبيل، فالإمام الشافعي أفلس ثلاث مرات في هذا السبيل، فكان يبيع قليله وكثيره حتى حلي ابنته وزوجته. والإمام أحمد يسأل عن رجل له خمسمائة درهم يصرفها في الغزو والجهاد أو يطلب العلم؟ يقول: إذا كان جاهلاً يطلب العلم أحب إلي فهو يفضل إنفاق تلك النقود في طلب العلم للجاهل على إنفاقها في الغزو والجهاد. وهذه أم ربيعة الرأي تنفق على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار وهو ما خلفه لها زوجها عندما أراد الخروج للغزو فلم يكن بدعاً أن تنجب تلك الأم الرشيدة عالماً جليلاً يكون شيخاً من أجل شيوخ الإمام مالك.

وتلك أم سفيان الثوري تضرب أروع الأمثلة للأمهات في ترغيب أبنائهن في طلب العلم وإيثارهم بصفوة كدهن في سبيل هذه الغاية السامية مع حسن التوجيه إلى ما يكفل للطالب الراغب النجاح والتفوق وذلك إذ تقول لأبنها: «أذهب فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل في نفسك زيادة فابتغه وإلا فلا تتعنى».

هذه طائفة يسيرة من آثار السلف الخالدة في الحض على التعليم والترغيب في شرف العلم سنعرزها بطائفة أخرى من مواقفهم الرائعة في تنشيط حركة التعليم وتشجيع المتعلمين، وذلك موضوع مقالنا التالي إنشاء الله تعالى.

كلمة عن العرب (*)

قال الدكتور عبد العزيز القوصي رئيس وفد مصر في المؤتمر الثقافي العربي المنعقد أخيراً في بغداد.. في كلمته التي ألقاها في حفلة افتتاح المؤتمر ما يلي:

".. نحن لا نريد أن نفخر بالماضي، ونعيش عليه فقط.. وإنما نريد أن نحول دراستنا للآثار والجغرافية والتاريخ إلى قوة ودعامة تدفعنا إلى الأمام!".

ثم مضى الدكتور القوصي يقول:

"إن كتبنا ومناهجنا مليئة بالألغام الثقافية.. ومليئة بالسموم الثقافية فما زلنا نتعلم أن والد العلوم الطبيعية هو "دالتون" وأن والد العلوم الرياضية هو "نيوتن" وأن والد علم الأحياء هو "دارون" وأن والد علم الوراثة هو "مندل". لقد آن أن نتعلم أن هؤلاء جميعاً "تتلمذوا" على علوم العرب.. وأن نعلم أولادنا فضل "الخوارزمي" على الرياضيات.. وفضل "ابن سينا" على الطب.. وفضل "الغزالي" و"ابن رشد" و"ابن خلدون" و"ابن الهيثم" وغيرهم.. إن هؤلاء وغيرهم من آلاف العلماء

(*) المصدر: "مجلة المنهل" - ج ٦، و ١٨، جماد الآخرة ١٣٧٧هـ / ديسمبر ١٩٥٧م.

العرب قد شع فضلهم من بغداد ودمشق وشمال إفريقيا وقرطبة وغرناطة إلى أواسط أوروبا. . . " .

هذا ما يقوله الدكتور القوصي عن العرب. . . وعن أستاذية العرب على العالم. . . وأحسب أن قارئاً متعلماً لا يمكن أن يجهل من هو الدكتور القوصي، وما مكانه بين العلماء والمفكرين!

إنه أحد كبار رجال التربية والتعليم والثقافة في مصر. . . فكل ما يقوله إذن له وزنه على هذا الاعتبار.

وفي الواقع أن ما يقوله الدكتور القوصي عن الألغام الثقافية والسموم الثقافية. . . هو الحقيقة التي لا مرأى فيها. . . فما أكثر ما ملأ الدسائون والمغرضون من أعداء العروبة والإسلام كتب التعليم ومناهج التعليم بهذه الألغام وبهذه السموم!

إنه الاستعمار - أيها القارئ الكريم - ولا شيء غير الاستعمار! هذا الاستعمار هو الذي ملأ هذه الكتب وهذه المناهج بتلك السموم وتلك الألغام. . .

هذا الاستعمار هو الذي عندما سيطر على أجهزة الحكم ردهاً من الزمن في أكثر من بلد عربي واحد أحال مناهجها التعليمية إلى هياكل عظمية ليس فيها أي روح، وليس فيها أية حياة. . .

ويا ليت الأمر مع الاستعمار قد وقف به عند هذه الناحية السلبية فحسب. . . بل إنه زاد على ذلك أن ملأ هذه الهياكل العظيمة بشتى أنواع السموم!

ومن هنا. . . ومن هنا فقط أمكن للاستعمار السياسي أن ينشئ له زميلاً آخر، لا يقل عنه شراً. . . بل ربما يزيد. . . وأعني به الاستعمار الثقافي.

ومن هنا.. ومن هنا فقط كان لا بد من أن ينحرف معظم الذين تلقوا علومهم في ظل تلك المناهج.. ومن هنا أتوماتيكياً كان لا بد من أن تكون السمات الغالبة على أكثر الناشئين هو الجهل الفاضح بحقيقة تاريخ العرب وحقيقة تاريخ الإسلام!

ومن هنا مع الأسف أصبحنا نجد أنفسنا أمام فوضى لا مثيل لها.. فوضى في الأخلاق، وفوضى في الأدب وفوضى في العلم وفوضى في التاريخ وأخيراً فوضى في جميع الآراء..

حتى أنك لتجد - والأسى والحزن يملآن قلبك - من يسمعك بصريح القول أن أولئك العرب المسلمين القدامى عند ما فتحو أقطار الأرض في عصورهم الذهبية الأولى لينشروا فيها أنوار الإسلام، إنما كانوا غزاة مستعمرين..!

أجل.. "مستعمرين" هكذا تسمعا من أحد المستشرقين.. بل تسمعا من عربي مسلم، يعيش في بلاد عربية إسلامية!

والعجيب في الأمر أن يقولها دون أن يتردد أو يتلعثم.. حتى ليكاد يخامرك الشك في أن من يتلفظ بهذا الكلام أمامك إنما هو أحد المبشرين أو أحد المستشرقين، أو أحد أولئك الناقلين على العرب والمسلمين من بقايا الشعوبيين وأحفاد الصليبيين!

إنها ألغام الاستعمار وسموم الاستعمار.. هي السبب في تنشئة هذه العقليات الغربية!

وأنه لحق لا ريب فيه.. ما قاله المرابي الكبير الدكتور القوصي في خطابه الذي أسلفنا الإشارة إليه من أنه قد آن لنا أن نعلم أولادنا فضل علماء العرب على مختلف العلوم، وبالتالي فضل العرب على الإنسانية

والحضارة.. وما من شك في أن المادة الأولى في هذه الخطوة التعليمية الكبرى إنما تتركز قبل كل شيء وبعد كل شيء في إصلاح برامج التعليم^(١) في العالم العربي كله من أساسها.. على شرط واحد هو أن نزيل - أولاً - تلك الألغام وتلك السموم!

فهل يمكن أن يتحقق هذا؟

(١) الدعوة إلى إصلاح برامج التعليم في العالم العربي أطلقها الكاتب هنا، وهو من رجال التربية والتعليم، قبل أكثر من أربعين عاماً.

مشاعر الجزيرة الناهضة يعبر عنها أبنائها (*)

الفجر يتجدد

قرأت بيتاً من الشعر وقفت عنده طويلاً أسأل من قائله؟! فقد تنسمت
فيه ريح النفس العربية الحرة الأبية والعقل العربي المدرك العارف. أما
البيت فهو:

من هنا شع للحقيقة فجر من قديم ومن هنا يتجدد!

إلا أنها البشري أثلجت صدري، إذ اسمع وأرى من يؤمن بأن الفجر
قد شع من هنا فأضاء الدنيا. . ومن هنا يتجدد!

وشر البيت الأول تقرير لحقيقة تاريخية لا يختلف فيها اثنان، ولكن
الإيمان الذي عبر عنه الشاعر في الشرط الثاني بقوله: "ومن هنا يتجدد"
هو بيت القصيد. .

فلكم كان يحز في نفسي أن أسمع واقراً كلاماً لرجال من العرب

(*) المصدر: "مجلة المنهل"، ج ٣، وح ١٦، ربيع الأول ١٣٧٥هـ/اكتوبر - نوفمبر ١٩٥٥م

المبهورين بمظاهر الحضارة الراهنة، يدل على أنهم قد تحولوا عن كعبتهم فحرقوا أنفسهم ووطنوا أن الخير عند غيرهم من أمم الأرض، لقد فتن هؤلاء التقدم المادي في ميادين العلم والصناعة، وبما أن العرب تخلفوا في هذه الميادين فقد حقت عليهم كلمة التأخر والجمود. وإذن فينبغي أن تكون قدوتهم - إذا أرادوا نهوضاً وتقدماً - تلك الأمم الناهضة السابقة حتى لقد قال رجل يزعمون أنه أديب الجيل أو عميد الأدب، إن واجب العرب هو الأخذ بالحضارة الأوروبية بخيرها وشرها!! حلوها ومرها! ونشر هذا الرأي في كتاب على الناس.

ولقد جاء هذا الشاعر ببيتة البليغ ولم اقرأ بقية قصيدته بعد - يزيل في سهولة ويسر تلك الأوهام الضالة وينبه العرب إلى الفجر الذي شع على الجزيرة وأضاء الدنيا بالخير والعدل من قديم. هذا الفجر، سيتجدد إشعاعه من هنا أيضاً، حيث بيت الله الحرام.

إن هذه الحقيقة ينبغي أن يؤمن بها العرب تماماً فيعملوا على تحقيقها لخيرهم وخير الناس جميعاً.

إن القوى العلمية والمادية والصناعية في يد الإنسان المؤمن التقى تتحول إلى أعمال خيرة نافعة للناس كافة، وهذه القوى نفسها في يد الإنسان الجاحد الضال. تتحول إلى أعمال ضارة مدمرة لبني الإنسان جميعاً.

وقرأت بعد ذلك في عدد المنهل الخاص قصيدة كاملة للأستاذ السيد محمد السنوسي فإذا بأبياتها تتضمن من المعاني ما يتسق مع هذا البيت القوي:

من هنا شع للحقيقة فجر من قديم ومن هنا يتجدد

لقد بدأت يقظة العرب وها هم أولاء أبناء الجزيرة يعبرون عن مشاعر قومهم في قوة وبلاغة ووضوح . . ويدفعون ببيانهم النهضة حتى يسترد العرب مكانهم من العالم .

يقول السنوسي في قصيدته "أم القرى" :

يا مركز الإشعاع يا ينبوعه

يا كوثر الأضواء يا أم القرى

منك استمد الكون سر جماله

وسمى (ديمقراطية) وتحضرا

ثم يقول :

تتضرع الدنيا لديك ويرتمي

في لابتيك (جبينها) متعفرا

وإليك تتجه القلوب فوجهي

قلب العروبة تحو توثيق العرى

مدى أنا ملك الرقاق ولطفي

بيديك هذا العالم المتوترا

يقظة وإشراق :

ويتحدث عن الشرق - ويعني به العرب - في قوة وبلاغة فيقول : لا

فض فوه :

الشرق والإشراق من أسمائه

ما كان إلا الحاكم المتسيطرا

فإذا تغشاه الضباب وقيدت
خطوات أمته القيود تأخرا
فالليث يجمع نفسه متحفزا
للوثب حين تراه يمشي القهقري
والنسر ينفذ من جناحيه الندي
قبل الصعود إلى السماء مبكرا
وهدهوء أمواج البحار تأهب
للمد يكتسح الشواطئ صرصرا
ودخان أذيال السحاب طليعة
لسنا البروق تلظيا وتسعرا
لا الشرق مخمور الشعور ولا السنى
سكرى ولا وعي الشعوب مخدرا

دعوة ابن عبد الله :

إنه رجل يحسن التعبير عن مشاعر قومه العرب في بيان بليغ ومن قبل
ذلك قال عن دعوة " ابن عبد الله " ﷺ .

في دعوة كالشمس ساطعة السننا
الفضل للأعمال في دستورها
وإذا البرية تحت ظل لوائها
أمم تؤلفها العقيدة نسبة
تهدي الضليل وترشد المتحيرا
لا للمناصب والمناسب والثرا
إسلامها القربى وتقواها العرى
ومن " العقيدة " ما يفوق العنصرنا

الأسوة الحسنة

والآن هل عرفتم طريقكم أيها العرب للنهوض والتقدم؟ إنه سبيل أجدادكم التآسي بمحمد وأصحابه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . إن رسالة محمد ﷺ قائمة مدوية موجهة إلى العرب أولاً ثم إلى العالمين . وإن هذه المشاعر الطيبة التي تجيش بها نفوس أمثال شاعرنا السنوسي لدليل على بشائر الفجر بإذن الله .

ولعلّ من المصادفات العجيبة أن تنبت الجزيرة شعراً حياً كهذا الذي نقرأه في الوقت الذي يصيح فيه عميد الأدب المزعوم في مصر بقوله : " ليس في مصر شعر ولا شعراء " إلا فليهبون على نفسه، العميد، فإن الجزيرة التي نبت الشعر فيها ونما، ونزل القرآن فيها وأضاء الكون لا زالت، كما هي بأرضها وسماؤها ورمالها وصحرائها وسكانها الذين يتحركون بعد الغفوة ويهبون بعد السكون فإذا هم في الطليعة قولاً وعملاً .

وفي فحولة واعتداد بالنفس يختم الشاعر قصيدته بقوله :

أملقت من أدبي إذا هو لم يكن

شعلاً تنير صوى الطريق لمن سرى

وبرئت من قلبي إذا هو لم يكن

فتنا بأحلام العروبة مشمرا

غرس نضحت عليه فيضاً من دم

حر يؤججه الشعور تأثراً

إلا فلتطمئن أيها الفتى فلن تملق من أدبك، ولن تبرأ من قلمك، ذلك

لأنك صدقت فيما قلت وأحسنت، و" ما على المحسنين من سبيل " .

(*) الشعراء الذين تأثرت بشعرهم

كثير هم الشعراء الذين أحببتهم وأعجبت بهم، ولست أزعم أنني تأثرت بواحد منهم تأثراً خاصاً فيما صدر عني من شعر ونثر ضئيل المحصول زهيد القيمة، لأنني لا أدعي لنفسني منزلة في الشعر تضعني في صف الشعراء الذين يتميز شعرهم بطابع خاص وسمة واضحة الملامح.

ولعلي لا أظلم نفسي ولا أخدع القارئ الكريم إذا أنا أعلنت هنا بأن قرضي للشعر لم يكن سوى نزوة من نزوات الشباب كانت بمثابة صدى للمحيط الذي اندمجت فيه عندما كنت طالباً في الأزهر ودار العلوم، فقد كان هذا المحيط حافلاً بالشعراء الناشئين وميداناً فسيحاً لهواة الأدب من الطلاب المصريين والشبان الوافدين على مصر للدراسة في معاهدها العالية من أبناء الأقطار العربية، ولما كنت واحداً من هؤلاء الشبان، فقد جذبني ذلك التيار الصاخب إلى زمرة الشعراء والمتشاعرين وخضت عبابه مع الخائضين. ثم لم ألبث أن شعرت بقصر نفسي دون مباراة فرسان هذه الحلبة ففضلت - بعد أن جربت في الشعر حالي - فضلت أن أنهزم مع صاحبي الذي فرق الهيجاء. ولكن بعض الأصدقاء. سامحهم الله، أمسكوا بتلابيبي حيناً من الدهر، وأبوا إلا أن يسلكوني في زمرة الشعراء أو

المتشاعرين لا أدري، ولو أنصفوا لعلموا أن دعوى الشعر التي ينسبونها إلي ما هي إلا كدعوى آل حرب في زياد، على أنني إذا أنكرت دعوى الشعر وما إليها فلست أنكر أن بعض الشعراء العبقريين قد استطاعوا أن يجذبوني بسحر بيانهم إلى ورود مناهل الأدب الرفيع وأن يحببوا إلى دراسة الشعر وتذوقه واقتناص أوابده وفرائده. ولا شك أن مصاحبتي لهؤلاء الشعراء قد أثرت في ذوقي وميولي الأدبية وربما كان لها صداها فيما صدر عني من شعر ونثر متواضعين. بل ربما كان إعجابي بأولئك الشعراء أبعد أثراً في شبابي بما حبه إلي من المثل العليا للرجولة الكاملة والأخلاق الكريمة وبما أججه بين جوانحي من هيام واعتزاز بأمجاد العروبة والإسلام.

وإذ كان المقام لا يتسع لاستيعاب الشعراء الذين أحببتهم وأعجبت بهم، فإني سأقصر كلامي هنا على شاعرين منهم فقط، أحدهما من أعلام المتقدمين، والآخر من أعلام العصر الحديث. أما الشاعر المتقدم فهو أبو الطيب المتنبي، وهو أول شاعر أخذت بروعة شعره وعبقرية مواهبه، لأنني وجدت فيه الروح الذي يتجاوب مع طموح الشباب وآماله وأمانيه، والوقود الذي يمد عزيمته بالقوة والإقدام. ولا غرابة في ذلك، فالمتنبي شاعر الشباب والفتوة لأنه الشاعر الفارس الطموح الذي ملأ القلوب والأسماع بروعة شعره وعبقرية مواهبه وعلو همته وبعد مطامحه، وترك في الدنيا دويماً (كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر). ثم هو فوق ذلك كله الشاعر الذي حمل شعره إلى الأجيال والقرون رسالة العروبة الزاخرة بالحياة والعزة والكفاح فأصغى إليها العالم ورجعها الدهر ترجيع إعجاب وإكبار، فإذا هو كما قال:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

أجل، إنه الشاعر الذي رفع صوت العروبة عالياً منذ أكثر من ألف عام وأهاب بالعرب الأحرار أن يحطموا أصفاد الذل والاستعباد وأن يثوروا على سلطان الأعاجم المتغلبين عليهم. وها هو ذا شعر المتنبي بين أيدينا ينبض بهذا الروح العربي النبيل. وها هي ذي شخصيته الفذة تطالعنا من مرآة شعره بوجه عربي أصيل ونفس أبية تواقفة إلى المجد نزاعة إلى السيادة. وإن هذه الشخصية القوية لتتجلى في كل قصيدة من قصائده واضحة السمات والملامح معتزة بعروبيتها مدلة بعبقريتها، وإن أضواءها المشرقة لتكاد تغطي على كل شخصية تقف تجاهها، حتى تلك الشخصيات الكبيرة التي مدحها المتنبي، لم تتضاءل شخصية المتنبي أمام واحد من هؤلاء ولو ملكاً عظيماً أو أميراً جليلاً. بل إنه ليعد نفسه نداً لهم ونظيراً. استمع إليه وهو يخاطب ملك مصر الأخشيدي بقوله:

فارم بي ما أردت مني فإني أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي بهر الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء

وتأمل ما في هذين البيتين من طموح واعتداد بالنفس.. ثم اصغ إليه
إذ ينشد أبا العشائر وصاحب أنطاكية - قوله:

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدفاق
لم تزل تسمع المديح ولكن سهيل الجياد غير النهاق

بل اصغ إليه وهو يعاتب سيف الدولة ممدوحه المفضل على كل
ممدوح. وانظر كيف يتحدى المتنبي رجال حاشية سيف الدولة والمقربين
إليه، وكيف يدل بفضله ومواهبه إذ يقول:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
الخيال والليل والبيداء تعرفني
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
إذا استوت عنده الأنوار والظلم
بأنني خير من تسعى به قدم
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

أما اعتزازه بعرويته وفخره بشرف نفسه وكرم محتده، فالأمثلة لذلك كثيرة في شعره وحسبنا منها هنا قوله:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبهم فخر كل من نطق الضاد
وبنفسني فخرت لا بجدودي
وعوذ الجاني وغوث الطريد

وقوله:

وإنما الناس بالملوك وما تفلح
لا أدب عندهم ولا حسب
عرب ملوكها عجم
ولا عهد لهم ولا ذمم

وأما أبياته الحافزة إلى العزة والإياء والطموح والإقدام، فأكثر من أن تحصر هنا، وحسبنا الأبيات التالية مثلاً لذلك:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
لا كما قد حيتت غير حميد
بين طعن القنا وخفق البنود
وإذا مت مت غير فقيد

وقوله:

إذا غامرت في شرف مروم
فطعم الموت في أمر حقير
فلا تقنع بما دون النجوم
كطعم الموت في أمر عظيم

تلك صورة مجملة للشاعر الذي أثرته على الشعراء المتقدمين قاطبة، على كثرة المجيدين منهم والمبدعين.

أما الشاعر الذي أوثره على شعراء العصر الحديث جميعاً، لافتتاني بسحر بيانه وإعجابي بخصب خياله وبراعة تصويره وإجلالي لمثله العليا وإكباري لنبل عاطفته تجاه وطنه وتجاه العالمين العربي والإسلامي - فهو أحمد شوقي زعيم المجددين في العصر الحديث بما نظمه من عيون الشعر الرصين في كل فن من فنونه وبما ابتدعه في الشعر العربي من المسرحيات الخالدة التي لم يفتزعها أحد قبله.

وبما سجله من الملاحم والقصائد الرائعة لأحداث العالم الكبار ولمظاهر الحضارة والتقدم، فكان بحق أمير الشعر العربي. أجمع على إمارته أعلام البيان في عصره وبإيعوه بها في مهرجانه العظيم وسجل هذه البيعة شاعر النيل الكبير^(١) أروع تسجيل في قوله:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وإذا كان أساطين البيان قد بايعوا شوقياً بإمارة الشعر، فإن من حقه أيضاً أن يلقب بشاعر العروبة والإسلام، لما أشاد به من مآثرهما وما سجله من أحداثهما حتى ليكاد يكون شعره سجلاً حافلاً بأمجاد العروبة والإسلام وشريطاً ناطقاً بما جرى في العالمين العربي والإسلامي من الأحداث الكبار. ولذلك، لم يكن غريباً أن يتجاوب صدى شعر شوقي في المشرقين وأن يتغنى به الناطقون بالضاد في كل قطر من أقطارهم،

(١) حافظ إبراهيم.

لأنهم وجدوا فيه صوراً ناطقة بأمجادهم وأحسوا في نبراته نبض آلامهم،
فكان كما قال:

كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه

ولقد أحسن شوقي أيما إحسان في التعبير عن أهدافه من الشعر إذ

يقول:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام إخوان

وحسبنا شاهداً على سمو عاطفته نحو وطنه (مصر) حنينه إليه وهو

بالأندلس وتغنيه بذكرياته الحبيبة في قصيدته الخالدة التي يقول فيها:

اختلاف النهار والليل ينسي أذكرا لي الصبا وأيام أنسي
وصفا لي حلاوة من شباب صورت من تصورات ومس
عصفت كالصبا اللعوب ومرت سنة حلوة ولذة خلّس
وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسّى
كلما مرت الليالي عليه رق والعهد في الليالي تقسي
يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ما له مولعاً بمنع وحبس
أحرام على بلبله الدو ح حلال للطير من كل جنس
كل أرض أحق بالأهل إلا في خبيث من المذاهب رجس

* * *

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي
وهفا بالفؤاد في سلسبيل ظمأ للسواد من "عين شمس"

شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخل حسي
يصبح الفكر و «المسلة» ناد يه و«السرحة الزكية» يمسي

أما نبيل عاطفته نحو البلاد العربية جمعاء، فقد تجلى في مشاركته لكل قطر من أقطارها في أحداثه الكبرى، بقصائده النابضة بأنبل عواطف الأخوة والمواساة.. ويكفينا شاهداً على ذلك قصيدته التي حيا فيها جهاد سوريا وكفاحها في سبيل استقلالها وحريتها. (وهذه بعض أبياتها) وناهيك بما فيها من شعور فياض بوحدة هذه الأقطار ورغبة صادقة في تحقيق آمالها وأمانيتها:

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق
بني سورية اطرحوا الأمانى وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغروا بألقاب الإمارة وهي رق
وكم صيد^(١) بدا لك من ذليل كما مالت من المصلوب عنق^(٢)
فتوق الملك تحدث ثم تمضي ولا يمضي لمختلفين فتق
نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق
وقفتم بين موت أو حياة فإن رمتم نعيم الدهر فاشقوا
ولالأوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
ومن يسقي ويشرب بالمنايا إذا الأحرار لم يُسَقُوا وَيُسَقُوا؟

(١) الصيد: محرقة بالفتح - الكبر.

(٢) العنق: بضم ثانيه وسُكِّن هنا تخفيفاً: الرقبة، ومن عادة المتكبر الميل بعنقه. (القاموس المحيط).

ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يذني الحقوق ولا يحق
ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مزرجة يدق

أما تغني شوقي بأمجاد العروبة والإسلام فقد بلغ فيه الذروة التي
تتطامن دونها الأعناق ولطالما هزت روائعه القلوب والألباب وأسكرتها
بألحانها العذاب. وحسبنا هذه الأبيات مثلاً لذلك النمط العالي في التغني
بهذه الأمجاد:

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت مشت ممالكه في نورها التمم
وعلمت أمة بالفقر نازلةً رَغِيَ القياصر بعد الشاء والنعم
كم شيد المصلحون العاملون بها في الشرق والغرب ملكاً باذخ العظم
للعلم والعدل والتمدين ما عزموا من الأمور وما شادوا من الحزم
سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم
ساروا عليها هداة الناس فهي بهم إلى الفلاح طريق واضح العظم
لا يهدم الدهر ركناً شاد عدلهم وحائط البغي إن تلمسه ينهدم

* * *

دع عنك روما وآثينا وما حوتا كل اليواقيت في بغداد والتُّوم^(١)
وخل كسرى وإيواناً يدل به هوى على أثر الإيوان والأيم
واترك رعمسيس كان الملك مظهره في نهضة العدل لا في نهضة الهرم

(١) التوم: جمع تومه، وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرّة.

دار الشرائع روما كل ما ذكرت
ما ضارعتها بياناً عند ملتأم
ولا احتوت في طراز من قياصرها
من الذين إذا سارت كتائبهم
ويجلسون إلى علم ومعرفة
يطاطيء العلماء الهام إن يئسوا
ويمطرون فما بالأرض من محل
خلائف الله جلوا عن موازنة
دار السلام لها ألفت يد السلم
ولا حكته قضاء عند مختصم
على رشيد ومأمون ومعتصم
تصرفوا بحدود الأرض والتخم
فلا يدانون في عقل ولا فهم
من هيبة العلم لا من هيبة الحكم
ولا بمن بات فوق الأرض من عدم
فلا نقيسن أملاك الورى بهم

* * *

وأخيراً، أرجو أن أكون وفقت إلى الاستجابة لرغبة الصديق الكريم
الأستاذ الأنصاري، كما أرجو لمجلته الغراء كل توفيق وتقدم.

الوحدة العربية - كيف تتحقق؟ (*)

«إن مستقبل الإسلام يتوقف على وحدة العرب، فإذا تمت وحدة العرب علا شأن الإسلام».

«السيد إقبال»

(شاعر الهند الإسلامية)

ما هام العربي في حياته بشيء هيامه بحريته واستقلاله، ولا أغرق في أمر إغراقه في تمجيدها وتقديسها إلى الحد الذي كادت تصبح فيه قطعة من حياته وصفة من أخص صفاته. وسواء أحسن العربي استخدام حريته أم أساء، فإنه مما لا ريب فيه أن ميزة احتفاظ القومية العربية بعناصرها وميزاتها خالصة نقية، يرجع أكبر الفضل فيه إلى تعلق أفرادها بأهداف الحرية وتفانيهم في الذود عن حياضها وإن هاته الحرية التي لازمت ابن الصحراء في جاهليته ملازمة الشمس لسماائه لم يكن الإسلام - وهو الدين الذي أعلن الحقوق الإنسانية وأقرها كاملة غير منقوصة - ليهدرها في العربي ويسلبه أقدس نعمة أنعم الله بها على عباده. أجل، لقد أظل الإسلام الحرية بجناحه وأقامها على أساس من الحكمة والاعتدال. فلم يفقد العربي في كنف الإسلام ذلك المحبوب الذي طالما شغفه حباً

(*) المصدر: وحي الصحراء ص ١٢٩ ط ١٣٥٥ هـ - ط ١٤٠٣ هـ.

وهياماً، وإذاً فمن الطبيعي أن يكون العربي الذي يقسر على التنازل عن قسط من حرите لا يتنازل عنه إلا ريثما يستتجم قواه لاسترداده وافرأ غير مبتور .

من أجل ذلك حينما أحس أحرار العرب زراية الترك بهم واستبدادهم بحريتهم - ما عتموا أن ثاروا ثورتهم الكبرى غير متهييين ما تتطلبه من ضحايا جسيمة، فأقدموا على ساحات الخطر أقدام الأبطال، واستطاعوا أن يغسلوا ما لحق أمتهم من وصمة العار والاستكانة للذل بما أراقوه من نفوس شريفة . وإذ ذاك أمكنهم أن يدقوا باب الحرية المحبوبة بيد مضرجة بدمائهم الزكية . واستطاعوا أن يسطروا بهاتيك الدماء الغالية . «إن عربي اليوم هو ابن عربي الأمس لا يعنوا للذل ولا يرضخ للاستعباد» لكن - والأسف يملأ ما بين الجوانح - لم تطل نشوة العرب بما أحرزوه من ظفر لحريرتهم، ولم تدم غبطتهم بنعمة الاستقلال الذي أقاموه على أشلاء ضحاياهم وشهداءهم الأبرار . فما هي إلا أيام معدودات حتى فوجئت بعض شعوبهم بنكبة الاستعباد مرة أخرى، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله والعروبة وما ضعفوا وما استكانوا، بل أعلنوا حياة الجهاد والكفاح وعاهدوا الله والوطن المقدس ألا يرضوا من الحرية بديلاً، وهكذا رأينا البلاد العربية - ولما تجف بعد دماء شهدائها ولما تندمل كلومهم - تضرم نار الثورة من جديد وتشهد الإنسانية جمعاء بأن الشعوب العربية لن تقر الضيم ولن ترضى بالهوان، فثار العراقيون ثورتهم المجيدة وصمدوا للكفاح صمود الأشاوس وبرهنوا على أن في العراق شعباً لا يحني للحيف رأساً ولا يظأطىء للذل هاماً، وأعلنوا للعالم أجمع بأن على الرافدين :

أمة تنشئ الحياة وتبنى كبناء الأبوة الأمجاد

ولم يكن أبناء سوريا وهم سلائل أولئك العرب الأحرار بأقل إياء للضيم ونضالاً في سبيل الاستقلال من إخوانهم العراقيين، وإن تكن الأقدار لم تهيبء لهم ما هيأت لإخوانهم أبناء العراق من نجاح وتوفيق. وإذا كانت الأحداث قد عصفت بالأماني العربية حين تنكرت لها فمزقتها شر ممزق، فإن القدر كان أرحم بها من أن يسلبها كل أمر في الحرية والاستقلال، فقد قيض للقسم الأكبر من جزيرتها عاهل العرب العظيم جلالة الملك عبد العزيز السعود. فنهض بهذا الأمر واضطلع بأعبائه واستطاع أن يكلاً معقل العروبة وأن يقف دون حماها وقوف الليث دون عرينه. بيد أنه مما يؤسف له أن هذا القسم من الجزيرة أيضاً لم يسلم من الفتن والقتال، إذ لا تكاد تمضي حقبة من الزمن إلا وتحدث في الجزيرة مأساة تقض مضجع كل عربي كريم وتذهب نفسه من جرائم حسرات. ولولا حكمة صقر العروبة وبطلها الكبير لاستعرت نيران الفتنة من كل جانب ولأودت بالبقية من عتاد العرب وذخرهم الثمين، فعسى الله أن يوفق ملوك العرب وزعماءهم الأمجاد لجمع شمل الشعوب العربية والإبقاء على تلك النفوس الكريمة، درع الأمة العربية وجناحها الذي به تنهض:

وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن قص يوماً ريشه فهو واقع

ولله در معاوية بن أبي سفيان إذ يقول: «ألا إن دروع هذا الحي من قريش إخوانهم من العرب المتشابكة أرحامهم تشابك حلق الدروع التي إن ذهبت حلقة منها فرقت بين أربع. ولا تزال السيوف تكره مذاقة لحوم قريش ما بقيت درعها معها وشدت نطقها عليها، فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جزراً». والآن وقد ألقينا نظرة سريعة على بعض مراحل جهاد العرب في سبيل حريتهم واستقلالهم - ننتقل إلى ذكر الهدف الأسمى

الذي كان ينشده عقلاؤهم من كفاحهم ونضالهم والوسائل المؤدية إلى تحقيقه .

أما المثل الأعلى الذي هو مطمح كل عربي صادق في عروبتة، فهو وحدة العرب الكاملة التي تنظم شمل الأمة العربية في جميع نواحيها وتحكم ما بين جماعاتها من وشائج الرحم وأواصر القرابة وروابط التعاون والاتحاد، حتى تصبح في مأمن من كيد الكائدين وأطماع الطامعين . وأما الوسائل المفضية إلى ذلك، فيمكن إجمالها في الأمور الآتية: (ومن دواعي الابتهاج العظيم أن بعضها قد تحقق بفضل الملوك العظام والزعماء المخلصين). وها هي ذي الأمور المنوه عنها:

١ - إبرام معاهدات تحالفية بين ملوك العرب وأمرائهم وأرباب السلطة والنفوذ فيهم .

٢ - عقد اتفاقات تذلل بمقتضاها الحواجز الجمركية وتوطد العلاقات التجارية على قواعد تكفل تبادل المصالح وسهولة الانتفاع بها في كل بلاد عربية .

٣ - تأسيس شركات اقتصادية تقوم باستثمار خيرات البلاد العربية واستنباط موارد الثروة فيها وإنشاء المشروعات العمرانية التعاونية .

٤ - توحيد برامج التربية والتعليم إلى الحد الذي لا يتنافى مع حاجة كل قطر الطبيعية .

٥ - نشر التأليف والروايات والصحف التي تبث في الأمة روح الوحدة والعزة والطموح والسيادة القومية .

٦ - تنظيم الصلات وتوثيق الروابط بين الجمعيات والهيئات العلمية والأدبية .

٧ - تنشيط تبادل الزيارات والرحلات بين هذه البلاد، ولا سيما رحلات القادة والمفكرين وطلاب العلم وفرق الكشف.

٨ - عقد مؤتمرات متداولة تمثل فيها جميع الأقطار العربية لمواصلة السعي في كل ما يهم العرب وورقي بلادهم وينهض بشؤونهم الاجتماعية.

٩ - تنسيق معارض دورية تتعاقب في الأقطار لترويج حاصلاتها وترقية منتجاتها.

١٠ - توحيد المصالح الممكن توحيدها، كوسائل المواصلات والبريد وما إلى ذلك.

١١ - تأسيس اتحادات عامة بين طوائف العمال تسعى لتنظيم جهودهم ورفع مستواهم الاقتصادي والأدبي في جميع البلاد العربية.

١٢ - تنظيم مكاتب في الداخل والخارج لترويج الدعاية للقومية العربية والثقافة العربية وكل ما هو عربي. وبدهي أن تحقيق هذه الوسائل يتطلب جهوداً كبيرة تساهم فيها جميع الهيئات والجماعات المحترمة، على أن واجب الزعماء والقادة وأصحاب رؤوس الأموال أعظم، والتبعية الملقاة على عاتقهم أكبر، فهم المالكون لأسباب قيادة هذه الحركة والقادرون على تسيير دفتها، فالأنظار إليهم متطلعة والآمال على مساعيهم معقودة. «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عال الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون».

الإسعاف في الإسلام (*)

أيها السادة :

تقوم جمعيات الإسعاف في الأمم المتمدينة بجهود عظيمة في خدمة الإنسانية وتخفيف آلامها، فنجد من تقدير تلك الأمم وعطفها وبرها ما يشدها أزرها ويشجعها على المضي قدماً في طريقها. وتقوم جمعية الإسعاف عندنا على حداثة عهدنا بمساعيها المبرورة في خدمة هذا الوطن المقدس فلا تجد من أبنائه ما هي خليقة به من مؤازرة وتشجيع ولكن ذلك لا يفت في عضدها ولا يصرفها عن أداء واجبها بل إن إخلاصها لغايتها وإيمانها بالله يدفعانها إلى ابتكارها وسيلة أخرى من وسائل الإسعاف، أحسبها بزت فيها سائر جماعات الإسعاف، وأعني بها هذا الإسعاف الثقافي الأولى، إسعاف العقول والنفوس بهذه المحاضرات المشتملة على طائفة منتخبة من عناصر التثقيف والتهديب فإذا هي تهيئ بذلك للجمهور مصحة ومدرسة ومنتدى في آن واحد. ثم هي في الوقت نفسه تمهد بعملها هذا الطريق لأداء رسالتها السمية وتعميم مبادئها النبيلة بطريقة مغرية وأسلوب جذاب.

(*) المصدر: البلاد السعودية ١١/٢/١٣٨٥هـ عدد ٩٦٩، في ١٧/١١/١٩٥٠م.

إن لم نسد إليها ما هي جديرة به من مؤازرة وتأيد:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

لذلك أيها السادة اخترت الإسعاف موضوعاً لمحاضرتي ليكون بمثابة تحية مني لهذه الجماعة وتنويهاً بفضل عملها ومجهوداتها وقد آثرت أن يكون حديثي في هذا الموضوع مستمداً من تاريخنا الإسلامي الزاخر باسمي مبادئ الإسعاف وأجل مساعيه. وبدهي ألا أحاول في محاضرتي هذه استقصاء تاريخ الإسعاف في الإسلام فذلك ما لا يتسنى لي الإحاطة به في مثل هذا المقام وإنما غايتي أن أقدم لحضراتكم في هذه المحاضرة أمثلة نموذجية من جهود السلف الصالح في هذا السبيل.

وستجدون في هذه الأمثلة على قلتها دروساً عالية وأدلة ناطقة بما بذله الأسلاف الأماجد من جهود موفقة. في وضع أسس هذا العمل الإنساني النبيل.

وليس بدعاً أيها السادة أن يظل الإسلام الإسعاف بجناحيه وهو الدين الذي أرسل الله به رسوله رحمة للعالمين فكان صلوات الله وسلامه عليه المثل البارز في الرحمة والعطف والمواساة وكان أعظم داعٍ إلى بذل المعروف وإغاثة الملهوف والرفقة بالضعفاء والبائسين.

وسرعان ما سرت هذه الروح الكريمة في نفوس المؤمنين وتغلغلت بين طيات قلوبهم، فتبارى في هذا الميدان جماعة من الخلفاء والأمراء واقتفى أثرهم كثير من الأغنياء فكان من آثار ذلك ما ساقص على حضراتكم طرفاً موجزاً منه وإذ كان النبي ﷺ هو النبيوع الذي تفجرت منه هذه العيون والمنهل الذي أستندت منه هذه الجداول فما أخلقني أن أتوج

هذا الموضوع بإكليل من جواهر كلمه ﷺ وقبس من ذلك النور الوهاج الذي هدى الإنسانية خير أسباب سعادتها ورشادها.

أرأيتم أيها السادة تمثيلاً لمعنى التعاطف والتراحم أروع من هذا التمثيل الذي مثل به النبي ﷺ المؤمنين في قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمي) أرأيتم كيف أجمل هذا الحديث فكرة التعاطف الإسلامي في أسمى وأجل معانيه وكيف ضرب للإنسانية جمعاء أعلى مثل للأخوة والمواساة في لفظ موجز وتمثيل رائع. إن جلال هذا الحديث وسمو فكرته لتزداد روعة وسناء إذا قارناه بما جاء في الأحاديث الأخرى المستفيضة المتضمنة أسمى مبادئ الإسعاف والمواساة كقوله ﷺ (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) وقوله ﷺ (من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة، واحدة فيها صلاح أمره كله واثنان وسبعون له درجات يوم القيامة)، وقوله ﷺ «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فاخره فشكر الله تعالى له فغفر له» وقوله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فشرب ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملاً خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فلقي الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له. قالوا يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً، قال في كل كيد رطبة أجر» أي في كل ذات روح. أي دعوة إلى المواساة والإسعاف أبلغ من هذه

الدعوة؟ وأي أسلوب أروع من هذا الأسلوب في تحبيب الرحمة إلى القلوب وأغراء الإنسان بالعطف على أخيه الإنسان؟ وأي رحمة أسمى من هذه الرحمة العلوية وهي تبسط جناحها لتظل بهما كل كائن حي حتى البهائم التي لا نكاد نقيم لحياتها وزناً ولا حساباً؟ أن يكن ثمت ما هو أروع وأحسن من تلك الدعوة الكريمة وهذه التعاليم الرحيمة فهي سيرة النبي ﷺ وحياته الحافلة بأسمى معاني الرحمة والبر، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه المثل البارز في الرأفة والمواساة، يحدب على الأيتام والأرامل والمنكوبين ويعطف على الفقراء والمساكين يواسيهم بنفسه ويصلهم ببره ويعود مرضاهم ويتفقد شؤونهم ويقضي حوائجهم وما أبلغ كلمة السيدة خديجة رضي الله عنها في تصوير هذه الناحية من حياته ﷺ: إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) فلا غرو وتلك دعوة النبي ﷺ وذلك طابع سيرته الغراء - أن نرى السلف الصالح آخذاً بأوفر نصيب من أعمال البر والمواساة ولا غرابة في أن نرى النساء المسلمات تساهمن بنصيبهن في هذا السبيل وفي طليعتهن أمهات المؤمنين: فهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وهذه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ يتقدمن غيرهن من نساء المسلمين في يوم أحد ويساهمن في إسعاف الجرحى والمكدودين يحملن القرب على متونهن، يسقين منها أولئك المجاهدين ويسعفنهن في ذلك الموقف العصيب. وهذه امرأة غفارية تأتي النبي ﷺ في نسوة من غفار فيقلن له - وهو يسير إلى خيبر - يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا فنداوي الجرحى: نعين المسلمين بما استطعنا فيأذن ﷺ لهن فيذهبن معه ويقمن بهذا الواجب خير قيام.

أما أصحاب رسول الله ﷺ فقد أحرزوا قصب السبق في هذا الميدان، على أن يظل هذا المضمار وفارسه الذي لا يشق له غبار - هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأعرض على حضراتكم أمثلة من أعمال هذا البطل العظيم وإسعافاته البالغة حد الروعة والجلال:

فمن ذلك القصة التالية:

بينما عمر يعمر ذات ليلة إذ مر برحبة من رحاب المدينة فإذا هو بيت شعر لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه فسلم عليه، ثم قال: من أنت، قال: رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله، فقال: ما هذا الصوت الذي أسمع في البيت؟ قال: انطلق رحمك الله لحاجتك. قال علي ذلك ما هو؟ قال: امرأة تمخض. قال: هل عندها أحد قال: لا. فانطلق حتى أتى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد. قالت: نعم. إن شئت. قال: فخذني معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن. وجيئني ببرمة وشحم وحبوب. فجاءت به فقال لها: انطلقني وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقال لها: أدخلني إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل، فقال له: أوقد لي ناراً ففعل فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت امرأته يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الأعرابي يا أمير المؤمنين كأنه هابه، فجعل يتنحى عنه، فقال له: مكانك كما كنت، فحمل البرمة فوضعها على الباب، ثم قال اشبعيها ففعلت، ثم أخرجت البرمة فوضعها على الباب فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل. وقال: كل ويحك فإنك قد

سهرت من الليل . وقال لامرأته : أخرجي . وقال للرجل إذا كان غداً فائتنا
نأمر لك بما يصلحك . فلما أصبح أتاه ففوض لابنه في الذرية وأعطاه .

ومن ذلك ما روي عن أسلم قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي
الله عنه إلى حرة وأقم ؛ حتى إذا كنا بصرار (بئر قديمة على ثلاثة أميال من
المدينة) إذا نار تُورى . قال يا أسلم ، إني أرى ههنا ركبناً قصر بهم الليل
والبرد ، انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها
صبيان ، وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون . فقال عمر : السلام
عليكم يا أهل الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار . فقالت وعليكم
السلام . فقال أدنو : فقالت :

أدن بخير أودع ، فدنا منها فقال :

ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد قال وما بال هؤلاء الصبية
يتضاغون ؟ قالت الجوع قال : وأي شيء في هذا القدر ؟ قالت ماء أسكنها
به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر . فقال : أي رحمك الله ، وما يدري عمر
بكم ؟ قالت يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟

فاقبل علي فقال : انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ،
فأخرج عدلاً من دقيق وكبة من شحم ، وقال : أحمله علي ، قلت أنا أحمله
عنك . قال : أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أم لك ؟ فحملته عليه فانطلق
وانطلقت معه إليها نهرول فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً ،
فجعل يقول لها : ذري علي وأنا أحر لك وجعل ينفخ تحت القدر وكانت
لحيته عظيمة . فرأيت الدخان يخرج من لحيته حتى طبخ لهم ثم أنزلها
وقال : أبغني شيئاً فاتته بصفحة فافرغها فيها فجعل يقول لها : اطعميهم وأنا
أسطح لهم (أي أبسطه حتى يبرد) .

فلم يزل حتى شبعوا. وترك عندها فضل ذاك ثم قام وقمت معه، فجعلت تقول:

جزاك الله خيراً. كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين فيقول قولي: خيراً إذا جئت أمير المؤمنين وجدني هناك إن شاء الله. ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مريضاً، فقلت له: لك شأن غير هذا؟ فلا يكلمني، حتى رأيت الصبية يصطرعون، ثم ناموا وهدأوا. فقام يحمد الله ثم أقبل علي فقال: يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحبب إلا انصرف حتى أرى ما رأيت.

إن القلم يعجز عن تصوير هذه العاطفة الكبيرة التي كان يحملها قلب هذا الخليفة العظيم ولعلّ القصة نفسها أبلغ وأروع تصويراً لتلك العاطفة النبيلة ولعلّ أروع ما في هذه القصة موقف عمر الأخير وكلمته المتدفقة عطفاً ورقة وحناناً (يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم. فأحببت ألا انصرف حتى أرى ما رأيت) لندع هذا إلى موقف آخر من مواقف عمر الإسعافية الفذة.

خرج عمر في سواد الليل فراه طلحة رضي الله عنهما، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة. فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع.

وكان عمر إذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم وفرض له رز يأخذه وليه كل شهر بما يصلحه، ثم ينقله من سنة إلى سنة وكان يوصي بهم خيراً ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال وأمر فكتب له عيال أهل

العوالي فكان يجري عليهم القوت وجمع ستين مسكيناً وأطعمهم الخبز فأحصوا ما أكلوه فوجدوه يخرج من جريين، ففرض لكل إنسان منهم له ولعياله جريين في الشهر هذا وقد تجلت عاطفة عمر رضي الله عنه بأجلى مظاهرها في عام الرمادة وهو سنة ١٨هـ العام الذي حصل فيه قحط شديد في الحجاز دام تسعة أشهر، فكان عمر رضي الله عنه يجلب الطعام والملابس من الأمصار الإسلامية، يوزع منها على المسلمين في المدينة وما حولها، يتعهدهم ويواسيهم بنفسه، ويوجه كذلك بالغذاء والملابس إلى نجد واليمن يتعاهد الجميع بما يصلح شأنهم ولقد بلغ من مواساته للمسلمين في تلك السنة أن حرم على نفسه اللحم والسمن وقصر غذاءه على الخبز والزيت فأصاب منهما اليسير ويؤثر المسلمين بما يصل إليه، فعن أم سلمة أن عمر رضي الله عنه كان يصوم الدهر، فكان زمان الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد تُرد بالزيت، إلى أن نحرُوا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس، وعرفوا له طيبها فأتى به فإذا قدر (قطع) من سنام ومن كبد فقال: إني هذا؟ قالوا يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا ليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها (الكراديس رؤوس العظام) ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام، فأتي بخبز وزيت. وجعل يكسر بيده ويشرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا سرفا (اسم غلامه) احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بشمغ (موضع وقف لعمر) فإنني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم.

ولم يقتصر عطف عمر ومواساته على جماعة المسلمين بل امتد رواق هذا العطف فأظل الذميين حتى اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا فقد

مر عمر رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: ما ألك إلى ما أرى، قال: اسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل - أي أعطاه شيئاً ليس بالكثير ثم أرسى إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضر بآه فوالله ما أنصفناه أكلنا شبيته ثم نخذه عند الهرم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والفقراء هم المسلمون)، وهذا من مساكين أهل الكتاب. ووضع عند الجزية وعن ضرباته، هذا بعض مواقف عمر الإسعافية وأنها لخبر. يأتي به المسلمون وأجل ما تفخر به الإنسانية.

فليس بدعاً بعد هذا أن نرى خلفاء المسلمين وملوكهم وأمرأهم يتبارون في هذا المضممار فيخلدون في صحيفة الإسعاف أعمالاً مجيدة وخدمات جليلة يذكرها التاريخ بلسان الإكبار والفخار فكم أنشأوا من ملاجيء ومستشفيات وأجروا عليها أنواع الأرزاق والمبرات وسأعرض على حضراتكم فيما يلي نماذج مما قاموا به من أعمال خالدة في هذا السبيل. فمن ذلك ما قام به الوليد بن عبد الملك.

وتخصيصه لذوي العاهات من العطاء ما يقوم بحياتهم وإعطائه كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً. هذا إلى ما قام به من إصلاح الطرق وحفر الآبار في البلدان ليستقي منها الناس في يسر وسهولة ومن ذلك ما قام به الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز في هذا السبيل من عمل الخانات^(١) في البلدان القاصية فقد كتب إلى سليمان بن أبي السرى أن أعمل خانات فمن مر بك من المسلمين فأكرموه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة

(١) الفنادق أو المساكن.

فاقروه يومين وليلتين، وإن كان متقطعاً فأبلغه بلده.

ومن ذلك ما قام به الجواد الأصفهاني من الأعمال الخالدة الذكر..

وفيما يلي أنقل لحضراتكم نبذة مما كتبه عطوفة الأمير شكيب أرسلان في كتابه الارتسامات اللطاف عن هذا المحسن العظيم، قال حفظه الله في ترجمته «فهو الوزير أبو جعفر محمد بن علي بن منصور اتصل بخدمة أنا بك زنكي في الموصل في الثلث الأول من القرن السادس للهجرة، وبعد أن قتل الملك المذكور استوزره سيف الدين غازي بن أنابك زنكي وفوض المور وتديبير الدولة إليه».

قال بن خلكان:

«فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ولم يزل يعطي ويبدل الأموال ويبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد، إلى أن قال «وأثر آثاراً جميلة وأجري الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه وبنى سور مدينة الرسول ﷺ وما كان خرب من مسجده وكان يحمل في كل سنة إلى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الأموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لا غير، ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق شيئاً».

ومما كتبه ابن جبير الرحالة الأندلسي عن هذا الوزير العظيم قوله «ولهذا الرجل رحمه الله من الآثار السننية والمفاخر العلية التي لم يسبق إليها أكابر الأجواد وسراة الأمجاد فيما سلف من الزمان، ما يقرر الإحصاء ويستغرق الشاء ويستصحب طول الأيام على الألسنة بالدعاء وحسبك أنه

اتسع اعتناؤه بإصلاح عامة طرق المسلمين بجهة الشرق من العمران إلى الشام إلى الحجاز حسبما نذكره. واستنبط المياه وبنى الجبار واخط المنازل في المغازات وأمر بعمارته مأوى لأبناء السبيل وكافة المسافرين وابتنى بالمدن المتصلة من العراق إلى الشام فنادق عينها لنزول الفقراء أبناء السبيل الذين يضعف أحدهم عن تأدية إلا كرية وأجرى على قومه تلك الفنادق والمنازل ما يقوم بمعيشتهم وعين لهم ذلك في وجوه تأيدت لهم فبقيت تلك الرسوم الكريمة ثابتة على مالها إلى الآن فسارت بجميل ذكر هذا الرجل الرفاق وملئت ثناء عليه الآفاق».

ومن ذلك ما قام به السلطان قلاوون في مصر فقد أنشأ بيمارستان وأعد فيه غرفاً متسعة وفرشها بالأسرة للمرضى من الفقراء والأغنياء على السواء وخاصة النساء.

ومن ذلك ما اثر عن صلاح الدين الأيوبي في هذا الباب من مآثر وأعمال ردد صداها المشرق والمغرب فقد كان من عطف صلاح الدين على الغرباء الطارئین أن أقام لهم «بيمارستان»^(١) لعلاج من مرض منهم وأمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك وأمر بعمار محاضر ألزمها معلمين يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتحري عليهم الجراية الكافية لهم. بل لقد بلغت عاطفة صلاح الدين من النبل والسمو أن يبعث طبيبه إلى أحد زعماء الصليبيين ليداويه على ما كان بينه وبين الصليبيين من حروب وعداء.

هذا أيها السادة بعض ما قام به الأسلاف الأماجد من أعمال الإسعاف والمواساة ولو أنني حاولت أن أحصي ما قاموا به من جهود وما شيدوا من

(١) المصححة العقلية.

مؤسسات لخدمة الإنسانية وإسعادها لاستغراق ذلك سلسلة من المحاضرات فإن ما حفظه التاريخ من آثار تلك الأعمال وما أبقته عليه يد البلى من آثار تلك المؤسسات مما يكاد يفوت الحصر ولا يكاد يخلو من مآثره مصر من الأمصار التي أظلمها الإسلام والمدينة العربية . وإنكم لتشاهدون بين ظهرانيكم الكثير من تلك الملاجيء والرباطات الخيرية الجامعة بين إيواء الغريب ومواساته ببعض ما يسد عوزه مع تسهيل أسباب الطلب والتحصيل له . على أنه مما يؤسف له أن نرى بعض هذه الملاجيء قد اتخذها الكسالى والعاطلون مأوى لهم حتى أصبحت على جد التعبير العامي (تنبل خانة) وذلك ما حدى ببعض الحكومات المعاصرة إلى إغلاق بعض ما لديها من التكايا والملاجيء القديمة . .

وأخيراً أشكركم أيها السادة على إقبالكم على سماع هذه المحاضرة وأشكر هيئة الإسعاف التي أتاحت لنا هذه الفرص الطيبة، وأرجو أن يكون لهذه المحاضرات أثرها المنشود في تثقيف العقول وتهذيب النفوس وحفز الهمم إلى اقتفاء آثار الأسلاف الأماجد فقد آن لنا أن:

تبني كما كانت أوائلنا نبني ونفعل مثل ما فعلوا

ماء زمزم المبارك (*)

بقلم: السيد أحمد العربي مدير الأوقاف العام

هيئات أن ينال من قداسته جاحد أو مكابر إنه الماء المبارك وإن رغم الجاحدون. . الطهور الطيب وإن كابر المحرومون إنه هزيمة جبريل: وسقيا الله إسماعيل وهو شراب الأبرار المضمون به على غير المؤمنين الأخيار إن من يتصدى للنيل من قداسة ماء زمزم وطهارته مثله كمثل من يتصدى لدم الغيث والسحاب أو ينكر ضوء الشمس ونور القمر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

إنه لغريب حقاً أن يتصدى شخص يحسب من المسلمين إلى إنكار سنة من سنن الإسلام سننها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: وعمله وأشاد بفضلها وميزتها وجعلها علامة فارقة بين المؤمنين والمنافقين. كيف يسوغ لمؤمن يؤمن بالله تعالى ورسالة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى أن ينكر شرب ماء زمزم والتبرك به ذلك الإنكار الشنيع ليدمغ نفسه بسمة للمنافقين التي وسم بها الصادق الأمين، وأني لهذا المفتري

(*) المصدر: مجلة الحج - ج ٥ - السنة ١٤ في ١٦/١١/١٣٧٩هـ - ٢٢/٥/١٩٦٠م.

بكتب الاسم، ثم مدير الأوقاف العام.

تلك التحاليل المزعومة التي أثبتت له إن ماء زمزم ملوث؟ وكيف جهلت البعثات الطبية التي تفد إلى هذه البلاد في موسم الحج من كل عام كما جهلت هذه التحليلات وهي الصفوة التي تختارها الحكومات الإسلامية من خبرة أطبائها لتعنى بحجاجها وتحافظ على صحتهم! فهل خفيت هذه التحليلات المزعومة على تلك البعثات على مدى القرون والأجيال ثم ظفر بها هذا الدكتور الفذ وحده واهتدى إليها بفطنته وعبقريته دون غيره من الأطباء والعلماء والقادة والمفكرين! أم أن تلك البعثات الطبية كانت على علم بالتحليلات المزعومة ونتائجها الخطرة على صحة الحجاج ثم أغمض أطباؤها وصيادلتها والمسؤولون فيها عيونهم وأخفوا الحقيقة عن حكوماتهم وشعوبهم وضحوا بآلاف الحجاج من مواطنيهم وغير مواطنيهم لأنهم لم يوهبوا مثل ضمير هذا الدكتور الناصح الذي صدع بهذا الأمر وأعلن للعالم استكشافه الخطير، أم أن الحقيقة التي لا يجحدها غير مكابر تشهد بأن التحليلات الطبية التي أجريت لماء زمزم أثبتت سلامته من كل أذى وفائدته في علاج كثير من الأمراض، وحسبنا من ذلك التحليلات التي قام بها بنك مصر عام ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ) بوساطة مهندسين وكيميائيين مختصين وأعلن نتيجتها للملأ. بما يشهد لماء زمزم المبارك بنقائه وسلامته من الأوضار والأمراض واشتماله على بعض الأملاح النافعة كألاح بعض المياه المعدنية التي يقصدها آلاف المرضى للاستشفاء بها في أوروبا تلك التحليلات التي كتب عنها الأستاذ الجليل الشيخ أحمد علي في أحد أعداد هذه المجلة:

بقي علينا أن نسأل الدكتور النابغة عن المصادر التي استقى منها معلوماته أو ظنونه عن مياه مجاري مكة المكرمة التي زعم أنها تتسرب إلى بئر زمزم؟ هل بحث هذا الموضوع مع أحد من أهل الخبرة أو المعرفة

بهذا البلد المقدس أم أنه مجرد ظن وإن بعض الظن إثم؟ إنه لو سأل بعض أهل المعرفة من سكان هذا البلد الأمين أو الواقفين على تاريخه الصحيح من العلماء المحققين لعلم أن هنا مجرى عميقاً مبلطاً محصناً يعرف باسم (مير باخور) أعده منذ عهد جيد خصيصاً لتصريف فضلات الدور والمحال ودورات المياه التي كانت في السابق مجاورة للمسجد الحرام قبل أن تزال في مشروع التوسعة الجديد، ولم تزل الحكومات المتعاقبة على هذه البلاد تتعاهد هذا المجرى بالإصلاح والتجديد حتى العصر الحاضر لأن الحكومات الإسلامية جميعها أحرص من أن تسمح بأن يتسرب شيء من الفضلات إلى هذا الماء الطهور المبارك.

وبعد فليطمئن المخلصون لهذه البقاع المقدسة وما فيها من المشاعر العظام والمشفقون على سمعتها من أن تتأثر هذه الدعاية الكاذبة المضلة من جمهور المسلمين فضلاً عن المتنورين منهم أذكى وأبعد نظراً من أن ينخدعوا بهذه الأكذوبة وأنهم لأعقل وأسمى مدارك من أن يصدقوا هذه ويكذبوا مشاهداتهم ومشاهدات آبائهم وأجدادهم عبر العصور والأجيال مشاهدات آلاف الحجاج والعمار الذين شربوا من ماء زمزم دون أن يصيبهم أذى. إن المسلمين بمشارك الأرض ومغاربها أحصف وأعمق إيماناً من أن يتأثروا بهذه الدعوى التافهة إذ أنهم لا يخامرهم أدنى شك في أنه لو صح عند حكوماتهم هذا الزعم الباطل لما سمحت لهم بالمجيء إلى هذه البلاد، وهي تعلم علم اليقين أنه ما من حاج أو معتمر يفد إلى هذه البلاد ويشرب من هذا الماء المبارك ويتضلع منه لأنه مؤمن أصدق الإيمان بكل ما شرعه هذا الدين الحنيف، حريص كل الحرص على الاقتداء برسوله الكريم ومن ذلك التزود من شراب الأبرار والفوز بالبراءة من النفاق

ألا فليطمئن المؤمنون المشفقون من هذه الدعاوى المسمومة فإن الله ناصر دينه وحافظ بيته ومشاعره من كيد الكائدين ودس الدساسين وقد تكفلت قدرته لسكان بلده ووفود حجاجه وعماره بالأمن والسلامة في رحاب هذا البيت المبارك فقال أصدق القائلين: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦ - ٩٧). فهل يتصوره مؤمن بها هذا الضمان الإلهي أن يتعرض الوافدون لهذا البلد الأمين للأذى والمرض بشربهم من ماء زمزم المبارك الذي أنبعه الله تعالى بجوار البيت الذي جعله مثابة للناس وأمنا معاذ الله أن يصدق ذلك مؤمن.

الأدب الحديث في الحجاز (*)

يقترن تاريخ فجر الأدب الحجازي الحديث بتاريخ الثورة العربية الكبرى، تلك الثورة التي نفثت في الشعوب الناطقة بالضاد روح الحياة والتجدد فسرت فيهم سريان الكهرباء في أسلاكها وتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم، وقد يفوق اثر تلك الثورة في إيقاظ الحجازي وإذكاء مواهبه وشعوره أثرها في غيره من أبناء البلاد العربية الأخرى، ولعلّ صحائف الأدب خير ما يمثل هذا الأثر وذلك الانقلاب الذي طرأ على التفكير والشعور الحجازي في العهد الحديث. فمنذ ربع قرن تقريباً لم يكن الأدب الحجازي سوى بضع منظومات وكتابات سقيمة المعنى واهية السبك ملتوية الأسلوب يدور أكثرها في نطاق ضيق من المديح السخيف والغزل والتشطير والتخميس على نمط ليس له من مبرر سوى ذلك العقم الأدبي الذي منيت به الأفكار في تلك الحقبة المشؤومة. وإلا فأَي إنتاج ينتجه أولئك الذين يتناولون بيتين أو أكثر من الشعر بالتشطير والتخميس فيعمدون إلى تمطيط معناها وتفكيك أواصرها وحشوها بما يناسب وما لا يناسب من الألفاظ المترادفة والتراكيب المرصوفة، وليت ما كان يستهوي أديبنا في ذلك العهد شعر قيم يستحق منهم ذلك الجهد

(*) المصدر: وحي الصحراء الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥هـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ص ١٢٥.

المناسبة: محاضرة ألقى في النادي الأدبي بسنغافورة في ٢١/٥/١٣٥٣هـ.

والعناء. اللهم لا: فأى قيمة أدبية لأمثال ذينكم البيتين:

ومكاريا أبصرت في وجناته ورداً يلوح وجلناراً يقطف
أخذ الكرى مني وأحرمني الكرى بيني وبينك يا مكارى الموقف

فكم أديب وأديب استوقفه هذان البيتان فعالجهما بالتشطير والتخميس،
بخ بخ لهذا المكارى الذي فتن عشرات الأدباء فهاموا به محاكاة وتقليداً
وأبوا إلا أن يقفوا منه ذلك الموقف وما هو بموقف الأديب، وإن (فورد)
المخترع العظيم لو علم المنزلة التي شغلها هذا المكارى من أدب الحجاز
حيناً من الزمن لندب جد سياراته، ولنعى حظ شهرته الأدبية. إن أدب
التخميس والتشطير أيها السادة أدب عقيم إذا جاز لنا أن نستعير له لفظة
أدب، وإن هذا النوع من النظم ينبغي أن يعتبر في نظر العقلاء سخفاً وعبثاً
إن لم يكن مسخاً لصور الأدب وتشويهاً لجماله الفني.

أجل، لقد أجمع جهابذة الأدب وأعلام البيان على أن العاطفة
والوجدان هما قوام الشعر وعنصر الحياة فيه، وأن النظم المجرد عن
العاطفة أشبه شيء بلغو الكلام يلقي لغير غاية وغرض مقصود. وأي
عاطفة يختلج بها قلب يهيم ويتصبب بشخص لا تجمععه به ألفة ولا سابقة
وداد. إن هذا الضرب من المتأدبين يذكرني بذلك المغفل الذي سمع أحد
المارة يترنم بقول الشاعر:

يا أم عمرو جزاك الله صالحه ردي على فؤادي أينما ذهباً

فلم يلبث أن علق قلبه بأم عمرو وأخذ يتنسم نسيمها ويتنشق أخبارها
حتى إذا سمع يوماً آخر يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

عد ذلك بمثابة نعي لمحبوبته الوهمية فاغتم لذلك واكتأب أشد الاكتئاب. فلا أدري أنقول نحن اليوم بدورنا لذلك النوع من أدعياء الأدب: لقد ذهب.. على أنني لا أغمط ذلك العهد حقه فأقضي على كل أثر فيه، فقد نجد بين أنقاض تراثه قطعاً صغيرة هي على قلتها وضآلتها - تدل على شاعرية ملهمة وعبقورية في التصور على أنه لم يحفظ لنا من تلك الآثار إلا القليل النادر وهو إلى ذلك مبعثر في الصحف والدفاتر مطوي في بعض الصدور. وبدهي أن مثل هذه الآثار الضئيلة لا يمكن أن يعتبر مقياساً يعتد به لأدب عصر من العصور. هذه جملة حال الأدب في الحجاز قبل بزوغ فجر النهضة الحديثة.

أما أدب اليوم، فهو وإن كان أدباً فتياً ما يزال في الطور الأول من أطوار نموه ونضجه، فهو ماضٍ في طريقه إلى الأمام سائر بخطوات ناجحة موفقة لا يسع المنصف تجاهلها أو الغض من شأنها. ويرجع الكثير من الفضل في ذلك إلى آثار أدباء العربية العصريين التي تجاوب صداها في الشرق العربي، فكان لها أحسن الأثر في توجيه الأدب العربي وتلقيحه بلقاح الحياة والطرافة والتجديد. وقد كان أثر أدباء المهجر من السوريين أقوى وأظهر في أدبنا الحديث حتى عهد قريب. أما الآن، فقد بدأ يتحرر قليلاً من قيود التقليد وأخذ يشتد ساعده، وإن كنا نجد لنفثات أقلام الأدباء المصريين أثراً متميزاً فيه في السنوات الأخيرة.

وإن مظاهر التجديد والابتكار في أدب اليوم ليست مقصورة على التجديد في الديباجة والأسلوب، بل إن في مقدمة ما يعنى به أديب اليوم انتخابات الموضوعات الاجتماعية والوطنية والأدبية الفنية واختيار أمثل الطرق وأوضحها لعرضها في صورة خالية من التكلف والتزييف.

احتفال بمكتبة السيد جميل (*)

صاحب السعادة مدير المعارف العام . .

حضرات السادة . .

شكراً لكم على تفضلكم بمشاركتنا في هذا الحفل المتواضع، تشجيعاً منكم للعلم وطلابه، ومؤازرة للحركة العلمية والأدبية التي تدين بكثير من الفضل لرجل المعارف الجليل فضيلة الشيخ محمد بن مانع ولحضرات رجال التربية والتعليم ورجال الصحافة والأدب الرفيع .

وشكراً أيضاً للجنة المسامرات الأدبية بالمعهد التي أتاحت فرصة لقضاء بعض الواجب على تجاه الصديق الراحل السيد جميل داود المسلمي رحمه الله تعالى، فلقد دعاني حضرة الأستاذ المشرف على هذه اللجنة إلى إلقاء كلمة في حفل اليوم عن الفقيد العزيز بمناسبة وصول مكتبته الثمينة إلى هذه المدرسة .

وإن للسيد جميل داود في ذمتي، من عهود الإخاء والولاء، لدينا لم أوفه ولا أستطيع أن أوفيه في موقفي هذا فليس المجال مجال الإفاضة في تأبين الراحل الكريم وتعداد مناقبه وشمائله ولذلك ستكون كلمتي بمثابة

(*) المناسبة: أُلقيت هذه الكلمة في حفل المسامرات الأدبية للمعهد وتحضير البعثات بمناسبة وصول مكتبة السيد جميل داود المسلمي التي أوصى بها لمدرسة تحضير البعثات.

إشارة موجزة. إلى ما بذله الفقيد من جهود في سبيل تحصيل العلم وتحقيق مثله العليا في خدمة أمته ومليكه مما هو جدير بأن يكون مثلاً صالحاً لطلاب المعهدين وأسوة حسنة للشباب الطامحين وسأنوه قليلاً على بعض الذكريات التي تمس هذا الموضوع وتعطينا صورة مصغرة عن نبيل نفسه وكرم شمائله فإن له في قلبي لذكريات غالية وعهوداً واجبة الرعاية، خليقة بالإشادة والتنويه، فلقد قضيت معه قرابة أربع سنوات في دار البعثات بمصر، يظننا سقف واحد وتؤلف بيننا أواصر الود والإخاء وتقارب الأماني والأهداف، عرفت السيد جميل في تلك السنوات واتصلت به قبل ذلك وبعده، معرفة الزميل للزميل واتصال الصديق بالصديق، فعرفت فيه أخاً حفيماً بإخوانه ووفياً لأصدقائه، محباً لبلاده مخلصاً لمليكة، وأنست فيه قلباً طاهراً نقياً وخلقاً جميلاً رضيعاً. ولقد كنا بحكم الزمالة والصدقة نتجاذب أطراف الحديث إبان الطلب في مسائل شتى من العلم والأدب والاجتماع، وكنا نتناقش ونتجادل في قضايا التربية والتعليم في جلسات مجلس المعارف، فكنا نتفق آنأً ونختلف أحياناً وربما احتدم الجدل بيننا وانصرف كل منا وفي نفسه من الآخر ما فيها، وربما أضمر كل منا عتاباً حاراً لأخيه حتى إذا التقينا كنت وإياه كما قال الشاعر:

أزور محمداً فإذا التقينا تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم أمه ولم يلمني وقد رضي الضمير عن الضمير

هذه لمحة خاطفة عن ذكرى زمالتي للفقيد العزيز اجتزيء بها لأنتقل إلى النقطة المقصودة في الدرجة الأولى من هذه الكلمة وأعني بها جهوده في طلب العلم وتحقيق أهدافه العلا.

لقد كان السيد جميل داود - فيما أعلم - أول شاب حجازي، في العصر الحديث، سمت همته إلى إتمام دراسته العالية في المعاهد العليا في الخارج، في وقت كان الناس فيه يرون في ذلك خروجاً على التقاليد الموروثة وشذوذاً عن المحيط الذي يعيشون فيه، ولذلك لاقى في سبيل الوصول إلى غرضه هذا معارضة شديدة، وصدأً عنيفاً كاد يُخمد الآمال التي كانت تصطبب بين جوانبي ولكن العزيمة الصادقة لا تهن ولا تخور أمام الصداقات والبعثات وهكذا أبت عزيمة جميل أن تثنى عن إدراك غايته فوطد العزم على السفر إلى مصر - قبلة العلوم والمعارف، وغادة أحلامه وآماله - مهما كلفه ذلك من ثمن ومهما تعرض له من أخطار، فلا بد إذن من المغامرة ولا بدا إذن من ركوب الأخطار وإذا لم يكن السفر إلى مصر توأً فليكن السفر إلى الهند أولاً ومن ثم يكون السفر إلى مصر، وهكذا تم للفتى المغامر أن يصل إلى مصر وأن يضطلع بأعباء الكفاح في هذا السبيل معتمداً على الله وحده ثم على نفسه الجياشة بأقوى العواطف والأحاسيس، ولم يزل في مصر يجاهد في سبيل طلبه ويكافح من صروف الدهر ما لا يحتمله إلا ذوو الهمم العالية والقلوب الكبيرة - إلى أن امتدت له يد كريمة أخذت بعضده إلى الهدف الذي كان يصبو إليه، تلك هي يد جلالة الملك المصلح عبد العزيز آل سعود، فأوفد أول بعثة علمية إلى مصر. فما كان أسعدها فرصة أتاحت لهذا الشاب الطموح ولنفر من زملائه الذين اقتفوا أثره في النزوح إلى مصر، تحفزهم الرغبة في التعليم العالي - أتاحت لهم السبيل لبلوغ الهدف الذي كانوا ينشدونه، فسرعان ما انضموا للبعثة وكانوا النواة الأولى للبعثات العلمية التي توالى بعد ذلك. وهنا بدأت تتفتح أمام الفتى الطامح زهور الأمل الناضرة، فاقترح روضها الأربض وأصبح بين عشية وضحاها طالباً بالجامعة المصرية ولم يزل يجد ويكدح حتى تخرج

في كلية الحقوق محامياً وما لبث أن عاد إلى وطنه المشوق إليه حتى أظلمته الرعاية الملكية السامية فعين معاوناً بوزارة الخارجية، وشغل إلى جانب ذلك وظائف أخرى منها عضوية مجلس المعارف الأعلى. وقد قَدّم في هذه المرحلة من حياته لأمته ومليكه من الخدمات والجهود الموفقة ما ضاعف الثقة به وجعل الحكومة تختاره لوظيفة أمين السر الأول (السكرتير الأول) للمفوضية السعودية بلندن. وقد أثبت في هذا المنصب من الكفاية والجدارة ما أهله لأن يرقى إلى منصب المستشار لتلك المفوضية. وما كاد أصدقاؤه ومواطنوه ينعمون بهذه البشرى حتى فاجأهم نعيه والآمال أقوى ما تكون تعلقاً به وتطلعاً إلى مستقبله اللامع. فكان المصاب فيه جلاًً والفجيرة فادحة، لأن الأمة فجعت به في ابن من أبر أبنائها، قضى نحبه وهو يجاهد من أجلها، بعيداً عن الأهل والوطن وقصياً عن الأقارب والخلان. فبكته الأمة بقلوب حزينة واستمطرت لجدته النائى شآبيب الرحمة والرضوان.

وارحمتا للغريب بالبلد النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

ولقد شاء التوفيق العزيز أن يختم الفقيه حياته النبيلة بحسنة خالدة الأثر جليلة القدر تلك هي وصيته بإهداء مكتبته إلى مكتبة تحضير البعثات، مما يُسجل له في تاريخ الحركة العلمية لهذه البلاد يد أسداها للأجيال على تعاقب الأحقاب بالثناء العاطر والتقدير الجميل.

وإني لأترك لحضرة الزميل الفاضل الأستاذ عامر البحيري^(١) التحدث عن هذه المكتبة الثمينة. وأسأل الله تعالى للفقيه الكريم الرحمة والغفران.

(١) الأستاذ عامر البحيري: مدرس من مصر الشقيقة في مدرسة تحضير البعثات.

ذكريات (*)

إلى فضيلة الأستاذ المربي العلامة الجليل الشيخ عثمان الصالح أطال الله عمره وأمتع بحياته وأدبه .

وبعد فقد طالعت ببالغ التقدير والإكبار المقال القيم الذي خبرته براعة أديبنا الكبير ونشرته جريدة الجزيرة الغراء في عدد يوم الجمعة الموافق للسابع من شهر رجب، بعنوان (تعقيب على ضيف الجزيرة أحمد العربي) ذلك المقال الذي أضفيتم فيه على محبكم ما أنتم أهله من الثناء العاطر الجميل كما نوهتم ببعض مواقف المتواضعة تنويهاً كاد يسجل كل خطوة في مسيرة حياتي التربوية في إيجاز وبلاغة ونبل ووفاء . وقد استطاع أديبنا الألمعي أن يستثير بين جوانحي ذكريات عزيزة كاد طول العهد بها وصروف الزمن ينسج عليها غلالة من النسيان بعد أن احتواها القلب في أعماقه واختزنها إختزان الجواهر الثمين المدخر للوقت المناسب .

وإنه ليطيب لي أن اقتبس من تلك الذكريات موقفين أنوه بهما فيما يلي :

الموقف الأول زيارتي لمعهد الأنجال وتفقدي لفصوله وطلابه وأساتذته الأفاضل ودراسته بصحبة مديره آنذاك الأستاذ الصالح المربي الفاضل تلك

الزيارة التي كان لها أعظم الموقع وأحسن الأثر في نفس لما شاهدته فيه من نظام وحسن إدارة وتطور في مناهجه وفي أساليب التربية والتعليم فيه . وبحق وجدارة أصبح ذلك المعهد بفضل حكمه وحزم وكفاية وإخلاص مديره المفضل معهداً نموذجياً في طليعة المعاهد الراقية في وطننا الحبيب، وصرحاً من صروح المعرفة والثقافة في قلب الجزيرة العربية .

أما الموقف الثاني فهو زيارتي للمدرسة الأهلية في عنيزة في معية صقر الجزيرة وبطلها المرحوم جلالة الملك عبد العزيز وبصحبة طلابي من أصحاب الأمراء، زيارتي لتلك المدرسة الرائدة في منطقة القصيم التي كان لها في نفسي أطيّب الأثر وأحسن الذكرى ومن حقها علي أن أنوه بها وبأستاذها المربي الفاضل الشيخ صالح الناصر الصالح تغمده الله برحمته الواسعة وأحسن جزاءه على ما بذله من جهود موفقة في حقل التربية والتعليم . ولا أحسب أستاذنا عثمان الصالح إلا فرع تلك الدوحة السامقة والشجرة الطيبة بارك الله فيه وأمتع بحياته وعلمه وأدبه، وأبقاه منهلاً زاخراً بالأدب والمعرفة، ومناراً يهتدي به السالكون في مدارج الفضيلة ومكارم الأخلاق .

ملحوظة: إشارة إلى بعض قصائدي وآثاري الأدبية والتربوية التي أحسنت الظن بها واقترحتم جمعها وطبعها أشركم أولاً على حسن ظنكم ونبل قصدكم، وأخبركم ثانياً بأن سيادة الابن الكريم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي منذ إصداره كتيب الإمام الشافعي في سلسلة مكتبته الأثيرة عند محبيه والمعجبين بأدبه وفضله، منذ ذلك التاريخ وهو يطالبني بجمع قصائدي وأن يتولى أمر طبعها وإصدارها بارك الله فيه وفي جهوده الموفقة في خدمة الأدب والمعرفة، وقد أنتزع مني وعداً بتلبية طلبه، ولسوء

الحظ لم يسعفني نشاطي حتى الآن بتلبية طلبه وإنجاز وعدي وأرجو الآن وقد انضم صوتكم الجهير إلى صوته وكانت وجهة نظري إلى آثاري الأدبية والتربوية وسوء ظني بها ينهزم أمام وجهة نظركم التي لها وزنها وقيمتها الأدبية، أرجو أن استمد من هذا التنويه والتشجيع نشاطاً يساعدني على تحقيق رغبتكم العزيزة ورغبة أمثالكم من الأخوان الأفاضل والأبناء الكرام وأسأل الله التوفيق والعون.

وأخيراً أرجو غض النظر عن رداءة الخط وركاكة التعبير وعن كثرة الأخطاء ومحاولتي إصلاحها، كما أرجو معذرتي في استدراكي الآتي:
لقد أبت ذاكرتي الواهية إلا أن تنتصر على فقدان أول ما فكرت في كتابة رسالتي هذه أن أزجي لكم جزيل شكري وتقديري لحفاوتكم بي وتكريمكم لي التي تجلت في تفضلكم بزياراتي المرة تلو المرة في منزل الابن محمد وفي المستشفى التخصص وأخيراً في دارة الابن نزار كما تجلت في دعواتكم المتكررة إلى منزلكم العامر بكل ما يتمتع الروح والعقل ويغذي جميع الحواس بما لذ وطاب.

(*) التعاون الثقافي بيننا وبين مصر

بين مصر والحجاز صلة علمية قديمة العهد، عريقة الجذور، استهلّت أولى صفحاتها بطائفة من أعلام الصحابة وأئمة السلف الصالح، نزحوا من هذه البلاد إلى وادي النيل ينشرون بين ربوعه دعوة الإسلام ويبثون بين أهليه تعاليمه وآدابه، طبقة بعد طبقة، افتتحت بعبد الله بن عمرو بن العاص وأصحابه وختمت بمحمد بن إدريس الشافعي وتلاميذه؛ حتى إذا ذهب ذلك الرعيل النابه من أبناء هذه البلاد، ودالت دولة العلم فيها، وانتقلت شعلة المعرفة من قطر إلى قطر إلى أن استقرت في مدينة المعز - أخذ الحجاز يقتبس من هذه الشعلة الوهاجة، الفينة بعد الفينة، إما بوفود بعض علماء الأزهر إلى هذه الديار، وقيامهم بالتدريس والتعليم في المساجد والمدارس، وإما بارتحال بعض أبناء هذا القطر إلى مصر وأزهرها الجليل يرتشفون من ينابيعه أفويق العلوم والمعارف، وكانت الحال الأولى هي الغالبة، إذ قلما كان يخلو الحجاز من علماء أزهريين يقومون ببث العلم بين طلابه، ويحظون فيه بمنزلة مرموقة استمرت هذه الحال أحقاباً وأجيالاً تنشط حيناً وتفتت أحياناً حتى إذا أظلنا العهد السعودي الزاهر، بعثت هذه الصلة بعثاً جديداً، وأقيمت على أسس منظمة قوية، تكفل لها

إضطراد النمو والتقدم وتبشر بأحسن النتائج وأطيب الثمرات؛ بتوفيق الله ثم بفضل ما شملها به جلالة الملك المفدى من رعاية سامية بدأت هذه الصلة الثقافية في عهدها الجديد بعاملين قويين: أولهما إيفاد البعث من هذه البلاد إلى مصر لإتمام دراساتهم العالية في جامعات مصر ومعاهدها العليا، على نفقة الحكومة السنوية، وقد أربى طلاب هذه البعثات على المائة تخرج منهم نحو العشرين واضطلعوا بأعباء مهمة في خدمة الأمة والحكومة ولا يزال الباقون هناك يواصلون دراساتهم في جد ونشاط ويتمتعون بعطف ورعاية كريمين من رجال التعليم في مصر وغيرهم من الأخوان المصريين الكرام، وقد كان لهذه الخطة التي استنتها الحكومة الرشيدة أثرها البالغ في حفز همم البعض من الأهلين إلى الاقتداء بالحكومة، وبعث أبنائهم إلى مصر للتعلم على نفقتهم، وحبذا اليوم الذي يفشو فيه هذا الشعور بين الكثير من الأغنياء والموسرين منا، فيساهمون مع الحكومة في هذا الواجب العظيم.

أما العامل الثاني فهو استقدام الحكومة نخبة ممتازة من الأساتذة المصريين للتعليم في معاهد هذه البلاد وقد بلغ عدد هؤلاء الأساتذة الأفاضل من جامعيين وأزهريين، سبعة وعشرين أستاذاً، وأنهم ليبدلون جهوداً موفقة في النهوض بالتعليم في هذه البلاد إلى المكانة اللائقة بها بصفتها قبلة المسلمين ومصدر النور الذي عم أرجاء العالم سنه وأنهم ليساهمون مساهمة مشكورة في نواحي النشاط المدرسي، وإذاعة الثقافة بشتى الأساليب وبث روح النظام والتجديد النافع في كل مناسبة، وأنها لخطوة مباركة تبشر بمستقبل مشرق إن شاء الله، وإن الأمل لقوي في نمو هذه الصلة وازدهارها في كنف الصداقة النبيلة التي انعقدت وأواصرها بين

جلالتي العاهلين العظمين وشعبيهما الشقيقين .

وإنه لمما يزيد هذا الأمل قوة وإشراقاً اهتمام جامعة الدول العربية بالتعاون الثقافي بين الناطقين بالضاد واضطلاع مصر بأعباء الزعامة والقيادة وبذلها المعونة في هذا السبيل عن سخاء وأريحية وسيكون هذا التعاون بحول الله وتوفيقه خير دعامة للوحدة العربية المرجوة، حقق الله الآمال وسدد خطا العاملين لخير العروبة والإسلام .

حضارة العرب في الأندلس

(١)

قال الأستاذ محمد عبد الله عناق في كتابه: (تاريخ العرب في إسبانيا وتاريخ الأندلس).

(كان افتتاح العرب للجزيرة مبدأ عهد جديد وفتاحة انقلاب عظيم في شؤونها الاجتماعية، حوّل العرب الجزيرة إلى حديقة، فنظموا شؤونها الإدارية وعضدوا العلوم والصناعة..)

وبعد أن عرض للخلافات التي وقعت بين القبائل العربية والبربر قال: (قضى الفتح على امتيازات الأشراف، وخفف من عبء الضرائب الذي كان يثقل كاهل الشعب، فرضها المسلمون بالمساواة والعدل على جميع العناصر والطوائف، لا فرق بين دين أو جنسية، وأمنوا السكان على أموالهم وعقائدهم، وأباحوا لهم اتباع قوانينهم وتقاليدهم واختيار حكامهم من بينهم، وأخذوا بناصر الطبقات المستعبدة التي كانت إلى ذلك العهد في أتعس حالات الذل والفاقة، فعاد السكان إلى المدائن والقرى بعد التشتت في الجبال والسهول، ورحبوا بالنظام الجديد. ومن ذلك ندرك أن

سر تفعيل الإِسبان للحلم الإسلامي الذي كان خير مثال للعدل والإنصاف والتسامح، على استبداد القوط والفرنج، قال الأستاذ الأمين بول: (أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة القرون الوسطى، بينما كانت أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل، فلم يكن ثمة سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية).

(ما كان المسلمون كالبربر من القوط أو الوندال يتركون وراءهم الخراب والموت. حاشا، فإن الأندلس لم تشهد قط عدل من حكمهم وأصلح منهم، وإذا أردنا أن نتكلم بشيء من التفصيل عن حضارة العرب في الأندلس وعن مؤسس هذه الحضارة فلا بد لنا من أن نذكر نبذة عن مؤسس الدولة الأموية في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية البطل المغوار الذي أفلت من قبضة العباسيين ونجا من بطشهم ووضع حجر الأساس لأعظم حضارة عرفها التاريخ، واستحق بجدارة أن يلقبه خصمه أبو جعفر المنصور بلقب صقر قريش، وقد قال عنه صاحب كتاب (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) ما خلاصته أنه هرب من الشام لما انتشرت دولة بني العباس، فلم يزل مستتراً، يتنقل في بلاد المغرب حتى دخل الأندلس ودخل حين دخلها طريداً وحيداً، لا أهل له ولا مال، فلم يزل يصرف حيله ويسمو بهمته والقدر مع ذلك يوافقه إلى أن احتوى على ملكها، وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر عنه قال ذلك صقر قريش. وكان عبد الرحمن بن معاوية من أهل العلم وله سيرة جميلة في العدل.. وله أدب وشعر ومما قاله، يتشوق إلى معاهده بالشام قوله:

أيها الراكب الميمم أرض أقر من بعض السلام لبعض
أنّ جسمي كما علمت بأرض وفؤادي وساكنه بأرض

وقد ذكر صاحب كتاب (تاريخ العرب في إسبانيا بشيء من التفصيل دخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس والحروب التي خاضها للاستيلاء على كبرى مدنها ومنها أرشدونه^(١) وإشبيلية ثم قرطبة حيث استتب له الأمر وانتصر على خصومه ثم قال: (وهكذا استبدت دعائم ملك بني أمية في المغرب وتغلب عبد الرحمن على جميع أعدائه ..

ثم قال: (ويعرف بعبد الرحمن الداخل لأنه أول داخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس، وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش، لما رأى من فعله في الأندلس، وما ركب إليها من الأخطار، وأنه وفد عليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا أنصار، فغلب أهلها على أمرهم، وتناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم. وشبهه ابن حيان بأبي جعفر في الصرامة والاجترأ على الكبائر والقسوة. وكان ماهراً في الإدارة، معضداً للفنون والصناعة، فزين قرطبة بالمباني الضخمة والحدائق الغناء وأدار أسوارها وبدأ بإنشاء مسجدتها الباهر الأغر غير أنه توفي قبل إتمامه، وبنى بها الرصافة تشبهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ..

وكان عبد الرحمن بن معاوية شاعراً مجيداً ومن ذوي البراعة في العلم والأدب.

ومن الشعر المنسوب إليه القطعة الآتية نذكرها لروعتها وذلك أنه بلغه وقد استقامت له الدولة، أن بعض من أعانه يمن عليه بما بذله من المعونة ويزعم أنه لولا جهده ما بلغ الداخل مبلغاً، وإنه نال ما نال بسعده لا بتدبيره وعقله فقال زعمه: يرد عليه ويفند زعمه:

(١) برشلونة.

لا يكفّ ممتن علينا قائل
سعدي وعزمي والمهند والقنا
إن الملوكة مع الزمان كواكب
والحزم كل الحزم ألا يغفلوا
ويقول قوم سعده لا عقله
أبني أمية قد جبرنا صدعكم
ما دام من نسلي إمام قائم

لولا ما ملك الأنام الداخل
ومقادر بلغت وحال حائل
نجم يطالعنا ونجم آفل
أيروم تدبير البرية غافل
خير السعادة ما حماها العاقل
بالعرب رغماً والسعود قبائل
فالملك فيكم ثابت متواصل

حضارة العرب في إسبانيا

(٢)

تنقل فيما يلي نبذة مما ذكره العلامة سيد أمير علي في كتابه القيم (مختصر تاريخ العرب) لما اشتمل عليه هذا الكلام من روعة ورقة في إظهار عظمة تلك الحضارة وعبقريتها. . بعد أن تكلم المؤلف على مملكة غرناطة ومدنها وقراها وأنهارها وحيالها وجداولها وحدائقها وسهولها بشيء من التفصيل قال: (وقد خص العرب سهل غرناطة هذا بجهودهم واستنفدوا فيه جميع قدراتهم الزراعية، ووزعوا مياه نهري شنيل والدورو على عدد لا يحصى من القنوات، وتمكنوا بمهارتهم من الحصول على مواسم متتابعة من الفاكهة والغلل طوال أيام السنة، ونجحوا نجاحاً باهراً في زراعة نباتات أكثر المناطق اختلافاً من حيث المناخ. وكانوا يصدرون كميات كبيرة من الحرير والكتان من الميرة ومالقه إلى المدن الإيطالية التي أخذت تنتعش من ذلك الحين. وكانت مصنوعات غرناطة عديدة ومختلفة. وكانت كل مدينة مشتهرة بصناعة خاصة بها. وكانت ثغور (مملكة بني الأحمر) تزخر بالسفن الأوروبية والمشرقية والإفريقية، وأصبحت عاصمتها (مدينة جميع الأمم) وعُرف أهالي غرناطة بالأمانة والاستقامة وصادق

المعاملة، وكان الناس يثقون بكلمتهم أكثر من ثقتهم بالصكوك التي كان يوقعها الإسبانيون المسيحيون. وعلاوة على المنسوجات والمعادن الثمينة كان أهالي غرناطة يصدرون كميات كبيرة من المواد الأولية، وبخاصة القنب والحريز، وكانت فلورنسا تستورد أكبر كمية من حاجتها من الحريز من ثغرى الميرة ومالطه.

مدينة غرناطة:

وكانت مدينة غرناطة كالبرج الشامخ وسط الغوطه. . وكان نهر الدورو يسيل عبر المدينة، وبعد أن يزود منازلها وأسواقها وطواحينها وحماماتها بكفايتها من الماء، يعود فينسب في سهلها ويعطيه الحياة والخصب.

وفي زمن بني ناصر كان يحيط بغرناطة سور متين له اثنا عشر باباً ويعلوه ألف وثلاثون برجاً، وكانت القلعة (القصبة) في الوسط. وكان لكل بيت في المدينة حديقته الخاصة المغروسة بأشجار الليمون والبرتقال والطنج والآس واللوز والخمائل ذات الشذى العطر، كما كان فيه مورده الخاص من المياه الجارية. وكان في كل شارع من شوارع المدينة عدد كبير من نوافير المياه - كما كانت البيوت في غاية الأناقة. وبلغ عدد سكان مدينة غرناطة في منتصف القرن الخامس عشر أربعمئة ألف نسمة.

وعلى قمة إحدى التلال المقابلة لغرناطة بنى ابن الأحمر قلعة المدينة راية المدينة الحمراء، التي كانت تستوعب أربعين ألف رجل.

إن من المستحيل علينا أن نوفي في هذا المجال الضيق حق هذا العمل (الذي سمي بعمل الجن)، من الوصف. فالأبراج والقلاع والقصور، بفنها المعماري الدقيق، وأروقنها وأعمدتها الجميلة.

وقبها وسقوفها بأصباغها اللماعة التي لم تفقد شيئاً من رونقها الأصلي

حتى اليوم. وقاعاتها الفسيحة المشيدة بحيث تسمح بدخول شذا الجنائن المحيطة بها، ونوافيرها التي كان لأصحابها سيطرة كاملة عليها. فترتفع مياهها أو تنخفض، وتظهر وتختفي، كما يشاءون، والأبنية المنقوشة بالأصباغ والمزدانة بالفيسفساء الدقيقة الصنع، والمُنارة بظلال مختلفة، منها الذهبي والقرمزي والأزرق والأرجواني، وبهو السباع بأعمدته الجميلة المائة والثمانية والعشرين، وأرصفتها البيضاء والزرقاء، وتناسق ألوانها القرمزية واللازوردية والذهبية، وتمائيل السباع التي يجري الماء من أفواهها، والبركة المرمرية، وإيوان الموسيقى الضخم حيث كان رجال البلاط يجلسون ويستمعون إلى الأنغام الموسيقية تناسب من المنصات العالية، وسراي الحريم الفخمة، كل هذا يحتاج إلى قلم بارع يوفيه حقه من الوصف) رحم الله سيد أمير علي، لم يكتب بكل ما أبدعته براعته في وصف بليغ ممتع لتلك الصفحة من صفحات تلك الحضارة الرائعة التي خلدها العرب في إسبانيا فهو يرى أنها بحاجة إلى مزيد من الوصف البارع الذي يجلو ما تشتمل عليه من روعة وعبقورية ثم تكلم المؤلف عن العلوم والفنون والآداب فقال: (وكان ملوك غرناطة يتنافسون وخلفاء قرطبة في رعايتهم للعلوم والفنون وتشييد المباني العامة. وفي ظل حكمهم المتسامح المستنير أصبحت غرناطة موطن الكثيرين من العلماء والأدباء والشعراء الأفاضل. ثم قال ولم تكن فتيات قرطبة أقل شهرة في الأدب من فتيانها، وكان منهن زينب وحمدة وصعصعة والقلابة ومارية اللاتي أكسبن مسقط رؤوسهن شهرة خالدة لا تمحى على الدهر، ولم يرع ملوك غرناطة ويشجعوا الأدب وحده، بل ازدهرت في عهدهم علوم التاريخ والجغرافيا والفلسفة والفلك والعلوم الطبيعية والطب والموسيقى. وكانت إدارة كل جامعة توكل إلى رئيس ينتخب من أشهر رجال العلم والأدب..

ثم يقول: وقد جرت العادة في الجامعات العربية الإسبانية إقامة احتفالات تذكارية سنوية واجتماعات دورية يدعى إليها الجمهور ويلقي فيها أبرز الشخصيات الجامعية القصائد والخطب.

حوار صحفي

حضرة المحترم الفاضل مدير ورئيس تحرير جريدة حراء الغراء الموقر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فإنه لي طيب لي قبل أن أجيب على أسئلتكم التي وجهتموها إلي بخطابكم المؤرخ في ٢٥/٢/ عن محل ولادتي وتاريخها ودراساتي ومؤهلاتي والأعمال والوظائف التي زاولتها وعن آرائي ومبادئتي التي أتمسك بها وأود تحقيقها لمصلحة بلادي وأمتي . .

يطيب لي أن أحيي فيكم وفي أسرة حراء وعلى رأسها الكاتب المؤمن الألمعي الأستاذ أحمد جمال جهودكم الموفقة في خدمة الصالح العام والذود عن مصلحة الشعب وبث الوعي التقدمي في الجمهور كله وأسأل الله لكم المزيد من التوفيق . وفيما يلي إجاباتي على الأسئلة الموماً إليها آنفاً:

١ - الاسم - أحمد العربي .

٢ - محل ولادتي - المدينة المنورة .

٣ - تاريخ - في أحد الربيعين من عام ١٣٢٣هـ (تقريباً) .

٤ - دراساتي ومؤهلاتي - درست في مدارس المدينة الابتدائية والمتوسطة وفي المسجد النبوي والمسجد الحرام ومدة قصيرة في مدرسة

الفلاح بمكة المكرمة نزحت على أثرها إلى مصر فالتحقت بجامعة الأزهر وتحصلت على شهادتين الابتدائية والثانوية النظامين ودرست سنة في القسم العالي منه ثم انتقلت إلى مدرسة دار العلوم العليا وانتظمت في الدراسة بها إلى أن تخرجت منها في عام ١٣٥٠هـ.

٥ - الوظائف والأعمال التي زاولتها:

التدريس في المعهد السعودي، ثم إدارة مدرسة الإرشاد في جاوة والتدريس فيها أثناء قيامي برحلة إلى جزر الهند الشرقية خلال عامي ٥٢ و١٣٥٣هـ ثم التدريس في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ثم إدارة مدرسة الأمراء بالرياض والتدريس فيها ثم إدارة مدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمي السعودي والتدريس فيهما إلى جانب إلقائي سلسلة من المحاضرات في التربية وعلم النفس على مديري المدارس ومدرسيها بمكة المكرمة، بالإضافة إلى عضوية مجلس المعارف الأعلى والهيئة الإدارية للمعارف ورئاسة لجنة تشجيع المدارس الليلية (الخيرية)، ثم إدارة مكتب التعليم الثانوي والابتدائي بمديرية المعارف العامة ثم عضوية مجلس الشورى وأخيراً مديرية الأوقاف العامة. وقد اشتركت في جملة لجان لخدمة الثقافة والتعليم في هذه البلاد كما أنتدب لبعض المهام التعليمية والمؤتمرات الثقافية في داخل البلاد وخارجها، ومن الأمور التي انتدبت لها مفاوضة شركة الزيت العربية الأمريكية في الظهران، بشأن تأسيس المدارس التي قامت بتأسيسها مؤخراً في المنطقة الشرقية لتعليم أبناء العمال وإنشاء فصول دراسية لمكافحة الأمية بين العمال الكبار. وقد قمت بزيارة معظم مدارس المنطقة الشرقية وبعض مدارس نجد والتفتيش عليها كما قمت بزيارة تفقدية للبعثات العلمية بمصر وإن المؤتمرات التي اشتركت

فيها المؤتمر الثقافي لجامعة الدول العربية المنعقد في جدة كما اشتركت في إحدى دورات منظمة اليونسكو المنعقدة في بيروت .

آرائي ومبادئتي التي أتمسك بها وأود تحقيقها لصالح أمتي وبلادي :

إن أهم ما أدين به من آراء ومبادئ لصالح أمتي وبلادي وإيماني بحاجة هذه الأمة إلى إصلاح جذري في التربية قبل كل شيء ، وأعني على وجه الخصوص التربية الدينية والخلقية ، التربية الدينية السليمة من كل وهم وتخريف البريئة من النفاق والخداع المستوحاة من أصول الدين الصحيحة وآدابه الرفيعة والقدوة الصالحة في القول والعمل والتربية الخلقية القويمة المستنيرة!! القدوة الحسنة ، المبنية على العزة والكرامة والعفة والاستقامة والصدق والأمانة والشجاعة والصراحة والثقة بالنفس والثقة بالمواطنين والشعور بالتبعية والمسؤولية وعدم التواكل والتنصل من التبعات مع التسامح والتعاطف وإيثار الصالح العام على الصالح الخاص لاعتقادي بأن علة كل داء تشكو منه أمتنا وكل تأخر يآلم له القادة المخلصون ناشئ قبل كل شيء عن فساد التربية والبعد عن جوهر الدين والتخلق بالأخلاق الدخيلة على الإسلام المنافية لأصوله وآدابه ، وإيماني بأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو الدين القويم والأخلاق الكريمة وحسبنا أن يكون رائدنا في نهضتنا الإصلاحية المثل الأعلى للإنسان الكامل محرر العقول من رق العبودية والأوهام ورسول الرحمة والعزة ومكارم الأخلاق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَعلام الهداية وأئمة الإصلاح .

هذه خلاصة آرائي ومبادئتي التي أرى فيها صلاح أمتي وبلادي أقدمها لكم تلبية لطلبكم وأسأل الله لي ولكم التوفيق لما فيه خير هذه الأمة وصلاحها وسعادة هذا الوطن وازدهاره .

التمثيل في مصر

يغنيني عن الإفاضة في تعداد مزايا التمثيل وتبيان مآثره ما نشاهده جميعاً من عناية الأمم الناهضة به وإعزازها لجنابه وما نحس به نحن من قوة سلطانه وجلال آثاره لذلك سأجمل القول في التحدث عن مزاياه وسأقصر كلمتي على أهم تلك المزايا وأخطرها شأنًا. وقبل أن أعرض لذكر تلك المزايا أريد أن ألقى نظرة بسيطة على نشأة التمثيل وظهوره على مسرح الحياة.

نشأة التمثيل :

يرجع بعض الباحثين نشأة التمثيل إلى أقدم العصور الأولى ويذكرون في ذلك أن أول نشأة كانت على أيدي الكهنة ورجال الدين الذين هدتهم التجارب والاختبار إلى أن طريقة إلقاء تعاليمهم وإرشاداتهم على العامة إلقاء جافاً لا تأتي بالأثر المرغوب فعمدوا منذ ذلك العهد السحيق إلى وضع رموز وإشارات تمثل آراءهم وعقائدهم واتخذوا من حفلاتهم الدينية ذات المشاهد الرمزية الرائعة مظهرًا لهذا التمثيل.

وسند القائلين بهذا القول ما تدل عليه آثار الأديان القديمة المصرية وحفلاتها الرمزية وما هو موجود في الديانات القديمة اليونانية عن المشاهد الرمزية التي كانوا يقيمونها لتمثيل ما كانوا يدينون به من الآراء والمعتقدات

والأساطير هذه هي النشأة الساذجة الأولى للتمثيل .

أما نشأته كفن جميل فقد كانت وليدة الحضارة اليونانية على أيدي بعض الأدباء والشعراء والعبقريين الذين رغبوا في تمثيل المبادئ القومية والحوادث التاريخية والأحكام الأدبية على النحو الذي كانت تمثل به القصائد الدينية فتم لهم ذلك وخطوا بالتمثيل خطوة جليلة أعقبت خطوات تدرج بها في التمثيل مدارج الرقي إلى أن بلغ ما هو عليه الآن من المكانة السامية .

تلك نظرة بسيطة في نشأة التمثيل عامة وفيها إشارة موجزة إلى النشأة الأولى للتمثيل المصري .

أما التمثيل الحديث في مصر فيبتدىء برجال البعثة الفرنسية التي حضرت إلى مصر مع نابليون وبعض الفرنسيين الذين استقدمهم نابليون لهذه الغاية فقاموا بتمثيل جملة روايات في أول مسرح مصري بيد أن هذا العهد التمثيلي لم يلبث أن قضى نحبه بمغادرة نابليون ورجاله مصر .

وقد بقي الحال كذلك حتى سنة ١٨٧١م حيث أمر سمو الخديوي إسماعيل باشا بإنشاء دار الأوبرا فأنشأت ومثل فيها ومنذ ذلك العهد أخذ التمثيل يواصل خطاه إلى الأمام بفضل من كان يقيض له بين حين وآخر من الرجال العاملين أمثال المرحوم الشيخ سلامه حجازي وأمثال الأستاذ عكاشه وغيرهم من زعماء الممثلين .

بعد هذه اللمحة البسيطة بنشأة التمثيل أعود إلى التحدث عن آثاره ومزاياه كما قلت بشيء من الإجمال .

أغراض التمثيل ومزاياه:

لأغراض لا أكاد أحيط بكنهها ما لها من أثر مجيد وبتناج رائع نشأت فكرة التمثيل ودرجته في مراحلها الأولى حتى وصلت إلى تلك المنزلة الشامخة والشأو الرفيع. ولعلّ أهم تلك الأغراض:

١ - بث العادات الفاضلة والأخلاق الكريمة والعقائد الدينية والتقاليد القومية في صورة شيقة محبوبة.

٢ - نشر الثقافة بين الجمهور عن أقرب الطرق وأعلقها بالقلوب.

٣ - إغراء الأبناء بتراث الآباء المجيد وحثهم على المحافظة عليه والتمسك به.

هذه أهم أغراض التمثيل في نظري وهي كما نرى من الخطر والجلال بمكان كيف والتمثيل بتحقيقه لهذه الأغراض أصبح خير مدرسة للشعب وأي مدرسة كهذه يتيحها القدر للجمهور يؤمونها جذلين مغتبطين يتلقون دروسه الجذابة بشغف وارتياح كبيرين فلا تلبث تلك الدروس أن تتغلغل في نفوسهم ويبدؤ فيها بذور الخير والفضيلة وترتقي بها إلى حظيرة القدس والكمال.

أما أهم مزايا التمثيل ومآثره عدا ما تضمنته هذه الأغراض من المزايا العظيمة:

١ - إمداد الأدب القومي بثروة جمّة وجمال بارع وخدمة ذلك الأدب في أجل نواحيه.

٢ - في اللغة التي هي عماده الأول وكيان حياته.

٣ - في الخطابة التي هي أعظم مظاهره وأنبل مواقفه.

أما وقد أصبح للتمثيل نهضة قوية مسددة تكتنفها رعاية ملك البلاد
وعناية الهيئات الكبيرة العاملة فإن ذلك كفيل بأن يسحق تلك الطفيلية
المهنية وأن يقيم على أنقاضها مسارح التمثيل الراقى الصحيح تحقيقاً لسنة
الله في العالم فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في
الأرض.

أحاديث إذاعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فهذه أحاديث كنت أذعُتها من منبر إذاعتنا السعودية في مستهل نشأتها المباركة، ضمنتها نماذج وأمثلة من أمجاد العرب وآثارهم العلمية والعمرانية، وتراثهم الحضاري في الجاهلية والإسلام. ثم طويتها مع ما قدمته من أحاديث عن التربية عند العرب، جاهلية وإسلاماً. إلى أحاديث أخرى حول تفسير بعض آي القرآن الكريم. ولم أفكر في نشرها في كتاب لاعتقادي بأنها قد استنفذت أهدافها. وإن في عالم الكتب التي أصبحت بحمد الله تزخر بها مكتباتنا الكثيرة، ما يغني عن طبعها، إلا أن الابن السيد محمد العربي اقترح علي نشر بعض تلك الأحاديث إن لم تكن كلها، في كتاب، لأن ذلك لا يخلو من فائدة لمن فاته الاستماع عليها عند ما أذيعت، وقد أيدته في هذا الاقتراح الابن الدكتور نزار العربي ومعالى الابن الكريم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، فلم أر بداً من الاستجابة لاقتراحهم. ووقع الاختيار على الأحاديث التي أذعتها بعنوان: (أمجادنا في التاريخ) ورأيت من المناسب أن ألقى عليها نظرة قبل طبعها، أصحح بها ما قد يكون من أخطاء قلما تنجو منها مطبوعة من المطبوعات، كما أدخل

بعض التعديلات الطفيفة، كحذف المقدمات الإذاعية وبعض الكلمات التي قد تقتضيها المواقف الإذاعية ولا لزوم لها الآن. وكل ما أرجوه أن يحقق نشر هذه الأحاديث في كتاب يضم شتاتها ويجمع متفرقاتها، الأهداف المأمولة من ذلك. «وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

أمجادنا في التاريخ

(١)

إن قومي قوم الشريف قديماً
معشر أمسكت حلومهم الأرب
يحسن الذكر عنهمو والأحاديث
ملكوا الأرض قبل أن تملك الأرب
سائل الدهر مذ عرفناه هل يعر
قد لعمرى رزناه كهلاً وشيخاً
نحن أبناء يعرب أعرب النا
وكأن الإله قال لنا في الحر
وحدثاً أبوة وجدودا
ض وكادت من عزهم أن تميدا
إذا حدث الحديد الحديد
ض وقادوا في حافتيها الجنودا
ف منا إلا الفعال الحميدا
ورأيناه ناشئاً وتليدا
س لساناً وأنضر الناس عودا
ب، كونوا حجارة أو حديدا

لله در الباحثري! لقد رسم بهذه الأبيات القليلة صورة رائعة لأمجاد العرب قديماً وحدثاً. أجل لقد انطلقت فعالهم الدهر بلسان التاريخ الذي سجل لهم أمجد الصفحات وأعظمها، لنستمع إلى ما يقوله المنصفون حين يتحدثون عن أمجاد هذه الأمة العريقة.

قلما عرف التاريخ أمة كالأمة العربية فيما ناله أسلافهم من مجد باذخ

وحضارة زاهرة، وفيما سجلوه على صفحاته من حضارة رائعة تتحدى بعظمتها العصور والأجيال وتبهر بجلالها العقول والألباب، وفيما خلفوه من آثار تشهد بفضلهم وعبقريتهم في الحكم والإدارة، ونبوغهم وتبريزهم في العلوم والفنون، وسبقهم إلى إرساء أزهى معالم الحضارة والمدنية، وأقوى دعائم العمران. لقد حكموا حكماً مثالياً في العدل والمساواة، لا فرق عندهم في الحق بين صغير وكبير، ولا بين غني وفقير، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالعمل الصالح والخلق الكريم.

وإذا كانت هذه الصفحات المشرقة من تاريخ الأمة العربية إنما تتجلى في أروع صورها وأمجد معالمها وأعظم آثارها في العصور الإسلامية الزاهية، فإن للعرب قبل الإسلام أمجاداً وحضارة لا تقل عن حضارة أمثالها من الأمم في تلك العصور السحيقة. إلا أن فترة الجاهلية الجهلاء التي سادت الجزيرة العربية قبل الإسلام حقبةً طويلة، حجبت تلك الحضارة عن الأنظار، وكادت تقضي عليها قضاءً مبرماً، لولا ما ورد في القرآن الكريم من إشارات بليغة تلفت الأنظار إلى تلك الحضارة وإلى ما بلغته من قوة ورقي وازدهار، ولولا أن قيض الله لها في العصر الحديث من الباحثين المحققين، والرواد المنقبين عن الآثار من أراحوا الغطاء عن بعض معالم تلك الحضارة، وأبرزوا بعض كنوزها وذخائرها. وعلى ضوء الحقائق التي أظهرها نستطيع أن نعرض فيما يلي صفحات موجزة من تراث تلك الحضارة العريقة - بين يدي ما ستقدمه من صفحات مشرقة من الحضارة الإسلامية:

حضارة اليمن :

تعتبر حضارة اليمن من أقدم الحضارات العربية، ولما عرف عن اليمن قديماً من خصب ورخاء وازدهار في العمران دعيت بلاد العرب السعيدة، ولقد كانت من أقدم عصورها مسرحاً لأزهى الحضارات التي عرفها التاريخ. ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحضارة في جملة من آياته البينات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ (سبأ: ١٥)، تضمنت هذه الآيات الإشارة إلى ما بلغه هؤلاء العرب من تقدم ورقي في إقامة السدود واستخدامها في تنمية الزراعة وعمران البلاد ورخائها. كما يشير في آية أخرى إلى ما كانت تتمتع به اليمن على عهد سليمان عليه السلام من مظاهر المدنية المترفة والغني وأبهة الملك، وذلك فيما ورد فيه على لسان الهدهد من قوله: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل: ٢٣). وقد أشاد بحضارة العرب الأقدمين، كثير من المؤرخين قديماً وحديثاً كالمسعودي والهمذاني والألوسي وكرد علي وبعض المنصفين من الغربيين وفي مقدمتهم المستشرق الفرنسي الشهير غوستاف لوبون، في كتابه القيم: (حضارة العرب) الذي نقله إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر. وفيما يلي نقتبس فقرات مما ذكره هذا العلامة الكبير في تفنيد الوهم الشائع عن إنكار حضارة العرب قبل الإسلام، وفي إثبات هذه الحضارة بالمنطق والشواهد المؤيدة لوجهة نظره. وفي ذلك يقول: (إذا ما ظهرت أمة ذات حضارة إيرانية على مسرح التاريخ، قلنا إن هذه الحضارة ثمرة ماضٍ طويل، وإن جهلنا لهذا الماضي الطويل لا يعني عدم وجود تلك الحضارة، فإن مباحث العلم الحديث قد تؤدي إلى عرض ذلك الماضي للناظرين) ثم يقول:

(ولم يكن أمر حضارة العرب قبل ظهور محمد ﷺ) غير ذلك. وقد دلت الآثار والوثائق التي بأيدينا، على أن حضارة العرب لم تكن دون حضارتي الآشوريين والبابليين اللتين ظهر شأنهما حديثاً بفضل علم الآثار بعد أن كانتا مجهولتين).

ثم يتابع لوبون حديثه عن هذه الحضارة فيقول: (لم يكن التاريخ صامتاً إزاء ثقافة العرب القديمة كصمته إزاء الحضارات الأخرى، التي رفع العلم الحديث التراب عنها، وحتى لو صمت التاريخ عن حضارة العرب لجزمنا بوجود تلك الحضارة منذ زمن طويل. فقد أثبت التاريخ أنه كان للعرب آداب راقية ولغة ناضجة. وأنهم كانوا ذوي صلات تجارية بأرقى أمم العالم منذ القدم. وأنهم استطاعوا في أقل من مائة سنة أن يقيموا حضارة من أنضر الحضارات التي عرفها التاريخ) ثم يعقب غوستاف لوبون على ما تقدم بقوله: (والعرب الذين استطاعوا في أقل من قرن أن يقيموا دولة عظيمة، ويبدعوا حضارة عالية جديدة لهم، هم لا ريب من ذوي القرائح التي لا تتم إلا بتوالي الوراثة، وبثقافة سابقة مستمرة. فبالعرب لا بأصحاب الجلود الحمر أو الأستراليين، قد أنشأ خلفاء محمد ﷺ تلك المدينة الزاهرة التي ظلت ثمانية قرون مركزاً للعلوم والآداب والفنون في آسيا وأوروبا).

وقد استشهد لوبون بما يؤيد وجهة نظره في المدينة العربية القديمة من أقوال بعض المؤرخين القدامى من الغربيين ومن العرب، فذكر عن «هيرودوتش» وصفه لبلاد العرب السعيدة (اليمن) وما كانت تنعم به من مظاهر الغنى والترف والمدينة وإنها كانت من أغنى بلاد العالم، وإنه كان في مأرب أو سبأ قصور نضرة ذات أبواب مسجدية، وآنية من ذهب وفضة

وسرر مرصعة بالجواهر). كما نقل عن المؤرخ العربي السعودي ما يأتي:
نقله عنه ببعض الاختصار.

(ذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثرها وأغدقها، وأكثرها جناناً وغيطاناً، وأفسحها مروجاً، بين بنيان وجسر مقيم وشجر ومساكب للماء متكاثفة، وأنهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحال وفي العرض مثل ذلك. وأن الراكب والمار كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهي من آخرها، لا يرى الشمس ولا يفارقه الظل، لاستتار الأرض بالعمارة والشجر، واستيلائها عليها وإحاطتها بها فكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه، واهناً حال وأرغده. وفي نهاية الخصب وطيب الهواء. وتدفق المياه. وقوة الشوكة، واجتماع الكلمة، فكانت بلادهم في الأرض مثلاً، وكانوا على طريق حسن من اتباع شريف الأخلاق، وطلب الفضائل على القاعد والمسافر. قضوا على ذلك ما شاء الله من الإعصار، لا يعاندهم ملك إلا قصموه، فذلت لهم البلاد، وأذعن لطاعتهم العباد، فصاروا تاج الأرض). ثم يعقب على ذلك قوله: (ومن الأدلة على ازدهار مدن اليمن في القرون القديمة، ما كان لها من الصلات التجارية الواسعة بالبلاد الأخرى، ولما كان من الصعب أن نعثر في التاريخ على أمة ذات شأن كبير في التجارة من غير أن تكون متمدنة، ولما كانت علاقات العرب التجارية العالمية قد استمرت ألفي سنة، أمكننا أن نقول إن العرب ضربوا بسهم وافر في ميدان الحضارة، وإنه كان لمخازنهم من الأهمية ما كان لمخازن البندقية إبان عظمتها).

ولاستكمال الحديث عن حضارة اليمن نقدم صفحة مشرقة للدرجة

العالية التي بلغتها إحدى حكومات اليمن القديمة في حكم البلاد حكماً ديمقراطياً متقدماً، يشارك فيه الحاكم نخبة من أبناء الشعب في إبداء الرأي والمشورة وذلك ببضعة قرون، مما يعد سبقاً وتقدماً رائعاً في أساليب الحكم، حيث كان الشعب يشارك بوساطة ممثليه في تقرير سياسة البلاد والإشراف على تنفيذها. وبذلك كان نظام الحكم في اليمن في تلك الحقب السحيقة ملكياً شورياً. وفيما يلي نقتبس نبذة كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» للأستاذ (محمد مبروك نافع) الذي يقول: «كان نظام الحكم ملكياً وراثياً في الأبناء أو الأخوة، وفي بعض الأحيان كان يشرك الملك ابنه في الحكم معه - على غرار ما كان يصنع ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية. وكان للنساء حق وراثة العرش كالرجال. ولكن الملكية لم تكن مطلقة. فقد كانت للبلاد مجالس لها صفة نيابية، تمد الملك بالشورة والنصيحة، وتساعد في المسائل التشريعية. يؤيد ذلك النقوش التي كشفت في اليمن. كما يؤيده (قبل ذلك) القرآن الكريم، في قصة سليمان ومملكة سبأ حيث يقول: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ. قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٢ - ٣٣). نكتفي بهذه اللمحات الموجزة عن حضارة العرب الأقدمين لننتقل إلى الحديث عن العصور الإسلامية الزاهرة.

ثم يعلق لوبون على كلام المسعودي وعلى ما ذكره من روايات بعض المؤرخين القدامى من غير العرب بقوله: (ويكفي تطابق تلك الروايات لإثبات مماثلة مدن اليمن في حضارتها لمدن مصر، وتقدمها الكبير في ميدان الحضارة. ولا تزال بقاياها مطمورة تحت التراب، تنتظر الباحث الذي يزيله عنها، كما أزيل عن نينوى وبابل).

حضارة العرب في العصور الإسلامية:

أشرق فجر الإسلام والأمة العربية متردية في مهاوي الجهالة والتخلف، قد مزقتها العداوات والأحقاد، وأنهكتها الفتن والحروب، فأنقذها الله برسالة محمد ﷺ من الحال التي انحطت إليها، وجمع شملها وألف بين قلوب أبنائها، وهداهم إلى الحنيفية السمحة والدين القويم، فاستضاءوا بنور العلم والإيمان، وامتألت قلوبهم بحب هذه الدين والتمسك بشريعته وآدابه، والتضحية في سبيله بالنفس والمال والسير على نهج النبي الكريم، فلم يلبثوا أن حملوا رسالة هذا الدين الحنيف وما تدعو إليه من تحرير العقول من عبادة الأوثان والطواغيت، وتحرير النفوس من رق العبودية لغير الله الواحد الأحد. حملوا هذه الرسالة إلى شتى الأقطار التي كانت تتخبط في دياجير الحيرة والضلال، وترسف في قيود الظلم والاستعباد. فسادوا بذلك العالم، ووضعوا أقوى الأسس لأعظم وأرقى حضارة عرفها التاريخ. ونقتبس فيما يلي نبذة مما كتبه العلامة الأستاذ (كرد علي) في كتابه القيم، «الإسلام والحضارة العربية» عن الأثر العظيم الذي أحدثه الإسلام في الأمة العربية إذ يقول:

وجمع الإسلام من شمل العرب بعد تشتتهم، وأخى بينهم مؤاخاة ما عهدوها، وهذب نفوسهم حتى سلس قيادهم بعد شماسة، وثقفهم ثقافة، أفادوا بها ففادوا بالأهل والولد والنفس والمال في نصرة دينهم، فامتن الله عليهم بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:

١٠٢ - ١٠٣). وأناس هذا حالهم لا يستعظم عليهم أن يفتحوا في سنين قليلة: الشام وفارس ومصر والجزيرة والروم والسند وبخارى والمغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط، وأن يضعوا الجزية على ملك الصين، والتوفيق حليف رايتهم أينما حلت، يفتحون بالعدل قلوب من يغلبونهم على أمرهم، عقبى فتح بلادهم عنوة أو صلحاً، يتحامون ما أمكن إهراق الدماء، ويرفقون بالمستضعفين من الأولاد والنساء والرهبان والراهبات، وينشرون كلمة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعلمون الأمم المغلوبة لسانهم ومنازعتهم، مؤثرين في كل حالة من حالاتهم الآخرة على الدنيا وكذلك كانوا في أقوالهم وأفعالهم).

ثم يقول الأستاذ كرد علي في الكتاب نفسه: (فالإسلام هو الذي جعل في العرب خاصية في أخلاقها ساقتها إلى العمل الصالح، فوحد بين مقاصدها ووجهها إلى هدف واحد، ومن حرص على الموت توهب له الحياة. والقرآن استهواهم بأسلوبه الجذاب، وخلق ألبابهم بفصاحته وبلاغته، فاسترقهم فأمنوا به وبمن جاءهم به، وما هي إلا أيام معدودات حتى هذبت مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ من نفوسهم، أنشأت منهم رجالاً أصبحوا في عقولهم وعلمهم موضع الاستغراب، على توالي القرون والأحقاب..).

وسنقدم فيما يلي صفحات مشرقة من سيرة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ومن نهج نهجهم من الملوك والقادة الذين وضعوا الأسس لحضارة من أمجد الحضارات وأزهاها. وأرسوا قواعد العدل ومكارم الأخلاق.

قبس من سيرة الرسول الكريم ﷺ :

إن محمد بن عبد الله ﷺ، هو المثل الكامل الذي اختاره الله من بين العرب لهداية العالم وإنقاذهم من مهاوي الشرك والضلال، إلى عبادة الواحد الأحد، الفرد الصمد. وإخراجهم من ظلمات الجاهلية وسلطان الظلم والاستعباد، إلى نور العلم والحرية وحياة العزة والسيادة، فكان كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وقد اصطفاه الله جلت حكمته من أكرم العرب محتدأ، وأشرفهم نسباً، وتولى رعايته وتربيته، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى: ٦ - ٧)، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، فلا غرابة إذا نشأ ﷺ عازفاً عن عبادة الأوثان والأصنام، وعن عادات الجاهلية الجهلاء، متحلياً بأحسن الأخلاق وأجمل الخصال. قال الله تعالى في الثناء عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) مثلاً رائعاً لما وصفته به السيدة خديجة رضي الله عنها، لما رجع إليها يرجف فؤاده على أثر لقائه لجبريل عليه السلام عند تلقيه الوحي لأول مرة، إذ قالت له: (كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، أن لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث)، وصفته بهذه الصفات الجامعة لمكارم الأخلاق، وهي أعرف الناس به وأدراهم بشمائله.

وما إن تتابع الوحي إلى النبي الكريم ونزل قوله تعالى: ﴿بِأَيِّهَا أُمِّدَّتْ . قُرْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر: ١ - ٣) ... حتى شمر ﷺ عن ساعد الجد وأعلن دعوته إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأوثان والأصنام، فهبت قريش وعلى رأسها كبارؤها وصناديدها لمقاومة هذه الدعوة والصد عنها بشتى الأساليب والتصدي لمن يتبعها بالإيذاء

والمطاردة. وقد نال الرسول ﷺ شيء من أذاهم خصوصاً بعد وفاة عمه أبي طالب. على أن كل ذلك لم يثن من عزمته ولم يمنعه من مواصلة دعوته بين القبائل فكان يعرض عليهم الدعوة إلى الإسلام في كل موسم من مواسمهم. بل إنه ذهب إلى الطائف ماشياً يدعو أهلها إلى هذا الدين الحنيف فردوه شرّ رد، ولم يزل ذلك دأبه مع الوفود التي تفتد إلى مكة إلى أن استجاب لدعوته نفر من أهل المدينة هداهم الله لهذا الدين وأطلق عليهم بعد لقب الأنصار، وأخذوا يدعون إلى الإسلام في المدينة إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة، فكانت هذه الهجرة بداية نصر الإسلام وإعلاء شأنه.

وما إن وصل رسول الله ﷺ في المدينة حتى بدأ يرسى قواعد دعوته، ويضع الأسس التي قامت عليها دولة الإسلام وازدهرت فيما بعد حضارته. وفيما يلي نقتبس نبذة مختصرة مما ذكره صاحب كتاب تاريخ الإسلام السياسي، تحت عنوان (نشوء حكومة نظامية في المدينة).

فقد ذكر تحت العنوان المتقدم في سياق الحديث عن ذلك بشيء من التفصيل قوله: وقد استطاع الرسول أن ينشر دينه بين أهل المدينة، وأن يجد بينهم أتباعاً كثيرين في فترة قصيرة، كما استطاع أن يصلح ذات بينهم ويوطد السلم بين عشائهم، وأن يعقد حلفاً بين المهاجرين وبين أهل المدينة من المسلمين واليهود والمشركين، ثم أورد المؤلف صورة مقتطفة من تلك المعاهدة، ثم عقب عليها بقوله: فإن الناظر إلى هذا الحلف ليرى أن الرسول:

١ - قد استطاع أن يوحد بين جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وأن يجعل منهم أمة واحدة. وقد ألف الدين بين قلوب أفرادها المتباينة.

٢ - أوجد التعاون والتضامن بين أفراد تلك الجماعة . على أساس أن الزمالة في الدين مقدمة على غيرها من الصلات حتى صلة القرابة .

٣ - ذكر أن للجماعة من حيث كونها جماعة ذات شخصية دينية وسياسية حقوقاً على الأفراد، أظهرها السهر على الأمن والضرب على يد المفسد .

٤ - شرط لجماعة اليهود المساواة مع المسلمين من حيث المصلحة العامة، كما فتح الطريق للراغبين في الإسلام، وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق .

ثم تكلم المؤلف عن اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام أول وصوله إلى المدينة بإقامة شعائر الإسلام وبناء مسجده لذلك . ثم بين ما للمسجد من آثار عظيمة في حياة المسلمين بقوله : ولم تكن أهمية المسجد مقصورة على إقامة الصلاة، بل كان الرسول ﷺ يجلس مع صحابته في المسجد يعلمهم الدين، ويقضي بينهم بما أنزل الله، ويشاورهم في الأمور التي تتعلق بجماعة المسلمين، كما كان يستقبل فيه سفراء القبائل ووفود العرب .

وعلى ذكر المسجد وأهميته في الإسلام، واعتباره أول منبر للدعوة إلى هذا الدين الحنيف، وأول معهد بعثت تعاليمه ونشر العلم والمعرفة، يجدر بنا أن نشير ولو إشارة موجزة إلى العناية التي أبدتها الإسلام بالعلم والتعليم، وتنبيه العقول والإهابة بها إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض نظر تدبر وتأمل وتفكر فيما انطوى عليه هذا الكون من حكم وأسرار . ومما هو جدير بالملاحظة في هذا السبيل، أن أول وحي تلقاه الرسول الكريم ﷺ عن الله عز وجل قوله : ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ

الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ (العلق: ١ - ٦)، ثم تتابعت الآيات البيّنات في الإشادة بفضل العلم وعظيم قيمته من أمثال قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩) وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وقوله ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١)، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، ولقد كان ﷺ خير من امتثل لهذه التوجيهات الربانية، وخير من نفذها، فكان المعلم الأول والمربي الذي تخرج من مدرسته أعلام الصحابة وجهابذة الفقهاء والمربين والقادة الذين فتحوا أقطار العالم وحملوا راية الإسلام وشريعته وآدابه إلى بلاد العالم شرقاً وغرباً، وأسسوا أعظم المدن والأمصار وشادوا أزهى الحضارة وروائع العمران. أما الآيات التي أهابت بالإنسان أن يستعمل عقله ويفكر في مخلوقات الله فهي أكثر من أن نحصيها في هذا السياق وإنما نذكر منها الأمثلة الآتية: كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَجْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطارق: ٥ - ٧)، وقوله: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ (الأعراف: ١٨٥). وقوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩). وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٢).

وأما الآيات الحاثّة على العمل، فمنها قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي

اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿التوبة: ١٠٥﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠)، وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ . الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَدِغَتٍ وَقَدِرَ فِي السَّرِّ وَعَامَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: ١٠ - ١١).

ومن الآيات الدالة على أن الإسلام يدعو إلى الاعتدال في أمور الدنيا والآخرة لا إفراط ولا تفريط، قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، وقوله في الشناء على عباد الرحمن ﴿... وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧).

وباتباع هذه التوجيهات الحكيمة كان المسلمون أمة وسطاً كما أرادهم الله تعالى وكما قال جلت حكمته: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) وكانوا كذلك خير أمة كما قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠). ومن أقوى مظاهر هذه الوسطية وهذه الخيرية ما امتاز به الحكم الإسلامي من العدالة والمساواة بين الرعية في الحق. ولعلّه من المستحسن هنا أن نذكر نماذج قليلة بقدر ما يتسع له المجال من سيرة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين.

فهذا رسول الله ﷺ يخاطب المسلمين في حجة الوداع بقوله: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب. إن

أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى. وها هو ذا يبدأ بإقامة العدل وتطبيقه على أهله وذوي قرباه، فيقول في الخطبة نفسها: (فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع. وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ولقد بلغ من عدله عليه الصلاة والسلام أنه كان يعرض على أصحابه أن يقتصوا منه فيما يشبه التجاوز عليهم، ولقد بلغ من عدله أيضاً أن يقول: (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)، وبلغ من مساواته بين رعاياه في تقدير الكفريات، أن أمرَّ أسامة بن زيد على جيش فيه كبار الصحابة. وأسامة لم يزل في مقتبل الشباب، لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، وهو ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ كان عبداً لخديجة رضي الله عنها فوهبته للنبي ﷺ فكان من إكرامه لزيد ما جعله يختار البقاء عند رسول الله ﷺ عندما خيره بحضور أبيه وعمه بين البقاء عنده والذهاب مع أبيه فقال زيد: ما أنا بالذي اختار عليكم أحداً. أنت مني مكان الأب والعم).

وهذا الخليفة أبو بكر رضي الله عنه يقول في أول خطبة له بعد انتخابه خليفة للمسلمين: أيها الناس، قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني.. والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق. والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه. إن شاء الله.. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.. وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاهد شيخاً ضريراً يسأل على باب قوم فيأخذ بعضده ويقول له من أنت فيقول:

يهودي، فيقول له عمر، فما الذي ألك إلى ما أرى، فيقول اليهودي: أسأل الجزية والحاجة والسنن. فيمسك عمر به ويذهب به إلى منزله فيعطيه شيئاً مما في المنزل. ثم يرسله إلى خازن بيت المال ويقول له: انظر هذا وضر بآءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخله عند الهرم.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يجد درعه عند رجل نصراني فيخاصمه إلى قاضيه شريح، فينكر النصراني دعوى علي ويزعم أن الدرع درعه، فليتفت شريح إلى علي فيسأله هل من بينة؟ فيضحك علي ويقول: أصاب شريح، مالي بينة. فيقضي شريح بالدرع للنصراني، فيأخذها ويمضي وأمير المؤمنين ينظر إليه. ثم لا يلبث النصراني أن يعود ويقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء. أمير المؤمنين يخاصمني إلى قاضيه فيقضي عليه. وينطق النصراني بالشهادة معلناً إسلامه ويقول: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، إني اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى حنين فخرجت الدرع من بعيرك الأورق. فيقول علي: أما إنك أسلمت فهي لك.

بمثل هذا العدل قامت حكومات المسلمين، وامتد سلطانهم ونفوذهم، وبمثل هذه الأخلاق النبيلة دانت لهم الدنيا بأسرها، وانطوت تحت ألويتهم الأمم والشعوب المهضومة وساهموا مع العرب في بناء حضارتهم وتخليد أمجادهم على النحو الذي حفظه لهم التاريخ في أزهى صفحاته. وإن أمة تكون تلك الصفات والأخلاق بعض خلال خلفائها وأمرائها، لجدير بها أن تتخذ من سيرهم قدوتها ومثلها العليا، ومن آثارهم المجيدة حافزاً لها لتحقيق ما تنشده من نهوض وتقدم، وأن تواصل السعي والعمل بهمة ونشاط لإحياء أمجادها السابقة وتضيف إليها أمجاداً جديدة، متخذة من

قول الشاعر المتقدم شعاراً لها حيث يقول:

إنّا وإن كرمت أوائلنا لسنا على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

عندما سنح لي أن أتحدث عن عدالة الفاروق وعبقريته في الحكم وما سجله له التاريخ من أمجاد في ذلك، كنت أقدر أن أكتفي بحديث أو حديثين على الأكثر، عن مواقفه البارزة في التاريخ. فإذا سيرة هذا الخليفة العبقرى تستهوينى بطرائقها وإذا أنا أمام بحر زاخر بالنفائس، وأنا أشعر بأن من حق المستمعين الكرام علي أن أمتعهم ما وسعني الجهد والطاقة بطائفة من تلك الروائع. وهأنذا أعرض فيما يلي نبذة منها، لا تقل عما سقناه في حديثنا الماضي - روعة في العبقرية، وسموا في العدالة، ومثلا في العاطفة الإنسانية. فعبقرية الفاروق الفذة، وعدالته المثالية من ابرز سمات حكمه وخلافته، فهو الإمام العادل، الشديد في الحق حتى على نفسه وأقرب قريب إليه. وهو الحاكم العبقرى الذي لا يفري فرية في تصريف شؤون الدولة وتوطيد قوتها وعزتها. وهو إلى جانب ذلك الخليفة البر الرحيم الشفوق برعيته، يتفقد كل صغير وكبير من شؤونهم ويسعى السعي الحثيث لما فيه سعادتهم ورفاهيتهم ويهمه أمر الرعية همماً يحرمه لذة الراحة وأطايب العيش، تشهد بذلك سيرته وأعماله، وتحدث به أقواله وأخباره، فهذا معاوية بن خديج يفد عليه يبشره بفتح الإسكندرية فيظنه قائلاً ونائماً في وقت القيلولة، فيرد عليه عمر بقوله: «لبئس ما ظننت، لئن نمت في النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت في الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم بين هذين يا معاوية»..؟

ومن مظاهر شدة اهتمامه بالرعية، أخذه عماله بالعدل فيهم والعطف

عليهم أخذاً حازماً لا هوادة فيه لأنه يشعر بأنه المسؤول الأول عن كل صغيرة وكبيرة من شؤون رعيته ولذا كان يقول: (أيما عامل لي ظلم أحداً وبلغتني مظلمته فلم اعتبرها فإنها ظلمته) وكان يبالي في اختيار عماله وامتحانهم ويوصيهم بحسن السيرة في الرعية ويحاسبهم على ذلك حساباً عسيراً. وكان إذا ولى عاملاً كتب عليه كتاباً أشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ثم يقول له: "إني لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة، وتقسم بينهم، وتحكم فيهم بالعدل. ثم اشترط عليه أربعاً ألا يركب برذوناً (بغلاً) ولا يلبس ثوباً رقيقاً، ولا يأكل نفيماً، ولا يخلق بابه دون حوائج المسلمين. وكتب مرة إلى عماله أن يوافوه بالموسم، فوافوه. فقام فقال: ايها الناس: إني ما ابعث عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن بعثتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه. فوثب عمرو بن العاص فقال: أرأيت إن كان رجل من المسلمين والياً على رعيته فأدب بعضهم، إنك تقصنه منه؟.. قال: إني والذي نفسي بيده لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه. ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم.

فقام رجل من الناس فقال: يا أمير المؤمنين. عاملك ضربني مائة سوط فقال عمر: أتضربه مائة سوط؟! قم فاستد منه. فقام إليه عمر بن العاص فقال: دعنا إذاً فلنرضه. فقال عمر: فأرضوه بمائتي دينار كل سوط بدينارين.

وكما كان يحاسب ولاته على حقوق الرعية كان يحاسب نفسه أشد

حساب كما مر بنا في حديث سابق، وكان يحاسب أقرب الناس إليه: فهذا ابنه عبد الله يشتري إبلاً ويبعثها إلى الحمى حتى إذا سمت قدم بها إلى السوق فرآها عمر رضي الله عنه فقال لمن هذه..؟ فقيل لعبد الله بن عمر. فجعل يقول: يا عبد الله! بخ بخ!! ابن أمير المؤمنين! فجاءه عبد الله يسعى وقال: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال ما هذه الإبل؟ قال إبل نضاء اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى، ابتغي ما يبتغي المسلمون فقال عمر: مستنكراً عليه ذلك في أسلوب تهكمي: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين (يعني أن إبل ابنه وجدت من العناية والرعاية ما لم يجده غيرها من إبل المسلمين) يا عبد الله بن عمر: اغد على رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

وهذه زوجة عمر (زوجة أمير المؤمنين) تستقرض ديناراً فتشتري به عطراً تجعله في قوارير وتبعث به مع البريد هدية إلى امرأة ملك الروم، فتقابل هديتها بهدية من الجواهر النفيسة حتى إذا وصلت الهدية إلى زوجة عمر ورآها تثبلها بين يديها، سألتها: ما هذا؟ فأخبرته بقصتها فأخذ الجواهر فباعها ودفع إلى امرأته ديناراً وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين.

ولم يكن حرص عمر على إقامة العدل بين الرعية مقصوراً على المسلمين وحدهم، فلقد كان يوصي عماله بالذين هم من النصراني واليهود وكان يواسي غير القادرين منهم كما مر بنا في مواساته ذلك الشيخ اليهودي الضرير. ومما جاء في وصاياهم بأهل الذمة: «أن يوفي لهم بعهدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم، وأن يقاتل من ورائهم» بل إن تشبعه بروح الإسلام السمحة جعله يطبق قواعد العدالة ومثل الإسلام العليا حتى على المحاربين

من أعداء المسلمين، فكان إذا عقد الألوية لأمرء الجيوش يوصيهم بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ولا تجنبوا عنه اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا، واتقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وفي شن الغارات، ولا تغلوا عند الغنائم، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا».

أين هذه الخطة المثلى في العدل والتسامح من تلك الأساليب الوحشية التي تمارسها حكومات الغرب، المتبجحة بدعوى المدنية وحب السلام؟. أين هذه المعاملة الإنسانية المثالية من تلك المعاملة البربرية التي يعامل بها الغربيون، الشعوب المنكوبة باستعمارهم، والأسرى الذين يقعون بين مخالبهم، والمدن الآمنة التي يصبون عليها نيران أحقادهم ونقمتهم المدمرة ويسلطون على سكانها الأمنيين الغارات الخائقة والجرائم القتالية؟. لستان ما بين الصنيعين، وهيئات هيئات الموازنة بين الحكامين!! والله در شاعرنا إذ يقول:

ملكنا فكان العفو منا سجيّة فلما ملكتم سال بالدم السطح
وحللتما قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى نمن ونصفح
تحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

أمجادنا في التاريخ

(٢)

ازدهار الحضارة في العصر العباسي :

نوهنا بما بلغته الحضارة العربية في العهد العباسي من تقدم ورقي واستشهدنا على ذلك بنبذة لعلم من أعلام الشرق الإسلامي هو المرحوم سيد أمير علي . وأرجأنا بقية الكلام عن هذا الموضوع الطريف إلى حديث اليوم . وها نحن أولاً نصل حديثنا الآنف الذكر بنبذة أخرى عن الحضارة العربية في هذا العصر . لعلم من أعلام الغرب النابهين . هو الدكتور غوستاف لوبون نقلاً عن كتابه النفيس (حضارة العرب) قال هذا الكاتب الفيلسوف الكبير في كلامه عن تنظيم الدولة وازدهار الحضارة في هذا العصر وخاصة عهد الرشيد . . كان الرشيد حين جلس على عرش الخلافة في السنة الثالثة والعشرين من عمره . وكان تنظيم شؤون دولته أول ما فكر فيه . فوصلت ولايات الدولة بوسائل نقل منظمة وأنشئت مرابط لتتمكن البرد من قطع المساوف على عجل . وعني بحمام الزاجل لربط ما بين المدن بالرسائل . وقد كانت إدارة البريد من أهم وظائف الدولة كما في أوروبا الحديثة . . وكانت مالية الدولة دقيقة الضبط . وكان دخل الدولة

قائماً على الجزية والخراج والمكوس وإحياء الموات واستخراج المعادن . وقد روى مؤرخو العرب أن دخل الخليفة السنوي كان مائتي مليون فرنك (مساوياً لهذا المبلغ المقدر بالعملة الفرنسية).

وكانت إدارة مالية الدولة موزعة بين أربعة دواوين مماثلة لدواوين الزمن الحاضر . وهي ديوان الغنائم ونفقات الجند وديوان الضرائب وديوان الجباية وديوان مراقبة الدخل والخرج . وكانت أوامر الخلفاء تكتب في سجلات خاصة ليرجعوا إليها عند الضرر وكان الوزير المرجع الأعلى لجميع شؤون الدولة . وكان أكثر الخلفاء يتركون له مقاليد الحكم ويشابه في عصر الخلفاء منصب رئيس الوزراء في أيامنا . ولم تكن الشرطة في عهد الخلفاء أقل انتظاماً من البريد والمالية وكانت للتجارة نقابة لمراقبة أمور البيع والشراء - ومنع الغش والتدليس . وكان انتظام مالية الخلفاء سبباً في تعبيد الطرق وإنشائهم للفنادق والمساجد والمستشفيات والمدارس في أنحاء الدولة ولا سيما في بغداد والبصرة والموصل . وقد اتسع نطاق الزراعة والصناعة . . وأنشئت مصانع للنسائج الحريرية في الموصل وحلب ودمشق وصار العرب يستغلون الممالح ومناجم الكبريت والرخام والحديد والرصاص بطرق فنية دقيقة . وقد وسعت دائرة - التعليم العام . واستدعى الأساتذة من مختلف أقطار العالم بلغ علم الفلك درجة رفيعة من التقدم فانتهى إلى نتائج لم ينته إليها الأوروبيون إلا في العصر الحاضر .

وقد أقدم العرب على تلك المباحث التي لم يكن لهم عهد بها بشوق ونشاط . وأكثروا من إنشاء المكتبات العامة والمدارس والمختبرات في كل مكان وسنرى حينما ندرس في فصول أخرى مقومات حضارتهم . إنهم كانت لهم مبتكرات في شتى العلوم . ومما تقدم نرى - العرب قد بلغوا

درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحهم بزمن قصير ولكن لما كانت الإدارة الرشيدة والفنون والعلوم مما لا يليها عفواً لم يفعل العرب غير مواصلة الحضارات التي أينعت قبل ظهورهم كالحضارة اليونانية اللاتينية - فكانت لهم مبتكرات فيما ورثوه من علومها وفنونها وطرق حكمها. وهم في ذلك على خلاف الروم المنحطين الذين سلموا إلى العرب تراث تلك الحضارات من غير أن يكونوا قد انتفعوا به. كان حب العرب للعلم عظيماً ولم يترك الخلفاء في بغداد طريقاً لاجتذاب العلماء ورجال الفن إلا سلكوه. وقد شهر أحد الخلفاء الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين في التدريس ببغداد. وكان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل يتقاطرون إلى بغداد التي كانت مركز الثقافة العالمية. وقد بلغ سلطان العرب - السياسي في عصر الرشيد وابنه المأمون أقصى درجات العزة والقوة. فكانت بلاد الصين حداً لدولة العرب من الشرق. وكان البحر المحيط الأطلسي حداً لها من الغرب. . . والحق أن العرب الأشداء الذين لبوا دعوة محمداً استطاعوا أن يفتحوا في أقل من قرنين دولة بلغت ما بلغته دولة الرومان العظيمة والاتساع وكانت أكثر دول الأرض هيبة وتمدناً).

وحسبنا شهادة هذين العلمين من أعلام الشرق والغرب ومن أقطاب التاريخ الحديث. حسبنا شهادتهما وإشادتهما بحضارة العرب دليلاً على ما بلغه العرب الأماجد في العصر العباسي من رقي وتقدم وما سبقوا إليه العالم من حضارة ومدينة - في وقت كان فيه الغرب يتخبط في دياجير الجهالة والوحشية ويحارب العلم والمدنية تحت ستار الدين وبقيادة زعمائه الجاهلين. أما إشادة علمائنا المتقدمين بحضارة العصر العباسي وما بلغته

بغداد في هذا العهد من رقي وتقدم فقد أفردت لها المؤلفات والأسفار الضخمة ومن أجلها تاريخ الخطيب البغدادي وفيما يلي نقتبس بعض ما ذكره ابن كثير نقلاً عن البغدادي وغيره. قال ابن كثير في سياق كلامه على ارتياد المنصور للموضع الذي بنى فيه مدينة السلام (بغداد). قال . . (فحينئذ أمر المنصور باختطاطها فرسموها له بالرماد فمشى في طرقها ومسالكتها فأعجبه ذلك. ثم سلم كل ربع منها لأمير يقوم على بنائه وأحضر من كل بلد فُعالاً وصناعاً ومهندسين. فاجتمع عنده ألوف منهم ثم كان هو أول من وضع لبنة فيها بيده وقال . . بسم الله والحمد لله. والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال . . إبنوا على بركة الله. الخ. ومن هذا نعلم أن العرب - كانوا يضعون تصميمات دقيقة للمدن قبل إنشائها وأن عادة وضع الملك أو الحاكم للحجر الأساسي عند البدء في تشييد المباني الكبيرة قد عرفه العرب قديماً وليس هو من مستحدثات الغرب كما يظن الجاهلون بتاريخ أسلافهم الماجدين. وما ذكره ابن كثير في وصف بغداد (قال الحافظ أبو بكر البغدادي. لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلاله قدرها. ومخافة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها. وتميز خواصها وعوامها وعظيم أقطارها وسعة أطوارها وكثرة دورها ودروبها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها وطيب هوائها وعدوبة مائها وبرد ظلالها واعتدال صيفها وشتائها وصحة ربيعها وخريفها وأكثر ما كانت عمارة وأهلاً في أيام الرشيد . . الخ).

ولا غرابة بعد ما ذكرناه في أن تصبح بغداد في عهد الرشيد وخلفائه عروس المدائن وأم العواصم. ولقد خلد محاسنها - ومشاهدها كثير من الشعراء والكتّاب ومن أجمل ما قيل فيها من الشعر قول سعد بن محمد الهمداني . .

فدى لك يا بغداد كل مدينة
فقد طفت في شرق البلاد وغربها
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا
ولا مثل أهلها أرق شمائلها
من الأرض حتى خطتي وديارها
وسيرت خيلي بينها وركابيا
ولم أر فيها مثل دجلة واديا
وأعذب أفضاها وأحلى معانيا

وقول طاهر بن المظفر . .

سقى الله صوب الغاديات محلة
هي البلدة الحسناء خصت لأهلها
هواء رقيق في اعتدال وصحة
ودجلتها شيطان قد نظما لنا
ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
بأشياء لم يجمعن مذ كن في مصر
وماء له طعم ألد من الخمر
بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر
وحصباؤها مثل اليواقيت والدر
تراها كمسك والمياه كفضة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمجادنا في التاريخ

(٣)

قدمنا في أحاديثنا السابقة صفحات رائعة من تراث الحضارة العربية في العصر العباسي، ونوهنا بالمكانة الباذخة التي بلغتها بغداد خصوصاً في عهد الخليفة هارون الرشيد، ونقدم اليوم صفحات أخرى مشعة من ذلك التراث الخالد تمثلت في عهد الخليفة العبقري المأمون بن هارون الرشيد، ذلك الخليفة الذي يقول عنه العلامة الكبير المرحوم سيد أمير علي في كتابه القيم (مختصر تاريخ العرب) يعتبر عصر المأمون ألمع عصر في التاريخ العربي، ويسمى بحق عصر الإسلام الذهبي، فالذي لا ريب فيه أن السنوات العشرين التي قضاها في خلافة المسلمين، قد تركت آثاراً خالدة لتطور المسلمين العقلي في جميع الحقول الفكرية. ذلك أن منجزاتهم لم تقتصر على أي فرع معين من فروع العلم والأدب، بل شملت كل ناحية من عالم الفكر والعقل، فازدهرت الفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والطب، وقطعت خطوات عظيمة خلال تلك الحقبة المجيدة من المدنية الآسيوية، وانتقل تراثها العقلي إلى إسبانيا الإسلامية والقسطنطينية المسيحية، ومنها تحدرت إلى أوروبا الحديثة. وقد أنشأ المأمون المدارس

والكليات في جميع أنحاء الدولة، كما أنشأ مجلساً استشارياً للدولة مؤلفاً من ممثلي الطوائف جميعاً).

وقد أفاض العلامة الجليل المرحوم كرد على ما في كتابه القيم (الإسلام والحضارة العربية) في بيان حسن سياسة المأمون وحزمه واهتمامه بشؤون الرعية. وفيما يلي نقتبس جملة مما ورد في ذلك الكتاب النفيس. قال: (ووقع للمأمون غير مرة أنه كان يخف إلى الأقطار التي تنشب فيها فتنة جديدة، لا يعتمد على رجاله، على كثرة الصالحين منهم للعمل. ولما انتفضت أسفل الأرض كلها بمصر عربها وقبظها، وأخرجوا العمال وخالفوا الطاعة. وكان ذلك لسوء سيرة العمال. هبط المأمون مصر، وسخط على عامله عيسى بن منصور، وأمر بحل لوائه. . وقال: لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلتك وفعل عمالك، حملتم الناس ما لا يطيقون، وكنتمونوني الخبر، حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد. وقال: ما فتق على فتق في مملكتي إلا وجدت سببه جور العمال. .).

ثم قال المؤلف: (وخص المأمون بالإغضاء على المساوىء والتغاضي عن التفاهات وحمل الناس على عمل الخير، وهذا مع كثرة عنايته بأخبار عماله ورعيته).

ثم يقول: (وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتية كلها) - يعني تقارير المخبرين بأحوال الرعية - وكان يدور ليلاً ونهاراً متستراً. ومع كل هذا كان المأمون أبداً إلى جانب المسامحة والعفو، وتتجافى نفسه العظيمة عن كل ما يشتم منه رائحة الطمع والإسفاف إلى أموال العمال، وكانت المصادرات والنكبات تبطل في أيامه، ولا ينكب إلا من حاول نقض بنيان الدولة. .

وقال أيضاً: (ولقد كان من أهم قوانين إدارة المأمون التوسعة على عماله حتى لا يسرقون الرعية والسلطان، ويضيعوا حقوقهم. . وما كان المأمون بالخليفة الذي يتخلى عن خاصة عماله لأدنى سبب، بل يغض الطرف عن مساويهم، ويتركهم في برزخ بين الرغبة والرغبة، ولذلك استراح وأراح الناس معه. وعلى قدر ما كان يراعي الخاصة يراعي العامة، فقد قال في وصيته للخليفة بعده: لا تغفل أمر الرعية والعوام، فإن الملك بهم وبتعهدك لهم، الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين، ولا ينتهين إليك أمر فيه مصلحة للمسلمين ومنفعة إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك، وخذ من أفيائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم، وقربهم وتأن بهم).

وقال المؤلف أيضاً: (كتب إلى عامله في دمشق في التقدم إلى عماله في حسن السيرة وتخفيض المؤونة وكف الأذى عن أهل محله، وأن يتقدم إلى عماله في ذلك أشد التقدمة، وأن يكتب إلى عمال الخراج بمثل ذلك. وكتب بهذا إلى جميع عماله في أجناد الشام. . وكان يعدل الخراج إذا شكا منه أهله. .).

وقال أيضاً: أصاب أهل مكة سيل جارف، مات تحته خلق كثير، فكتب والي الحرمين إلى المأمون يذكر له الحال، فوجه إليه المأمون بالأموال الكثيرة وكتب إلى والي: (أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله إلى أمير المؤمنين، فبكاهم بقلب رحمته، وأنجدهم بسبب نعمته، وهو متبع ما أسلف إليهم، بما يخلفه عليهم، عاجلاً أو آجلاً، إن أذن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته. قالوا: فصار كتابه هذا أنس لأهل مكة من الأموال التي أنفدها. وكان له في كل بلد حوادث من الإحسان قلما

يتسامى إليها أحد من الخلفاء).

ومن أمثلة عدل المأمون الرائعة الواقعة التالية التي ذكرها ابن كثير في تاريخه، قال: (وكان يتحرى العدل، ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل، جاءت امرأة ضعيفة قد تظلمت على ابنه العباس وهو قائم على رأسه، فأمر الحاجب فأخذ بيده فأجلسه معها بين يديه، فادعت عليه بأنه أخذ ضيعتها واستحوذ عليها، فتناظرا ساعة، فجعل صوتها يعلو على صوته، فزجرها بعض الحاضرين. فقال له المأمون: اسكت، فإن الحق أنطقها والباطل أسكته. ثم حكم لها بحقها، وأغرم ابنه عشرة آلاف درهم).

وقد اشتهر المأمون بجملة خصال فاضلة في مقدمتها الحلم وحبه للعفو، حتى أنه كان يقول: (ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو، حتى يذهب الخوف عنهم، ويدخل السرور إلى قلوبهم).

وقد عقد العلامة الخضري فصلاً تحدث فيه عن الأخلاق التي يتميز بها المأمون في كتابه (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية) نقتبس منه الفقرات التالية قال: (أول ما ظهر من حلم المأمون، ميله للعفو وكرهيته للانتقام، فإنه عفا عن جميع من ساعدوا خصومه عليه ولم يهجم بشيء حتى الفضل بن الربيع، الذي أخذ قواده وجنوده وسلاحه، وجميع ما أوصى به أبوه له، فذهب بها إلى الأمين، وتركه يمر مجرداً عن كل ذلك، ثم أفسد عليه أخاه وأغراه على خلعه، وكان أشد عليه من كل شيء. ومع هذا لم يأخذه بجرمه. ولما دخل على المأمون، وأعلنه المأمون بالعفو عنه، سأله الرضا، فقال المأمون: أجل العفو لا يكون إلا عن رضا. وسجد المأمون شكراً لله على أن ألهمه نعمة العفو..

ثم قال: (وكان له في العفو لذة لا يعادلها لذة، حتى أنه لما ظفر بعمه إبراهيم عفا عنه مع عظم جرمه).

ثم قال: (ومن مزايا المأمون أنه كان في جدله ميالاً إلى الإقناع، فكان يناقش من يخالفه حتى يبين له الحجة. وله في ذلك مجالس ماثورة مشهورة وله في الجدال حجج قوية ناصعة، مع سعة الصدر والاحتمال لما يبدر ممن حضره في المناقشة..).

وكان مع هذه الأخلاق أديباً يعرف جيد الشعر ورديئه، ويثيب على ما أعجبه ثواباً فوق الأمل. حدث عمارة بن عقيل قال: أنشدت المأمون قصيدة فيها مدح له، فيها مائة بيت أو أكثر، فما بدأت صدر بيت إلا بادرني قافيته فقال عمارة: والله يا أمير المؤمنين، ما سمعها مني أحد قط، فقال المأمون: هكذا ينبغي أن يكون. فقال عمارة: قال لي عبد الله بن السمط: علمت أن المأمون لا يتبصر بالشعر، فقلت من ذا يكون أعلم به منه؟ فوالله لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره قال: إني نشدته بيتاً أجدت فيه فلم أره تحرك له. فقلت ما الذي أنشدته؟ فقال:

أضحى أمام الهدى المأمون منشغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقلت ما صنعت شيئاً، وهل زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها، في يدها سبحتها. فمن القوائم بأمر الدنيا؟ إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها. هلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ولعلم المأمون بالشعر وحبته له راجت سوقه في عصره وكثر الشعراء والأدباء والمغنون. ومن مواقف المأمون الدالة عن حسن سياسته، وسعة

صدره في الجدل والمناظرة وبراعته في إقناع خصومه، وكسب رضاهم، بقوة الحججة ونصاعة البيان، الواقعة التالية التي ذكرها المسعودي في كتابه (مروج الذهب) حيث قال: (فإنه يوماً لجالس إذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب، فقال: يا أمير المؤمنين، رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت إنه بعض الصوفية، فأردت أن أشير أن لا يؤذن له. فبدا المأمون فقال: أذن له. فدخل عليه رجل ثيابه قد شمرها ونعله في يده. فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال المأمون: وعليك السلام. قال: أتأذن لي في الدنو منك؟ قال ادن فدنا ثم قال: اجلس. فجلس. ثم قال: أتأذن لي في كلامك؟ فقال تكلم بما تعلم أن الله فيه رضا، قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت قد جلسته أبا اجتماع من المسلمين عليك ورضا منك، أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسطانتك؟ قال لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم. وإنما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلي أحمد الماسلمون، إما على رضا وإما على كره، فعقد لي ولآخر معي ولاية هذا الأمر بعده في أعناق من حضره من المسلمين، فأخذ علي من حضر بيت الله الحرام من الحاج العهد لي ولآخر معي، فأعطوا ذلك، إما طائعين وإما كارهين، فمضى الذي عقد له معي على هذا السبيل التي مضى عليها، فلما صار إليّ علمت أنني أحتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الرضا، ثم نظرت فرأيت أنني متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الإسلام، وانتفضت أطرافه وغلب الهرج والفتنة، ووقع التنازع، فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى، ولم يحج أحداً بيته، ولم يجاهد في سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم، وانقطعت السبل، ولم يؤخذ المظلوم من ظالم، فقامت بهذا الأمر، حياطة للمسلمين ومجاهداً لعدوهم، وضابطاً

لسبلهم وآخذاً على أيديهم. إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضاية. فأسلم الأمر إليه وأكون كرجل من المسلمين. وأنت أيها الرجل رسول إلى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به، خرجت إليه من هذا الأمر. فقال الرجل: السلام عليكم ورحمة الله وقام. فأمر المأمون علي بن صالح، أن ينفذ في طلبه من يعرف مقصده، ففعل ذلك ثم رجع فقال: اتجه يا أمير المؤمنين إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً، فقالوا له: لقيت الرجل؟ فقال: نعم، قالوا: فما قال: قال: ما قال إلا خيراً، ذكر أنه ناظر في أمور المسلمين إلى أن تأمن سبلهم، ويقوم بالحج والجهاد في سبيل، ويأخذ للمظلوم من الظالم، ولا يعطل الأحكام، فإذا رضي المسلمون برجل، سلم الأمر إليه، وخرج إليه منه. قالوا ما نرى بهذا بأساً وتفرقوا، فأقبل المأمون على يحيى فقال: كفيينا مؤونة هؤلاء بأيسر خطب، فقلت: الحمد لله الذي ألهم أمير المؤمنين الصواب والسداد في القول).

ولئن كان مجلس المأمون المار ذكره يعطينا مثلاً رائعاً لما تحلى به المأمون من حسن البيان وسعة الصدر، والبراعة في إقناع الخصم المناظر بالحجة وسلامة المنطق، فإنه لم يكن الوحيد في مجالسه ولم يكن فلتة في حياة المأمون الحافلة بأمثاله من مجالس الجدل والمناظرة، ولقد حفلت كتب التاريخ بذكر الكثير منها، ومن الكتب التي أشادت بهذه المجالس وأهدافها كتاب (ضحى الإسلام) للأستاذ أحمد أمين. وفيما يلي نقتبس منه الفقرات الآتية، قال رحمه الله تعالى (وكان للخلفاء في مجالس كثيرة ولا سيما المأمون، فقد كان مثقفاً واسع الثقافة، يجيد فروعاً كثيرة من العلوم، وفي كلها يناظر، فقد روى طيفور في كتابه (تاريخ بغداد) كثيراً من

المجالس، فقد روى أن المأمون لما دخل بغداد وقربها قراره، أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعة، يختارهم لمجالسته ومحادثته. . واختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل، فمزال يختار طبقة بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة، كان أحمد بن أبي داود أحدهم وبشير المريسي).

(وأمر أن يسمى قوم من أهل الأدب يجالسونه ويؤامرونهم، فذكر له جماعة منهم الحسن بن الضحاك) ثم عقب الأستاذ أحمد أمين على ذلك بقوله: (بل يظهر أن المأمون رمى من مجالسه إلى غرض بعيد، هو أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفة، فيسمع من كل رأيه وحججه، ثم يفصل في أوجه الخلاف في ضوء هذه الحجج، ورجا من هذا ألا يكون بعد خلاف. فقد قال يحيى بن أكثم (أمرني المأمون عند دخوله بغداد، أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً وأحضرتهم، وجلس لهم المأمون، فسأل عن مسائل، وأفاض في فنون الحديث والعلم، فلما انقضى ذلك المجلس الذي جعلناه للنظر في أمر الدين. قال المأمون: يا أبا محمد، كره هذا المجلس الذي جعلناه للنظر - طوائف. . وإني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا، بتوفيق الله وتأييده على إتمامه، سبباً لاجتماع هذه الطوائف على ما هو أَرْضَى وأصلح للدين، أما شك فيتبين ويتثبت فينقاد طوعاً، وأما معاند فيرد بالعدل كرهاً. . بهذا أراد أن يجعل مجلسه مجمعاً علمياً له النظر في مسائل الخلاف، وله القول الفصل فيها. .).

ثم تكلم صاحب (ضحى الإسلام) عن جمع الكتب وترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وعن تكوين المكتبات في العصر

العباسي، ولا سيما عهد الرشيد والمأمون، وخصه بشيء من التفصيل مكتبة (بيت الحكمة) التي أنشأها الرشيد وتعهدها بعده المأمون برعايته وعنايته فتمت واتسعت واحتلت منزلة رفيعة بين المكتبات العالمية، كما بين ما بذله المأمون من عناية فائقة في تزويد هذه المكتبة بالعلوم العقلية والفلسفية، وذلك حيث يقول: (فإذا انتقلنا بعد إلى عصر المأمون، رأينا أن رغبته في الفلسفة والعلوم العقلية أشد وميله أقوى وتبع ذلك - اتساع العمل في (بيت الحكمة) روى ابن النديم: (إن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة، المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة، وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل...).

وقال ابن نباته عند الكلام على سهل بن هارون: (وجعله كاتباً على خزائن الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص. وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد... فأرسلها واغتبط بها المأمون، وجعل سهل بن هارون خازناً لها).

قال صاحب ضحى الإسلام: (ويستنتج من هذا أن المأمون أرسل بعثة إلى القسطنطينية لإحضار الكتب اليونانية من طبية وفلسفية وأنه كان بين أفراد البعثة صاحب بيت الحكمة وهو مسلم).

مواقف الفاروق

تناولنا في أحاديثنا السالفة بعض مواقف الفاروق رضي الله عنه الممثلة لعدالته واهتمامه بشؤون الرعية اهتماماً حرمه كل لذة غير لذة العدل في الرعية والسهر على سعادتهم ورفاهيتهم، وبتناول في حديث اليوم أمثلة من مواقف الفاروق تتمثل فيها شفقته على الرعية ومثاليته في الفقه والنزاهة:

أما عفته عن مال المسلمين، فقد تجلت في سيرته منذ تقلد أمرهم، فقد لبث بعد توليه الخلافة زمناً لا يتناول شيئاً من بيت المال حتى إصابته خصاصة وضيق فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ في أمر معاشه وقال لهم: إني كنت امرأ تاجراً وقد شغلتموني بأمركم هذا. فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال؟. فأشار عليه بعض الصحابة بأن يأكل منه ويطعم دون تحجير. وأشار عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما يصلح إليه من مال المسلمين بقوله: ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره. فأعجبه قول علي وصادف موضعه من نفسه. ولذا كان يقول: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وليّ اليتيم إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإذا يسرت قضيت، ولقد كانت سيرته مطابقة لأقواله: فهذا الربيع بن زياد الحارثي يفد على عمر فيشكو إليه وجعاً من طعام أكله، فيقول له الربيع: يا أمير المؤمنين: إن أحق

الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطىء لأنت. وكان عمر متكثاً وبيده جريدة فاستوى جالساً فضرب بها رأس الربيع وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإني لكنت أحسب أن فيك خيراً. ألا أخبرك بمثلي ومثل هؤلاء؟! إنما مثلنا كمثل قوم سافروا وقد دفعوا نفقتهم إلى رجل منهم، فقالوا له أنفق علينا. فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟. قال: لا.

هكذا كان عمر رضي الله عليه يرى أنه بمثابة الخازن لأموال المسلمين فليس له أن ينفق شيئاً إلا لصالحهم، ولذا كان يحاسب نفسه وعماله وأقاربه أشد حساب ويتقشف في معيشته أشد التقشف، وهو الذي فتح الله به على المسلمين الفتوح العظيمة وأورثهم على يديه كنوز كسرى وقیصر، وكان مع ذلك لا يرى لنفسه ولا لأهل بيته حقاً في أموال المسلمين إلا كأحدهم بل كأقلهم حظاً في ذلك، أما شفقتة على الرعية ومواساته لهم فقد تجلت بأروع مظاهرها في عام الرمادة وهو عام قحط عظيم دام تسعة أشهر، واشتد الجوع فيه حتى كان الناس يسلقون رمة العظام المحروقة ويشوون الجلود ويأكلونها. وقد اهتم عمر لذلك اهتماماً عظيماً وأخذ يستنجد بعماله في الأقطار المخصبة كمصر والشام فتأتيه منها الأرزاق فيفرقها على البلاد المجدبة يبعث بها عماله إلى البوادي والأطراف القاصية ليكافحوا ذلك الخطر الداهم وينقذوا المسلمين من الهلاك الذي بات يتهدهدهم، وعمر في تلك الحقبة لا يقر له قرار ولا يذوق للراحة طعماً. حتى لقد قال غلامه أسلم: كنا نقول لو لم يرفع الله المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت مهموماً بأمر المسلمين، نعم لقد كان عمر يواصل ليله نهاره في تفقد أحوال المسلمين ومواساة فقرائهم ومرضاهم وإطعام الجياع منهم بنفسه. ومن أمثلة شدة جزعه للقحط الذي أصاب المسلمين في ذلك

العام الحادثة التالية: بينما هو نائم في المسجد وقد وضع رداءه مملوءاً حصى تحت رأسه. إذا هو بهاتف يهتف يا عمراه فانتبه مذعوراً فعدا إلى الصوت، وإذا أعرابي ممسك بخطام بعير والناس حوله، فلما رآه عمر ظنه مظلوماً فقال: من ذاك؟ فأنشد أبياتاً يذكر فيها الجذب فوضع عمر يده على رأسه ثم صاح واعمره واعمره! تدرون ما يقول؟ أذكر جذباً وإسناناً وعمر يشبع ويروى والمسلمون في جذب وأزل (ضيق) من يوصل إليهم من الميرة والتمر ما يحتاجون إليه؟. فوجه رجلين من الأنصار معهما إبل كثيرة عليها الميرة فدخلوا اليمن فقسما ما كان معهما.

ولم تقف مواساة عمر لرعيته في محنتهم تلك عند هذا الحد، بل لقد حرم على نفسه في هذا العام اللحم والسمن وسائر الطيبات وقصر طعامه على الخبز والزيت حتى إذا نحروا يوماً جزوراً وعرقوا له قطعاً من كبدها وسنامها، قال: أنى لك هذا؟. قالوا من الجزور التي نحرنها اليوم. قال: بخ بخ! بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها (والكراديس رؤس العظام) أرفع هذه الجفنة وهات لنا غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت وجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ثم التفت إلى غلامه وقال له: ويحك بايرنا أحمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بثمغ (موضع وقف لعمر) فإني كم أنهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم. وكان يقول في تلك الحقبة: «كيف يعني شأن الرعية إذ لم يعني ما أصابهم» وهكذا يضرب عمر أروع الأمثال لمواساة الراعي لرعيته ومشاركته لهم في محنتهم وتفقدته لشؤونهم بنفسه والتضحية في سبيل سعادتهم وهناءهم بكل مرتخص وغالٍ.

بهذا الحديث نختم أحاديثنا عن أمجاد الفاروق رضي الله عنه. ولسنا

نعني أننا استقصينا تلك الأمجاد أو وفيناها حقها من الإشادة والتتويه، ولم يكن ذلك هدفنا، فهو ما لا يتسع له مثل هذا المقام. وإنما قصدنا تقديم صفحات وضاءة من تلك الأمجاد نتوج بها هذه الأحاديث. ولذا سنقتصر في حديث اليوم على الإمام ببعض سمات المنهج الذي انتهجه الفاروق لسياسة الأمة العربية وإعدادها لحياة العزة والقوة السيادة والعمران. وأبرز هذه السمات بعد الذي قدمناه من أمثلة عدله وشفقته على الرعية، اتخاذه الشورى أساساً لحكومته، فلم يكن يبرم أمراً حتى يجمع المسلمين ويستشيرهم فيه وكانت شوره على درجات يستشير العامة أولاً ثم يجمع المشيخة من الصحابة فما استقر عليه رأيهم عمل به، وكان يؤثر القراء بمجالسه ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، ولم يكن يستنكف من مشاوره أحد حتى المرأة والأحداث، فإذا ظهر له الحق والصواب في جانب أحد منهم أخذ به وانصاع لحكمه، ومن كلماته المأثورة في الشورى قوله: (لا خير في أمر أبرم من غير شورى) وكان رضوان الله عليه حريصاً كل الحرص على توطيد أركان الشورى، ولذا ظل ينادي بها حتى الساعات الأخيرة من حياته، فقال في آخر وصاياه: الأمر بعدي شورى، وانتدب لذلك ستة من كبار الصحابة وأجلائهم. وبلغ من حرصه على إنفاذ أمر الشورى أن قال في آخر وصية له: (أجمعوا أمركم فمن تأمر منكم على غير مشورة فأضربوا عنقه). أما السمات الأخرى البارزة في منهج عمر الإصلاحية فإنها تبدو واضحة في عنايته بتنظيم الحكومة الإسلامية وتعليم الأمة العربية وتربيتها تربية فاضلة تستجيب لمطالب العقل والجسم في حكمة واتزان وتعد الأمة لعمران الأرض وإصلاحها وإشاعة خيراتها بين جميع الطبقات حتى لا تستأثر بها طبقة دون أخرى.

أما تنظيم الحكومة فيتجلى فيما وضعه من أسس صحيحة لضبط أموال الأمة وصيانتها وإنفاقها في صالح المسلمين، فهو أول من دون الدواوين في الإسلام، واتخذ بيت مال للمسلمين ونظم جباية الخراج، ورتب أعطيات الناس والجنود على حسب أسبقيتهم وجهادهم، وفي عهده أنشئت مدينتا البصرة والكوفة بإرشاده وتوجيهه في تخطيط الكوفة أن تكون سعة المناهج (الشوارع الرئيسية) أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعاً والأزقة سبع اذرع ليس دون ذلك، وإذا قدرنا هذا التخطيط بعين الزمن الذي صدر فيه علمنا مدى بعد نظر الفاروق وسبقه إلى تخطيط المدن الناشئة تخطيطاً لا يزال يعوز كثيراً من المدن والعواصم في هذا العصر. ومن أمثلة عناية الفاروق بالعمران أمره عمر بن العاص بحفر خليج من النيل إلى البحر الأحمر لتيسير حمل المؤن إلى المدينة ومكة، فلم يحل الحول حتى جرت فيه السفن وسمي خليج أمير المؤمنين ولم يزل تحمل فيه المؤن حتى عهد عمر بن عبد العزيز ثم أهمله الولاة فغلب عليه الرمل وانقطع. ومن أمثلته تشجيع الناس على العمران قوله على المنبر: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين) وذلك أنه رأى رجالاً يحتجرون من الأرض ما لا يعمرونه فاستحثهم بذلك على عمران ما احتجروه وإلا كان غيرهم أولى به، ومن أمثلته حقه على تثمير المال وتنميته ينصح المسلمين الذين نزلوا أسواق العراق ومن كان على شاكلتهم قوله: (لو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء، ابتاع منها فجعلها بسوادهم، فإذا خرج عطاؤه الثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها فإني أخاف أن يليكم ولاة لا يعد العطاء في زمنهم مالاً، فإن بقي أحدهم أو أحداً ممن وليّ كان لهم شيء قد اعتقدوه فيتكؤون عليه).

ومن كلماته المشهورة في الحث على العمل والسعي في طلب الرزق قوله: (ابتغوا الأرزاق من ضيَابِ الأرض) وقوله: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإن الله تعالى رزق الناس بعضهم من بعض).

أما عنايته بالتعليم ونشره، فقد برزت بروزاً واضحاً في وصاياه لعماله وولاته، فلا تكاد تخلو وصية له من تحريضهم على تعليم الرعية، وقد مر بنا بعض ذلك فيما استشهدنا به من وصاياه وخطبه وقد ندب لهذه الغاية نفراً من كبار الصحابة كعبادة ابن الصامت ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في دينهم. وكتب إلى أهل الشام يوصيهم بقوله: (علموا أولادكم الكتابة والسباحة والرمي والفروسية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر) وإنها لوصية جامعة لأصول التربية الجسمية والعقلية والفروسية بأروع مظاهرها. ومن وصاياه الثمينة: (تعلموا العلم وعلموه الناس، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن علمتوه العلم، وتكونوا من جبارة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم).

ولم تكن عنايته بنشر التعليم مقصورة على المدن والحواضر، بل لقد كان يبعث إلى أهل البوادي من يعلمهم كما أنه جعل في المدينة أشخاصاً يفحصون المارة فيمن وجدوه غير متعلم أخذوه إلى الكتاب. ووجيء إليه مرة بإعرابي فقال له عمر: هل تحسن القرآن؟ قال الإعرابي نعم. فقال عمر: فاقراً أم القرآن. فقال الإعرابي: والله لا أحسن البنات فكيف الأم فضربه عمر ثم أسلمه إلى الكتاب فمكث فيه مدة ثم هرب وأنشد:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات

كتاب اللّٰه في رق صحيح وآيات القرآن مفصلات
وخطوا لى أبا جاد وقالوا تعلم سعفصا وقريشات
وما أنا بالكتابة والتهجي وما حظ البنين من البنات

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا أن مكافحة الأمية وإشاعة التعليم بين الطبقات كافة ليس هو من بدع هذا العصر كما يظهر الجاهلون، بل هو سنة الإسلام التي أستنها نبيه العربي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وتابعه فيها خلفاؤه الراشدون ومن سار على نهجهم من ملوك المسلمين وقادتهم المصلحين .

الخليفة العادل؛ عمر بن عبد العزيز (*)

(١)

إن حديث اليوم نفحة من نفحات الفاروق أيضاً، فإن سيرته العاطرة ذكرتنا بسمية وسبط ولده، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فخر بني أمية بل فخر الملوك والأمراء في كل عصر وجيل، ولانتساب عمر بن عبد العزيز إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصة طريفة نلخصها فيما يلي:

بينما عمر بن الخطاب ذات ليلة يعس بالمدينة إذا هو بامرأة تقول لبنتها: قومي إلى اللبن فامدقيه بالماء. فقالت لها: كيف أمدقه وقد نهى أمير المؤمنين عن ذلك؟! فقالت لها أمها: قومي فامدقيه فما يُدري أمير المؤمنين؟ فقالت لها الصبية: إن كان عمر لا يعلم فإن إله عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا! فأعجب عمر بمقالتها، فلما أصبح دعا ابنه عاصماً فقال يا بني اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - ووصفها له - فذهب عاصم فإذا جارية من بني هلال. فقال

(*) أُلقيت في مكة المكرمة بتاريخ: ١٤/٦/١٣٧٣هـ.

له عمر: اذهب يا بني فتزوجها، فما أحرأها أن تأتي بفارس يسود العرب، فتزوجها عاصم فولدت له بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز. ومما يذكر في شدة شبهه بالفاروق في سيرته أن عمر بن عبد العزيز كان أمر في أول ولايته، لبني أمية بعشرة آلاف دينار فلم ترضهم، فوسطوا له رجلاً يكلمه في صلة أرحامهم والعطف عليهم، فكلمه في ذلك فقال: أجل والله لقد قسمتها فيهم وقد ندمت ألا أكون منعتهم إياها، وقسمتها فكانت كافية أربعة آلاف بيت من المسلمين، فخرج الرجل وأخبرهم بمقالته وقال لهم: لا تلوموا إلا أنفسكم يا معشر بني أمية، عمدتم إلى صاحبكم - يعني عبد العزيز بن مروان - فزوجتموه بنت ابن عمر (ابن الخطاب) فجاءتكم بعمر ملفوفاً في ثيابه.

وأن من ينظر في سيرة عمر بن عبد العزيز قبل توليه الخلافة وما كان له من مواقف مع ملوك بني أمية في حضهم على إقامة العدل وتذكيرهم بحقوق الرعية، لا يستكثر عليه مثاليته في العدالة والعطف على الرعية عندما ألفت إليه الخلافة بمقاليدها. فما يؤثر عنه قبل توليه الخلافة أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: (أما بعد، فإنك راع وكل راع مسؤول عن رعيته، حدث أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: كل راع مسؤول عن رعيته: «الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه» فغضب عبد الملك حين بدأ باسمه، فقيل له: إنه كان يفعل ذلك مع من كان قبلك فسكن غضبه.

ودخل عمر بن عبد العزيز على الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه وهو يومئذ ولي عهده. فجاء إنسان يطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء. فقال سليمان: ما أخال النساء يرثن في العقار شيئاً.

فقال عمر بن عبد العزيز: سبحان الله وأين كتاب الله؟! فقال سليمان: يا غلام: اذهب فأتني بسجل عبد الملك ابن مروان الذي كتب فيه ذلك. فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف. فغضب أيوب وقال مهدداً عمر: والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه. فقال عمر: إذا أفضى الأمر إليك وإلى مثلك فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا. فقال سليمان لأيوب: مه، لأبي حفص تقول هذا!! فقال عمر: والله لئن جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حملنا عنه.

وقد أجمل عمر بن عبد العزيز خطته ومنهاجه في الخطبة التي ألقاها عند توليه الخلافة، ومما جاء فيها قوله: (وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ﷺ). ولا في كتابها. وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم. وإني والله لا أعطي أحداً بالمال، ولا أمنع أحداً حقاً ثم رفع صوته فقال: أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم).

وقد وفدت عليه الوفود عندما استخلف، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس: إني أنساكم هاهنا وأذكركم في بلادكم، فمن أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له علي «إنه مأذون بالدخول عليه لإبلاغه ظلامته»، ومن لا فلا أرينه، وإني والله إن منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال وضننت به عنكم إني إذا لضنين، ولو أن أنعسن سنة أو أعمل بحق ما أحببت أن أعيش فوقاً)، وكان أول عمل عمله بعد توليه أنه أنكر مراكب الخلافة التي قربت إليه وقال ما هذه؟ فقالوا: مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلي: فتركها وخرج يلتمس بغلته وقال: يا مزاحم؛

ضم هذه إلى بيت مال المسلمين . ونصبت له سرادقات كانت تضرب للخليفة أول ما يلي ، فقال ما هذه؟ قالوا: سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول ما يلي . قال يا مزاحم؛ ضم هذه إلى أموال المسلمين . ثم ركب بغلته وذهب إلى الفراش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد قط فجعل يدفعه برجله حتى أفضى إلى الحصير . ثم قال: يا مزاحم؛ ضم هذه لأموال المسلمين .

ثم ذهب يتبوا مقبلاً يستجم فيه مما كايده في ليلته ويومه ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين؛ ماذا تريد أن تصنع؟ قال أي بني؛ اقبل . قال تقبل ولا ترد المظالم؟! أي بني؛ قد سهرت البارحة في أمر عمل سليمان ، فإذا صليت الظهر - ردت المظالم . قال: يا أمير المؤمنين؛ من لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: أدن مني أي بني ، وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صليبي من يعينني على ديني ولا غرابة فالولد سر أبيه: ومن شابه أباه فما ظلم ، وقد استجاب عمر لنصيحة ابنه لأنها صادفت هوى نفسه وقلبه ، فخرج وأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها ، فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يد سليمان أو في يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة .

استهل عمر بن عبد العزيز عهده المبارك - كما مر بنا في الحديث السابق - بتجريد الخلافة من مظاهر الأبهة والبدخ ، وبرد المظالم التي كانت في يد بني أمية . وفي حديث اليوم نقدم أمثلة من عدله ومساواته في الحق بين الكبير والصغير والمسلم وغير المسلم . فهذا رجل ذمي من حمص يسمع مناديه ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها فيتقدم إليه مستجيراً هاتفاً به: يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله ، فيسأله عمر: ما

ذاك؟ فيقول الذمي: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي .
فيسأل عمر العباس عن دعوى الذمي فيجيبه بقوله: نعم، اقطفنيها أمير
المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً. فيقول عمر: ما تقول يا ذمي؟
فيقول: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى. فيقول عمر: نعم، كتاب
الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته. فلا يسع العباس
إلا أن يرد الضيعة على الذمي. وهذا مسلمة بن عبد الملك بن مروان
يخاصم إلى عمر بن عبد العزيز أهل دير إسحاق بالناعورة. فيقول عمر
لمسلمة: لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي ولكن وكّل
بخصومتك من شئت وإلا فجالس القوم بين يدي. فوكّل مولى له
بخصومته فقضى عليه عمر بالناعورة. وهؤلاء قوم من الأعراب يخاصمون
بعض بني مروان في أرض أحيوها فأخذها الوليد بن عبد الملك فأعطأها
بعض أهلها، فيقضي عمر بالأرض للأعراب، محتجاً بقول الرسول ﷺ:
(البلاد بلاد الله والعباد عباد الله، من أحيأ أرضاً ميتة فهي له) وكهذا
ينتصف عمر لذميين يدينون بغير دين الإسلام ولبعض الأعراب الذين لا
جاه لهم ولا سلطان فيقتضي لهم على بني عمومته من أمراء البيت
المالك، لأن العدالة الإسلامية لا تفرق في الحق بين المسلم وغير المسلم
ولا بين الشريف والصعلوك بل الجميع في الحق سواء.

وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد حَكَمَ سلطان العدل في بني عمومته
من أمراء الأسرة المالكة، فما كان لبعض نفسه وأهل بيته الأذنين وأصدقائه
المقربين من الخضوع لسلطان العدالة، بل لقد كان مثالياً في تجريد نفسه
وأهله من كل ما يملكونه من تراث وأموال. فهذه زوجته فاطمة بنت عبد
الملك يدخل عليها بعد توليه الخلافة فيخيرها بين أن ترد ما لديها من

حلي وجوهر ثمين إلى بيت المال وبين أن تفارقه، فتجيبه جواب الزوجة الكريمة الوفية بقولها: لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لي. فيأمر بحليها فيوضع في بيت مال المسلمين.

وهذا صديقه عنبسة بن سعيد بن العاص يأمر له سليمان بن عبد الملك قبل موته بعشرين ألف دينار وتدور دورتها في الدواوين ولم يبق عليه إلا قبضها فتدرك الوفاة سليمان وتؤول الخلافة إلى عمر فيأتيه عنبسة ويقول له: يا أمير المؤمنين؛ إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضها فتوفى على ذلك. وأمير المؤمنين - يعني عمر بن عبد العزيز - أولى باستتمام الضيقة عندي، وما بيني وبينه أعظم مما بيني وبين أمير المؤمنين سليمان. فيجيبه عمر بقوله: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد؟! والله ما لي إلى ذلك من سبيل. فيلتفت إليه عنبسة كالمنكر ويقول له: يا أمير المؤمنين؛ فما بال جبل الورد؟ وكان جبل الورد قطيعة لعمر بن عبد العزيز فقال عمر: ذكرتني الطعن وكنت ناسياً. يا غلام: هات ذلك القفص، فأتى بقفص فيه قطائع بني عبد العزيز فقال: يا غلام؛ اقرأ علي، فكلما قرأ قطعة قال: شقها حتى لم يبق في القفص شيء إلا شقه. فخرج عنبسة إلى بني أمية وهم وقوف بالباب فأعلمهم بما كان من ذلك. فقالوا ليس بعد هذا شيء ارجع إليه فأسأله أن يأذن لنا أن نلحق بالبلدان. فرجع إليه عنبسة وقال يا أمير المؤمنين إن قومك بالباب يسألونك أن تجري عليهم ما كان من قبلك يُجرى عليهم، فقال عمر: والله ما هذا المال لي، وما لي إلى ذلك من سبيل. قال: فيسألونك أن تأذن لهم يضربون في البلدان قال قد أذنت...

وهذا مثل آخر تتجلى فيه التضحية بأروع مظاهرها لأن فيه إثارة الراعي لرعيته على نفسه وولده، بخير ما بقي لديه من مال وثراء. فقد كانت لعمر بن عبد العزيز ضيعة باليمامة تعرف بالسهلة لها غلة عظيمة منها عيشه وعيش أهله. فلما ولي الخلافة قال لمزاحم مولاه: إني عزم أن أرد السهلة إلى بيت مال المسلمين. فجزع مزاحم لذلك وقال: أتدري كم ولدك: إنهم كذا وكذا فذرفت عينا عمر وقال: أكلهم إلى الله. فمضى مزاحم فدخل على عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقال له: ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك؟ إنه يريد أن يرد السهلة. قال فما قلت له؟ قال: ذكرت له ولده فجعل يستدمع ويقول: أكلهم إلى الله. أكلهم إلى الله. فقال عبد الملك بئس وزير الدين أنت ثم وثب وانطلق إلى أبيه فاستأذن عليه، فقال له الآذن: إن أمير المؤمنين قد وضع رأسه الساعة للقائلة. فقال: استأذن لي عليه، فقال: أما ترحمونه، ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة. قال استأذن لي عليه لا أم لك. فسمع عمر كلامهما فقال: ائذن لعبد الملك فدخل فقال: علام عزمتم؟ قال أرد السهلة. قال: فلا تؤخر ذلك، قم الآن فجعل عمر يرفع يديه ويقول: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر ديني. نعم، يا بني؛ أصلي الظهر، ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس. قال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، ثم من لك أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت إليها؟ فقام عمر، فصعد المنبر وخطب الناس ورد السهلة.

وهكذا أنزل عمر بن عبد العزيز لشعبه عن ثروته وضياعه، فبعد أن كان دخله السنوي وهو أمير يقدر بأربعين ألف دينار أصبح دخله بعد توليه الخلافة لا يتجاوز أربعمائة دينار في السنة ينفق منها على نفسه وأهله

ويواسي منها المحتاجين ولا يفوته أن يجعل منها نصيباً في بيت مال المسلمين.

فلا غرابة بعد ذلك إذا خلدته التاريخ في صفحاته علماً من أعلامه الخالدين وقدوة للملوك والقادة المصلحين.

مكة المكرمة في: ٢١/٦/١٣٧٣هـ

الخليفة العادل؛ عمر بن عبد العزيز

(٢)

اهتم عمر بن عبد العزيز بشؤون الرعية منذ تقلد مقاليد الخلافة. وبدا عليه هذا الاهتمام واضحاً ملحوظاً حتى إذا سأله مولاه عن الأمر الذي غمه وأهمه أجابه بقوله: (لمثل الأمر الذي نزل بي اهتمامت أنه ليس من أمة محمد في مشرق ولا مغرب أحد إلا له قبلي حق يحق علي أداءه، كتب إلي في ذلك أو لم يكتب، طلب مني أو لم يطلب) وقد ظل اهتمامه بالرعية شغله الشاغل له طيلة خلافته. فهذه زوجته فاطمة تدخل عليه في ساعة من ساعات خلوته فتجده جالساً في مصلاه، واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فتقول له: ما لك؟ فيجيبها بقوله: ويحك يا فاطمة قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمى المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ... الخ). هكذا كان هذا الخليفة العادل يشعر بعظم التبعة

الملقاة على عاتقه ويحاسب نفسه على حقوق الصغير والكبير فيهم ويقلق باله وراحته شأن البائسين منهم والمحرومين والمظلومين لأنهم الأحق برعايته وعطفه. ولشد ما كان يجزع لشكواهم ويرثي لحالهم. فهذا إعرابي يأتيه فيقول: يا أمير المؤمنين، جاءت بي إليك الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عني يوم القيامة، فيبكي عمر ويقول: كم أنتم؟ قال أنا وثلاث بنات، ففرض له على ثلاثمائة وفرض لبناته مائة درهم من ماله وقال له: اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

لم يكن عمر بن عبد العزيز يكتفي بما يفرض للبايسين من أعطيات في بيت مال المسلمين، لأن مروءته كانت تستحبه على المبادرة بإسعافهم فلا يلبث أن يرضخ لهم بنصيب معجل من ماله الخاص كما مر بنا في قصة هذا الإعرابي. بل لقد كانت عاطفته النبيلة تحدوه لأن يتمنى أن يشرك معه في معاشه من لم يتسع موجود بيت المال لمساعدتهم، فيدعوهم ليشاطرهم عيشه ويواسيهم بنفسه وأهله. فيقول في بعض خطبه: (ما منكم من أحد تبلغنا حاجته ويتسع له ما عندنا إلا حرصنا أن نسد حاجته ما استطعنا، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته ولا يتسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ وبخاصتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء).

ولقد كان اهتمامه بالعدل والشفقة على الرعية يحمله على حض عماله على ذلك ومحاسبتهم حساباً عسيراً، بل لقد كان يحث الرعايا على التمسك بحقوقهم ومراقبة عماله وإبلاغه عن مظالمهم، ولم يكتفي بذلك حتى فرض الجوائز لمن يبلغه حاجة من تأنى عنه من الرعايا مما فيه صالحهم كما جاء في كتابه لأهل الموسم بمكة؛ وهذا نصه: (أما بعد فإنني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام، ويوم الحج

الأكبر: إني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك، أو رضيته أو تعمدته إلا أن يكون وهماً مني وأمراً خفي علي لم أتعلمه، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني ومغفوراً إلي، إذ علم مني الحرص والاجتهاد. ألا وأنه لا أذن على مظلوم دوني وأنا معول كل مظلوم. ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم، ألا وأنه لا دولة بين أغنيائكم ولا أثره على فقرائكم في شيء من فيئكم.

ألا وأيما وارد في أمر يصلح الله به خاصة أو عامة فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار على قدر مانوي من الحسبة وتجشم من المشقة. فرحم الله أمراً لم يتعاضمه سفر يحيى به حقاً لمن وراءه. الخ. أما محاسبته لولاته وانتقاده لسيرتهم في الرعية، وامتحانه لمن يرشحه للولاية فيكفينا شاهداً عليه ما يأتي:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهناه ولزم المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره فهمَّ عمر أن يوليه العراق فدرس إليه بعض من يثق به من رجاله، فقال لبلال: إن سعيت لك في ولاية العراق فما تعطيني؟ فوعده بمال جزيل، فأخبر بذلك عمر فنفاه وأخرجه. وكتب مرة إلى عدي بن أرطاة وكان قد استخلفه على البصرة: (أما بعد فإنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وإرسالك العمامة من ورائك، وإنك أظهرت لي الخير فأحسن بك الظن، وقد أظهر الله ما كنتم تكتمون).

وكتب إليه عدي بن أرطاة الأنف الذكر؛ يشكو قلة الخراج بسبب

إقبال الناس على الدخول في الإسلام في أيام عمر بن عبد العزيز، فأجابه بقوله: (فهمت كتابك، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا).

وكتب إليه بعض عماله كتاباً يقول فيه: (أما بعد فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأي أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما لا نرمها به فعل) فكتب إليه عمر: (أما بعد فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم خربت: فإذا قرأت كتابي هذا، فحصنها بالعدل، وتق طرقتها من الظلم، فإنه مر منها. والسلام)، ما أبلغ هذه الرسالة على قصرها وما أعظم الهدف الإصلاحي الذي تضمنته هذه الكلمات على إيجازها. ولعمري ما عمّر المدن كالعدل ولا دمرها كالظلم والطغيان. والله در القائل: إمام عادل خير من مطر وابل.

وعلى الرغم من شدة عمر على عماله، فقد كان يوسع عليهم في النفقة فيعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار ومائتي دينار، وكانت وجهته في ذلك، إن العمال إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأعمال المسلمين، وعفوا عن أموالهم. فقيل له: لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك فقال: لا أمنعهم حقاً لهم، ولا أعطيهم غير حقهم. فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً.

إصلاحات عمر بن عبد العزيز:

كان في مقدمة ما يشغل بال عمر بن عبد العزيز منذ ولي أمر المسلمين، أن يرد للخلافة الإسلامية سيرتها التي أستنها الخلفاء الراشدون وأن يقوّم ما أعوج من مناهجها، وأن يحيي سلطان العدل ويدك معالم الجور والطغيان. ولذا وجه عنايته قبل كل شيء إلى رد المظالم وإبطال

المغارم؛ وقد مرت بنا بعض مواقفه في رد المظالم التي كانت في يد بني أمية. ونذكر فيما يلي كتاباً منه إلى عامله على العراق يعدد فيه الضرائب التي أحدثها من كان قبله من ولاة السوء ويأمر بإبطالها: وهذا هو كتابه: (أما بعد فإن أهل الكوفة أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنة خبيثة سنها عليهم عمال السوء. وإن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكن شيء أهم إليك من نفسك، فلا تحملها قليلاً من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر، وخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذن أجور الضاربيين، ولا هدية النوروز والمهرجان)، ولا ثمن المصحف، ولا أجور الفتوح، ولا أجور البيوت، ولا درهم النكاح. ولا خراج على من أسلم من أهل الذمة. فاتبع في ذلك أمري، فإنني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله).

وكان من برنامجه الإصلاحية، إقصاء ولاة السوء الذين استعملهم الحجاج، وتحذير عماله من الاستعانة بهم ومن الاستئنان بسنة الحجاج. ولما بلغه عن الجراح ابن عبد الله الحكمي، عامله على خراسان أنه يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول لهم إنما تسلمون فراراً منها، كتب إليه: (إن الله إنما بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً، وعزله عن عمله. ولقد يتبادر إلى بعض الأذهان أن سياسة تخفيض الضرائب وإلغاء المكوس قد يؤديان إلى انخفاض الخراج، ونقصان واردات الدولة تبعاً لذلك، إلا أن واقع السياسة التي انتهجها عمر بن عبد العزيز دلت على عكس تلك النتيجة المتوقعة، فقد زادت واردات العراق في عهده عما كانت عليه في عهد الحجاج كما تشير إلى ذلك الكلمة الآتية مع ما فيها من تنديد لاذع

بسيرة الحجاج وظلمه وطغيانه. قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا لآخرة، لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون عمارة فاخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف. ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف. وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب (مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف).

وهكذا أقام الخليفة العادل الدليل العلمي على أن سياسة العدل والرفق بالرعية أجدى وأنفع من سياسة الجور والاستبداد، لعمارة البلاد وتقدمها وازدهارها.

ومن أهم الإصلاحات الاجتماعية التي قام بها عمر بن عبد العزيز تعهده الفقراء والمحرومين بما يصلح حالهم ويرفه من معيشتهم، فقد كان يبعث مناديه ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين اليتامى أين المساكين؟ حتى أغني كلاً من هؤلاء. ومن هذا يعلم أن مواساته لهم لم تقتصر على الفقراء والبائسين، بل تجاوزتهم إلى الراغبين في النكاح، مساعدة لهم وتشجيعاً لإقبال الناس على سنة الزواج التي عليها العمران وصلاح المجتمع. وقد أحيا عمر بن عبد العزيز بسيرته سنة الإسلام والخلفاء الراشدين في محاربة داء الفقر بما تجبیه الدولة من فضول أموال الأغنياء، فكان يأمر عماله على الصدقات إذا قبضوها من أغنيائهم أن يردوها على فقرائهم، وفي ذلك يقول أحد عماله: إني لآتي الحي فأدعو بأموالهم فأقبض ما كان فيهم، ثم أدعو فقراءهم وأقسمها فيهم حتى إنه ليصيب الرجل الفريقين أو الثلاث فما أفارق الحي وفيهم فقير، ثم آتي الحي الآخر فاصنع بهم كذلك فما انصرف إليه بدرهم. ومما يدل على

غني الناس في عهده ما جاء في سيرته عن بعض معاصريه: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً ولا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون الفقراء فما برح حتى يرجع بماله لأن الناس قد أغناهم عمر بن عبد العزيز. ومن إصلاحاته المأثورة أمره بإقامة الخانات في البلدان القاصية لإيواء الغرباء وإسعافهم؛ فقد كتب إلى سليمان بن أبي السري: (أن أعمل خانات فمن مر بك من المسلمين فاقروه (ضيفوه) يومين وليلتين، وإن كان منقطعاً فأبلغه بلده). ومن أعماله الجديرة بالإعجاب توزيعه الرقيق الذي اتخذه الخلائف من قبله توزيعهم على العميان والمقعدين والأيتام. فقد جاءه صاحب الرقيق بعد توليه الخلافة يطلب أرزاقهم وكسوتهم. فقال عمر: كم هم؟ قال هم كذا وكذا ألفاً. فكتب إلى الأمصار أن أرفعوا إليّ كل أعمى في الديوان أو مقعد أو من به فالج أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه ذلك فأمر لكل أعمى بقائد ولكل اثنين من الزماني والمقعدين بخادم. وبقي بعد ذلك من الرقيق لكثيره فكتب أن أرفعوا إليّ كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده اليوان فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالتسوية.

وكما حارب هذا الخليفة المصلح الفقر وانتصر عليه - حارب الجهل بنشر العلم وتشجيع العلماء والطلاب، فقد خصص إعطيات لكل من انقطع لنشر العلم والتفقه في الدين وتلاوة القرآن. وكان يوصي عماله ألا يستعملوا في أعمالهم إلا أهل القرآن (ومنهم العلماء). ومن وصاياه لبعض عماله: (أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السنة كانت قد أميتت. وكتب إلى واليه على حمص: أنظروا إلى القوم الذين

نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا. وإن خير الخير أعجله والسلام عليك). ولم يكن حرصه على نشر التعليم مقصوراً على المدن والحوضر، فقد بعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي، والحرث بن يمجدة الأشعري يعلمان الناس في البادية وأجرى عليهما رزقاً (راتباً) فأما يزيد فقبل وأما الحرث فأبى أن يقبل الراتب الذي أجراه عليه واختار أن يكون عمله تطوعاً خالصاً لله تعالى، فلما بلغ عمر ذلك كتب يشجع كلاً منهما على خطته التي اختارها فقال: (إننا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً، وأكثر الله فينا مثل الحرث بن يمجدة). هكذا كان عمر بن عبد العزيز يهتم بكل ما فيه صلاح الرعية وسعادتها. وكان يجد في ذلك كل اللذة والسعادة كما تدل على ذلك كلمته الرائعة: (قرة عين الملوك في استعاضة الأمن في البلاد، وظهور مودة الرعية لهم وحسن ثنائهم عليهم)، فهل ثمة مثل أعلى للحاكم العادل خير من هذا المثل؟ وهل استطاعت الديمقراطية العصرية أن تحقق أهداف هذه المثل العليا على كثرة أقوالها المعسولة وادعاءاتها الخلافة؟ إن الحكم الفصل في ذلك للتاريخ وحده، التاريخ المنصف الذي لا يمالى، ولا يحابي.

طموح عمر بن عبد العزيز ومثله العليا :

نشأ عمرو بن عبد العزيز في بيت ملك سامق الذرى رفيع العماد، وترعرع في كنف أسرة عريقة المجد موفورة الجاه والثراء، فلم يركن إلى ما ورثه من أمجاد ومفاخر، ولم يلهه ترف العيش ومفاتيح الحياة عن مثله العليا، وما طمحت إليه نفسه من مجد طارف يضم إلى مجده التالد، ذلك أن نفسه التواقة كانت تنزع به إلى أسمى آفاق المجد والسيادة، كما تحدثنا

بذلك سيرته وكما يحدثنا هو نفسه بما عهد فيه من صدق اللهجة وقوة البيان؛ فلنصغ إليه وهو يقول: (كانت لي نفس تواقه، فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه. فلما بلغت نفسي الغاية تاقت إلى الآخرة)، وكان أول ما تاقت إليه نفسه طلب العلم والتضلع من العربية وآدابها، فلم يلبث أن أصبح علماً من أعلام المعرفة وأميراً من أمراء البيان، يقر له بذلك أقطاب عصره ويعرفون له بالسبق والتبريز، وحسبنا دليلاً على فصاحته وبلاغته ما مر بنا في حديثنا عنه من نماذج لخطبه وكتبه وهي قليلة من كثير؛ وإذا كان لا بد لنا من أن نذكر في هذا السياق مثلاً من أمثلة بيانه الممتع فلنستمع إليه وهو يقول في إحدى خطبه: (أيها الناس، إنما أنتم أغراض تنتقل فيها المنايا، إنكم لا تأتون نعمة إلا بفراق أخرى، وأي أكله ليس معها غصة، وأي جرعة ليس معها شرقة، وأن أمس شاهد مقبول وقد فجعكم بنفسه وخلف فيكم حكمة، وأن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن، وأن غداً آت بما فيه، وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه، إنه لا أقوى من طالب، ولا أضعف من مطلوب، وإنما أنتم سفر ستحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار، ثم أنتم فروع أصول قد مضت، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله).

ما أروع هذه الكلمة وما أبلغ ما فيها من عظة وعبرة، إنها تنفذ إلى القلب فتضيء ظلمته، وتحيي مواته، لأنها صادرة من قلب عامر بالإيمان والإخلاص وقد أفرغت في أسلوب من البيان المشرق يخاطب العقل بأسلوب المنطق الرصين ويخاطب القلب بأسلوب العاطفة المتدفق رقة وروعة. أما ما وصل إليه هذا الخليفة العبقري من منزلة سامية في العلم والمعرفة، فحسبنا أن نذكر بعض أقوال معاصريه من العلماء والأعلام.

فهذا: مجاهد يقول: أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه، ويقول سفيان: كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة، ويقول بعض السلف: ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه.

وما كاد يبلغ عمر بن عبد العزيز هذه المنزلة من المعرفة والعلم حتى تافت نفسه إلى السلطان والرياسة فكان له من ذلك ما أراد؛ تقلد إمرة المدينة فسار فيها أحسن سيرة وأعد لها. ثم رشحته همته وأخلاقه إلى إمرة المسلمين وزعامتهم الكبرى فجاءته الخلافة منقادة إليه تجر أذيالها. فإذا هو يزهد فيما للخلافة من مواكب وما حفت به من أسباب الأبهة والبذخ وإذا نفسه التواقة تتوق إلى ما عند الله عزّ وجلّ من الكرامة والدرجات العلا، وإذا أكبر همه من الدنيا وزينتها أن يقيم قسطاس العدل وأن يضحى بكل عزيز لديه في سبيل إسعاد الرعية وبلوغ رضوان الله تعالى، مستنّاً بسنة الخلفاء الراشدين، متخذاً سيرتهم قدوته ومثله الأعلى، مسترشداً بالصالحين من علماء عصره كالحسن البصري، فقد كتب إليه يسأله عن صفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن البصري رسالته التالية:

اعلم يا أمير المؤمنين؛ أن الله جعل الإمام العادل، قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحان على أولاده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته. والإمام

العادل يا أمير المؤمنين؛ كالأم الشفيقة البرة، الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعتة كرهاً، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكاته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم، والإمام العادل يا أمير المؤمنين؛ كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده، والإمام العادل يا أمير المؤمنين؛ هو القائم بين الله وعباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريههم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال.

نكتفي الآن بهذا القدر من رسالة الحسن البصري رحمه الله تعالى ونرجى بقيتها إلى الحديث القادم إن شاء الله، فإلى اللقاء أيها المستمع الكريم وسلام الله عليك ورحمته وبركاته.

الإثنيونية رقم (١١) حفل تكريم الأستاذ السيد أحمد العربي

بمنزل سعادة الشيخ عبد المقصود خوجه

بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٤٠٣ الموافق ١١ / ٤ / ١٩٨٣ م

تقديم الأستاذ حسين النجار

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله عليه أفضل الصلاة والسلام.

أيها الأفاضل: هي البداية واستهلاله خير وبركة نبدأها بخير ما يبدأ به هذا الجمع الكريم، تلاوة عطرة من كتاب الله الكريم يتلوها الطالب محمد عبد الله صالح، أحد طلبة مدارس الفلاح بجدة.

- الطالب محمد عبد الله صالح :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا نَبَّأَنَّا كَانَمَا يُسَافِرُونَ إِلَى
الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ
ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ
الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ الأنفال : ١ - ٨) .

صدق الله العظيم .

- الأستاذ النجار :

سنوه الأصغر خالد عبد الله صالح أيضاً طالب في مدرسة الفلاح لديه

أنشودة دينية .

- الطالب خالد عبد الله صالح :

في ليلة تتزيا بالنور والإشراق
جبريل جاء النبي يدعوه فوق البراق
هو النبي الأمين له الصعاب تهون
وقوله قول صدق وفعله مأمون
أجب نداء السماء يا سيد الأنبياء
يرعاك رب البرايا في رحلة الإسراء
وحين تم الوصول للقدس صلى الرسول
وكان خير رفيق للمصطفى جبريل
صلوا على المختار يحاط بالأنوار

عند الذي نرتجيه قد فاز بالأسرار
قد عاد يحمل فرضاً خمساً من الصلوات
ويملاً الأرض فيضاً خيراً من البركات
وهذا فوق البراق من فوق سبع طباق
يدعو لمن صدقوه بالفوز يوم التلاق

- الأستاذ حسين نجار:

ليلتكم أيها الأفاضل هي ليلة أنس وبهجة ولقاء بين الأحبة.
ضيفنا وأيسنا هو الأستاذ الشيخ الأديب أحمد بن شريف محمد
العربي العلوي. ولد بالمدينة المنورة، وتلقى علومه الابتدائية في المدارس
الأميرية بالمدينة، وفي أواخر عصر حكومة الحسين سافر إلى مصر حيث
انتظم في سلك الأزهر وحاز شهادتي الابتدائية والثانوية. ولما أوفدت
حكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم البعثة العلمية إلى مصر
سنة ١٣٤٦هـ انضم إليها وتحول إلى مدرسة دار العلوم العليا فنال شهادتها
العالية سنة ١٣٥٠هـ، وعلى أثرها رجع إلى مكة فعين أستاذاً في المعهد
العلمي السعودي. وفي سنة ١٣٥٢هـ قام برحلة إلى مصر وجزائر الهند
الشرقية وبلاد الملايو. وعاد إلى مكة المكرمة في شعبان سنة ١٣٥٣هـ
ومنها سافر إلى المدينة مسقط رأسه لزيارة عائلته فبقي هناك حتى ربيع
الأول عام ١٣٥٤هـ. ثم عين مديراً لمدرسة أمراء الأسرة المالكة
 بالرياض. وفي سنة ١٣٥٦هـ عين مديراً لمدرسة تحضير البعثات في مكة
المكرمة. وفي سنة ١٣٧٢هـ عين عضواً بمجلس الشورى. ثم مديراً عاماً
للأوقاف، وقضى بها ست سنوات. عاد بعد ذلك عضواً في مجلس
الشورى.

هذه أيها السادة الأفاضل إلمامة عجلى بحياة أدينا وأستاذنا القدير أحمد العربي أمد الله في عمره. وفي ما سيرويه لنا في تضاعيف حياته المليئة بالعمل والجهد والنشاط ما يروى شغفنا لمعرفة الكثير من إسهاماته الخيرة في ميدان العلم والأدب، فهو واسطة العقد بيننا. والكلمة الآن وكما تعودنا للمحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه.

كلمة الشيخ عبد المقصود خوجه

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

من دواعي الحبور والغبطة والسرور أن أتشرف هذه الأسمية بتشريف المرابي الجليل الشاعر الأديب الفاضل الأستاذ القدير الكبير السيد أحمد العربي أرحب به أجمل ترحيب، كما أرحب بجمعكم الكريم كل ترحيب وكل تكريم.

أشكر لأستاذنا ورائدنا استجابته الكريمة للاحتفاء به كما أشكر لجمعكم المشاركة في هذا الاحتفاء فلمشاركتم الأثر الطيب في النفوس ولها تقديرها، فلکم مني جزیل الشکر.

عملاقنا الكبير.. أستاذ أجيال. كما قال الزميل الأستاذ حسين نجار وهو الآن عضو في مجلس الشورى، له مشوار طويل مع العلم وطلابه. وقد بدأ ذلك المشوار في أول بعثة ابتعثتها الحكومة إلى مصر حيث تخرج بعد دراسته العالية منها، ومعروف أن كثيرين من أمثاله يعودون من نصف الدرب لخير مهنة وأكرمها وهي التدريس. إلا أن الأستاذ أحمد العربي أضاء الطريق وأدى الرسالة حتى النهاية ووفى الأمانة فكان خير مثال يقتدى

به فله في الواقع كل التقدير ويستحق منا جميعاً كل تقدير بالتكريم وما نقدمه هذه الليلة احتفاءً به هو قليل من كثير له على أجيال قامت على بعضها نهضة هذا البلد ورفيقه. فله منا الكثير مما أسلفت من التقدير والاحترام والإجلال. يسعدني أن أترك الكلمة له ليحدثنا عن مشواره الطويل، عن العلم وطلابه، وعن جانب من ذكرياته.

وقبل أن أترك الكلمة رأى أستاذنا الكبير الأستاذ محمد حسين زيدان أن تكون الكلمة له أولاً فنستمح الأستاذ الفاضل السيد أحمد العربي عذراً حيث سأعطيه الكلمة.

وأهلاً ومرحباً بكم جميعاً مع أطيب التمنيات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ محمد حسين زيدان

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

تركت كلمة المظهر للأستاذ حسين نجار وللمحتفى الأستاذ عبد المقصود خوجه، ولا بد لي أن أقول كلمة المُخْبِر. هي التي تعطي جوانب النشأة، جوانب الكرامة، جوانب الخلق للسيد الشريف أحمد العربي. لم أعرفه طفلاً وإنما عرفته فتى، تزامننا في الدراسة فقد كان ينتظم في فصل أكبر منا، أعلى منا، وهو بحمد الله أكبر مني سناً بشيء قليل من السنوات، لعلها لا تبلغ السنتين.

السيد أحمد العربي مظهره غير مخبره، مخبره يحمل هموماً علوية وهموماً علوية. فالهموم العلوية جعلته يتفوق بالتعلم، جعلته يتفوق بالعطاء، والهموم العلوية جعلته لا يتجافى مع نسبه العلوي. أنتم لا

تعرفون قرياه للأسرة المالكة في المغرب، أسرة الحسن الثاني، فأنا أعرف أنه عندما جاء السلطان عبد الحفيظ إلى المدينة المنورة بعد أن استقال عن العرش كان رفيقاً لمولاي العربي أباه، فإذا ما خاطب مولاي العربي السلطان عبد الحفيظ قال له: مولاي عبد الحفيظ، وإذا خاطبه عبد الحفيظ السلطان قال: مولاي العربي. كل منهما يلقب أخاه بالمولي لأنهما ذو نسب واحد، هو عياشي جذوره تنتمي إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي مات وقبره لا يزال في ينبع النخل. جده بعد الحسن المثنى عبد الله المحصن أو عبد الله الطاهر، الذي خلف أربعة من الأبناء كلهم قد كان طعام السيف، فالنفس الذكية الذي قتله المنصور بعد أن بايعه، فالمنصور في المدينة قد بايع النفس الذكية، يوم كان إبراهيم الإمام في الحميد، وإبراهيم قد صار في الكوفة وكاد ينتصر فقتله المنصور، ويحيى بن عبد الله سجنه الرشيد في مخزن من الملح لعل نكبة البرامكة كانت بسببه. وإدريس قد رحل إلى المغرب فتزوج البربرية وجاء بابنه إدريس. وإدريس ليس جداً للسيد أحمد العربي فأنا أحسب أن جده إبراهيم.

هذا النسب العالي حافظ عليه السيد أحمد العربي كل المحافظة لا أعرفه إلا أنه النظيف في عرضه وفي كرامته. وله مئة علي فحينما هجاني بعضهم عندما كنت أرمداً:

أيا زيدان في عيناك أزعجتني من الأقدار والنظر الشئيم

كان السيد أحمد العربي أحد ثلاثة دافعوا عني بالشعر. السيد أحمد العربي وأمين الشنقيطي سفير الأردن السابق - أبوه الخضر بن ميايه الجكني العلامة الكبير - والدكتور حمزة الشلبي بن الشيخ عبد القادر الشلبي.

أحفظ لهم ذلك . كما أحفظ لهذا الشعر أنه أول من جعلني أشهر فقد دفع محمد سعيد أبو ناصر ريالاً مجيداً لمن يأتيه بهذه القصيدة . فقابلته في دار الضيافة وقلت له هذه هي القصيدة خذها . قال ما معي الريال . قلت أهديها لك لتعطيني إياه . وفعلت .

لا أريد أن أذكر أستاذية السيد أحمد العربي في المعهد ولا أريد أن أذكر طلبه للعلم وإنما أذكر شيئاً واحداً، طلب في الأزهر وأنتسب لدار العلوم، كأنما كان هو خاصة من طلبة دار العلوم بعلي الجارم وأمثاله ولهذا أريد أن أتجنى على عمر أبو ريشة، فأبو ريشة خير من يلقي الشعر، وأحمد العربي خير من القى الشعر عندنا . ستستمعون نغمات كأنها نغمات عمر أبو ريشة عندما تسمعون أحمد العربي . . لا أكثر فقد أشعر بوعكة فإني تعبٌ جداً ولولا معزة أحمد العربي ما حضرت وقد كتبت عنه في كتابي الذي صدر في الأشياخ ومقالات كما كتب عن بعض العلماء فهو يستحق لأنه من العلماء . ولكن دعوني أذكر شيئاً واحداً . بالأمس كان السيد عثمان حافظ هنا وهو صديقه الحميم فما لي لا أراه اليوم، لعلّه مشغول بمرضه، لعلّه اعتذر . أنا لم أذكر ذلك لألوم عثمان وإنما لأوضح المعذرة ولأوضح أنه لن يتأخر عن السيد أحمد العربي وقد جئت أنت بالعدر . ولكن الذي لا أعذر تلامذته في تحضير البعثات أين هم الآن؟! أين الوفاء؟!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ أحمد العربي :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شكراً لكم أيها السادة الذين تفضلتم بتبليغ هذه الدعوة وشكراً أولاً وقبل ذلك للسيد عبد المقصود الذي تكرم بدعوتي ودعوتكم، وجشمكم ما جشمكم من تعب الحضور في الليل، وشكراً للأستاذ زيدان الذي أفاض عليّ من حسن ظنه ومن شمائله ونبله ما أعجز عن شكره عليه. وفي الحقيقة أنني كما يقول المثل العامي أنا الآن في هذه السن لم أعد أستطيع أن آتي بجديد. وكما يقول العوام: «التاجر لما يفلس يرجع لدفاته القديمة». فأنا كنت في حفلة تكريمية سابقة لي في مكة من بعض الأخوان والأبناء الأعزاء، فألقيت عدة قصائد وأمكنتني أن أجد منها أبيات قلت أنشدتها أمامكم إذا سمحتم عسى أن تكون مقبولة لديكم إن شاء الله .

والحقيقة أنني كنت أريد أولاً أن أتكلم بشيء من التفصيل عن مسيرتي التعليمية ولكن النبذة اللطيفة التي أتى بها الأستاذ النجار بارك الله فيه تغنى عن أن أكرر ما قاله ولا أريد أن أتوسع فيه فأنا الآن أكتفي بتحيتكم ولا أخذ الكثير من وقتكم وأنشدكم بعض الشعر. وأنا آسف فلا أظنني أستطيع أن أحقق ما ظنه بي الأستاذ الزيدان وعهده بي عهد شباب، والآن عسى أن يكون إلقائي مقبولاً بالجملة لا كما ظنه الأستاذ زيدان بارك الله فيه علي ما أفاض علي من الثناء ما يتجاوز قدرتي وما أعجز عن أداء حق شكره .

تقول الأبيات التي أنشدتها للأخوة الكرام الذين كرموني قبلكم:

يا جيرة الحرم المغبوط جيرته إني ليشكركم قلبي ووجداني
قلدتموني من تكريمكم مِننا تنم عن خلقٍ بالنبل رِيان
لم آت أمراً جليلاً أستحق به ما نلته من حفاوات وشكران

وما بذلت سوى جهد المقل يداً لموطني ولأبنائي وإخواني
فصادف البدر روضاً طيباً فنما وطاب منه الجنى في ظلّه الحاني
ولم أقم بسوى فرض أدين به لموطن حُبه عهدي وإيماني
أرض الرسالة والهدى الذي غمرت أنواره الكون في قاصٍ وفي داني
ولو بذلت له روعي وما ملكت يداي لم أوفه ما كان أولاني
يا جيرة الحرمين الأقدسين لكم حبي وخالص تقديري وعرفاني

هذه أبيات من قصيدة طويلة . . شكراً لكم .

- الأستاذ محمد زيدان: وأين:

هذا حراء سائلوه يجيبكم وكأنه سفر من الأسفار

- الأستاذ أحمد العربي: نعم. هذه مختارات من قصيدة طويلة.

ننتقل ونقول إن الأستاذ النجار، جزاه الله خيراً، أراحني من كلام طويل عريض لا لزوم له.

إن الريح التي مع الشعر بدأت منذ عهد الصبي إلا أنني لم أحتفظ بشيء مما لهوت به قبل رحيلي إلى القاهرة. على أن ما نظمته بعد ذلك لا أزعم أنه يرتقي إلى مرتبة الشعر الجيد غير أن الذي أغراني بالاحتفاظ ببعضه أولاً لأنه يسجل صوراً متواضعةً لما كانت تجيش به نفسي من مشاعر نحو أمّتي وعقيدتي ووطني، وثانياً حسن ظن بعض الأخوة والأبناء الكرام بما أطلعوا عليه من ذلك وحثهم إياي على الاحتفاظ به، ولذا فإني أشركهم معي في تحمل مسؤولية ما قد يشعر به البعض، بعض المستمعين الكرام من ضيق بسماعه.

أولاً أبيات في الحنين كنت أثناء طلبي في مصر حننت إلى المدينة المنورة. أستغفر الله، «معلش» أنا قدمت هنا، قلت أُجيب شيء مما قلته في مصر وألقيته في مصر في عيد جلوس جلالة الملك عبد العزيز، في مصر سنة ١٣٤٩هـ أقامت السفارة السعودية حفلاً كبيراً ودعيت مع إخواني طلاب البعثات لإلقاء قصيدة فيه، فألقيت قصيدة أختار منها الأبيات الآتية:

عيد الجلوس ألا حيت من عيد
فأنت في العُرب يومٌ لا مثيل له
يا أيها المهرجان الفخم رونقه
عليك بهجة حسنٍ غير مفتعل
وإن يوماً سناء الملك جلله
يومٌ تمجد فيه العُرب عاهلها
العاهل الفذ من أمست مآثره
ذاك المليك الذي مذ لاح كوكبه
فقام بالأمر فيها جد مقتدر
وقاد بالحزم والتوفيق نهضتها
سعى لضم شتات العرب فالتأمت
أقال عثرتها من فرقة عصفت بها
وما ونى قط في إسعاد أمته
فكم له من يد جلت صنائعها
تلكم معاهدة بالعلم زاهرة
وتلك بعثاته في كل منتجع
تفيات عطفه الحالي فكان لها

لأنت أحرى بتكريم وتمجيد
وأنت غرة ما في الكون من عيد
لأنت في العين أبهى من سنا الغيد
وروعةٌ وجلالٌ غير محدود
يوم جدير بتكريم وتخليد
عبد العزيز سليل السادة الصيد
ملء الممالك والأمصار والبيد
للعرب ألقى إليه بالمقاليد
يسوسها بنظام جد محمود
فلم تزل ولم تجمع بمقصود
به وفازت بتأليف وتوحيد
وكم بددتها شر تبديد
وجلب كل جديد غير منقود
عن البيان وفاقت كل تمجيد
إلى مصانع شيدت أي تشيد
لها مناهل تثقيف وتسديد
من حبه خير تشجيع وتأيد

هذا ما أخذته من هذه القصيدة .

أما قصيدة الشعر التي كنت أتشوق فيها إلى المدينة المنورة وأنا أدرس في مصر وكنت متأثراً بقصيدة البحري السينية الشهيرة :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

وبقصيدة شوقي :

اختلاف النهار والليل ينسى وذكريات الصبى وأيام أنسي

على أنني لست أزعم أنني استطعت أن ارتقي إلى مستوى أي من القصيدتين . وحسبي أن أقتفي أثرهما في محاولة للتعبير عما جاش في صدري من مشاعر أرجو أن أكون قد وفقت إلى إبراز صورة مقبولة منها .

وفي ما يلي أبيات القصيدة :

طال عهد النوى وعز التآسي
وربوع فديتها بفؤادي
ورياض كأنها من رواءٍ
وكان الورود ثوب عروس
وتخال النخيل والشمس تكسوه
وترى الطل يستسرُ حديثاً
ثم يفشي ذاك الحديث هَزارُ
وتحيي الصب الغصون فتختال
وإذا ما التفت نحو الروابي
لابسات من العفاف مُلاءً
عن بلاد غرامها ملء نفسي
عشت فيها عهد المنى دون وكسٍ
وازدهار تزهو بموكب عرسٍ
عسجدي منمق بدمقسٍ
بأضوائها منارة قسٍ
أذن الزهر بين همس ولمس
دأبه الشدو حين يضحى ويمسي
وتبدو كمن يحيي برأس
شمت سرباً من الطبا غير نكس
يُحسُر الطرف دونهن ويخسي

يا ربوعاً بالجدع جذع قباء
كم لنا فيك ذكريات غوالٍ
مع رفاقٍ غرٍ سراة تساموا
نتساقى من البيان رحيقاً
في حمى طيبة المفداة جادتها
مهبط الوحي دار أكرم
هي دار الإيمان والسادة الأنصار
وإليها أوى المهاجرة أبطال
حملوا من ربوعها شعلة الدين
هي داري ولست أسلو هواها
كيف أسلو وذاك شأن بلادٍ
زادها الله عزة وسناء
والعوالي قربانكن بنفسي
لم يشب سعدهن قط بنحس
لذراً يعرب وسادات فرس
أدباً نادراً وطرفة طرسي
الغوادي بكل غيث مُلس
خلق الله خير الأنام من كل جنس
من خزرج كرام وأوس
من هاشم ومن عبد شمس
فدكوا عروش روم وفرس
ما حيت وإن أوارى برمسي
في رباها نما وأينع غرسي
وحماها من كل ضر وبأس

هذا ما اخترت من تلك القصيدة.

وإذا كانت هذه القصيدة تعبر عن بعض مشاعري نحو طيبة الطيبة فإن
مشاعري نحو أم القرى لا تقل توهجاً بالحب والتقدير لهذا البلد الأمين
الذي شرفه الله بالبيت المقدس وبمولد أفضل الرسل عليه أفضل الصلاة
وأزكى التسليم وبرزوغ فجر الإسلام في ربوعها، ومهما أشدت بفضل
ونوهت بمنزلته فلن أفي بحق الإشادة والتنويه. وأما في موقعي هذا أكتفي
بمقتطفات من القصيدة التي ألقيتها في الحفل الذي أقامه الشباب في منى
في عام ١٣٥٥هـ تكريماً لإعلام وفود الحجيج أذكر منها ما يأتي. وقد
اختصرت منها طبعاً كثيراً. قلت:

سفر الخلود ومعهد الآثار
مثل جلالها في أمجد الأعصار
وأشرق ترنو إلى الأقدار
والقوم في لهو وفي إدار
تعيد سيرة مجدها المنهار
لبعث كنز تراثنا المتواري
وكأنه سفر من الأسفار
شعّ الهدى منها على الأقطار
والحجى أعظم به من غار
على الإيوان والأهرام والآثار
من فارق أربي على الأقدار
والمستعبدين سلائل الأحرار
السفر الحفي بسيرة المختار
هنا لمحمد ولصحبه الأبرار
من منى وحيال هذي الدار
ويهيب بالنقباء بالأنصار
أشياعه من سطوة الكفار
من كرم وتضحية وحسن جوار
فرق الزمان وهام كل فخار
من عهد وما أحببت من إيثار
ونفتديك مصارع الأخطار
يوحى إلى الأحفاد خير شعار

هذا الحجاز تأملوا صفحاته
ومواقف لم يشهد التاريخ
جثمت على تلك الأباطح والهضاب
ومضت تقص على العصور حديثها
ثبتت على رغم الكوارث والخطوب
وتهيب بالهمم الأبية أن تهب
هذا حراء سائلوه يجيبكم
واستلهموه مواقف الوحي التي
وسلوه ماذا قد أقل من البطولة
أخلق بغار حراء أن يزهي
كم بين صاحبه وبين بناتها
شتان بين محرر الإنسان
الله أكبر ما أجل صحائف
ما أروع الذكرى تطيف بنا
في مثل ليلتنا وفي تلك المواقف
وقف ابن عبد الله يملي عهده
أن ينصروا دين الإله ويمنعوا
ما كان أنبل موقف الأنصار
لله قالتهم لقد زانوا بها
خذ يا رسول الله ما أحببت
ولنمنعتك بالنفوس وبالنفيس
الله أكبر يا له من موقف

اكتفي بهذا.. شكراً لكم.

(الحاضرون يصفقون استحساناً).

لا أريد أن أطيل عليكم فعندي نماذج كثيرة ولكن طبعاً الوقت لا يتسع.. فقط فيه قصيدة حييت بها نسورنا الطيارين أول بعثة طيران كان لها صدى حسن، فاخترت أن أنقلكم إلى جوها عسى أن تخفف عنكم من ثقل إلقاء بعض الأبيات.

وقد قلت في هذه القصيدة:

أهلاً بقادمة النسو	ر طليعة العهد النضير
الرافعين لواء مجـ	د بلادهم فوق الأثير
المنتضين عزائمـ	أمضى من السيف الطرير
أهلاً بمفخرة الحجا	ز ورمز سؤدده الخطير
إن الحجاز وكل من	ضم الحجاز بكم فخور
هو أيكم وعلى ربا	ه نما جناحكم الصغير
ولكم حباكم عطفه	وحنانه الجم الغزير
وغذاكم بلبانه..	وبمائه العذب النمير
وأظلكم بسمائه..	وبجوه الصافي المنير
أفلا ترفرف في ذرا	ه اليوم أعلام السرور؟
وهو المهاد ومنبت الـ	أجداد والوطن الوثير

* * *

وطن أقلت أرضه	خير الخلائق والعصور
ومشى على جنباته..	جبريل والروح الكبير

وتمخضت أعطافه عن ذلك الماضي النضير
أفلا يحن إلى النهو ض ويستجيب إلى البشير؟

* * *

هذا الحجاز اليوم في طرب وذاك صدى الشعور
خرجت زرافات بنو ه تموج في حلق السرور
يتسابقون إلى حما سة والحفاوة بالنسور
يا ليت شعري أي جد وي للحفاوة والحبور
ولهذه الأصوات تذ هب في الفضاء ولا تحور
إن لم نعد الطائرا ت تبرز أسراب الطيور
ونشد أزر نسورنا. . بالمال والعضد النصير
أرأيتم في الجو طير راً دون أجنحة يطير؟
أرأيتمُ أمراً بغئـ ر المال تم له الصدور؟
المال إكسير الحيا ة وعنصر الفوز الكبير
والمال مثل الغيث من قطراته تجري البحور
وقليلهن من الكثير يكافئ الجم الغفير
فليسد كل ما يطيق لرفعة الوطن الجدير
هذا لعمركم الفخا ر وذاك مضممار الفخور
بالجد تكتسب العلا لا بالأمانى والغرور
لو أن بالآمال والـ أقوال تنقذ الأمور
لم يلف في الجلى لنا نـدٌ ولم يُذكر نظير
فلقد ملأنا الوهم آ مالا تضيق بها الصدور

ولقد ملأنا الصحف أقف
ولقد وقفنا والزمنا
ولقد هجعنا والحياء
والأ تضيق بها السطور
ن وكل ما فيه يسير
ة وكل ما فيها يمور

* * *

ولقد بدأنا اليوم نش
عجباً أنحن سلائل ال
عجباً أنحن بنو أسا
أنكون أول مبدعي الط
أسفاً وقد يجدي التأس
ولعلّ في هذا الشعو
عر بالحياة وبالنشور
أعراب معجزة العصور
تذة الحضارات الصدور
يران آخر من يطير؟
ف حين يحتث الشعور
ر بوارق العهد المنير

* * *

يا أيها الرب المجد
حدث بني الشرق الطمو
وأبن لنا كيف استبد
واستعبدوا الجو الطلي
وأذكر أعاجيب التقد
واضرب لنا مثل الفتو
وارفع لواء العرب خف
فعليك قد عقد الرجا
قدومه الأمل النضير
ح بما لدى الغرب الخطير
وا بالبرور وبالبحور
ق وذلوا متن الأثير
م ثم، والعلم الجسور
ة والشباب المستنير
اقاً على هام الدهور
ء وأنت جد به جدير

* * *

وإذا النسور غدت طليع
بلغوا ذري المجد الرفيد
وإذا النسور ترسموا
صقر الجزيرة وابن ذرو
ة أمة وهم الصدر
ع وحلقوا بين البدور
آثار عاهلنا الكبير
ة مجدها وأبي الصقور
ستكون مفخرة العصور
ضمنوا ليُعرب نهضة

* * *

عاش المليك ويعرب بقيت على مر الدهور
عاش المليك وعاشت الـ أشبال ولتعش النسور

على إثر رحلتي - كما ذكر الأستاذ النجار - بعد أن أتممت تعليمي في
مصر اشتغلت في التدريس هنا في المملكة نحو سنتين ثم رحلت إلى جاوا
في رحلة علمية. كنت أريد المغرب وأراد الله أن يكون المشرق فذهبت
إلى جاوا.

وقد ركبنا من مصر باخرة كبيرة ومكثنا في البحر نحو شهر أو شهر
وثلاثة أسابيع، وصلنا إلى سنغافورة وهناك أقمنا نحو شهر وألقيت
محاضرة في النادي الأدبي الذي أقامه السادة السقافين، وفي الحقيقة أكرمنا
هناك السادة السقافين ثم ذهبنا إلى جاوا. فعلى إثر الرحلة نظمت قصيدة
وأنا في جاوا اذكر رحلتنا في البحر على طيقة الموشح، أشبه بالأندلسية،
أقرؤها عليكم:

أي صوتٍ هز في النفس رجاها ودعاها فاستجابت إذ دعاها
وانبرت تعدو إلى الغاية وثبا
أنفسٌ قد وطنت عزمًا وقلبا

أن تغذ السير في الآفاق دأبا
لا تبالي ما تلاقي في هواها أتلاقي السعد أم تلقى رداها
أي صوت ذاك أم أي نداء؟
دب فينا كدبيب الكهرباء
فاستهننا كل جهد وعناء
وهجرنا فيه أهلاً ورفاهاً وبلاداً ملء أحشاء هواها
إنه هاتف ذا الشرق العتيد

وأحب أن أذكر صاحبي، ولا أدري إذا كان كلاهما توفي ربما،
عليهما رحمه الله، إنهما عبد الله الخطيب وصالح الخطيب وكانا زميلاي
اللذان رحلت معهما إلى إندونيسيا وهما اللذان رغباني إليها لأنني كنت
مسافراً إلى المغرب وذهبت إلى مصر وتعكست رحلتي إلى المغرب وهما
كان لهما رغبة في السفر إلى جاوا فرغباني في ذلك. وسافرت معهما.
أشرت هنا إليهما كانا يساعداني في تلك البلاد جزاهما الله عني
خيراً.

- أحد الحاضرين: صالح الخطيب موجود.

- الأستاذ العربي: موجود؟ طيب الله يسلمه ويحفظه إن شاء الله. هل
هو مقيم في مصر؟

- أحد الحاضرين: صالح أخو حسين.

- الأستاذ العربي: نعم. هم ثلاثة أشقاء. وصالح كان طياراً في
الأول.

- أحد الحاضرين: نعم - موجود في القاهرة.

- الأستاذ العربي: جزاه الله خيراً. إنه نعم الأخ ونعم الزميل - نعم
أعود للقصيدة.

هاتف أسفر عن عهد جديد
ربما أربي على الماضي المجيد
لم لا. والشرق قد عج انتبهاً وخطا للغاية الجلّي خطاها؟
ما أهاب الشرق بي وبصاحبيا
هاتفاً إلا وأحسنا دويّا
لصداه بين جنبينا قويا
فإذا أنفسنا جُل مناها أن تلمي صوته لما احتواها
فعزمنا وامتطيناها سفينا
تمخر اليم بنا رفقاً ولينا
وهو كالمهد لها حيناً وحيناً
تارة تبصره طوع رجاها فتراها كعروس في سراها
وأحايين تراها تتنزي
كتنزي الحوت في الإشراك قفزاً
وعباب البحر من ذلك يهزا؟
فهو لا ينفك مغري بأذاها كلما مرت على موج رماها!
هَبْ عباب اليم أصلي الفلك بأسا؟
أتراها طأطأت للعجز رأسا؟
أم تُراها نكصت خوفاً ويأسا؟
إنها ما أسلمت قط شباها لا ولا لانت على الغمز قناها
يا لها من صاحب نعم المؤسّى

فلقد أَلقت علينا خير درس
في طلاب المجد لو يجدي التأسّي
ولكم موعظة أسدي هداها أعجم لم يدر يوماً ما لُغَاها؟
يا ابن هذا الشرق إن رمت النجاحا
وثقفت العلم واعتدت الكفاحا
فتعلم أن للفوز سلاحا
همة شماء لا يدري مداها وجهاداً دائباً في مبتغاهها
أيها المسلم في الشرق العريق!
أنت للمسلم في الدين شقيق!
لِمَ لا تعتز منه بصديق؟
وحدة قد شيد الدين بناها لِمَ لا نبلغها أسمى ذراها؟
لِمَ يا إخوتنا لم نأُتلف؟
لِمَ لا نعمل كِتفاً لكتف؟
أنسينا ماضياً فينا سلف؟
حيث كنا قوة عَزَّ حماها أحكم الإسلام توثيق عراها!
إننا لم نرق في تلك العُصُر
ونسد إلا بذا الدين الأغر!
وبتوحيد الجهود والوطر!
هل رأيتم أمة نالت مناها بسوى الجد وتوحيد قواها؟!
هكذا تاريخنا علمنا
أن نسوي أبداً وحدتنا
ونضحى نفتدي عزتنا!

شرعة أن نحن أعلىنا لواها بلغت أوطاننا أوج علاها!!
لا أعالي أنا إن كنت البشير!!
بالذي نرجوه من شأو خطير
فجهد الشرق بالفوز جدير!
إننا نلمس روحاً يتضاهى في شباب طاب في الشرق جناها!
لم لا والشرق مهد الحكماء؟
لم لا وهو منار النبغاء؟
أيظل الشرق وهو ابن ذكاء!
ظلمات أطبق الجهل عماها؟ سبة تلك، سينجاب دجاها!
فلقد لاح سنا الفجر المبين
وتبارت عزمات العاملين
سدد اللّه جهود المخلصين
أمة أن يهد ذا نفس هداها يكن التوفيق صنواً لرجاها
والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الأستاذ عثمان حافظ

- الأستاذ حسين نجار: كلمة صديقك القديم الجديد الأستاذ عثمان حافظ الذي حالت ظروفه الصحية دون أن يكون هنا ليلقي كلمته بين يديك .

- الأستاذ العربي: شكراً وعافاه الله .

كلمة الأستاذ عثمان حافظ (ألقاها الأستاذ النجار):

الحمد لله والصلاة والسلام على مصطفى وآله وصحبه ومن والاه .
فقد قال لي صاحبي وهو يتحدث عن فضائل السيد الصديق أحمد العربي: أنت يا عثمان يجب أن تقدم السيد أحمد العربي لصداقتكما القديمة العريقة وأنت تعرف عنه ما لا يعرفه الكثير منا وقلت له قد يكون ذلك، ولكن مشكلتي أنني ما تعودت الوقوف على المنابر ولا أعرف أنني قد وقفت خطيباً في حياتي إلا مرتين اثنتين، أولهما عندما تكرم بعض الأصدقاء بإقامة حفل تكريمي لنا بمناسبة صدور العدد الأول من جريدة المدينة المنورة عام ١٣٥٦هـ، وكان لا بد من إلقاء كلمة شكر على هذا العمل الطيب. والمرة الثانية عندما أقمنا حفل تكريم للدكتور محمد الخاشقجي رحمه الله بعد عودته إلى المدينة، يحمل شهادة الطب وعين مديراً للصحة في المدينة المنورة، وكنت أحد المتحمسين لإقامة الحفل فلم أستطع التخلص من إلقاء كلمة في الموضوع.

وأذكر أنه عندما كان أستاذنا السيد أحمد صقر رحمه الله يشير إليّ بسبابته في درس المحفوظات يدعوني لإلقاء قطعة شعرية من محفوظاتنا، كنت أتلعثم أثناء الإلقاء مما أشعر به من هيبة الموقف مع أنني كنت أحفظ تلك القطع الشعرية قبل موقفي الخطابي، إنه نقص كنت أشعر به وأحسه وأخجل منه، ولكن لا حيلة لي فيه، فإني هكذا خلقت، ويعزيني أن كتب الأدب مملوءة من أولئك الذين تخرجهم مثل هذه المواقف. والناس في هذا على فريقين. فريق يقول قائلهم:

لقد علم الحي اليمانون أنني إذا قلت أما بعد إني خطيبها

ويقول قائل الفريق الثاني:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بياناً عندها وخطاب

وقالوا عن أمير الشعراء أحمد شوقي إنه ما روى قط يروي شيئاً من شعره مع طول باعه في الشعر. يقولون إنه ليست لديه موهبة الإلقاء. هكذا وضعي مع التخلف في الوقوف على المنابر. ولكن هذا الموقف مع الصديق الحبيب السيد أحمد العربي قد أنطقني وشجعني على الحديث.

إن السيد أحمد العربي أيها السادة هو صديق العمر ورفيق الحياة منذ طفولتنا المبكرة فقد كنا نسكن متجاورين يفصل بين منازلنا جدار واحد، وكنا دائماً نتبادل كؤوس الشاي الأخضر المنع من النوافذ ونتذكر دروسنا من النوافذ. ولقد قضينا فترة طويلة من حياتنا اليومية لا نفترق إلا وقت النوم كنا بعد صلاة الفجر بالمسجد النبوي نتلقى دروس النحو والصرف على والده الجليل الشريف محمد العربي رحمه الله - وبعد تناول الإفطار كنا نذهب سوياً إلى مدرسة جوهر آغا، وكان ناظر هذه المدرسة أستاذنا الشيخ عبد القادر شلبي رحمه الله، ندرس عليه مختلف العلوم والفنون، وكان معنا عدد من الزملاء ومنهم الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان. وبعد العصر نخرج سوياً للفسحة إما في باب الشامي أو في باب العنبرية أو إلى أحد البساتين القريبة كالحجازية، والمراكشية وبعد المغرب في درس بالمسجد النبوي عند الشيخ عبد القادر شلبي رحمه الله - وهكذا لا نفترق إلا ساعات النوم. . وكنا ولله الحمد في تفاهم دائم وتعاون وصدقة بصورة مثالية. ولا أذكر أننا اختلفنا أو تنازعنا في شيء واستمرت والله الحمد هذه الصداقة والإخاء أكثر من ستين عاماً أدام الله هذه الصداقة وزادها وثوقاً.

وكان السيد أحمد العربي مثلاً للخلق الكريم والخصال الحميدة فلا يلقاك إلا هاشاً باشاً دائماً. ويكون نظيف القلب فلا يضمير سوءاً لأحد ولا

يحقد على أحد نظيف اللسان والقلم فلا يذكر أحداً بما يكره في غيابه أو حضوره، عزيز النفس شامخ الأنف، من الذين يقول فيهم الشاعر:

خلقتُ عزيزاً لا أرى لابن حرة عليّ يداً أغضى لها حين يغضب

وإذا سمح لي ذكرت حادثة مر عليها حوالي أربعون عاماً وما زلت أذكرها، تلك إنه عندما كان مديراً لمدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة تعين بالمدرسة أستاذان وكانا ذوي حظوة لدى بعض المسؤولين وعين لكل واحد منهما مائة ريال شهرياً وكان مرتب السيد أحمد مائة وثمانين ريالاً. وكنا وغيرنا نقول لازم تطالب بزيادة مرتبك أسوة بهم فإن ذلك من حقوقك ولكنه رفض ذلك تعففاً وترفعاً.

وكان على جانب كبير من العلم والفضل والثقافة وله باع طويل في الأدب شعراً ونثراً. فلقد نشر في أول عدد من جريدة المدينة المنورة قطعة شعرية رائعة نشرها قبل حوالي نصف قرن أذكر هنا بعضاً منها وكانت تحت عنوان «إيه يا بدر» يقول فيها:

إيه يا بدر كم يد لك وضاء ملء النهى وملء القلوب
إيه يا بدر بوركت يدك البيضاء عندي وعند كل أريب
أنت يا بدر شعر لحن الخلود أنت أنشودة الرجاء السعيد
أنت قيثارة لحن هذا الوجود

أنت إلياذة العوالم من فجر شروق الحياة حتى الغروب
وعلى لوحك الوضيء تجلّت سينماء هذه الحياة اللعوب
رب ليل نهبتة في جوارك أتسلى عن الهوى بجوارك
أشتري الكون من ظلال إهابك

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق من الإبداع والجمال وأنا أعرف بأن السيد يتمتع بإلقاء جيد في رواية الشعر.

وللصديق السيد أحمد العربي قصيدة رائعة كان ألقاها في حفل تكريم أول بعثة للطيارين السعوديين أقامه شباب جدة بمناسبة عودتهم للمملكة. وقد نشرت القصيدة في أم القرى في الثامن عشر من المحرم ١٣٥٥هـ. (وقد تليت على أسماعكم).

والشعر في نظري كثوب العروس فكما أن العروس لا يكتمل جمالها وبهاؤها ورونقها إلا بثوبها الأنيق الجميل، فإن الشعر أيضاً لا يكتمل جماله وتأثيره إلا بإلقائه.

هذا ما أردت قوله في هذا المجال. شكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- الأستاذ محمد زيدان: إذن ما دام الإلقاء هو الشعر فعمراً أبو ريشة هو الذي سيمتحننا.

- الأستاذ أحمد العربي: كلنا نضم أصواتنا للأستاذ زيدان.

- الأستاذ حسين نجار: إذا سمحتم لي. هذا المطلب سيكون واجباً ولكن الأستاذ هاشم زواوي له كلمة أيضاً في هذه المناسبة. نرجو أن نستمتع إليها أولاً.

كلمة الأستاذ هاشم زواوي

السيد هاشم يوسف زواوي يتحدث عن المحتفى به:

بسم الله الرحمن الرحيم وأحمد الله.

السيد أحمد العربي عرفناه شاعراً مجيداً وملقياً خطيباً يسلب السامعين

بإلقائه الجميل وروعة نبراته البينة الناطقة بما يختلج ويعتلج في صدره من أحاسيس ومشاعر. وأنا آسف لأن الصحة لم تسعف الأستاذ الكبير ليتحفا بنغماته في الإلقاء، ولكننا قد سمعناه نحن الذين شاركناه رداً من الزمن مشاركة في سبيل النهضة الأدبية والشعور بالواجب الأدبي نحو بلادنا وأوطاننا. وللتاريخ أقول لكم أيها السادة أنه كانت هناك لجنة الشباب العربي السعودي وكان يرأسها والد صديقنا الذي أضفى علينا من كرمه وخلقه ما يجعلنا نتمتع بهذه الأمسيات العطرة في جو من الأدب الرائع والطرف التي نحظى بها من كتب قيمة وما إلى ذلك.

فالأستاذ أحمد العربي كان عضواً في هذه اللجنة ولعلي أذكره بأن آخر مساهمة للجنة كانت حينما أسهم فضيلته والسيد محمد شطا رحمه الله والأخ عبد الله مرزوق رحمه الله وقائل هذا الكلام فذهبنا إلى حضرة صاحب الجلالة وكان يومها نائباً لجلالة الملك في مكة ندعوه لتكريمه فاستجاب سموه آنذاك وطلبنا منه أن يركب سيارة مكشوفة ولم يتعود آل سعود أن يركبوا سيارة مكشوفة ويمروا بها في الشوارع. فخرج من بيته ماشياً إلى الحفل وذلك لأننا أعدنا له نخبة من التلاميذ الصغار ليرموا على سموه بالورود والزهور فكانت لفتة من سموه أن جاء ماشياً من بيته إلى مقر الحفل وهو دار الأشراف التي كانت أو تيل الحكومة. وبعد الحفل ذهبنا في اليوم التالي إلى سموه وكان معنا السيد أحمد العربي.

وثاني مشاركة كانت وهو بصفته مديراً لمدرسة البعثات حيث تخرج أول فوج من الطلاب فيهم الدكتور علوي جفري، والدكتور حسن نصيف والدكتور حامد هرساني وأسعد جمجوم وسعيد سناري (يقولون له محمد سعيد آدم) ومعتوق باحجري ونخبة من شبابنا الذين أنهو دراستهم الثانوية

في المدرسة التي كانت تدعى مدرسة تحضير البعثات وتوجهوا إلى مصر وإني أحمد الله أنهم عادوا إلينا ملء العين والبصر. . فهذه الجهود التي بذلها السيد أحمد العربي أنبتت نبتاً حسناً، ولا زال السيد أحمد العربي يعطي حتى يومنا هذا عطاءً ثرياً لا أستطيع أن أوضحه للسامعين ولكن أستطيع أن أشكره على ما يبذل، وختاماً أسأل الله له مديداً من العمر وأن يجعل أيامه في رفاة وهناء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- الأستاذ أحمد العربي : شكراً يا سيد هاشم .

- الأستاذ حسين نجار: ونعود لمطلب الجمع، إلى شاعرنا الأستاذ عمر أبو ريشة .

- الأستاذ محمد حسين زيدان: هذا المطلب فيه معنى التكريم منك لنا، وفيه معنى التكريم منا لك .

- الأستاذ عمر أبو ريشة: مجنحات زيدان مشهورة . وليسمح لي صديقنا وأديبنا الكبير الأستاذ زيدان أن أقدم أنا نفسي بنفسي . فأقول:

ربي ضاقت ملاعبي في الدروب المقيدة
أنا عمرٌ مخضبٌ وأماني مشردة
ونشيدٌ خنقت في كبريائي تنهده
ربي ما زلت ضارباً من زماني تمرده
بسماتي سخيّةٌ وجراحي مضمدة

وإذا أراد الأستاذ زيدان صورة أخرى تمثلني أعرضها هكذا:

تتساءلين . . على م يَحْيَا هؤلاء الأشقياء . . !
المتعبون ودرّبهم قفرٌ وممرامهم هباء

الذاهلون الواجمون أمام نعشِ الكبرياءِ
الصابرون على الجراح المطرقون على الحياة!
أنستهمُ الأيامُ، ما ترفُ الحياة وما البكاءُ
أزرتُ بدنياهمُ، ولم تترك لهم فيها رجاءُ
تساءلين.. وكيف أعلمُ ما يرونَ على البقاء؟!
إمضي لشأنك أسكتي أنا واحدٌ من هؤلاء!

وسمعت منذ دقائق أدينا الكبير يتحدث شعراً عن نسر ولى حديث طويل مع نسرين، النسر الأول رأيتَه في قرיתי أيام العز طبعاً جاثماً على أنقاض قصر قديم روماني لا يستطيع غير الظن أن يتحدث عن ماضيه قلت:

قفي قدمي إن هذا المكان
رمالٌ وأنقاضٌ صرح
أقلب طرفي به ذاهلاً
أكانت تسيل عليه الحياة
وتشدو البلابل في سَعْدِهِ
أأستنطقُ الصخر عن ناحتيه
حوافرٌ خيل الزمانِ المُجدِ
فما يرضعُ الشوكُ من صدره
وتلك العناكبُ مذعورةٌ
لقد تعبتُ منه كَفُ الذمار
هنا ينفُضُ الوهمُ أشباحه
يغيب به المرء عن حسِّه
هوتُ أعاليه تبحث عن أسه
وأسألُ يومي عن أمسه
وتغفو الجفون على أنسه
وتجري المقادير في نحسه؟
وأستنهض الميتى من رمسه
تكادُ تُحدِّثُ عن بُوسه
ولا ينعبُ البومُ في رأسه
تريدُ التَّقْلُتَ من حبسه
وباتتُ تخافُ أذى لَمسه
وينتحر الموتُ من يأسه

والنسر الأخير رأيته بعد سنوات من هذه الحادثة على كومة من صخور فسألت أحد أصدقائي الفلاحين بالقرية: ماذا يفعل هذا النسر هنا، له أفاقه. قال لم نشأ أن نصدده إلا بعد موافقتك. إنه هنا منذ أسابيع يأكل من عجاف الطير. ذكرت هذه الحادثة لما عينت وزيراً وأخرجت من بلادي عام ١٩٤٨. ذلك النسر سألت عنه الفلاحين فقالوا إنه لم يعد ولذلك لم تتمكن من صيده. قلت إنه عاد إلى تلك القمم ليموت فيها.

أصبح السّفح ملعباً للنسور
إنّ للجرحِ صيحةً فابعثيها
وإطرحي الكبرياء شلّوا مُدْمَى
لَمَلْمِي يا ذُرَى الجبالِ بقايا التّسرِ
إنّه لم يعد يُكحّل جَفَنَ التّجمِ
هجرَ الوكرِ ذاهلاً وعلى عَيْنِيهِ
تاركاً خلفه مواكبَ سُحْبِ
كم أكبتُ عليه، وهي تُنديّ

فاغضبي يا ذُرَى الجبالِ وتُوري
في سَماعِ الدُّنَى فحیحَ سَعِيرِ
تحتَ أقدامِ دهرِكِ السّكيرِ!!
وارمي بها صُدورِ العُصورِ
تيهاً بريشه المنثُورِ!
شيءٌ من الوِداعِ الأخيرِ
تتهاوى من أفضها المَسحُورِ
فوقه قِبلةُ الضُّحى المَخمُورِ

* * *

هَبَطَ السّفحُ .. طاوياً من جناحيه
فَتَبَارَتِ عَصائِبُ الطّيرِ ما بينَ
لا تطيري، جوابة السّفحِ، فالنسرُ
نَسَلَ الوَهْنُ مَحْلَبِيهِ وَأدَمَّتْ
والوقارُ الذي يشيعُ عَلَيهِ

على كلِّ مَطْمَحٍ مَقْبُورِ
شُرودٍ من الأذى ونفُورِ
إذا ما خبرته لم تطيري
مِنْكَبِيهِ عواصِفُ المَقْدُورِ
فضلةُ الإرثِ من سحيقِ الدهورِ!!

* * *

وَقَفَ النُّسْرُ جَائِعاً يَتَلَوَّى
وَعَجَافُ البِغَاثِ تَدْفَعُهُ
فَسَرَّتْ فِيهِ رَعِشَةٌ مِنْ جُنُونِ
وَمَضَى سَاحِباً عَلَى الأفُقِ الأَغْبِرِ
وَإِذَا مَا أتَى الغِيَاهِبَ وَاجْتَاَزَ
جَلَجَلَتْ مِنْهُ رَعَقَةٌ نَشَّتِ الأفَاقُ
وَهُوَى جَثَّةٌ عَلَى الدَّرْوَةِ الشَّمَاءِ
أَيُّهَا النُّسْرُ هَلْ أَعُودُ كَمَا عَدْتُ..

فوق شلِّو على الرمالِ تثيرِ
بالمخَلْبِ العُضِّ والجَنَاحِ القَصِيرِ
الكبرِ واهتَزَّ هِزَّةَ المَقْرُورِ
أَنْقَاضَ هَيْكَلِ مَنْخُورِ
مدى الظنِّ من ضميرِ الأثيرِ
حَرَى مِنْ وَهَجِهَا المُسْتَطِيرِ
في حِضْنِ وَكْرِهِ المَهْجُورِ!
أم السَّفْحُ قَدْ أَمَاتَ شُعُورِي؟!

- الأستاذ حسين نجار: يقول شاعرنا الأديب الأستاذ القدير أحمد

بن الشريف محمد العربي قصيدة عن العيد أقرأ عليكم أبياتها:

أيها العيد كم تثير شجوني
فلكم خلف ثوبك الفاتن الخلا
أيها العيد كم تخطيت قوماً
لم تزدهم أيامك الغرُّ إلا
أبصروا المترفين فيك وللنع
كل رهط يفتن في المأكل المد
لا يبالي ما أنفقته يده
وإذا ما دعاه للبر داع

وتورى من وجدي المكنون
ب من لوعة وشجو كمين
هم من البؤس في شقاء قطين!
حسرة في تأوه وأنين!
مى عليهم رواء يسر ولين
ذوذ والملبس الأنيق الثمين
في الملاهي من طارف ومصون
فهو في المكرمات جد ضنين

أيها العيد رب طفل يعاني
هاجه تربه بملبسه الزا
فيك من بؤسه عذاب الهون
هي وكم فيه للصبأ من فتون

ليس يقوى على احتمال الشجون
مستغيثاً بعطف أم حنون
ها بدمع من مقلتيه هتون
وهي خلو الشمال صفر اليمين
من عيون مقرحات الجفون
زائل والحياة كالمنجنون
وصروف الزمان شتى الفنون
أض^(١) ذا شقوة وهم حزين
وحناناً بالبائس المحزون
عاً وبتم تشكون بشم البطون
في من الصحب قابعاً كالسجين
رى ومن حاله الكريه المهين!
رون فيه بالطالع الميمون!
بنصيب المرزاً المغبون!
ثراهم عن عهده المضمنون

حقيق برمزه الممكنون
ويؤاسي فؤاد كل حزين
يد مشاعاً وقرة للعيون

فرنا نحوه بطرف كليل
ثم ولى والحزن يفري حشاه
وجثا ضارعاً إليها يناجي
ويحها ما عسى تنال يداها
كل ما تستطيعه عبرات
أيها الناس إنما العيش ظل
فلكم قوض الزمان صروحاً
رب ذي نعمة وجاه عريض
أيها الموسرون رفقا وعطفاً
ربما بات جاركم طاوياً جو
ربما ظل طيلة العيد يستخ
يتواري من سوء منظره المز
أي فضل للعيد يستأثر المثل
والفقير الكثيب يرجع منه
كل دهر المثرين عيد فما أغنى

ليت شعري متى يكون لنا عيد
فيشيع الهناء في كل نفس
قد لعمرى أتى لنا أن نرى العد

(١) أض: رجع رجوعاً.

- الأستاذ عزيز ضياء: سألت الأستاذ أحمد العربي عن السنين التي مرت على كتابة هذا الشعر أو هذه القصيدة فقال إنها مما نشر في وحي الصحراء، وكتاب وحي الصحراء نشر منذ ما لا يقل عن أربعين عاماً.

- أحد الحاضرين: سبعة وأربعين عاماً.

- الأستاذ عزيز ضياء: ما لا يقل عن سبعة وأربعين عاماً ومعدرة لأكل السبع. وهنا يطيب لي أن ألاحظ أن الشعراء في ذلك الزمن السحيق البعيد كانت هذه أحاسيسهم وكانت هذه تطلعاتهم، كانت هذه مشاركاتهم لبؤس الزمن في ذلك الزمان، ولا أرى أن الصورة قد تغيرت كثيراً ولكنني أرى الشعراء في أيامنا أبعدوا كثيراً عما ينبغي أن يقال وأن يقال بصراحة وجهر كما سمعنا قصيدة الأستاذ السيد أحمد العربي.

- أحد الحاضرين: لحظة. أنا أجيب على تساؤل الأستاذ عزيز ضياء أقول إن الشعراء الذين كانوا يحسون بالبؤس تحولوا إلى المرفهين الذين أصابهم الشاعر بهجائه وشكراً.

- الأستاذ حسين نجار: هناك طلب أن نسمع شيئاً من الأستاذ بابا طاهر.

- الأستاذ بابا طاهر: «ما أنا حافظ حاجة يا شيخ». العيب أني لا أحفظ شعراً. الآن أعيش حالة مخاض في حطام قيثارة، دمعة سأسكبها على أستاذي الأستاذ الذي فارقنا هذه الأيام، الأستاذ عبد القدوس الأنصاري. أذكر مطلع القصيدة فقط:

سوف يبقى على الحياة مناراً مشرقاً يملأ الدُّنا أنوار
خط للمجد بالمحامد سفيراً كل سطر قد خلد الآثار

وهي كانت صور بدرب المجلين على ضوءها شافو^(١) المسارَ
بصرير اليراع يغزو سواد الليل يصطاد بالحجى الأفكارَ
وثمار الأفكار لا تمنح الجهد إلا إذا كان عاصفاً جباراً
فيه الجهد عاصفاً وله الر أي حصيفاً وخطوه لا يبارى

هذه مطلع قصيدة للأستاذ عبد القدوس وآسف لأنني لا أحفظ الباقي .

- الأستاذ حسين نجار: بالمناسبة الشيخ عبد القدوس الأنصاري
رحمه الله كان نجماً تألق في هذا المكان فأرجو أن نقرأ على روحه
الفاتحة .

- الأستاذ أحمد العربي: عليه رحمة الله .

- الشاعر الأستاذ أحمد العربي له قصيدة مما ورد ذكره في كتاب
وحي الصحراء وهي بعنوان «بين اليأس والأمل» يقول فيها:

أرحني ببرد اليأس إن كنتُ آسيا فإني وجدت اليأس أشقى لما بيا!
تعلقت بالآمال دهرًا لعلني أصيب بها ورداً من العيش خاليا!
وعللت نفسي بالأمني رجاء أن أفيء إلى ظل من المجد ضافيا
وأنكرت بأساء الحياة وضرها وأكبرت من يلقي الكوارث لاهيا
وأحسنت ظني بالليالي وعهدا وأحداثها تنهال شتى حياليا
صمدت إليها رابط الجأش باسمًا أشيم بها برقاً من السعد بادياً
وأرغمت لوامي وخالفت ناصحي وقلت علام المرء يلحي الليالي؟
وطاوعت أحلامي وتابعت طيفها إلى أن بدا فجر الحقيقة ضاحيا

(١) شافوا يعتبرونها عامية مع أنها لغة عربية فصيحة (بابا طاهر).

إذا أنا كالمخدوع بالآل^(١) ضلة
وبرق الأمانى خلب يخذع الفتى
تعاهدني حتى أطباني وميضها
وطوح بي حتى اصطدمت بصدمة
فعاهدت نفسي لا أراني مؤملاً
فما أروع المأساة إذ تفجأ الفتى
وما أتعس المرء الذي قد تذبذبت
فلا هو مثلوج الفؤاد منعم
ولا هو مرتاح إلى اليأس مخلد
له الله من ذي حيرة تصدع الحشا
فأخلق بذى الرأي السديد وذى الحجى
وأحر به ألا ينيط رجاءه
فليست أمانى المرء إلا غواية
فإن شئت أن تحيا حياة قريرة

تكاءده المسعى وما زال صاديا
وبشر الليالي فخ من ليس صاحيا
فأدلجت في لجج من الغي داجيا
من اليأس تجتاح الجبال الرواسيا
بدنياي خيراً حسب ما قد دهانيا
وغض الأمانى حين يرتد ذاويا
به كفتا يأس وأخرى أمانيا!
فيمرح في روض من السعد زاهيا!
إلى حالة يلقي بها الخطب ساجيا!
وتتركه نهب الجوى والمآسيا
بأن يحذر الآمال ثم اللياليا!
بغير مساعيه (إذا كان راجياً!)
وليس الرجاء الحق إلا المساعيا
فلا تغترر بعدي بدنياك ثانيا!

ثم تحدّث الأستاذ حسين نجّار إلى المحتفى به معبراً عن شعور
الحضور جميعاً قائلاً:

- الواقع أن رحلة الأديب الكبير الأستاذ أحمد العربي في طول الحياة
وعرضها فيها الكثير من التجارب لم نسمع منها إلا النزر اليسير، لذا نعود
مرة أخرى ونطلب منه أن يعطينا بعضاً من تفاصيل تلك الحياة وما فيها من
متاعب، وما فيها من جهاد، وما فيها من كفاح، فنرجو أن يتفضل.

ويستجيب السيد أحمد العرب لطلب المستمعين فيقول:

- والله رحلتي طويلة ذات أحوال مختلفة، لكن الذاكرة الآن ضعيفة، لا تسعفني باستحضار صورة كاملة لما مرّ بي، غير أنني على هامش التعلق بالحياة الأدبية وبالقومية العربية يسرني أن أقول: إنني كنت طالباً في مصر وكان تعلقنا بالحياة الأدبية وبالقومية العربية تعلقاً كبيراً، وقد ألفت نخبة من الشباب السعودي الذين كانوا يدرسون بمصر ندوة أسموها "الندوة الأدبية" يجتمعون بها ويقومون بالقاء القصائد في المناسبات، وأذكر من أفراد تلك النخبة السيد محمد شطا وأنا وفؤاد شاكر - عليه رحمة الله - والأستاذ هاشم دفتر دار، ومن تعلقنا بالقومية العربية فكرنا في حث كبار الشعراء لتغذية هذه الروح وتطويرها في النفوس، فكونا وفداً مئاً وقمنا بزيارة أحمد شوقي - عليه رحمة الله - في كرمته (كرمة ابن هاني) وقابلناه وعرضنا عليه مطلبنا وهو أننا نحب منه وهو شاعر العروبة الكبير أن يغذي روح الوحدة العربية، فكان لطيفاً جداً معنا حيث قابلنا أحسن مقابلة، وفي تلك الأيام كانت مسرحية "مجنون ليلي" تعرض على المسارح، فقال لنا: إن مسرحية "مجنون ليلي" إحدى القنوات التي تغذي الفكرة التي تدعون إليها، لكن في الوقت الحاضر لا أجد لدي استعداداً للقيام بشيء من هذا القبيل، كما قابلنا محسن الكاظمي شاعر العراق الكبير وعرضنا عليه الفكرة نفسها، فقال: سأحاول إن شاء الله في المستقبل أن أنظم بعض القصائد في الوحدة العربية والقومية العربية، ولكن للأسف لم نر شعراً في ذلك.

غير أن معالي الشيخ عبد الله بلخير يعلّق على ذلك بقوله:

- بل لقد فعل، فكان أحسن من غيره، وقد ألفت الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كتاباً عن "محسن الكاظمي" أثنى فيه عليه.

وسأل الأستاذ محمد حسين زيدان المحتفى به عن ذكرياته مع أستاذه علي الجارم فقال السيد أحمد العربي:

- والله لقد كان أستاذي، وهو الذي اخترني في سنة التخرج اختباراً شفهيّاً في الأدب العربي لكنني لا أذكر أن لي معه ذكريات خاصة، فضلاً عن أن الذاكرة ضعيفة لا تسعني بما يمكن أن أقوله.

ويطرح الأستاذ محمد سعيد طيب سؤالاً على المحتفى به قائلاً:

- فما هي ذكرياتك عن طه حسين عندما قدم إلى المملكة عضواً في وفد الجامعة العربية وعقدت معه عدة جلسات، وكنت أنت أحد الأعضاء المشاركين فيها؟

فأجاب السيد أحمد العربي بقوله:

- ليس لي علاقة خاصة به، وكنت أحضر مع زميلي الأستاذ محمد سعيد العامودي الجلسات مندوبين عن مجلس الشورى، وربما انصبت مشاركاتنا في الترتيبات التي أعدت للاحتفالات التي أقيمت لوفد الجامعة، لكنني لا أذكر أن لي صلة خاصة بالدكتور طه حسين.

- الأستاذ زيدان: هو كان أروع شيء في استقبال الدكتور طه حسين حفل التكريم، ثم زيارته للمدينة المنورة.

- الأستاذ طاهر زمخشري: الثمرات الأدبية في عهد أستاذنا الجليل في تحضير البعثات كانت منبع خير وهي كانت الثمرات، وقدمت لنا المسرح كما يجب، وأذكر بهذه المناسبة مسرحية قدمت في تحضير البعثات كان أبطالها - بالمناسبة - الأستاذ السفير الوزير علي الشاعر، الوزير زكي يماني، الأستاذ عبد الله حبابي، واستمرت المسرحيات تقدم - ويؤسفني أن أقول وبكل صراحة أن مدرسة تحضير البعثات ونشاطها

في المسامرات كل خميس الصورة لم تتكرر حتى الآن. وكان من الضمن أن فكر الشباب وعملوا سكرتير وكان سكرتير المسامرات معالي الشيخ إبراهيم العنقري، ومعالي الشيخ حسن مشاري. شباب ذلك الجيل طلبة تحضير البعثات قامت عندهم فكرة أن يكرموا الأدباء، وكان أول فكرة في تكريم أديب في المملكة العربية السعودية. في تلك الأثناء قدموني وقدموا الأستاذ أحمد سباعي، وقدموا الأستاذ محمد عمر توفيق واستمروا يواصلوا تقديم الأدباء كل أسبوع، على أساس إحضار سبورة ويكتبوا عليها اسم الأديب وأمامه علامة استفهام. ويكتبوا تحت الاسم من هو. أحلى الذكريات وأمتعها وما زلت أرويهها وباستمرار أني جئت يوم تكريمي في مناسبة إصدار ديواني «أحلام الربيع» وجدت السبورة وقد كتبوا عليها الأستاذ الشاعر طاهر زمخشري. من هو؟ فألقى معالي الأستاذ حسن مشاري محاضرة عني بدأها بداية ما زلت أعزبها وأذكرها وأرويهها كطرفة: «طاهر الزمخشري كومة من الفحم سوداء تلبس ثياباً بيضاء، تقول شعراً قصائده حمراء وخضراء وصفراء، يعيش على جراويل البلدية وتحت الفانوس». لأنني كنت أيامها مشغول بكتابات نقداً اجتماعية فكان لي جولة في النقداً الاجتماعية وتدور حول البلديات والمياه وما إلى ذلك فأثروا أن يقدموني هذا التقديم.

وكان التقديم لطيفاً جداً بدأ عن دراسة مستفيضة لديواني باكورة إنتاجي «أحلام الربيع» قبلها قدموا الأستاذ أحمد سباعي، وبعدي قدموا الأستاذ محمد توفيق، واستمروا يواصلون التقديم. لكن أروع ما قدم في تلك الأيام المسرحية التي كان أبطالها زكي يماني، على الشاعر، عبد الله حبابي وحسن نصيف ومجموعة. كانت المسرحية عن فلسطين ومن أروع

ما قدم حتى الآن. ولذلك أحب أن أسجل أن مدرسة تحضير البعثات خدمت الفكر أكثر من أي مدرسة حتى الآن بعد الفلاح طبعاً لأن الفلاح كانت القدوة وكانت هي التي في الساحة وجاءت تحضير البعثات فكانت الصفحة والصورة الجميلة المشرقة التي عشنا نتهافت ونتسابق ليوم الخميس لجبل هندي علشان نحضر المسامرات الأدبية في تحضير البعثات ولم يكن يتخلف عنها أي أديب.

ثم بعد ذلك شارك السيد أحمد العربي مشاركات عديدة جداً. في البداية جاءتنا بعثة الكشافة العراقية. وقد أقيمت لهم حفلات تكريمية. وكان نجم الحفلات هذه شاعر الشباب عبد الله بلخير لكن أصدروا كتيب بمجموعة القصائد والأناشيد التي قيلت في تلك المناسبة وكان المتبني لهذا المشروع وهذا النشاط كله السيد أحمد العربي.

كذلك بدأ السيد أحمد العربي نشاطاً كبيراً جداً في جمعية الإسعاف. وكان الأستاذ عزيز ضياء والأستاذ أحمد العربي والله يرحمه عبد السلام الساسي ومجموعة من الأخوان: كان من أبرزهم في تنشيط حركة جمعية الإسعاف الخيرية التي هي الآن الهلال الأحمر على ما أعتقد، السيد أحمد العربي وجماعته الأستاذ عزيز ضياء ومحمد سعيد عبد المقصود الله يرحمه. كانوا يجندوننا نحن كل واحد منا نحن الشباب يحمل صندوقاً ويدور في البلد علشان نلم قروش للإسعاف الأستاذ العربي على الرغم من أنه كان مدير تحضير البعثات لكن نشاطاته في الحركة الفكرية، كان أنشط رجل لأنه كان يمتاز بحاجة مهمة جداً وهي تبني الشباب.

كان الشباب أصدروا كتيب أعتمد اسمه «النفثات» ذكريات يا جماعة سامحوني. هذه النفثات للشباب. ضمنهم السيد علي فدعق، السيد هاشم

زواوي وعبد الله عريف الله يرحمه ومجموعة آخرين. أيضاً كان وراء
نفثات الشباب السيد أحمد العربي.

هذه لفظة حبيت إني أقولها بصراحة عن السيد أحمد العربي ولا يمكن
أن يُحصر القول عن السيد أحمد العربي لأننا إذا أردنا حصر القول عن
السيد أحمد العربي أبدأ كلامي بحيث انتهى الأستاذ زيدان. قال أين
الوفاء.

ماذا يعني أين الوفاء؟ كل الشباب الجامعي الذين في الصف الأول
الآن كوزراء وكروّساء أعمال كلهم من خريجي تحضير البعثات، يعني
كلهم كانوا نباتاً صالحاً زرعه السيد أحمد العربي ومعاونه الأستاذ عبد الله
عبد الجبار اللذان لعبا في صمت دوراً خطيراً جداً في تنشئة نشأة كبيرة
صالحة الآن هي تقود حركة التنمية في المملكة العربية السعودية والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.

- الأستاذ محمد حسين زيدان: ريال في الشهر.. هيا حذروا تسعة
عشر ريالاً. كان مقرر الموازنة جملة سنوية ولكن علشان نقبل - وأنا
صاحب هذا القرار لأنني كنت سكرتير المجلس المالي - التلامذة من كل
مدينة في المملكة جعلتها على أساس الصرف للتلميذ الملتحق بتحضير
البعثات تسعة عشر ريالاً. وكان وراء هذا القرار وتأيينه - رغم مخالفة
بعضهم - محمد سرور الصبان يرحمه الله. تسعة عشر ريالاً تعلم بها
حسن نصيف وحسن مشاري وغيرهما والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- الأستاذ العمير: عندي سؤال أقدمه إلى أستاذنا العربي وأستاذنا
عبد الله بلخير. لقد لاحظت في قراءاتي المتواضعة حساً قومياً هائلاً
متقدماً عند أمثال أساتذتنا من الرعيل الأول، ثم استمعت إلى أستاذنا

بلخير في حفل تكريمه من مقتطفاته التي قالها لاحظت هذا الحس القومي ثم سمعت الآن أستاذنا العربي فزادت دهشتي وليست ملاحظتي فقط . كان الحس القومي في تلك الأيام أكثر منا الآن بينما المفروض الآن ترسخ الحس القومي أكثر من ذي قبل . أريد أن أسأل أستاذنا العربي وأستاذنا أبا الخيل عن خلفيات هذا الدافع أو التحسس القومي إلى الحد الذي وصل بأستاذنا العربي إلى أن يذهب إلى أحمد شوقي وإلى الكاظمي يدعوها للدعوة للقومية العربية . أود أن أسمع حديث أستاذنا العربي ثم أستاذنا بلخير حول هذا الموضوع بالذات ، ولماذا ضعف الحس القومي في جيلنا وما بعد جيلنا الحالي . . وشكراً .

- الأستاذ أحمد العربي: الذي يظهر أن شواغل الحياة في هذا الجيل ، الآن ، سلبت الكثير . الإحساس الأول كان هذا طبعاً ، كان فيه روح عربية وكان فيه ثورة عربية كانت في عنفوانها أيامها ليس مثل الآن ، كانت هناك ثورة عربية في سوريا ، وفي مصر وفي لبنان وفي البلاد العربية وأيضاً نفس الثورة العربية لما بدأت هنا كذلك الحركة التي حصلت في الحجاز وإن كانت ضئيلة ، إلا أن هذه كلها كانت مغذية للروح القومية وروح العروبة فينا جميعاً ، ولم يكن لنا شواغل أخرى كما هو في الجيل الحاضر ، نفس الثورة كانت متجهة كلها نحو العروبة في الماضي ، أما في الوقت الحاضر وجدت الأحزاب المتعددة ووجدت الاتجاهات المتعددة فانصرف الناس إلى نواحي متعددة ولكن في جيلنا نحن كان رائدنا السير على نهج الثورة العربية والقومية العربية والوحدة العربية . كانت أكثر مجالسنا وأكثر ندواتنا حول هذا الموضوع الذي كان شغلنا الشاغل وكانت تلك القضية لا تزال في عنفوانها ، ولكن الجيل

الحاضر انشغل بأمر متعددة مثل وسائل الترفيه كما لم تبق الروح العربية كما كانت متضامنة متجهة إلى اتجاه واحد فتشتت لتشتت بعض الزعماء والأحزاب والأفكار. هذه أسباب ضعف الروح العربية في الوقت الحاضر. هذا ما أراه.

الإمام الشافعي

الإمام الشافعي الفيء . . الأديب

أحمد العربي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رمضان ١٣٩٨هـ - أغسطس ١٩٧٨م

الطبعة الثانية

محرم ١٤٠٤هـ - أكتوبر ١٩٨٣م

الطبعة الثالثة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

بقلم: عبد العزيز الرفاعي

أشعر بضالة حقاً.. وأنا أكتب هذه الكلمة.. أكتبها تمهيداً بين يدي هذا الكتاب.. لا تعريفاً.. أكتبها لكي أذكر قصتي معه، ومع مؤلفه العلامة الجليل..

أشعر بتلك الضالة.. كما شعرت بها كثيراً في صدر صباي، حينما كنت أقعد مقاعد الدرس أمام أستاذي الكبير السيد أحمد العربي.. ذلك تاريخ من التاريخ..

فقد كنت قبل أن ينعقد العقد السادس الهجري من هذا القرن، طالباً من طلبة المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.. وكان مدير هذا المعهد هو الأستاذ الجليل السيد أحمد العربي..

كان أستاذي الجليل - ولا يزال - يتميز بشخصية فذة.. لا أدري كيف أصفها؟

هل أقول: إنها شخصية نقّادة؟ ربما كان هذا الوصف، من وجهة نظري، اصدق الأوصاف لهذه الشخصية..

وبرغم أن أستاذنا السيد أحمد العربي، لا يتصف من حيث المظهر بطول فارط . . ولا بعرض سميك . . بل على العكس تماماً، فإنه ناكل الجسم نحولاً لافتاً للنظر . . إلا أنه يسيطر بشخصيته النفاذة على طلبته . . بل على طلبة مدرستين كبيرتين هما أكبر مدارس المملكة العربية السعودية آنذاك . . في حقل الدراسة الرسمية، وهما المعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات . . فقد كان مديرهما معاً . . حيث أطلق عليه لقب (مدير المعهدين) . . وكان من بين طلبته من يكاد يقاربه في السن . .

ولم يبهنا السيد أحمد العربي بشخصيته الحازمة النظامية الدقيقة . . فحسب . . أو بحسن تصرفه، وبعد نظره، وعمق إدراكه للأمور . . فقط . . بل لقد كان هناك شيء هام آخر، هو علمه الواسع، وأدبه الجم، واطلاعه الكبير . .

كان يبدو لنا - نحن طلبته - شخصية متكاملة . . فهو مهيب حازم، بارع الحديث، حسن الصوت، متناسق الملامح، بعيد النظر، وهو مع ذلك أديب، عالم، شاعر . .

إنه بكل ذلك يعد قدوة مثلى . .

ولقد كان لنا نِعَمُ القدوة حقاً . .

ترجع فصاحته، وحسن التزامه للغة العربية، ودقة معلوماته في التراث العربي . . إلى (درعميته) . . فهو خريج (دار العلوم) بمصر، فقد كان من أولى بعثات المملكة العربية السعودية إلى القاهرة .

إذن . . فقد كنا نعجب بأستاذنا أيما إعجاب . .

وكان مما يضاعف هذا الإعجاب، في أوساط الطلبة المعنيين بالأدب

والشعر.. أن أستاذنا شاعر أديب.. يسهم في المناسبات بشعره وأدبه..
ولمن شاء أن يرجع إلى (وحي الصحراء) ليرى بعض آثاره.. أو إلى
الصحف التي كانت تصدر في أواخر العقد الخامس وما بعده من هذا
القرن الهجري ليقف على مساهماته الأدبية والشعرية..

وعدا كل ذلك.. فقد كان مع حزمه، يشعرنا بأبوته.. وبأننا نجد في
صدره الرحب، قلباً كبيراً يتفهم - بعمق - مشاكلنا.. فهو يقوم المعوج
برفق وتؤدة وحكمة.. ويشجع الأسوياء على السير قدماً في الطريق
المستقيم.. أما النوايغ والنابهون، فهو كثير الحذب عليهم، شديد العناية
بهم.. لا يدخر وسعاً في حفزهم إلى الأمام.. ولعلّ الأدباء من الطلبة،
والشعراء منهم كانوا يلقون منه رعاية خاصة، قد لا تدانيها رعاية أخرى..
ولا غرو فهو أديب شاعر.. شديد الولع بتعويد الألسنة والأقلام على اللغة
العربية ناصعة سليمة.. حتى إنه ليكاد يلتزم اللغة الفصحى في حديثه
كله.. على شتى المستويات..

ولقد كنت منذ عانيت بإصدار هذه السلسلة من كتيبات (المكتبة
الصغيرة)، أتطلع بشوق كبير إلى أن أحمل أستاذنا الجليل على أن يسهم
فيها، طامعاً بالدرجة الأولى في شعره، فإن لأستاذنا الجليل شعراً يتسم
بالنصاعة، والسلاسة، وصدق العاطفة، منه، على سبيل المثال قصيدته في
العيد، التي عنوانها (أيها العيد) وقد فضلت أن أوردتها كاملة، لما اشتملت
عليه من معان نبيلة:

أَيُّهَا الْعِيدُ كَمْ تَشِيرُ شَجُونِي وَتَوْرِي مِنْ وَجْدِي الْمَكْنُونِ
فَلَكُمْ خَلْفَ ثَوْبِكَ الْفَاتِنِ الْخَلَا بِ مِنْ لَوْعَةٍ وَشَجْوِ كَمِينِ

أيها العيدُ كم تخطيتَ قوماً
لم تزدهم أيامك الغرُّ إلا
أبصروا المترفينَ فيك وللنعمى
كلُّ رهطٍ يفتنُ في المأكَلِ
لا يبالي ما أنفقتَه يداه
وإذا ما دعاه للبرِّ داعٍ
هم من البؤسِ في شقاءِ قطينِ
حسرةً في تأوهِ وأنينِ
عليهم رواءٌ يسرٍ ولينِ
الملذوذِ والملبسِ الأنيقِ الثمينِ
في الملاهي من طارفٍ ومصونِ
فهو في المكرماتِ جدُّ ضنينِ

* * *

أيها العيدُ ربُّ طفلٍ يعاني
هاجَه تَرْبُهُ بملبسه الزا
فَرْنَا نحوَه بطرفٍ كليلٍ
ثم ولى والحزنُ يفري حشاهُ
وجثا ضارعاً إليها يناجيها
ويحها ما عسى تنالُ يداها
كل ما تستطيعه عبراتٍ
أيها الناسُ إنما العيشُ ظلُّ
فلكم فَوْضُ الزمانِ صروحاً
ربُّ ذي نعمةٍ وجاهٍ عريضِ
فيك من بؤسه عذابَ الهونِ
هي، وكم فيه للصبأ^(١) من فتونِ؟
ليس يقوى على احتمالِ الشجونِ
مستغيثاً بعطفِ أمِّ حنونِ
بدمعٍ من مقلتيه هتونِ
وهي خلُوُ الشمالِ صفرَ اليمينِ
من عيونِ مقرحاتِ الجفونِ
زائلٌ والحياةُ كالمنجنونِ^(٢)
وصروفُ الزمانِ شتى الفنونِ
صار^(٣) ذا شقوةٍ وهمٌّ مبينِ

* * *

أيها الموسرونَ رفقاُ وعطفاً
وحناناً بالبائسِ المحزونِ

(١) من وحي الصحراء ص ١١٤ وردت (للغبا).

(٢) من وحي الصحراء ص ١١٤ وردت (أض) بمعنى رجع .

(٣) المنجنون: العجلة الدولاب الدائر.

ربما باتَ جَارُكُمْ طَاوِيأً جَوْعاً
ربما ظلَّ طَيْلَةَ الْعَيْدِ يَسْتَخْفِي
يتوَارَى مِنْ سَوْءِ مَنْظَرِهِ الْمَز
أَيُّ فَضْلِ لِلْعَيْدِ يَسْتَأْثِرُ الْمَثْرُونَ
وَالْفَقِيرُ الْكَثِيبُ يَرْجِعُ مِنْهُ
وَبِئْسَ تَشْكُونُ بِشَمِّ الْبَطُونِ
مَنْ الصَّحْبِ قَابِعاً كَالسَّجِينِ
رِي وَمَنْ حَالَهُ الْكْرِيهِ الْمَهِينِ
فِيهِ بِالْمَظْهَرِ^(١) الْمَضْنُونِ؟!
بِنَصِيبِ الْمَرَزِّ الْمَغْبُونِ

* * *

لَيْتَ شَعْرِي مَتَى يَكُونُ لَنَا عَيْدٌ^(٢)
فِي شَيْخِ السَّرُورِ^(٣) فِي كُلِّ بَيْتٍ
قَدْ لَعْمَرِي أَنْي لَنَا أَنْ نَرَى
بَشِيرٌ بِالطَّالِعِ الْمِيمُونِ؟
وَيُوَاسِي فَوْادَ كُلِّ حَزِينِ
الْعَيْدَ مَشَاعاً وَقِرَّةً لِلْعَيُونِ

ومن روائعه قصيدة حيا فيها الطلبة السعوديين الأوائل الذين تخرجوا
في إيطاليا في الطيران، وهي بعنوان (ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة
وبالنشور.. .) وفيها يقول:

بِالْجِدِّ يَكْتَسِبُ الْعَلَا
لَوْ أَنَّ بِنَا أَلْمَالَ وَالْأ
لَمْ يُلَفِّ فِي الْجُلَى لَنَا
فَلَقَدْ مَلَأْنَا الْوَهْمَ آ
وَلَقَدْ مَلَأْنَا الصَّحْفَ أَقْو
وَلَقَدْ وَقَفْنَا وَالزَّمَانَ
لَا بِالْأَمَانِي وَالْغُرُورِ
قَوْلًا تَنْقَادُ الْأُمُورِ
نَدًّا، وَلَمْ يَذْكَرْ نَظِيرِ
مَالًا تَضْيِقُ بِهَا الصُّدُورِ
الْأ تَضْيِقُ بِهَا السُّطُورِ
وَكُلُّ مَا فِيهِ يَسِيرِ

(١) من وحي الصحراء ص ١١٥ (بالطالع الميمون).

(٢) من وحي الصحراء ص ١١٥ وردت (حقيق برمزه المكنون).

(٣) من وحي الصحراء ص ١١٥ وردت (الهناء).

ولقد هجعنا والحياء وكلم ما فيها يمور
ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة وبالنشور

* * *

عجباً أنحن سلائل الأعراب معجزة العصور
عجباً أنحن بنو أساتذة الحضارات الصدور
أنكون أول مبدعي الطيران آخر من يطير؟
أسفأ وقد يجدي التأسف حين يحث الشعور
ولعل في هذا الشعور روارق العهد المنير؟

ولكن محاولاتي في أن ينشر أستاذنا شيئاً من أشعاره في هذه السلسلة . . لم تجد . .

ولكنني لم أياس . . حاولت من جديد أن أحصل على شيء من بحوث أستاذنا، وهي فيما أعتقد غير قليلة، بينها المحاضرات التي كان يلقيها عبر حياته في التدريس، حتى تفضل فأظفرتني بهذا البحث عن الإمام الشافعي . .

ولا أكنم أستاذنا الجليل، ولا أكنم القراء، أنني سررت إذ ظفرت بهذا البحث عن الإمام الشافعي بالذات . . ذلك لأن من الأماني التي أتطلع إليها أن تتناول هذه السلسلة (المكتبة الصغيرة) تقديم دراسات ميسرة عن الأئمة الأربعة لتعريف قرائها بهم . . حقاً أن الكتب المؤلفة عنهم كثيرة . . وحقاً أن الطلبة في مدارسهم وفي كتبهم المدرسية، يقرؤون سيرهم . . ولكنني أحرص في هذه السلسلة، على تقديم هذه السيرة في منهج جديد . . وسط

بين الإيجاز والإسهاب، وأن تلقى الأضواء على جوانب جديدة من حياتهم.. أو ما يعبر عنه بالجانب الآخر..

ولقد وفق أستاذنا الجليل السيد أحمد العربي.. كل التوفيق في تحقيق هذا الغرض.. فقد أوجز سيرة الشافعي العظيم.. وأبرز جوانب القدوة في حياته.. ثم تناول الجانب الأدبي.. أعني شاعرية الشافعي، وحسه الأدبي.. ولغته الرفيعة.. وهو الجانب الذي قلما يتناوله كاتبوا سيرته.. ولذلك يعتبر هذا الكتيب ملخصاً جيداً لسيرة الشافعي الفقيه، والشافعي الأديب..

أما أسلوب أستاذنا السيد أحمد العربي، فلا أمتدحه وهو ماثل أمام القراء بكل نصاعته، وحسن تأتية.. وبيانه السهل الممتنع.. وإنني لأسأل الله مثل هذا التوفيق، لتقديم سيرة حياة الأئمة الثلاثة الباقيين بحيث تناول أيضاً الجوانب المتعددة لحيواتهم.. والله الموفق، وهو من وراء القصد.

الطائف ٢٤ رمضان ١٣٩٧هـ

عبد العزيز الرفاعي

سيرته وعلمه

بسم الله نستعينه ونستهديه ونصلي ونسلم على خاتم النبيين وقدوة الهداة المصلحين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والسائرين على سنته ونهجه .

الإمام الشافعي :

علم من أعظم أعلام الإسلام ومنار من أعلى منارات الهدى والرشاد، وعبقري من ألمع عباقرة العلم والمعرفة، ومثل رائع للشباب الكادح الطموح، بلغ من العلم أبعد غاياته، وحاز من الشرف والمجد أسمى درجاته. ذلك هو الفتى المطلبي القرشي محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب، ينسب إلى جده شافع وينتهي نسبه إلى عبد مناف بن قصي، حيث يجتمع بالنبي ﷺ في جده عبد مناف. وقد لقي جده شافع النبي ﷺ ونال شرف صحبته، وكذلك جده السائب، ومما يدل على سمو منزلة هذه الأسرة في قريش أن جده السائب كان صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأسر وفدى نفسه ثم أسلم، ف قيل له: لِمَ لم تسلم قبل أن تفدي نفسك؟ فقال ما كنت لأحرم المؤمنين من مطعم لهم فيّ. ويروى أن السائب اشتكى من مرض ألمّ به - فقال عمر رضي الله عنه: اذهبوا بنا نعود السائب فإنه من مصاصة قريش. كما يؤكد هذه المنزلة في صدر

الإسلام، أن عبد الله بن السائب أخا شافع كان والياً على مكة. وأم الشافعي يمنية من الأزدي. وقد دلت تربيتها وحسن توجيهها للشافعي على ما كانت تتمتع به من حصافة ونباهة وقدرة على الاضطلاع بمهام الأمومة على أفضل وجه، وحسبنا القصة الطريفة الآتية، دليلاً على ما كانت تمتاز به هذه المرأة الجليلة من قوة الشخصية وحسن الإدراك وبراعة المنطق:

يروى أن أم الشافعي شهدت عند قاضي مكة هي وامرأة أخرى، فأراد القاضي أن يفرق بين المرأتين فقالت له أم الشافعي: ليس لك ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: "أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى"، فرجع القاضي لها عن رأيه.

مولد الشافعي ونشأته:

كانت مكة موطن أسرة الشافعي، إلا أن والده إدريس هاجر إلى فلسطين ومعه زوجته أم الشافعي لحاجة ألجأته إلى ذلك. وفي غزة إحدى مدن فلسطين الشهيرة ولد الشافعي رضي الله عنه سنة ١٥٠ من الهجرة. وبعد ولادته بقليل توفي والده وقامت أمه بحضنته خير قيام. ولما بلغ من العمر سنتين حملته أمه إلى مكة لينشأ بين قومه وعشيرته، وفي أم القرى تلقى تعليمه الأولي مبتدئاً بحفظ القرآن الكريم، وقد لقي في المراحل الأولى من تعليمه من العناء والجهد ما كان أبلغ محك لعلو همته ومضاء عزمته، كما كان أقوى حافز لتتضح مواهبه، مما جعل من الفتى المكّي خير أسوة لطلاب العلم والمعرفة وأروع مثل للشبان الطامحين إلى المجد والرفعة. وفي ما يلي صور موجزة لبعض ما عاناه الشافعي في طلب العلم وما بذله في هذا السبيل من جهود وما كان يتحلّى به من ألمعية وهمة قعساء:

روي أنه لما أسلموه إلى المعلم ما كانوا يجدون الأجرة التي يتقاضاها المعلم من أمثاله، فكان يقصّر في تعليمه، وكان الشافعي يتلقف ما يعلمه المعلم للصبيان، ثم إذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعي يعلم الصبيان ما تلقفه، فنظر المعلم فرأى الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي كان يطمع فيها، فترك طلب الأجرة منه، واستمر الشافعي على هذه الحال إلى أن حفظ القرآن الكريم. ويروى عن الشافعي أنه قال: لما ختمت القرآن دخلت المسجد - يعني المسجد الحرام - فكنت أجالس العلماء، وأحفظ الحديث، والمسألة وكان منزلنا بشعب الخيف، وكنت فقيراً لا أملك ما أشتري به القراطيس، فكنت آخذ العظم وأكتب فيه. وروى صاحب معجم الأدباء عن الشافعي في هذا الصدد ما خلاصته: لما خرجت من الكُتّابِ كنت أتلقط الخزف (الفخار) والدفوف (الجلود) وكرب النخل وأكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث، ثم يقول: وكان لأمي حباب (جرار) فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً. . مملوءة حديثاً، ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية، أتعلم كلامها، وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب. . والأخبار، وأيام العرب. فمر بي رجل من الزبيرين من بني عمر فقال لي: يا أبا عبد الله: عزّ عليّ ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء، فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك. يقول الشافعي: فقلت: فمن تقصد؟ - يعني ممن يؤخذ عنهم الفقه - فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ. قال الشافعي: فوقع في قلبي (أي إنه أستحسن هذا الرأي)، فعمدت إلى الموطأ - موطأ الإمام مالك، أحد أمهات كتب السنة المعتبرة - فاستعرت من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً - عن ظهر قلب - وبعد ذلك أخذ الشافعي

يستعد لرحلته إلى الإمام مالك، وذلك ما سنذكره بعد أن نورد جملة نلم فيها بثقافة الإمام الشافعي، المتعددة النواحي والمصادر، قبل توجهه بكليته إلى الفقه.

لقد مر بنا آنفاً أخذه الفصحى عن هذيل، وقد بلغ فيها الذروة، كما شهد له بذلك أئمة اللغة وجهابذتها.

قال صاحب وفيات الأعيان: كان الشافعي كثير المناقب، جم المفاخر، منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر - حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين - ما لم يجتمع في غيره. ونقل ابن عبد البر عن الزعفراني أنه قال: ما رأيت أحداً قط أفصح ولا أعلم من الشافعي كان أعلم الناس وأفصح الناس، وكان يقرأ من كل الشعر فيعرفه، ما كان إلا بحراً. وعن ابن هشام أنه قال: كان الشافعي حجة في اللغة.

ولقد ذكر المرحوم العلامة الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) نبذة نفيسة عن ثقافة الشافعي الواسعة الآفاق، المتعددة الفنون والمعارف، أنقلها بشيء من الإيجاز فيما يلي:

«وقد تفقه الشافعي أول ما تفقه على أهل الحديث من علماء مكة كمسلم بن خالد الزنجي وسفيان بن عيينة: ثم ذهب إلى إمام أهل الحديث مالك بن أنس في المدينة فلزمه ولقي من عطفه وفضله ما جعله يحبه ويجله. على أن نشأة الشافعي لم تكن من كل وجه نشأة أهل الحديث ولا استعداده استعدادهم. لقد توجه في أول أمره إلى درس اللغة والشعر

والأدب وأخبار الناس ولم يقطع صلته بهذه العلوم حين وصل حبله بأهل الحديث الذين كانوا لا يرونها من العلم النافع».

ثم يقول بعد ذكره لبعض الشواهد على ذلك :

«وكان الشافعي بطبعه نهماً في العلم شديد الرغبة فيه، يلتمس كل ما يجده من فنونه. وقد ذكر من ترجموا له أنه اشتغل بالفراسة حين ذهب إلى اليمن وعالج التنجيم والطب، وربما كان درسهما في إحدى رحلاته إلى العراق، حيث كان التنجيم يعتبر فرعاً من فروع العلوم الرياضية، وكان الطب فرعاً من العلم الطبيعي.. ثم يقول:

وكان الشافعي مغرمًا بالرمي والفروسية، ولم يكن في كهولته يأنف من الوقوف عند مهرة الرماة، يدعو لهم ويمدهم بالمال... ثم نقل عن شمس الدين الصفدي في صفة الشافعي قوله: «وكان مقتصرًا في لباسه، يتختم في يساره، وكان ذا معرفة تامة في الطب والرمي، وكان أشجع الناس وأفرسهم، يأخذ باذنه واذن الفرس وهو يعدو».

وذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق أيضاً في ترجمة الإمام الشافعي: «أنه كان متأثراً في خلقه وخلقه بالرياضة البدنية التي شغف بها منذ الصغر، فكان جسمه جسم الرياضيين وخلقته خلق الرياضيين». وقد روي عن الإمام الشافعي أنه كان يحدث عن طفولته فيقول: «وكانت نهمتي في شيئين: في الرمي، وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة. وفي رواية من عشرة تسعة. وسكت عن العلم فقال بعض من كان يستمع إليه: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي».

ومما يشهد لهذه النزعة والهواية الرياضية لدى الشافعي ما ذكره ابن عبد البر عن المزني من قوله: «خرجت مع الشافعي يوماً إلى الأكوام فمر

بههدف فإذا برجل يرمي بقوس عربية، فوقف عليه الشافعي ينظر، وكان حسن الرمي، فأصاب بأسهم. فقال له الشافعي: أحسنت بارك الله فيك. ثم قال لي: أمعك شيء؟ قلت معي ثلاثة دنانير، قال: أعطه إياها واعتذر عني أنني لم يحضرني غيرها».

رحلته إلى المدينة:

قدمنا آنفاً نصيحة الرجل الزبيرى للشافعي بأن يتوجه إلى الفقه بعد أن بلغ في اللغة العربية والفصاحة تلك المنزلة الرفيعة مع ما وهبه الله إياه من ذكاء والمعية. وفيما يلي نذكر ما أجاب به الشافعي الرجل الزبيرى، وما أتخذه بعد ذلك من خطوات في هذه السبل نقلاً من معجم الأدباء بشيء من التصرف:

تقدم لنا أن الشافعي استعار كتاب الموطأ، وحفظه عن ظهر قلب، وفيما يلي يروي لنا الشافعي الخطوات التي اتخذها في سبيل لقاء مالك والأخذ عنه قال: ثم دخلت إلى والى مكة وأخذت كتابه إلى والى المدينة، وإلى مالك بن أنس، قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالى، فلما أن قرأ قال: يا فتى: إن المشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه. فقلت: أصلح الله الأمير: إن رأي الأمير يوجه إليه ليحضر. فقال: هيهات، ليت أنى إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا. قال: فواعدته العصر وركبنا جميعاً... فتقدم رجل فقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء. فقال لها الأمير: قولى لمولاك إنى بالباب. قال: فدخلت فابطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاى يقرؤك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها فى رقعة يخرج إليك

الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس، فانصرف. فقال لها: قولني له: إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة. قال فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعتة ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار. . فرفع إليه الوالي الكتاب. فلما بلغ إلى هذه الجملة: «إن هذا رجل من أمره وحاله كذا وكذا». - يعني الشافعي ورغبته في التلقي عنه - فتحدثه وتفعل وتصنع. رمى الكتاب من يده ثم قال: سبحان الله؟ أو صار علم رسول الله ﷺ، يؤخذ بالوسائل؟ قال الشافعي: فرأيت الوالي وقد تهب أن يكلمه، فتقدمت إليه وقلت: - أصلحك الله - إني رجل مطربي ومن حالي وقصتي. . . فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة، وكانت لمالك فراسة: فقال: ما اسمك؟ قلت محمد. . فقال لي: يا محمد اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن. ثم قال: نعم وكرامة إذا كان غد تجيء وبجيء من يقرأ لك. قال: فقلت أنا أقوم بالقراءة. قال فغدوت إليه وبدأت أقرأه ظاهراً - غيباً - والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع، أعجبه حسن قراءتي وإعرابي - أي إفصاحي وعدم لحنني - فيقول: يا فتى زد. حتى قرأته في أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة، حتى توفي مالك بن أنس ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن.

ذكرت هذه القصة على ما فيها من بعض الطول لما فيها من صور رائعة لهذا الفتى المطربي الطموح تمثل علو همته وصبره وجراته وألمعيته، كما تصور لنا ما اتّصف به إمام دار الهجرة مالك بن أنس من جلال ووقار وتكريم للعلم وإعزاز لسنة رسول الله ﷺ.

ولقد صدق من قال فيه من أهل المدينة:

يأبى الجوابَ فما يُراجعُ هيبَةً والسائلون نواكسُ الأذقانِ
أدبُ الوقارِ وعزُّ سلطانِ التقى فهو المطاعُ وليس ذا سلطانِ

ورحم الله الجرجاني إذ يقول :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عَظَّموه في النفوسِ تَعَظَّمَا

رحلته إلى اليمن :

قال الشافعي : «لما مات مالك . كنت فقيراً ، فاتفق أن والي اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين أن أصبحه ، فذهبت معه واستعملني في أعمال كثيرة ، وُحِدْتُ فيها والناس أثنوا علي» .

وقد أخذ الشافعي عن جماعة من أهل اليمن . . ويقولون : إن الشافعي ، جمع كتب الفراسة من اليمن واشتغل بها حتى مهر فيها .

وارتفع شأن الشافعي باليمن . . ثم إن الحساد سعوا به إلى هارون الرشيد ، وكان باليمن واحد من قواده ، فكتب إليه يخوفه من العلويين . وذكر في كتابه ، أن معهم رجلاً يقال له محمد بن إدريس الشافعي ، يعمل بلسانه ما لا يقدر المقاتل عليه بسيفه ، فإن أردت أن يبقى الحجاز عليك فاحملهم إليك .

وحمل الشافعي من الحجاز مع قوم من العلوية تسعة وهو العاشر إلى بغداد ، ثم لما أدخلوا على الرشيد سألهم وأمر بضرب أعناقهم فضربت أعناق التسعة ثم لما قدم الشافعي قال : يا أمير المؤمنين لست بطالبي ولا علوي ، وإنما أُدخِلْتُ في القوم بغياً علي . وإنما أنا رجل من بني عبد المطلب بن عبد المناف ، ولي مع ذلك حظ من العلم والفقهِ . . وقد استطاع الشافعي بلباقته وفصاحته أن يقنع الرشيد ببراءته ، فأطلقه الرشيد وأكرمه .

الشافعي بين مكة وبغداد:

تقدم لنا أن الشافعي أخذ عن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة في إحدى رحلاته إلى بغداد، وفي أثناء إقامته في بغداد كان يناظر العراقيين في فقههم، ويعتبر نفسه تلميذاً لمالك. إلا أنه لما اطلع في العراق على آراء غير آراء استاذه مالك، وعلى منهاج في الفقه غير منهاج مالك - أخذ يدرس ويوازن بين هذه الآراء والمناهج المختلفة. وعندما عاد إلى أم القرى، عكف على هذه الموازنة بجوار بيت الله الحرام، إلى أن خرج على الناس بمذهب مستقل به، مغاير لمذهب مالك، ومذهب أبي حنيفة، كما خرج على الناس بقواعد الاستنباط وهو ما عرف بعد بعلم أصول الفقه الذي يعزى إليه استنباطه، ولقد أحسن الأستاذ محمد أبو زهرة في وصفه لهذه المرحلة من حياة الشافعي العلمية في كتابه «تاريخ المذاهب الإسلامية» وفيما يلي نقل بشيء من الإيجاز ما ذكره في هذا السياق.

قال: «مكث الشافعي في مكة يدرّس ويفحص ويلقي على تلاميذه علماً لم يألفوه من قبل، وهو لا يخرج عن الدراسة الفقهية، في ظل القرآن والسنة النبوية. وفي هذه الأثناء كان يلقاه العلماء من كل فج عميق، في أيام الحج، فجاءه العراقيون وغيرهم. وكانت إقامته بمكة نحو تسع سنين في هذه المرة، ولا بد أن ينشر ما وصل إليه في كل البلاد الإسلامية، وخصوصاً ما وضعه من مناهج للاستنباط الفقهي. وليس ثمة إلا مكان ينبثق منه نور العلم عاماً مشرقاً. وهو قسبة الدولة الإسلامية «بغداد» وقد ألفتها وألفته، وعرفها وعرفته.

ولذلك رحل إلى بغداد سنة ١٩٥هـ.

هنالك في بغداد استرعى نظر كل العلماء فيها واحتفت به التلاميذ.

ولم يستكبر علماء بغداد عن أن يكون فيهم تلاميذ له، فقد تتلمذ له أحمد بن حنبل الذي لقيه بمكة من قبل، وعجب من عقله وفكره. وأخذ عنه إسحاق بن راهويه، وهو في سن قريبة من سنه. وأشباههم، غير التلاميذ الذين أخذوا يتلقون عنه، ويتخرجون عليه، وكان يجيب الجميع ويعجبون بإجابته، لأنه قد أتى بعلم لم يكن على منهاج ما درسوا، ولأنه يتحلى بصفات لم تكن فيمن سبقوه، ولكل فضله.

أما المنهاج فقد جاءهم بعلم الأصول الذي هو منهاج الاستنباط، يبينه بالتفصيل.. وأما ما تحلى به من صفات، فهو الفصاحة والبيان والقدرة على المناظرة والمجادلة. فقد كان فصيح العبارة، قوي التأثير في بيانه، حتى لقد قال فيه بعض معاصريه: «إنه خطيب العلماء». وفي هذه القدامة إلى بغداد - أملى كتبه التي أسماها الكتب البغدادية، ففيها كتابه الأم ويسمى المبسوط، وهو عدة كتب شملت أكثر ما أُثِرَ عنه في الفروع.

وكذلك أملى كتابه في أصول الفقه وهو الذي يسمى الرسالة، رواهما عنه الزعفراني.

وبهذا نشر علمه في كل بلاد المشرق مما وراء العراق، عن أولئك التلاميذ الذين كانوا يحتفون به في درسه..».

نكتفي بهذا القدر مما ذكره أبو زهرة عن إقامة الشافعي ببغداد ومغادرته إياها إلى مكة ثم عودته إليها ثانياً وإقامته بها إقامة قصيرة وارتحاله منها إلى مصر.

وفيما يلي نذكر بشيء من التفصيل رحلته إلى مصر:

رحلته إلى مصر:

قدم الشافعي إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة، في أول خلافة

المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس، استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري بن الحكم البلخي مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام، لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه . . .

وإذا صح أن هذا الوالي العباسي هو الذي استصحبه إلى مصر، فقد حقق له أمنية كانت تتوق إليها نفسه، كما يدل على ذلك تمثله بالبيتين التاليين حين أراد الخروج إلى مصر:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها قطع المهامه والقفر
فوالله ما أدري أألفوز والغنى أساق إليها أم أساق إلى القبر؟
وقد أورد صاحب معجم الأدباء في سياق البيتين السابقين - عن خروج الشافعي - إلى مصر القصة التالية نذكر خلاصتها لطرافتها ولا نجزم بصحتها: قال: فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا ثياب رثة فلم يلتفت إليه أحد. فقال:

عليّ ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفسي لو يقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجلاً وأكبرا
وما ضرَّ نصلَ السيف أخلاقُ غمده إذا كان عضباً أين وجهته فرى

يقول مصطفى عبد الرازق: «إذا كان الشافعي قد خرج إلى مصر يلتمس نشر مذهبه، فهو إنما أراد أن يلتمس لآرائه ميداناً جديداً بعد أن أدرك النصر في الحجاز والعراق. وقال الربيع: سألني الشافعي عن أهل

مصر فقلت: هم فرقتان، فرقة مالت إلى قول مالك، وناضلت عنه، وفرقة مالت إلى قول أبي حنيفة وناضلت عنه، فقال: أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله فاتيهم بشيء أشغلهم عن القولين جميعاً. قال الربيع: ففعل ذلك والله حين قدم مصر».

وقال النووي: وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر، وسار ذكره في البلدان، وقصده الناس من الشام واليمن والعراق وسائر النواحي والأقطار، للثفقه عليه، والرواية عنه، وسماع كتبه وأخذها عنه وسار أهل مصر وغيرهم وابتكر كتباً لم يسبق إليها، ومنها أصول الفقه.

وقد اقام الشافعي بمصر إلى أن وافته المنية سنة ٢٠٤هـ وهو في الرابعة والخمسين من عمره، وكان في آخر عمره شديد العلة بالبواسير.

ويروى في سبب موت الشافعي: أنه كان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس، يقال له فتیان، فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناس عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة.. فظهر عليه الشافعي في الحجاج - انتصر عليه في المناظرة - فضاق فتیان بذلك ذرعاً فشتم الشافعي شتماً قبيحاً، فلم يردّ عليه الشافعي حرفاً ومضى في كلامه، فرفع ذلك رافع إلى والي مصر فطلبه وعزّره، فحقد فتیان على الشافعي فلقيه ليلاً فضربه بمفتاح حديد فشجّه فتمرض الشافعي إلى أن مات.

وقد علق الشيخ مصطفى عبد الرازق على هذا الخبر في ترجمته للإمام الشافعي بقوله:

«لم تقتل الشافعي شجة فتیان المزعومة، إنما قتل الشافعي ما بذله من جهد عنيف في السنين الأربع التي أقامها بمصر، ما بين تأليف وتدریس، وسعي في بث مذهبه، ومدافعة كيد خصومه. هذا إلى مرضه المنهك».

وقال المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً. ولا والله ما أدري. روعي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها. ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو مئة وتكرماً
فلولاك لم يغرر إبليس عابداً فكيف وقد أغوى صفيك آدمًا

علم الشافعي وفقهه:

لقد مرت بنا شذرات عن علم الشافعي وفقهه، وفيما يلي نقتبس من كتاب الشيخ محمد أبو زهرة بشيء من الإيجاز، نبذة مما ذكره في هذا الصدد: قال: «لقد شغل الشافعي الناس بعلمه وعقله وبلاغته، شغلهم في بغداد عندما كانت تعقد بينه وبين فقهاء المناظرات، وهو شاب يتلقى عن محمد بن الحسن، وشغل العلماء الذين كانوا يجيئون إلى البيت الحرام . . حاجين، ومنتزودين بزاد من علم الرسول، وأحاديث يتلقونها عن بقية التابعين بها، وشغل بغداد مرة ثانية بالثمرات العلمية التي وصل إليها، وهو عاكف في البيت الحرام، يضع القواعد ويجمع الأصول، ويدرس المذاهب دراسة مقارنة لم يسبق بها. ثم لما جاء إلى مصر شغل الناس بعلمه الذي لم يعرفوا له نظيراً فيما درسوا وإن كان لكل فضله وسبقه.

ولقد انطلق بالثناء عليه شيوخه الذين تلقى عنهم، وقرناؤه الذين ناظروه ثم كانوا له كالتلاميذ، وتلاميذه الذين حفظوا للأجيال علمه الغزير . . . ثم قال:

«والحقيقة أنه أُوتي من أسباب العلم ما يجعل له هذه المنزلة السامية، فقد أُوتي علم القرآن الكريم، ففقه معانيه، وأدرك كثيراً من أسراره ومرامييه، وقد قال بعض تلاميذه: «إذا أخذ الشافعي في التفسير كان كأنه شاهد التنزيل». - وأوتي علم الحديث، فروى أحاديث من كانوا بمكة من بقية التابعين، وروى أحاديث الإمام مالك، فقرأ عليه الموطأ الذي يعدّ أول مدون كامل في الحديث. وأوتي العلم العراقي رايماً له عن العراقيين في الفترة التي التقى فيها بالإمام محمد بن الحسن. وأوتي مع هذا فقه الرأي وضبط قواعد الفقه، فوضع ضوابط القياس وضوابط النسخ...».

وضع الشافعي لعلم أصول الفقه:

نقتبس فيما يلي فقرات مما ذكره الشيخ مصطفى عبد الرازق تحت هذا العنوان:

قال: «إذا كان الشافعي هو أول من وجّه الدراسات الفقهية إلى ناحية علمية، فهو أيضاً أول من وضع مصنفاً في العلوم الدينية الإسلامية، على منهج علمي، بتصنيفه في أصول الفقه. قال الرازي: اتفق الناس على أن أول من صنّف في هذا العلم - أي علم أصول الفقه - الشافعي وهو الذي ميز بعض أقسامه من بعض، وشرح مراتبها في القوة والضعف...».

وقال الرازي أيضاً: «واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة «أرسطاطاليس» إلى علم المنطق، وكنسبة «الخليل بن أحمد» إلى علم العروض...».

المذهب الشافعي وانتشاره في العالم الإسلامي:

كان الشافعي في أول أمره يعد نفسه تلميذاً لمالك، ومتبعاً لمذهبه،

وما زال كذلك إلى أن قدم إلى بغداد، واتصل بأصحاب أبي حنيفة، وأخذ عن محمد بن الحسن الشيباني، واطلع على طريقة العراقيين، فاقتبس من ذلك أحسنه، وأضافه إلى ثروته الحجازية في اللغة والأدب، والحديث، وطريقة الحجازيين في الاستنباط: «ومنذ أن عاد الشافعي إلى مكة بعد إقامته في بغداد، أخذ ينهج منهاجاً فقهياً، ليس فيه تابعاً لشيخه مالك رضي الله عنه، ولا لمحمد بن حسن الشيباني الذي كان يحمل فقه العراقيين، وقد اتجه كما أشرنا من قبل إلى دراسات كلية مع دراسة الفروع . . . وقد استقبل الناس ذلك النوع من العلم على أنه فتح جديد في الدراسات الفقهية لم يسبق به الشافعي . . .» أبو زهرة.

ثم لم يلبث الشافعي أن أعلن مذهبه الجديد في بغداد سنة ١٩٥هـ ودعا إليه فتبعه فيه بعض أصحابه البغداديين . ولما لم يجد الشافعي لمذهبه في العراق النجاح الذي كان ينشده، لمزاحمة الحنفية له، ولما لهم من جاه وسلطان، تحول إلى مصر، وأقام بها نحو أربع سنوات أملى فيها كثيراً من كتبه وانتشر مذهبه بمصر بعد أن ابتداء بنشره بالعراق، ومن العراق انتقل إلى خراسان وما وراء النهر . ومع أن المذهب الحنفي كان مذهب الدولة العباسية السائد بين رعاياها المؤيد بسطانها، كان المذهب الشافعي ينازعه السلطان في الشعب، واستمر سلطانه في مصر حتى بعد استيلاء الفاطميين عليها . وقد امتد سلطانه إلى الشام واليمن وفارس وغيرها ولم يزل يمتد وينتشر حتى بلغ في أقصى الشرق، بلاد الملايو وجاوة (أندونيسيا) وبعض بلاد الهند وما جاورها من الأقطار والشعوب الإسلامية، وأصبح بذلك أحد المذاهب الإسلامية الأربعة التي يدين بها المسلمون في معظم أرجاء العالم الإسلامي ويحتكمون إلى قوانينها وديانتها .

آثار الشافعي :

كتب الأستاذ (أحمد أمين) في كتابه «ضحى الإسلام» بحثاً مطولاً عن آثار الشافعي... وكتبه، نقتبس منه بإيجاز الفقرات التالية للإمام بأهم هذه الآثار:

قال: «من أهم ما وصل إلينا من أعمال الشافعي رسالته في أصول الفقه... وقد تكلم فيها فيما يحتاج إليه المجتهد إزاء القرآن من العام والخاص، والناسخ والمنسوخ، وتكلم في موقف المجتهد من الحديث ناسخه ومنسوخه... كما تكلم على الإجماع والقياس... إلى أن قال: وهو بهذا أول من وضع خطة في البحث في أصول الفقه جرى عليه كل من أتى من علماء المذاهب الأخرى. مستشهداً يقول الرازي: «واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطاطاليس إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض...».

ولما كان كتاب «الرسالة» - أول كتاب صنفه الشافعي في علم أصول الفقه، فقد علق عليه الأستاذ (أحمد أمين) - بقوله: «واعلم أن الشافعي رضي الله عنه» صنف كتاب الرسالة ببغداد، ولما رجع إلى مصر أعاد تصنيف كتاب الرسالة، وفي كل واحد منهما علم كثير، والناس وإن أطنبوا بعد ذلك في علم أصول الفقه، إلا أنهم كلهم عيال على الشافعي فيه، لأنه هو الذي فتح هذا الباب والسبق لمن سبق».

أما كتاب «الأم» - وهو أكبر أثر للشافعي كما يقول أحمد أمين، فقد جاء في تعليقه عليه ما خلاصته: «وقد ثار الخلاف حديثاً في مصر هل الأم كتاب ألفه الشافعي أو ألفه البويطي؟ وبعد أن أشار إلى دواعي الخلاف قال: «فالظاهر أنها أمال أملاها الشافعي في حلقة، كتبها عنه

تلاميذه وأدخلوا عليها تعليقات من عندهم، واختلفت رواياتهم بعض الاختلاف... على كل حال بين أيدينا مجموعة في سبعة أجزاء، أغلبها من كلام الشافعي رواها عنه تلميذه وأدخل فيها بعض تعليقات، أفردها وبينها حتى لا تلتبس بكلام الشافعي:

ومجموع ذلك هو الذي أطلق عليه «كتاب الأم» وقد بوّب على أبواب الفقه، كما فعل مالك في الموطأ، ولكن فيه فصول في أصول الفقه..

وقد أمليت هذه الأبواب في مصر، والعلماء يقسمون فقه الشافعي إلى مذهبين: قديم وجديد فأما القديم فهو ما كتبه وقال به في العراق، وأما الجديد فهو ما كتبه وقال به في مصر:

«ذلك أنه لما جاء مصر عدل عن بعض أقوال له كان قالها من قبل... فغير ذلك من فقه الشافعي في القول بالمذهب الجديد».

إلى أن يقول: وفي «الأم» مصداق لجميع ما ذكرنا عن الشافعي، فهو فيه فصيح العبارة، قوي الأداء، تشوب عبارته بلاغة البادية وفصاحتها، وقوة القرشية وإيجازها.. ثم يقول: وفي الكتاب تظهر قوة الشافعي في الجدل، فأسلوب الكتاب كله تقريباً أسلوب جدلي، حتى ليفترض مجادلاً فيرد عليه، ثم يعترض فيجيب.. إلى أن يقول: وعلى الجملة فالكتاب ثروة كبيرة من حيث دلالاته على مناحي الشافعي في الاجتهاد وعلى فقهه وعلى ما كان من أثر مصر في القول بالمذهب الجديد».

الشافعي المربي

الشافعي المربي ومنهجه التربوي :

لقد أولع الشافعي بالعلم والتعليم منذ حداثة سنه، وقد مرّ بنا حديث ممارسته لتعليم الصبيان في الكتاب ما كان يتلقفه من المعلم مما جعل المعلم يعتمد عليه في ذلك ويعفيه من الأجرة التي كان يتقاضاها من أمثاله. وروي أنه كان يقرأ الناس في المسجد الحرام وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان حسن الصوت يشجي السامعين بقراءته ويبيكيهم. وفيما يلي نبذة مقتبسة مما ذكره أبو زهرة عن انصراف الشافعي إلى العلم:

قال: «منذ نعومة أظفاره اتجه إلى العلم وتوافرت له أسبابه، فقد كانت إقامته بمكة وبها بقية من التابعين، وفيها مدرسة عبد الله بن عباس، الذي اختار جوار البيت الحرام مستقراً له ومقاماً - ذريعة لأن يصل في نشأته الأولى إلى أعلى ما يصل إليه من هو في مثل سنه.

ولما شدا وترعرع اتجه إلى عالم دار الهجرة فلازمه تسع سنين هي أخصب زمن لإنتاج الشيخ.. وأخصب سن للتلميذ، ولم ينصرف إلى العمل في غير العلم إلا قليلاً، عاد بعده إلى العلم مشغولاً به مدركاً أن فيه كل الشرف، وأخذ يدرّس علم القرآن والسنة، واختلاف الفقهاء ويضع الموازين بضبطها وتعرف الحق من بينها، واتخذ مجلس درسه ابتداء في

البيت الحرام، حتى إذا امتلأ الوعاء ذهب إلى بغداد، واتخذ فيها كرسياً آخر لدرسه، ثم لما ضاق ببغداد، وتبرم بمناهج علمية لا يرتضيها، يمم وجهه ناحية مصر الطيبة، التي صارت من بعد مأوى العلماء من الشرق والغرب، عندما ادلهمت الخطوب بأهل الإسلام، واضطر العلماء إلى الرحلة، حيث الأمن، فلم يجدوه إلا في مصر، وبذلك كانت حياته كلها للعلم بعقل عبقري ولسان بليغ مصور».

وقد تخرج على الإمام الشافعي في كل من مكة وبغداد ومصر طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء الذين حملوا فقهه وعلمه وأدبه . . وساهموا مساهمة جليلة في خدمة مذهبه ونشره في أنحاء العالم الإسلامي .

أما منهجه التربوي، فقد كان الشافعي يدعو إلى ورود مناهل العلم والمعرفة على اختلاف فنونها، منوهاً بقيمة كل علم وأثره وفي ذلك يقول: «من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر، في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه».

ولقد كان هو نفسه مثلاً فذاً لهذه الثقافة المتعددة النواحي، وكانت دروسه خير مثال لذلك، حدث الربيع بن سليمان المرادي، صاحب الشافعي وراوي كتبه قال: «كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقة إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف . «رضي الله عنه» وقال بعض أصحابه: «ما رأيت مجلساً قط أنبل

من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر...».

وقال النووي: «إن الشافعي رحمه الله مكّنه الله تعالى من أنواع العلوم، حتى عجز لديه المناظرون من الطوائف وأصحاب الفنون، واعترف بتبريزه وأذعن الموافقون والمخالفون في المحافل الكثيرة المشهودة، المشتملة على أئمة عصره»..

لقد كان الشافعي مبرزاً في ميدان المناظرات واستطاع أن ينشر من آرائه واجتهاداته ويكسب الأنصار والمؤيدين لمذهبه بفضل ما أوتيته من الفصاحة والبلاغة وقوة البيان، ونفاذ البصيرة، حتى لقد اشتهر بين علماء عصره بناصر السنة، كما لقبه بعضهم بخطيب العلماء. وكثيراً ما كان يلقي الأسئلة على طلابه ويحاورهم لإقناعهم بوجهة نظره، وربما لجأ إلى استشارة المنافسة بينهم بجائزة يسميها لهم شحداً لهممهم وإذكاءً لنشاطهم... قال الحميدي: «كان الشافعي ربما يلقي علي وعلى ابنه المسألة فيقول: «أيكما اصاب فله دينار».. ومما يدل على فسحة المجال لطلابه للمناقشة والمناظرة ما مر بنا من وصف الربيع لحلقات درس الشافعي حيث قال: «فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر».

ولقد أثرت عنه أقوال كثيرة في الحض على طلب العلم والإشادة بفضله، من ذلك قوله:

«من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، وقوله: «ما تُقَرَّبَ إلى الله بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، وقوله: «من لا يحب العلم لا خير فيه ولا يكون بينك وبينه صداقة ولا معرفة» وقوله:

«ليس العلم ما حُفِظَ، إنما العلم ما نَفَعَ» ومن كلماته الرائعة في الإشادة بفضل العلم قوله: «كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شياً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه». ومن مآثور كلماته الدالة على تفانيه في نشر العلم، وحرصه على انتفاع الناس بعلمه ولو لم ينسب إليه قوله: «وددت أن الناس يفهمون ما في كتبي من معاني الكتاب والسنة وينشرون ذلك وإن لم ينسبوه إلي». . . . ومما يدل على شدة إخلاصه في دروسه ومناظراته، وأن هدفه الأول والأخير هو الوصول إلى الحق والصواب ولو على لسان خصمه، قوله: «ما ناظرت أحداً قط، إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال أن يبين الله الحق على لساني أو لسانه».

بهذه الروح المثالية وبهذه الهمة والإخلاص بلغ الشافعي ما بلغ من الجلالة والعظمة ونال ما نال من المجد والسؤدد، ولقد ضرب رحمه الله تعالى بذلك أروع الأمثلة وأسناها لطلاب العلم والمعرفة، وكان رضي الله عنه من ابرز أئمة المسلمين علماً وأدباً وخلقاً ومن أعظم رواد الهداية والإرشاد.

* * *

أخلاق الشافعي وبعض ملامح شخصيته:

وصف الشافعي بعض أصحابه فقال: «كان طويلاً سائل الخدين، قليل لحم الوجه، خفيف العارضين، طويل العنق، طويل القصب (عَظْم العضد والفخذ والساق)، آدم. . . حسن الصوت، حسن السميت، عظيم العقل، حسن الوجه، حسن الخلق مهيباً فصيحاً».

وكان محبباً إلى كل من كان في وقته من الفقهاء، والنبلاء، والأمراء،

كلهم يجلّ الشافعي ويعظمه . وكان مقتصراً في لباسه ، وكان مجلسه مصوناً عن اللغظ «عن التهذيب للنووي بتصرف» وفيما يلي نذكر بشيء من الإيجاز، إضمامة من أخلاقه وشمائله :

وإذا كانت المروءة من أجمع الصفات لمكارم الأخلاق، فلقد كانت من أبرز خلائق الشافعي في سيرته ومعاملاته كما أشاد بها في كثير من مواقفه، ومن أقواله المأثورة في ذلك قوله: «لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته»، وقوله: «المروءة عفة الجوارح عما لا يعينها» وقوله: «أصحاب المروءات في جهد» وقوله: «لو كنت اليوم ممن يقول الشعر رثيت المروءة». ولعلّ الشافعي هو الذي أوحى إلى الشاعر المتأخر قوله، وإن بالغ فيه كثيراً وأساء الظن بالناس جميعاً حيث قال :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة؟
فقلت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق اللّه ماتوا؟

ومن الشواهد على كمال التزام الشافعي بالمروءة ورعايته لها الحكاية الآتية :

قال المزني: «كنت عند الشافعي يوماً ودخل عليه جار له خياط، فأمره بإصلاح أزواره فأصلحها فأعطاه ديناراً، فنظر إليه الخياط وضحك، فقال له الشافعي: خذه فلو حضرنا أكثر منه ما رضينا لك به، فقال الخياط: إنما دخلت لأسلم عليك. فقال الشافعي: فأنت إذا زائر وضيف، وليس من المروءة أن يستخدم بالزائر ولا بالضيف».

أما الحكاية الثانية، فهي مثل رائع للمروءة والوفاء وحسن الرعاية لحق الصديق والتجافي عن الخداع والمجاملة الكاذبة :

«جاء رجل إلى الشافعي فقال له: أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي، وأيقظتني لمكرمة، ودفعت اعتذاراً يشوبه الكذب، ثم قال: يا غلام هات السبتية (هي نعال دبغت فلانت)، ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء (الوجاء من وجأه باليد والسكين: ضربه) في حر الرمضاء، من ذي طوى، أهون علي من الاعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه ويثقل يوماً إن تركت على عمد
وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب وقولك: لم أعلم، وذلك من جهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه وصاحبه الأدنى على القرب والبعد
يعش سيداً يستعذب الناس ذكره وإن نابه حق أتوه على قصد

ومن الحكايات الدالة على كرم الشافعي وإكباره للمروءة وأهلها، هذه الحكاية:

عن الربيع بن سليمان يقول: «مر الشافعي يوماً بالحذائين فسقط سوطه من يده، فقام رجل منهم فأخذ السوط ومسحه بيده ودفعه إليه، فقال له: مه، أي شيء عملت؟ آثرني على نفسك، كيف أؤدي شكرك؟ ثم تنحى وضرب بيده إلى كفه أو جيبه، فأخرج منه دنانير لا أدري خمسة أو عشرة أو أكثر، وأكبر ظني عشرة، وقال لي: ادفعها إليه واعتذر عني عنده، فإنه لم يحضرني غير هذا في هذا الوقت».

على أن الشواهد على كرمه وسخاء نفسه مما لا يتسع المقام لذكرها، وحسبنا أن نضيف إلى ما تقدم النبذة التالية: قال الحميدي: «قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خبائه خارجاً من

مكة، فكان الناس يأتون يسلمون عليه، فما برح حتى فَرَقَهَا كلها».

وقال البويطي: «قدم الشافعي مصر، وكانت زبيدة ترسل إليه برزم الثياب والوشى، فيقسمها بين الناس، وقال بعض أصحابه: كان الشافعي من أجود الناس وأسخاهم كفاً، كان يشتري الجارية الصناع، التي تطبخ وتعمل الحلواء، ويقول لنا: تشهوا ما أحببت، فقد اشترت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون، فيقول بعض أصحابنا: اعمل اليوم كذا وكذا...».

وهكذا كانت سماحة الشافعي ومكارمه تجعل من منزله كنفاً لأصحابه ينعمون فيه بالغذاء الحسي الشهي إلى جانب الغذاء الروحي الممتع.

الصدقة في نظر الشافعي :

لقد مر بنا نموذج رائع من وفاء الشافعي لأحد أصدقائه، وفيما يلي نذكر جملة من الأقوال المأثورة عن الشافعي في هذا المجال، قال رحمه الله: «من صدق في أخوة أخيه، قبل عله، وسد خلله، وغفر زلله» وقال: «ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم». وقال: «لا تقصر في حق أخيك اعتماداً على مودته» وقال: «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».

ولقد خبر الشافعي الناس، وعرف الكثير من طباعهم وأخلاقهم وعلم ألا سبيل إلى رضائهم ولا خير في التمادي في مخالطتهم، ولا في التجافي عنهم، وإنما الخير في الاعتدال بين الانبساط إليهم، والانقباض عنهم، ولذا أوصى الربيع بقوله: «يا ربيع، رضاء الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضائهم، والانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة وكن بين المنقبض والمنبسط».

ولقد كان الشافعي يربي تلاميذه ومريديه على مكارم الأخلاق بسيرته ونصائحه التي كان يتخولهم بها، فقد كان مجلسه مصوناً عن اللغظ والصخب، وكان يترفع عن النزول إلى مستوى من يسوّل له طيشه أن يتناول عليه بما لا يليق من الكلام وكان يقابل ذلك بالإعراض عنه كما مر بنا من إعراضه عن فتیان عندما تناول عليه وآذاه. ومن أقواله المأثورة في الحث على تنزيه السمع وصيانة اللسان من الخنى والسفه قوله: «نزهوا أسماعكم عن سماع الخنى، كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفیه ينظر إلى أخبث ما في وعائه، فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم».

نكتفي بهذه الأمثلة من أخلاق الشافعي وأقواله المأثورة في مكارم الأخلاق، لنتقل إلى الحديث عن أدب الشافعي وحسن بيانه.

* * *

الشافعي . . الأديب

نثره وشعره

أدب الشافعي . . نثره وشعره:

تقدم لنا كثير من الشواهد على فصاحة الشافعي وبلاغته، وسنورد في ما يلي بعض الشواهد والنماذج المؤيدة لذلك:

قال ابن هشام: «جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعتبر، لا يجد كلمة في العربية أحسن منها» وعن الزعفراني أنه قال: «كان قوم من أهل العربية يختلفون (أي يترددون) إلى مجلس الشافعي معنا، ويجلسون ناحية، فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم، فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي، أي إنهم يحضرون مجالس الشافعي ودروسه لسماع لغته، إعجاباً بفصاحته».

ولقد وصف الشيخ أبو زهرة فصاحة الشافعي وبلاغته قلماً ولساناً وصفاً دقيقاً جامعاً نقبتس منه الفقرات الآتية: «كان الشافعي قوي البيان، واضح التعبير، بين الإلقاء، أوتي مع فصاحة لسانه وبلاغة بيانه، وقوة جنانه، صوتاً عميق التأثير، يعبر بنبراته، كما يوضح بعبارته . . .». وقد روي عن بعض تلاميذه أنه قال: ما رأيت أحداً إلا وكتبه أكبر من

مشاهدته، إلا الشافعي، فإن لسانه أكبر من كتبه، وإذا كانت كتب الشافعي على أحسن ما تكون عليه الكتب من جودة تعبير وحسن تصوير للفكرة، فكيف تكون حال مشاهدته؟ وهي أقوى أداء، وأكمل إشارة، وأحلى عبارة. ولقد بلغ من إجادته للبيان أنه قال فيه إسحاق بن راهويه: (إنه خطيب العلماء).

ولقد كان ميدان المناظرات من أقوى الميادين التي ظهرت فيها بلاغة الشافعي وسحر بيانه، وقوة منطقته والتفوق على خصومه. فقد يكون من المستحسن أن نذكر إحدى مناظراته الشهيرة كنموذج لهذا اللون من الجدل والحوار، وما يتجلى فيه من قوة الحجّة وبراعة الاستدلال نذكرها ملخصة من معجم الأدباء لياقوت:

تناظر الشافعي وإسحاق بن راهويه الخراساني، وكان أحد العلماء المبرزين في الفقه والمناظرة وكان موضوع المناظرة كراء بيوت أهل مكة، وكان إسحاق يميل إلى الرأي القائل بجواز سكنى بيوت مكة بدون كراء، فانبرى له الشافعي في هذه المناظرة يحاوره ويجادله بقوة المنطق وحسن البيان وإقامة الدليل من كتاب الله وسنة رسوله: استهل الشافعي مناظرته بقوله: قال الله عزّ وجل: «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم» نسب الدار إلى المالكين أو إلى غير المالكين. قال إسحاق: إلى المالكين. قال الشافعي: قوله عز وجل أصدق الأفاويل. وقد قال رسول الله ﷺ «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابيه فهو آمن» أنسب رسول الله ﷺ الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟ قال إسحاق: إلى مالك. فقال الشافعي وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين فأسكنها، وذكر له جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ اشتروا دور مكة، وجماعة

باعوها. قال إسحاق: قال الله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج: ٢٥) فقال الشافعي: اقرأ أول الآية: فقال: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج: ٢٢) قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى قوله تعالى: ﴿لِطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ (البقرة: ١٢٥) والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى قوله عز وجل: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ (البقرة: ١٧٨) فدل ذلك أن قوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج: ٢٥) في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع.

وهكذا استطاع الشافعي أن يفحم خصمه بقوة الحجة وحسن البيان.

وإن الشواهد من آثار الشافعي وأقواله على فصاحته وبلاغته أكثر من أن نحيط بها في هذا السياق، وحسبنا من تلك الأقوال والحكم المنشورة في كتب الأدب وأسفار البيان أن نقتبس منها الشذرات التالية بالإضافة إلى ما تقدم منها:

وعظ الشافعي بعض إخوانه فقال: «يا أخي إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة، عمرانها إلى خراب صائر، وساكنها للقبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار. فافزع إلى الله، وأرض يرزق الله تعالى، ولا تستلف من دار بقائك، في دار فنائك، فإن عيشك فيء زائل، ودار مائل. أكثر من عملك، وقصر من أملك».

وقال له رجل أوصني، فقال: «إن الله تعالى خلقك حراً، فكن حراً كما خلقك».

وقال: «عاشر كرام الناس تعش كريماً، ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم».

وقال: «لا تبذل وجهك إلى من يهون عليه ردك». وقال: «يا ربيع: لا تتكلم فيما لا يعينك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها».

وقال: «التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام».

وقال: «أربعة أشياء قليلها كثير، العلة والفقر والعداوة والنار».

وقال: «الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب خان من رآه وأخلف من رجاه».

وقال: «غضب الأشراف يظهر في أفعالها، وغضب السفهاء يظهر في ألسنتها».

وقال: «من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً».

نكتفي بهذا القدر من روائع حكم الشافعي وأقواله المأثورة، لننتقل إلى الحديث عن شعره.

شعر الشافعي:

لئن كان الشعر مرآة ما تنطوي عليه نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس، وصدى لما يختلج بين جوانحه من خلجات وعواطف، فلقد وجد الشافعي، المطلبي القرشي، الناشئ في مضارب البادية، وتحت سمائها الضاحية، المغتذي ببيان لغتها الصافية، المتضلع من رحيق أدبها الأصيل، وجد ذلك الفتى العبقرى الملهم، في آفاق الشعر متنفساً لمشاعره وأحاسيسه المرهفة، استطاع أن يعرض في إطاره طائفة من عرائس أفكاره وأبكار خياله، وأن يغرد في ظلال الخمائل الندية ألحاناً رائعة شجية

حفظت لنا كتب الأدب منها طاقة شذية برغم عزوف الشافعي عن قول الشعر عندما نضجت ملكاته العلمية، وتصدر للتدريس والفتوى ونشر العلم على أرفع مستوى. ولقد عبر عن هذا الاتجاه بقوله:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

على أن هذا البيت يشير إلى اعتزاز الشافعي بموهبته الشعرية الجديرة بأن تؤهله للتفوق على فحول الشعراء. وسيمر بنا في ما نورده من نماذج لشعره. مزيداً من اعتزازه بشاعريته. وإذا رجعنا إلى ما حفظته لنا بعض كتب الأدب من شعر الشافعي، نجد أن غالبية تدور في إطار الحكم والحض على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، كما نجد له مقطوعات أخرى في أكثر أغراض الشعر التي كانت معروضة لعهد كالغزل والفخر والعتاب والرثاء، والشكوى من هموم الحياة وسوء معاشرته بعض الناس، وسنذكر نماذج قصيرة لكل ذلك في ما يأتي، بادئين بما نظمه في سمط الحكم، مستهلين ذلك بقصيدته الذائعة الشهرة التي تمثل هذا اللون من شعر الشافعي، والتي جرت بعض أبياتها مجرى الأمثال:

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً	وشيمتك السماحة والعطاء
يُغطي بالسماحة كل عيب	وكم عيبٍ يغطيه السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور	ولا عسر عليك ولا رخاء
ولا تُري الأعادي قط ذلاً	فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا ترجُ السماحة من بخيل	فما في النار للظمان ماء
ورزقك ليس ينقصه التاني	وليس يزيد في الرزق العناء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرضٌ تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

ومن روائع الشعر المنسوب إلى الشافعي في الحكم قوله:

إن الذي رزق اليسار ولم يصب حمداً ولا أجراً لغير موفق
الجد يدني كل أمر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فحقق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلقني
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ضدان مفترقان أي تفرق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ومن طرائف الشعر المعزوة إلى الشافعي، المعرب عن بعض طموحه
وعلو همته، وضيقة بما يعترض طريقه إلى المجد من عقبات، المعبر عن
اعتزازه بامتلاكه لصولجان الشعر والبيان، وأنه الحائز لدرره ويواقيته،
وصاحب تاجه وإكليله، المنوه بخطر الشاعر وسلطان الشعر على
القلوب . . قوله:

ماذا يخبر ضيف بيتك أهله إن سيل كيف معاده ومعاجه؟
أيقول جاوزت الفرات ولم أنل رياً لديه وقد طغت أمواجه
ورقيت في درج العلا فتضايقت عما أريد شعابه وفجاجه
ولتخبرن خصاصتي بتملق والماء يخبر عن قذاه زجاجه
عندي يواقيت القريض ودره وعليّ إكليل الكلام وتاجه

تربى على روض الربى أزهاره ويرق في نادي الندى ديباجه
والشاعر المنطيق أسود سالخ والشعر منه لعبه ومجاجة
وعداوة الشعراء داء معضل ولقد يهون على الكريم علاجه
ومن أبيات الشافعي التي يعتز فيها بما منحه الله من ألمعية وفصاحة لسان
وشخصية فذة، قوله وقد سئل يوماً عن مسألة عويصة فأجاب فيها الجواب
الشافعي ثم قال:

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر
لسان كشقشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر
ولست بأتمعة في الرجا ل، أسائل هذا وذا ما الخبر؟
ولكنني مدره الأصغرين جلاب خير وفراج شر

ومن شعره الدال على شدة اهتمامه بنشر العلم وبذر بذوره في التربة
الصالحة لنمائه وثماره، وصونه عمن لا يأبه به من غير أهله، الأبيات الآتية:

وقد أخبر الربيع بن سليمان عن الباعث عليها بقوله: لما دخل
الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه الناس، فلم يجلس إليه أحد، فقال له
بعض من قدم معه: لو قلت شيئاً يجتمع إليك الناس، فقال: إليك عني،
وأنشأ يقول:

أنثر درًا بين سارحة البهَم وأنظم منشوراً لراعية الغنم
لعمري لئن ضُيعت في شر بلدة فلست مضيعاً فيهمو غرر الكلم
لئن سهل الله العزيز بلطفه وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
بثت مفيداً واستفدت ودادهم وإلا فمكنون لدي ومكتم
ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجهين فقد ظلم

ولئن صح أن هذه الأبيات نظمها أول قدومه لمصر، فقد استجاب الله دعاءه، وسهل له في مصر من حمل علومه وحكمه إلى مشارق الأرض ومغاربها وقد طاب له بها المقام وقضى فيها بقية حياته في حقبة خصبة حافلة بالإنتاج وأينع الثمار.

ومن الأبيات التي رواها الربيع بن سليمان عن الشافعي التي تعبر عن رأيه في ما يجب للصديق على صديقه كما تعبر عن ألمه لفقدانه إخوان الثقة والوفاء، قوله:

صديق ليس ينفع يوم باسٍ قريب من عدو في القياسِ
وما يبغي الصديق بكل عصر ولا الإخوان إلا للتأسي
عمرت الدهر ملتمساً بجهدي لضائقة فأكداه التماسي
تنكرت البلاد علي حتى كأن أناسها ليسوا بناس

وعلى هذا القياس الذي اعتمده الشافعي في تقدير حقوق الإخوة بعضهم على بعض، نجده يعاتب أحدهم عتاباً لا يخلو من قسوة ومرارة، ونحن ننقل عن ابن عبد البر الكلمة التي مهد بها عن الباعث لهذا العتاب قال:

(... وفد محمد بن إدريس الشافعي على رجل من قومه باليمن كان بها أميراً، فأقام عنده أياماً ثم سأله الرجوع إلى داره وموضعه، فكتب إليه معتذراً - لعله اعتذر إليه عن تزويده بما يحتاج إليه في سفره - وعرض عليه شيئاً يسيراً. فكتب إليه الشافعي أبياتاً في ظهر رقعته قال فيها:

أتاني عذر منك في غير كنهه كأنك عن بري بذاك تحيدُ
لسانك هش بالنوال وما أرى يمينك إن جاد اللسان تجود
فإن قلت لي بيت وسيط وسيطة وأسلاف صدق قد مضوا و حدود
صدقت ولكن أنت خربت ما بنوا ونال الذي يهوى لديك بعيد

تفرق عنك الأقربون لشأنهم وأشفقت أن تبقى وأنت وحيد
وأصبحت بين الحمد والذم واقفاً فيا ليت شعري أي ذاك تريد؟
فكتب إليه الأمير - (بل أريد منك الحمد بأبي أنت وأمي، وقد وجهت
إليك خمسمائة دينار لنفقتك وعشرة أثواب من حبرات اليمن وبختيان
والسلام).

وهكذا استطاع الشافعي بذكائه وفصاحته، أن يضع هذا الأمير بين
شقي الرحى بين الحمد والذم، فلم يجد الأمير بدأً من تدارك غلطته وإنقاذ
سمعته، بتلبية حاجة الشافعي، وتفادى مذمته.

وإذا كان في هذه الأبيات ما يشير إلى طلب الشافعي للمال، فإنه لم
يكن يطلبه لينفقه على متعه وملذاته، وإنما كان يطلبه لقضاء ما عليه من
حقوق وواجبات. وقد مر بنا الحديث عن سخائه، أنه عاد من اليمن ومعه
عشرة آلاف دينار، فضرب له خباء خارج مكة ولم يدخل إليها إلا بعد أن
فرق الدنانير كلها. وإن في البيتين التاليين لدليلاً على تلهفه على بذل
المعروف لكل من يقصده:

يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

وإذا كانت نفسه ومروءته تباين عليه إمساك المال والاعتذار عن البذل
والعطاء، فلا غرابة في أن يحمل على الذين يكتزون المال، ويتباهون بجمعه
وإدخاره ولا تتحرك بين جوانحهم عواطف الشفقة والرحمة، فيقول في ذلك:

وأنطقت الدراهم بعد صمت أناساً بعد أن كانوا سكوتاً
فما عطفوا على أحد بفضل ولا عرفوا لمكرمة بيوتاً

وإذا كنا لم نعثر للشافعي على شعر في المديح، فإننا كذلك لم نعثر في التعزية إلا على هذين البيتين:

إني أعزيك لا إني على طمع من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزي بباقي بعد صاحبه ولا المعزي وإن عاشا إلى حين

كذلك لم نعثر على شيء في الهجاء، وهذا هو المتوقع من مثل الشافعي؛ إلا أن ذلك لا ينافي إظهار الضيق والتألم من مجاورة من لا يشاركه، أو من معاشرة معشر جهلوا حق الأديب، فاستوى في نظرهم الصفر والذهب الإبريز، والحطب وعود الطيب، على ما بينهما من تفاضل يدركه أولو الألباب، فقال في الأولى:

وأنزلني طول النوى دار غربة يجاورني من ليس مثلي يشاكله
أحامقه حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال في الحال الثانية:

أصبحت طرْحاً في معشر جهلوا حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
والناس يجمعهم شمل وبينهمو في العقل فرق وفي الآداب والحسب
كمثل ما الذهب الإبريز يشركه في لونه الصفر، والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطب منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب

أما الغزل فقد جاء في طبقات الشافعية الكبرى عن أحد أصحاب الشافعي، أنه قال له: «قد قلت في الزهد، فهل لك في الغزل شيء؟» فأُشِد الشافعي:

يا كاحل العين بعد النوم بالسهر ما كان كحلك بالمنعوت للبصر

لو أن عيني إليك الدهر ناظرة جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر
سقياً لدهر مضى ما كان أطيبه لولا التفرق والتنغيص بالسفر
إن الرسول الذي يأتي بلا عدة مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر
ومن الطرائف الشعرية التي رواها عن الشافعي بعض الأدباء، كصاحب
معجم الأدباء، وصاحب طبقات الشافعية الكبرى وغيرهما، الطرف الآتية:

كان لابن عبد الله الشافعي زوجة يحبها وكانت تصد عنه فقال في
ذلك:

ومن البلية أن تحب ولا يحبك من تحبه
ويصدُّ عنك بوجهه وتلجُّ أنت فلا تغبه
ومنها الطرفة التالية:

قال الربيع بن سليمان: «كنت عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فقرأها
ووقع فيها فمضى الرجل فتبعته إلى باب المسجد، فقلت والله لا تفوتني
فتيا الشافعي، فأخذت الرقعة من يده فإذا فيها:

سل المفتي المكي هل في تزوار وضمّة مشتاق الفؤاد جناح
فوجدت قد وقع الشافعي:

فقلت معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا، فقلت:
يا أبا عبد الله، تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب؟ فقال لي: يا أبا محمد،
هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر يعني شهر رمضان، وهو حدث

السن، فسأل هل عليه جناح، أن يقبل أو يضم . . فافتيه بهذا».

ومنها الطرفة التالية :

روى أن رجلاً جاءه برقعة فيها :

سل المفتي المكي من آل هاشم إذا اشتد وجد بامرئ كيف يصنع؟

قال : فكتب الشافعي تحته :

يداوي هواه ثم يكتم وجده ويصبر في كل الأمور ويخضع

فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت بيت الشافعي :

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى وفي كل يوم غصة بتجرع؟

فكتب الشافعي رحمه الله :

فإن هو لم يصبر على ما أصابه فليس له شيء سوى الموت أنفع

ومن الأبيات الحكمية المروية عن الشافعي والتي جرت مجرى الأمثال

قوله :

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقوله :

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وقوله :

لا تأس في الدنيا على فائت وعندك الإسلام والعافيه

وقوله :

أكل العقاب بقوة جيف الفلا وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف
ومن المقطوعات الشعرية الرائعة المنسوبة إلى الإمام الشافعي رضي الله،
عنه المقطوعات والأبيات التالية، وهي وإن لم نستطع الجزم بصحة نسبتها
كلها إليه فإن إيرادها في سياق شعر الشافعي لا يخلو من متعة وفائدة ولا
سيما أن الكثير منها جرى مجرى الأمثال، وبعضها يكاد تتواتر نسبتها إليه
ويكاد يلمس فيها القارئ روح الشافعي وهمته وطموحه: من ذلك قوله في
الحث على الارتحال في طلب المجد والرفعة:

ما في المقام لذي علم وذو أدب من راحة فدع الأوطانَ واغترِبْ
سافر تجد عوضاً عمّن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الأرض ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تقرب هذا عز مطلبه وإن تغرب ذاك عز كالذهب
وقوله في علو الهمة والقناعة:

أمطري لؤلؤاً جبال سرديـ ب وفيضي آبار تكرر تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبراً
همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا
وإذا ما قنعت بالقوت عمري فلماذا أزور زيدا وعمرا؟

وقال في صيانة النفس والحث على الصبر والتجمل:

صن النفس واحملها على ما يزينها
ولا تولين الناس إلا تجملاً
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
ولا خير في ود امرئ متلونٍ
وما أكثر الإخوان حين تعدهم
تعش سالمًا والقول فيك جميلٌ
نبا بك دهر أو جفاك خليل
عسى نكبات الدهر عنك تزول
إذا الريح مالت مال حيث تميل
ولكنهم في النائبات قليل

وقال في الفرج بعد الشدة:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
ذرعاً وعند الله منها المخرج
فرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

وقال في عاقبة البغي:

تحكموا فاستطالوا في تحكّمهم
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى
فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم
وعما قليل كان الأمر لم يكن
عليهم الدهر بالأحزان والمحن
هذا بذاك ولا عتب على الزمن

وقال في تبرئة الزمان مما يرميه به الناس من العيب:

نعيب زماننا والعيب فينا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
وما لزماننا عيب سوانا
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

وقال في ذم المن والتنفير منه:

لا تحملن لمن يمن
واختر لنفسك حظها
منن الرجال على القلو
من الأثام عليك مته
واصبر فإن الصبر جنة
ب أشد من وقع الأسننه

وقال في الحث على تجنب الهم والثقة برحمة الله ولطفه:

سهرت أعين ونامت عيون للأمور تكون أو لا تكون
فادراً الهم ما استطعت عن النفس فس فحملانك الهموم جنون
إن رباً كففاً بالأمس ما كا ن سيكفيناك في غد ما يكون

ولعلّ خير ما نختم به هذا الفصل من شعر الشافعي الأبيات الآتية وإن

تقدمت:

فلما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرماً

ونحن إذ نكرر مع الشافعي رحمه الله تعالى، هذه الأبيات، نسأل الله
لنا وله العفو والغفران ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وصلى الله على
خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. والحمد لله الذي تتم بنعمته
الصلوات؟

الكاتب والكتاب

موجز ترجمة حياتي :

- ولدت في أوائل عام ١٣٢٣هـ بالمدينة المنورة .
- فيها نشأت وتعلمت تعليمي الابتدائي والثانوي بمدارسها الأميرية والمسجد النبوي .
- كما درست بعد ذلك بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة والمسجد الحرام بضعة أشهر .
- ارتحلت بعدها إلى القاهرة في ١٣٤٣هـ حيث التحقت بالجامع الأزهر .
- بعد أن تحصلت على شهادة الثانوية التحقت بدار العلوم العليا عام ١٣٤٧هـ .
- وفي عام ١٣٥٠هـ تخرجت في دار العلوم العليا وعدت إلى أرض الوطن المقدس .
- عينت مدرساً بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة .
- في مطلع عام ١٣٥٢هـ قمت برحلة إلى بلاد الملايو وجاوه وانتهى بي المطاف في عاصمة (جاوه) حيث عينت مديراً لمدرسة الإرشاد العربية .

- بعد أن أمضيت هناك نحو السنة أتيت إلى المدينة المنورة في أواسط عام ١٣٥٤هـ وما لبثت بها بضعة أشهر حتى تلقيت أمراً سامياً بتعيني أستاذاً لأصحاب السمو الأمراء الكرام، وبعد أن قمت بتأسيس مدرسة الأمراء بالرياض عينت مديراً لها.

- في مستهل عام ١٣٥٦هـ عينت مديراً لمدرسة تحضير البعثات، ثم نقلت إلى إدارة المعهد العلمي، ثم عينت مديراً للمعهدين، (المعهد والبعثات).

- - في أواخر عام ١٣٧٠هـ عينت مديراً للتعليم الإبتدائي والثانوي بمديرية المعارف العامة.

- في عام ١٣٧٢هـ عينت عضواً بمجلس الشورى.

- في عام ١٣٧هـ عينت مديراً عاماً للأوقاف.

- في منتصف عام ١٣٨٧هـ عدت إلى عضوية مجلس الشورى بناء على طلبي إعفائي من مديرية الأوقاف، وما زلت عضواً بالمجلس بالرغم من إحالتي إلى التقاعد. والحمد لله أولاً وآخراً..

الكاتب .. والكاتب



مؤمنة ترجمته حياته وتولدت في أوائل عام ١١٥٥ هـ في مدينة الزرقاء وعلمت
نشأت وتعلقت بتعليم الأندلس، وانتقلت في بعد ذلك إلى مصر في سنة ١١٧٤
كأن درست بعين ذلك بعد سنة الفتح في أوائل سنة ١١٧٤ هـ في مصر
على أيديها إلى القاهرة في ١١٧٤ هـ حيث التحقت بالجامع وبعدها التحقت
الثانوية التحقت بدار العلوم العليا عام ١١٧٥ هـ في سنة ١١٧٥ هـ التحقت
الوطنية المقدم حيث عينت مدرساً للمعربين العلم اليهودي بكنة وفي مطلع عام ١١٧٥ هـ
إلى بلاد المغرب وما وراءه وانتقل إلى المغرب في عام ١١٧٥ هـ حيث عينت مدرساً في المدرسة
ولم يلبث أن عينت هناك في سنة ١١٧٥ هـ إلى المدينة المنورة في أواسط عام ١١٧٥ هـ وعمل
بعضه أكثر من ثلثين عاماً استاذاً للمعربين في دار المعلمين في أواسط عام ١١٧٥ هـ
التي تمت تأليف مدرساً بالمراسم حيث عينت مدرساً في أواسط عام ١١٧٥ هـ
مدرسة في مدينة البعثات ثم نقلت إلى دار المعلمين في سنة ١١٧٥ هـ
أو في عام ١١٧٥ هـ عينت مدرساً في أواسط عام ١١٧٥ هـ
بمجلس الشورى وفي عام ١١٧٥ هـ عينت مدرساً في أواسط عام ١١٧٥ هـ
المقصود بكون الشورى بناء على طلب لقطاع من طلبة الأزهر في أواسط عام ١١٧٥ هـ
بالشعبه التي انتقلت إلى الشان بعد ذلك في أواسط عام ١١٧٥ هـ
في ١١٧٥ هـ من شهر ربيع الثاني ١١٧٥ هـ

محمد البشير

محمد البشير



نخبة من الأذكار المأثورة

والصلوات على النبي ﷺ

جمع واختيار أحمد العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿ (الفاتحة: ١ - ٧) .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

«أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا. أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴿الإخلاص: ١ - ٤﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ الْتَفَثَتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا
حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴿الفلق: ١ - ٥﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنْ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴿الناس: ١ - ٦﴾.

«رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا. رَبَّنَا
فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا
وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادِ».

«رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ».

اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ذَا الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَشْهَدُكَ وَكَفَى بِكَ
شَهِيدًا، أَنِّي أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ،
وَالنَّارَ حَقٌّ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا. وَأَنَّكَ تَبَعْتَ مَنْ فِي الْقُبُورِ.
وَأَنَّكَ إِنْ تَكَلَّنِي إِلَى نَفْسِي تَكَلَّنِي إِلَى ضَعْفٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ،
وَإِنِّي لَا أَتَّقِي إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تُؤَدِّيهِ إِلَيَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ. وَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا. وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي
الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي
الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أذكار الصباح

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ» .

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا . أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحْتُ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْكَ وَحَدَاكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، فَتَحَهُ وَنَصَرَهُ، وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ
وهَدَاهُ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ.

اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ
النُّشُورُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأُشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ
خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ. وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَّلَنَا الْيَوْمَ عَافِيَتَهُ، وَجَاءَ
بِالشَّمْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا، اللَّهُمَّ أَصْبَحْتُ أَشْهَدُ لَكَ بِمَا شَهِدْتَ بِهِ لِنَفْسِكَ،
وَشَهِدْتَ بِهِ مَلَائِكَتِكَ وَجَمِيعِ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. أَكْتُبُ شَهَادَتِي بَعْدَ شَهَادَةِ مَلَائِكَتِكَ وَأُولِي
الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ
السَّلَامُ. أَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَنْ تَسْتَجِيبَ لَنَا دَعْوَتَنَا، وَأَنْ
تُعْطِينَا رَغَبَتَنَا، وَأَنْ تُغْنِينَا عَمَّنْ أَعْنَيْتَهُ عَنَّا مِنْ خَلْقِكَ.

بِسْمِ اللَّهِ ذِي الشَّانِ، عَظِيمِ السُّلْطَانِ، قَوِيِّ الْبُرْهَانِ، شَدِيدِ الْأَرْكَانِ.
مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، إِنْسٍ وَجَانٍّ. وَأَعُوذُ
بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي
بَصْرِي نُورًا، اللَّهُمَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي؛ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ

وَسَاوِسِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ فِي اللَّيْلِ وَشَرِّ مَا يَلِجُ فِي النَّهَارِ، وَشَرِّ مَا تَهْبُتُ بِهِ الرِّيحُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ، أَوْ أَذِلَّ أَوْ أُذَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِضْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا، اقْضِ عَنِي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ، وَأَمْتَعْنِي بِسَمْعِي وَبَصْرِي وَقُوَّتِي فِي سَبِيلِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا هَدَيْتَ، وَأَشْكُرُكَ عَلَى جَزِيلِ مَا أَسَدَيْتَ؛ وَأُسْتَعِينُكَ عَلَى رِعَايَةِ مَا أَسْبَغْتَ مِنَ النُّعْمِ. وَأُسْتَهْدِيكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا كَفَيْتَ مِنَ الثَّقَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَثَرَاتِ اللِّسَانِ، وَغَفَلَاتِ الْجَنَانِ، كَمَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَدَرَاتِ الزَّمَانِ وَبِعَثَاتِ الْحَدَثَانِ. وَأَسْأَلُكَ اللَّطْفَ فِيمَا قَضَيْتَ، وَالْمَعُونَةَ عَلَى مَا أَمْضَيْتَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ النَّدَمِ، أَوْ فِعْلِ تَزَلُّ بِهِ الْقَدَمِ، فَأَنْتَ الثَّقَةُ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ، وَالْعِصْمَةُ لِمَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْكَ، «وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ». «رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». اللَّهُمَّ افْتَحْ مَسَامِعَ قَلْبِي لِذِكْرِكَ، وَارْزُقْنِي طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. وَعَمَلًا بِكِتَابِكَ وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَحْشَاكَ وَكَأْنِي أَرَاكَ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَاكَ؛ وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ؛ وَلَا تُشَقِّنِي بِمَعْصِيَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، وَالصِّحَّةَ وَحُسْنَ

الْخُلُقِ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ. اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ؛ وَبِطَاعَتِكَ
عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ،
وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ.

«رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ؛ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ».

«رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ، رَبَّنَا اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ».

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ
طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ اليَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا
وَمَتَّعَنَا اللَّهُمَّ بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا،
وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ
مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا
تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بَدُنُوبَنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي.
اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ
خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ
مِنْ تَحْتِي.

اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، فَأَهْلُ أَنْتَ أَنْ تُحَمَدَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقْوِي، وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي، وَإِنِّي فَاقِهُ فَأَغْنِنِي. اللَّهُمَّ عَلَّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَأَنْفَعَنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ التَّفَاقُ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ، وَلِسَانِي مِنَ الْكُذْبِ، وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ، إِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَلِلْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا. وَمِنْ كُلِّ بَلَاءٍ عَافِيَةً.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ الْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ فَاشْغَلْهُ فِي نَفْسِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ لِأَلَائِكَ، الصَّابِرِينَ عَلَى بَلَائِكَ، النَّاصِرِينَ لِأَوْلِيَائِكَ.

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا عِنْدِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَيْشًا قَارًا، وَرِزْقًا دَارًا، وَعَمَلًا بَارًا.

اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفْقِرْنِي بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ.

اللَّهُمَّ جَمِّلْ أَمْرِي مَا أَحْيَيْتَنِي، وَعَافِنِي مَا أَبْقَيْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا خَوَّلْتَنِي، وَاحْفَظْ لِي مَا أَوْلَيْتَنِي، وَارْحَمْنِي إِذَا تَوَفَّيْتَنِي، وَأَنْسَ وَحَشْتِي إِذَا أَرَمَسْتَنِي، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ إِذَا حَاسَبْتَنِي، وَلَا تَسْلُبْنِي الْإِيمَانَ وَقَدْ هَدَيْتَنِي.

اللَّهُمَّ لَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَبَلِّغْنِي الْأَمَانِي، وَاكْفِنِي الْأَعَادِي، وَاصْلِحْ لِي شَأْنِي، وَاكْفِنِي أَمْرَ دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي، وَارْزُقْنِي قَلْبًا تَوَّابًا، لَا كَافِرًا وَلَا مُرْتَابًا، وَاعْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا تَوَسَّلَ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ، وَأَوْلِيَاؤُكَ الْمُقَرَّبُونَ؛ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنَ الْفَهْمِ عَنْكَ وَعَنْ رَسُولِكَ، مَا نَبْلُغُ بِهِ مَنَازِلَ الصُّدِّيقِينَ وَنُحْشِرُ بِهِ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ أَعْلَامُ الْهَدَايَةِ، وَوَضَحَتْ لَهُمْ طَرِيقُ النِّجَاةِ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الْإِخْلَاصِ وَالْيَقِينِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي وَقُوَّتِي، وَالْجَأُ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ. أَحْمَدُكَ إِذْ أَوْجَدْتَنَا مِنَ الْعَدَمِ، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّمِ.

اللَّهُمَّ فَخِذْ بِيَدِي فِي الْمَضَائِقِ، وَاكْشِفْ لِي وُجُوهَ الْحَقَائِقِ، وَوَفِّقْنِي لِمَا تُحِبُّ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَسْلُبْنِي سِتْرَ إِحْسَانِكَ، وَقِنِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَاكْفِنِي كَيْدَ الْحَاسِدِ وَشِمَاتَةَ الْأَضْدَادِ، وَالطُّفْ بِِي فِي

سَائِرِ تَصَرُّفَاتِي، وَكَفِّنِي مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اعْطِنِي مِنَ الدُّنْيَا مَا تَقِينِي بِهِ فِتْنَتَهَا، وَتَغْنِنِي بِهِ عَنْ أَهْلِهَا، وَيَكُونُ بَلَاغًا لِي إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا. فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ .

اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ بِخَيْرٍ .

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الَّذِي يُسَبِّحُ كُلُّ شَيْءٍ بِحَمْدِكَ، وَتَنْطِقُ الْمَخْلُوقَاتُ بِذِكْرِكَ، وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِكَ، وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ يُقَدِّسُكَ وَيَسْجُدُ لَكَ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَرْأَفُ، مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أُعْطِيَ. أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْفَرْدُ الَّذِي لَا نَدَّ لَكَ. كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ، لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَنْ تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى فَتَغْفِرُ، الْقُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ، وَالسُّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ. الْحَلَالُ مَا أَحَلَلْتَ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ، وَالِدِّينُ مَا شَرَعْتَ، وَالْخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ، وَأَنْتَ اللَّهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ .

أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَكَ، وَبِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، أَنْ تَقْبَلَنِي، وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِقُدْرَتِكَ .
حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ
وَمَلِيكِهِ. أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ
الشَّيْطَانِ وَشَرِكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ،
وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ، فَتَوَقَّفْني إِلَيْكَ غَيْرَ
مَقْتُونٍ.

أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ.
اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ
مَا لَا يَعْنِينِي، وَارزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي.

اللَّهُمَّ أَرْنِي الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنِي اتِّبَاعَهُ، وَأَرْنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارزُقْنِي
اجْتِنَابَهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا
شَمْلِي، وَتَلْمُ بِهَا شَعْنِي، وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتْنَ عَنِّي، وَتُصْلِحُ بِهَا حَالِي،
وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي، وَتُزَكِّي بِهَا
عَمَلِي، وَتُلْهَمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا، وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا
شَرَفَ كَرَامَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفُورَ عِنْدَ الْقَضَاءِ، وَنَزَلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السَّعْدَاءِ،
وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالنُّصْرَةَ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ.

وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا.

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَهْنُهِ بِالْإِفْتَارِ. اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ إِلَّا لَكَ، فَصُنَّهُ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَدِي الْعُلْيَا بِالْإِعْطَاءِ وَلَا تَجْعَلْهَا السُّفْلَى بِالْإِسْتِعْطَاءِ، إِنَّكَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا.

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي مُسْلِمًا، وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ ظُلْمَةِ الْأَحْشَاءِ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، وَسِعَ اللَّهُمَّ عَلَيَّ فِيمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَنِي، إِنَّكَ عَلَيَّ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُيسِّرَ لِي أَمْرَ رِزْقِي، وَأَنْ تَعْصِمَنِي مِنَ الْحَرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلْبِهِ، وَمِنْ كَثْرَةِ الْهَمِّ وَالتَّفْكِيرِ فِي تَحْصِيلِهِ، وَمِنْ الشَّحِّ وَالبُخْلِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَاجْعَلْهُ سَبَبًا لِإِقَامَةِ عِبُودِيَّتِكَ وَمُشَاهَدَةِ رُبُوبِيَّتِكَ،

وَأَنْ تَتَوَلَّى أَمْرِي كُلَّهُ بِذَاتِكَ، وَكَرَمِكَ وَفَضْلِكَ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي
طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَاهْدِنِي الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ اللَّهِ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ.
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي
فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً
لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ النَّعْمَةِ تَمَامِهَا، وَمِنَ الرَّحْمَةِ شُمُولِهَا، وَمِنَ
الْعَافِيَةِ دَوَامِهَا، وَمِنَ الْعَيْشِ أَرْغَدِهِ، وَمِنَ الْعُمْرِ أَسْعَدَهُ، وَمِنَ الْإِحْسَانِ
أَتَمَّهُ، وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ، وَمِنَ الْعَمَلِ أَصْلَحَهُ، وَمِنَ الْعِلْمِ أَنْفَعَهُ، وَمِنَ
الرِّزْقِ أَوْسَعَهُ.

اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا. اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا، وَحَقِّقْ
بِالزِّيَادَةِ أَعْمَالَنَا، وَاقْرُنْ بِالْعَافِيَةِ غُدُونَنَا وَأَصَالَنَا، وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ
مَصِيرَنَا وَمَالَنَا، وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا، وَمَنْ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ
عُيُوبِنَا، وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا، وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا

وَاعْتِمَادَنَا، إِلَهَنَا: ثَبَّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ، وَأَعَدُّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ،
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَخَفَّفْنَا عَنَّا ثِقَلَ الْأَوْزَارِ، وَارزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ، وَاكْفِنَا
وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ، وَاعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَهْلِينَا مِنْ
النَّارِ، يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، يَا كَرِيمُ يَا سَتَّارُ، يَا حَلِيمُ يَا جَبَّارُ، بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أذكار المساء

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ» .

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ
وَنَفْثِهِ .

«اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ . وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ .
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» .

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ
كَلِمَاتِهِ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ .

أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ مَا أَمْسَيْتُ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنِكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ
الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا .

بِاسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي وَدِينِي، بِاسْمِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَمَالِي،
بِاسْمِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، بِاسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ فِي
الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ، بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ
يَحْضُرُونِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ أَشْهَدُكَ وَأُشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ
خَلْقِكَ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ
مُحَمَّدًا عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ .

اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبِّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبِّ
الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ جَمِيعًا، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ

أَحَدٌ أَوْ يَبْغِي عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي فَبِكَ أَعُوذُ، وَأَنْتَ عِيَاذِي فَبِكَ أَعُوذُ، وَأَنْتَ
مَلَازِمِي فَبِكَ أَلُوذُ. يَا مَنْ ذَلَّتْ إِلَيْهِ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ وَخَضَعَتْ لَهُ مَقَالِيدُ
الْفَرَاغَةِ، أَجْرْنَا مِنْ خَزِيكَ وَعَقُوبَتِكَ، وَاحْفَظْنَا فِي لَيْلِنَا وَنَهَارِنَا، وَنَوْمِنَا
وَفَرَارِنَا. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَعْظِيمًا لَوْجْهِكَ، وَتَكْرِيمًا لِسُبْحَاتِ عَرْشِكَ،
فَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ عِبَادِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ، وَسُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ،
وَعُدْ عَلَيْنَا بِخَيْرٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

يَا رَبِّ يَا رَحِيمٌ، يَا رَبَّ يَا رَحِيمٌ، أَلْطَفْ بِي فِي قَضَائِكَ، وَلَا تَوَلَّ
أَمْرِي أَحَدًا سِوَاكَ حَتَّى أَلْقَاكَ .

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ .

سُبْحَانَ الْخَالِقِ الْبَارِي الْمُصَوِّرِ، الْغَفَّارِ، الْقَهَّارِ، الْوَهَّابِ، الرَّزَّاقِ،
الْفَتَّاحِ، الْعَلِيمِ، الْقَابِضِ، الْبَاسِطِ، الْخَافِضِ، الرَّافِعِ، الْمُعِزِّ، الْمُذِلِّ،
السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ، الْحَكِيمِ، الْعَدْلِ، اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَأَنْتَ الْمُغِيثُ
الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ، وَأَنْتَ الْحَقُّ وَأَنْتَ الْوَكِيلُ .

أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ تَسْبِيحَنَا وَتَقْدِيسَنَا وَذِكْرَنَا تَذْكَيرًا لَنَا بِجَلَالِكَ
وَجَمَالِكَ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَقْرَأُونَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، وَالْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِكَ
بِالسَّعْيِ وَصِدْقِ الْأَمَلِ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نِظَامِ مُلْكِكَ الْبَدِيعِ مَثَلًا نَحْتَدِيهِ
فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ صَنِيعٍ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وعلى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ،
وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ، الرُّكَّعِ السُّجُودِ، الْمُؤَفِّينَ
بِالْعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ، وَعَافِنَا مِنْ جَمِيعِ الْمَحَنِ، وَأَصْلِحْ مَنَّا
مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ، وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا
تِبَاعَةَ لِأَحَدٍ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، فَاهْلُ أَنْتَ أَنْ تُحَمَدَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا عِنْدَكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْشُرْ
عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي فِي رِضَاكَ، وَخُذْ إِلَيَّ الْخَيْرَ بِنَاصِيَتِي،
وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُنْتَهَى رَجَائِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَمِنْ شَرِّ مَا مَنَعْتَنَا.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ أَحِينَا مُسْلِمِينَ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ وَلَا
فَاتِنِينَ وَلَا مَفْتُونِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ، وَتَرْضَى
بِقَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ
مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقِصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا،
وَأَرْضِنَا وَأَرْضَ عَنَّا.

اللَّهُمَّ فَارِجَ الْهَمِّ، وَكَاشِفَ الْعَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمَضْطَرِّينَ، رَحْمَنَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، إِرْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ
سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ كَمَا لَطُفْتَ بِعِظَمَتِكَ دُونَ اللَّطْفَاءِ، وَعَلَوْتَ بِعِظَمَتِكَ عَلَى
الْعُظَمَاءِ، وَعَلِمْتَ مَا تَحْتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ بِمَا فَوْقَ عَرْشِكَ، فَكَانَتْ

وَسَاوِسُ الصُّدُورِ كَالْعَلَانِيَةِ عِنْدَكَ، وَعَلَانِيَةُ الْقَوْلِ كَالسِّرِ فِي عِلْمِكَ.
وَأَنْقَادَ كُلِّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ، وَخَضَعَ كُلِّ ذِي سُلْطَانٍ لِسُلْطَانِكَ، وَصَارَ
أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلَّهُ بِيَدَيْكَ، اجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ أَمْسَيْتُ فِيهِ فَرَجًا
وَمَخْرَجًا.

أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، وَبِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبِعِزَّةِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ،
وَبِعِزَّةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا تَحْتَ
الثَّرَى، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا. إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، مُلْجَأُ كُلِّ هَارِبٍ،
وَمَاوَى كُلِّ خَائِفٍ.

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَقْبَى بِهَا نَفْسِي وَدِينِي
وَأَهْلِي وَمَالِي وَجَمِيعِ نِعَمِ إِلَهِي وَمَوْلَائِي وَسَيِّدِي عِنْدِي.

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَنْجُو بِهَا مِنْ إِبْلِيسَ
وَخَيْلِهِ، وَشَيَاطِينِهِ وَمَرَدَّتِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَشُرُورِهِمْ.

حَصَّنْتُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي لَا
يَمُوتُ أَبَدًا. وَدَفَعَ اللَّهُ عَنَّا السُّوءَ وَالْأَذَى بِأَلْفِ أَلْفِ لَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَأَعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ
عُمْرِي، وَارْزُقْنِي عَمَلًا زَكِيًّا تَرْضَى بِهِ عَنِّي.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِي عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي، وَأَنْقِطَاعِ عُمْرِي.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي صَبُورًا، وَاجْعَلْنِي شُكُورًا، وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيرًا
وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا، رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَاهْدِنِي السَّبِيلَ الْأَقْوَمَ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ، وَاحْفَظْنِي مِنْ كُلِّ جَنْبٍ، وَفَرِّجْ عَنِّي كُلَّ
كَرْبٍ.

اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ، وَالْقَبْرِ وَعُغْمَتِهِ، وَالصَّرَاطِ وَزَلَّتِهِ،
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ فِي الْخَيْرَاتِ وَطَأْتِي، وَنَفْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ كُرْبَتِي، وَبَارِكْ
لِي فِي مَصِيرِي وَمُنْقَلِي، وَلَا تَحْفِزْ ذِمَّتِي، يَا غَايَةَ رَغْبَتِي.
اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ، وَخَيْرَ أَيَّامِي
يَوْمَ لِقَائِكَ.

اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ.

اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ
كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفُوزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ لَا تَدْعَ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا عَيْبًا إِلَّا سَتَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا
فَرَّجْتَهُ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلَا مُبْتَلَى إِلَّا
عَافَيْتَهُ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هِيَ لَكَ رِضًا وَلَنَا فِيهَا
صَلَاحٌ إِلَّا قَضَيْتَهَا بِفَضْلِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ النَّيِّ لَا تَنَامُ، وَاكْفُنِي بِكَفِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ،
وَاحْفَظْنِي بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَاكْلَأْنِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَارْحَمْنِي
بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، أَنْتَ ثِقْتِي وَرَجَائِي، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ
لَكَ بِهَا شُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ بِهَا صَبْرِي، وَكَمْ مِنْ
خَطِيئَةٍ رَكِبْتُهَا فَلَمْ تَفْضَحْنِي، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ
يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذَلْنِي، وَيَا مَنْ رَأَى فِي
الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي وَلَمْ يَعْقِبْنِي.

يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقُضِي أَبَدًا، وَيَا ذَا الْأَيَادِي الَّتِي لَا تُحْصَى
عَدَدًا، وَيَا ذَا الْوَجْهِ الَّذِي لَا يَبْلَى أَبَدًا، وَيَا ذَا النُّورِ الَّذِي لَا يُطْفَأُ
سَرْمَدًا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ
وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنْ تُكْفِيَنِي شَرَّ كُلِّ
ذِي شَرٍّ، بِكَ أَدْرَأُ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى دِينِي بِدُنْيَايَ، وَعَلَى آخِرَتِي بِالتَّقْوَى، وَاحْفَظْنِي فِيمَا
غَبْتُ عَنْهُ، وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتُهُ، يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ
الدُّنُوبُ، وَلَا تَنْقُضُهُ الْمَغْفِرَةُ، إِغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ، وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ.

يَا إِلَهِي: أَسْأَلُكَ فَرَجًا قَرِيبًا، وَصَبْرًا جَمِيلًا، وَأَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ
بَلِيَّةٍ، وَأَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ. وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ بِكَ أَسْتَدْفِعُ مَكْرُوهَهُ مَا أَنَا فِيهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ
أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا
مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» .

اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجَهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ، وَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ .

«رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ، رَبَّنَا اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً تُنَجِّنُنَا بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ، وَتَقْضِي لَنَا بِهَا
جَمِيعَ الْحَاجَاتِ، وَتَرْفَعُنَا بِهَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَتُكْفِّرُ بِهَا عَنَّا جَمِيعَ
السَّيِّئَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدَّعَوَاتِ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

أذكار السحر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا؛ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ، فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا، وَتَوَفَّقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ، ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ . وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ، لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا،
أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» .

«وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِالِدُعَاءِ، وَتَوَكَّلْتَ بِالِإِجَابَةِ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ،
لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ
لَكَ .

أَشْهَدُ أَنَّكَ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ . وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَالْحِجَّةَ حَقٌّ، وَالتَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ
آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّكَ تَبَعْتُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِيْنِي إِذَا
كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ
فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا
لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَسْأَلُكَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي

غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ .

اللَّهُمَّ زَيْنًا بَزِينَةَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قِيَوْمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَيْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ . أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً، لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ . لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ . أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ

بَصْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي .

اللَّهُمَّ ذَكَرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ، وَعَلَّمَنِي مِنْهُ مَا جَهَلْتُ، وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ
أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنِّي .

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ
وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ
عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي
وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ
كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنزِّلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْفُرْقَانَ،
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ،
وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ،
إِقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَاعْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ .

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاعْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.
اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ
لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي، وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي.
اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِأَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ لِأَنْ
تَبْلُغَنِي، لِأَنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَا شَيْءٌ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ حَسَنَاتِي مِنْ عَطَائِكَ، وَسَيِّئَاتِي مِنْ قَضَائِكَ، فَجِدْ بِمَا
أَعْطَيْتَ عَلَى مَا قَضَيْتَ، وَامْحُ ذَلِكَ بِذَلِكَ، جَلَلْتَ أَنْ تَطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ،
وَأَنْ تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِكَ.

اللَّهُمَّ مَا عَصَيْتُكَ حِينَ عَصَيْتُكَ اسْتِهَانَةً بِكَ، وَلَا اسْتِخْفَافًا بِعَذَابِكَ،
وَلَكِنْ بِسَابِقَةٍ سَبَقَ بِهَا عِلْمُكَ. فَالْتَوْبَةُ إِلَيْكَ، وَالْمَغْفِرَةُ لَدَيْكَ. لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاعْفِرْ لِي، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِكَ.

إِلَهِي: مَنْ أَوْلَى بِالزَّلَلِ وَالتَّقْصِيرِ مِنِّي وَقَدْ خَلَقْتَنِي ضَعِيفًا، وَمَنْ أَوْلَى
بِالْعُفْوِ مِنْكَ، وَعِلْمُكَ فِيَّ سَابِقٌ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ؟ أَطَعْتُكَ بِإِذْنِكَ
وَالْمُنْتَهَى إِلَيْكَ، وَعَصَيْتُكَ بِعِلْمِكَ وَالْحُجَّةُ لَكَ. فَاسْأَلْكَ بِوَجُوبِ

حُجَّتِكَ عَلَيَّ، وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي، وَفَقْرِي إِلَيْكَ وَغِنَاكَ عَنِّي، إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تُبِتُ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتِكَ مِنْ نَفْسِي وَأَخْلَفْتُكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أَرَدْتُ بِهِ وَجَهَكَ فَخَالَطَهُ مَا لَيْسَ لَكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنَّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَيَّ مَعْصِيَتِكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، أَوْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبْتُهَا، وَأَسْتَغْفِرُكَ يَا عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتُهُ فِي ضِيَاءِ النَّهَارِ وَسَوَادِ اللَّيْلِ، فِي مَلَأٍ أَوْ خَلَاءٍ، وَسِرٍّ وَعَلَانِيَةٍ، يَا حَلِيمٌ .

إِلَهِي: تَمَّ نُورُكَ فَهَدَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ، عَظُمَ حِلْمُكَ فَغَفَرْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ، بَسَطْتَ يَدَكَ فَأَعْطَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ .

رَبَّنَا: وَجْهَكَ أَكْرَمُ الْوُجُوهِ، وَجَاهُكَ أَعْظَمُ الْجَاهِ، وَعَطِيَّتُكَ أَفْضَلُ الْعَطِيَّةِ وَأَهْنَاهَا، تُطَاعُ رَبَّنَا فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى فَتَغْفِرُ، وَتُجِيبُ الْمُضْطَرَّ، وَتَكْشِفُ الضَّرَّ، وَتَشْفِي السَّقِيمَ، وَتَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَتَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَلَا يَجْزِي بِآلَائِكَ أَحَدٌ، وَلَا يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ قَوْلٌ قَائِلٍ .

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ صَبْرًا يُبَلِّغُنَا ثَوَابَ الصَّابِرِينَ لَدَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ شُكْرًا يُبَلِّغُنَا مَزِيدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ، وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ تَوْبَةً تُطَهِّرُنَا بِهَا مِنْ دَنَسِ الْآثَامِ، حَتَّى نَحُلَّ بِهَا عِنْدَكَ مَحَلَّ الْمُتَّيِبِينَ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ وَلِيِّ جَمِيعِ النَّعْمِ وَالْخَيْرِ، وَأَنْتَ الْمَرْغُوبُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَكَرْبٍ وَضُرٍّ.

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا الصَّبْرَ عَلَى مَا كَرِهْنَا مِنْ قَضَائِكَ، وَالرِّضَا بِذَلِكَ طَائِعِينَ، وَهَبْ لَنَا الشُّكْرَ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ.. وَالِاسْتِكَانَةَ لِحُسْنِ قَضَائِكَ، مُتَدَلِّلِينَ خَاضِعِينَ، رَجَاءَ الْمَزِيدِ مِنْ لُطْفِكَ وَالرُّلْفَى لَدَيْكَ يَا كَرِيمٌ.

اللَّهُمَّ فَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لَنَا عِنْدَكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ، وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيْنَا بِهِ، فَلَا تَنْزَعُهُ مِنَّا وَلَا تَنْزِعْنَا مِنْهُ حَتَّى تَوْفَّقَنَا عَلَيْهِ، مَوْقِنِينَ بِثَوَابِكَ، خَائِفِينَ لِعِقَابِكَ، صَابِرِينَ عَلَى بَلَائِكَ، رَاجِينَ لِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمٌ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمُسْأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبَّتْنِي وَثَقَّلْ مَوَازِينِي، وَحَقَّقْ إِيْمَانِي، وَارْفَعْ دَرَجَتِي، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي، وَاعْفِرْ خَطِيئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ. آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ. آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتَى، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا أَبْطُنُ، وَخَيْرَ مَا أُظْهِرُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ. آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أَمْرِي،
وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ
الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ. آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ فِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي،
وَفِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي عَمَلِي، وَتَقَبَّلْ
حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ. آمِينَ.

اللَّهُمَّ لَا بَرَاءَةَ لِي مِنْ ذَنْبٍ فَأَعْتَدِرُ، وَلَا قُوَّةَ لِي فَاَنْتَصِرُ، وَلَكِنِّي
مُذْنِبٌ مُسْتَغْفِرٌ.

اللَّهُمَّ لَا عُذْرَ لِي وَإِنَّمَا هُوَ مَحْضٌ حَقِّكَ، وَمَحْضٌ جِنَايَتِي، فَإِنْ
عَفَوْتَ وَإِلَّا فَالْحَقُّ لَكَ.

اللَّهُمَّ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنِّي عَنِ اسْتِهَانَةٍ بِحَقِّكَ، وَلَا جَهْلًا بِهِ، وَلَا
إِنْكَارًا لِاطَّلَاعِكَ، وَلَا اسْتِهَانَةً بِوَعِيدِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَى،
وَضَعْفِ الْقُوَّةِ عَنْ مُقَاوَمَةِ مَرَضِ الشَّهْوَةِ، وَطَمَعًا فِي مَغْفِرَتِكَ، وَاتِّكَالَ
عَلَى عَفْوِكَ، وَحُسْنِ ظَنِّ بِكَ، وَرَجَاءِ لِكْرَمِكَ، وَطَمَعًا فِي سَعَةِ حِلْمِكَ
وَرَحْمَتِكَ، وَعَرْنِي بِكَ الْعُرُورُ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَسِتْرَكَ الْمَرْخِي
عَلَيَّ، وَأَعَانِي جَهْلِي، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْاِعْتِصَامِ إِلَّا بِكَ، وَلَا مَعُونَةَ
عَلَى طَاعَتِكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ.

أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحِمْتَنِي، أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي، وَبِغِنَاكَ
عَنِّي وَفَقْرِي إِلَيْكَ، هَذِهِ نَاصِيَتِي الْكَاذِبَةُ الْخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَيْدُكَ

سِوَايَ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ لِي سَيِّدٌ سِوَاكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ،
أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ، وَأَبْتَهَلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ
دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ،
وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ.

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ
بِهِ مِنِّي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا
أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّةً وَجَلَّةً، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ،
أَوَّلُهُ وَآخِرَهُ.

اللَّهُمَّ عَامِلُنَا بِإِحْسَانِكَ، وَتَدَارِكُنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ، وَتَوَلَّنَا بِرَحْمَتِكَ
وَعُفْرَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.
اللَّهُمَّ ذُلَّنَا عَلَيْكَ، وَارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا
تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا.

اللَّهُمَّ الطُّفَّ بِنَا فِي قَضَائِكَ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَانِكَ، وَاجْعَلْ
خَيْرَ أَيَّامِنَا وَأَسْعَدَهَا يَوْمَ لِقَائِكَ.

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ، وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخَزْيِ وَالْبَوَارِ،
وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ، وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، يَا كَرِيمُ
يَا غَفَّارُ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا خَلَقْتَهُ لِي، وَلَا
تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ، وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْ عَلَيَّ الْهُدَى أَمْرَنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا،
وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا كَقُلُوبِ خِيَارِنَا، وَاهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ .

اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَمَعَايِشِنَا . اللَّهُمَّ
اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَإِنِّي أَعْهَدُ
إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَلَّا تَكِلْنِي إِلَى عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الشَّرِّ،
وَيُبَاعِدُنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا
تُؤَدِّيهِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ .

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ
وَأَحْذَرُ . أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُمْسِكُ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى
الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ (فُلَان) وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَأَشْيَاعِهِ مِنْ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ،

وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْغَى.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ.

اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، تَحَصَّنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَهِي وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، وَاعْتَصَمْتُ بِرَبِّي وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَاسْتَدْفَعْتُ الشَّرَّ كُلَّهُ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْعِبَادِ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى. سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَاهُ، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مُنْتَهَى، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبدَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أُعْطِيَ، أَنْتَ الْمَلِكُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْفَرْدُ الَّذِي لَا نِدَّ لَكَ. كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ، لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَنْ تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِكَ. تُطَاعُ فَتُشْكُرُ وَتُعْصَى فَتُغْفِرُ. الْقَلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ، وَالسُّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ.

الْحَلَالُ مَا أَحَلَّتْ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَتْ، وَالِدَيْنُ مَا شَرَعْتَ، وَالْخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ، وَأَنْتَ اللَّهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ.

أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَكَ، وَبِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ؛ أَنْ تَقْبَلَنِي، وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِقُدْرَتِكَ.

حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَصِيبُنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَأَنَّ مَا أَصَابَنِي لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَنِي لِيُخْطِئَنِي، وَمَا أَخْطَأَنِي لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَنِي

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاكَ، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ، وَلَا تَجْعَلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ مَطْرُودًا، وَرَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدْرِكَ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَارِنِي فِيهِ ثَأْرِي، وَأَقِرْ بِذَلِكَ عَيْنِي.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَرُدَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عِبَادِكَ نَصِيبًا عِنْدَكَ، وَأَقْرِبَهُمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ، وَأَخْصِهِمْ زُلْفَى لَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ، وَجُدْ لِي بِجُودِكَ، وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ، وَاحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجًا، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِيماً، وَمَنْ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ؛ وَأَقْلِنِي عَثْرَتِي، وَاعْفِرْ لِي زَلَّتِي، فَإِنَّكَ أَمَرْتُ عِبَادَكَ بِدُعَائِكَ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْإِجَابَةَ، فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهِي، وَمَدَدْتُ يَدِي، فَبِرَحْمَتِكَ اسْتَجِبْ دُعَائِي، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ، يَا سَابِعَ النِّعَمِ، يَا دَافِعَ النُّقْمِ، يَا نُورَ الْمُسْتَوْحِشِينَ فِي الظُّلْمِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، وَأَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، وَالْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ، وَالْوَجِلُ الْمُسْفِقُ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ إِلَيْكَ بِذَنْبِهِ.

أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُسْكِينِ، وَأَبْتَهَلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمَذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، دُعَاءَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَذَلَّ لَكَ جِسْمِهِ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ.

اللَّهُمَّ كُنْ لِي مُؤَيِّدًا وَنَاصِرًا، وَكُنْ بِي رَوْفًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ. إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. إِزْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ. يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ.

اللَّهُمَّ أَلْبِسْنِي لِبَاسَ الْعَافِيَةِ حَتَّى تُهَنِّئَنِي بِالْمَعِيشَةِ، وَآخِثِمَ لِي بِالْمَغْفِرَةِ حَتَّى لَا تَضُرَّنِي الذُّنُوبُ، وَآكُفِّنِي كُلَّ هَوْلٍ دُونَ الْجَنَّةِ، حَتَّى تُبَلِّغَنِيهَا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي مِنَ الدُّنْيَا مَا تَقِينِي بِهِ فِتْنَتَهَا، وَتُعِينِي بِهِ عَنْ أَهْلِهَا، وَيَكُونُ بَلَاغًا لِي إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ

إِلَيْكَ.

سُبْحَانَكَ أَنْتَ الْمُسْتَحِقُّ لِكُلِّ حَمْدٍ وَذِكْرٍ، وَأَنْتَ الْجَدِيرُ بِكُلِّ ثَنَاءٍ
وَشُكْرِ، وَأَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ إِجْلَالٍ وَتَقْدِيسٍ، وَأَنْتَ الْخَلِيقُ بِكُلِّ طَاعَةٍ
وَتَمَجِيدٍ.

سُبْحَانَكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الَّذِي عَزَّ شَأْنُكَ، وَالرَّحِيمُ الَّذِي فَاضَ عَلَى
الْوُجُودِ إِحْسَانُكَ، وَالْغَفُورُ الَّذِي شَمِلَ النَّاسَ غُفْرَانُكَ.

سُبْحَانَكَ أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ، وَذَلَّ كُلُّ
كَبِيرٍ لِعِزَّتِكَ، وَخَضَعَ كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ لِهَيْبَتِكَ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَنْتَ الْخَالِقُ الْمُبْدِعُ الَّذِي ذَلَّتِ الْمَخْلُوقَاتُ
عَلَى وُجُودِكَ، وَبَرَهَنْتَ الْآيَاتُ عَلَى قُدْرَتِكَ وَشُهُودِكَ.

سُبْحَانَكَ أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي لَا تُدْرِكُكَ الْأَبْصَارُ، وَلَا تَسْعَاكَ
الْأَقْطَارُ.

سُبْحَانَكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الَّذِي تَقَدَّسَتْ ذَاتُكَ، وَتَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُكَ،
وَتَنَزَّهَتْ عَنْ مُشَابَهَةِ الْأَمْثَالِ صِفَاتُكَ.

سُبْحَانَكَ أَنْتَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الْمَوْجُودُ بِغَيْرِ عِلَّةٍ،
وَتَنْطِقُ بِوُجُودِكَ كُلُّ الشَّوَاهِدِ وَالْأَدَلَّةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا إِلَى جَمَالِ آيَاتِكَ نَاطِرِينَ، وَإِلَى رَوَائِعِ قُدْرَتِكَ مُبْصِرِينَ،
وَإِلَى جَنَابِكَ الرَّحِيمِ مُتَّجِهِينَ، وَاجْعَلْنَا عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى - عَلَيْهِ
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَرْكَى التَّسْلِيمِ - سَالِكِينَ، وَبِسُنَّتِهِ وَهَدَايَتِهِ عَامِلِينَ،
وَبِآثَارِهِ مُتَّفِينِينَ، وَمَتَّعْنَا اللَّهُمَّ بِصُحْبَتِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْهَادِي الْأَمِينِ، سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
وَأَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

طاقة من الصلوات المختارة

عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَرْكَى التَّسْلِيمِ ..

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ..

«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» .

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ، وَالْمَلَائِكَةِ
الْمُقَرَّبِينَ، وَالنَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَمَا سَبَّحَ لَكَ مِنْ
شَيْءٍ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْبَشِيرِ النَّذِيرِ،
وَالسَّرَاحِ الْمُنِيرِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،
كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، اللَّهُمَّ تَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، اللَّهُمَّ
سَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلَاةً سَاطِعَةً الْبَهَاءِ،
جَمِيلَةً السَّنَاءِ، بَاهِرَةً الرُّوَاءِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَكُونُ بِإِذْنِكَ وَاقِيَةً
مِنَ الْبَلَاءِ، وَبِحَوْلِكَ شَافِيَةً مِنَ الْأَدْوَاءِ، وَبِفَضْلِكَ مُحَقِّقَةً لِلْأَمَلِ
وَالرَّجَاءِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَنْبُعُ مِنْ رُوحِ الْمَحَبَّةِ مِنَّا وَالْوَلَاءِ،
وَتَصْدُرُ مِنْ صَمِيمِ الْإِخْلَاصِ مِنَّا وَالْوَفَاءِ، وَتَسْتَمِدُّ مِنْ إِحْسَانِكَ كُلَّ
الرِّضَاءِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا الْحَبِيبِ، صَلَاةً تُذَكِّرُنِي بِخُلُقِهِ الْكَرِيمِ كُلَّمَا
تَلَوْتُهَا، وَتُشَوِّقُنِي إِلَى جَنَابِهِ الرَّحِيمِ كُلَّمَا رَدَدْتُهَا، وَتَهْدِينِي طَرِيقَهُ
الْمُسْتَقِيمِ كُلَّمَا كَرَّرْتُهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً يَكُونُ مِنْ بَرَكَاتِهَا صَلَاحُ الْحَالِ، وَمِنْ نَفَحَاتِهَا
حُسْنُ الْمَالِ، وَأَنْ نَرْفَى بِهَا فِي مَعَارِجِ التَّقَى وَالْكَمَالِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
خَيْرِ الْوَرَى، وَأَفْضَلِ مَنْ اخْتَارَ رَبَّنَا وَاجْتَبَى، وَجَعَلَهُ أَكْمَلَ قُدْوَةٍ
تُقْتَدَى.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً
وَلِحَقِّهِ أَدَاءً، وَاعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي
وَعَدْتَهُ، وَاجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ، وَاجْزِهِ أَفْضَلَ مَا جَارَيْتَ نَبِيًّا عَن أُمَّتِهِ،
وَصَلِّ عَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنْ نُصَلِّيَ وَنُسَلِّمَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ
الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ. وَهَذَا نَحْنُ أَوْلَاءِ نُبِيِّ وَنَجْتَهْدُ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مَا

وَسِعْنَا الْجَهْدُ، وَنُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْكَ صَلَاةً وَسَلَامًا، فَاقْبَلِ اللَّهُمَّ صَلَوَاتِنَا عَلَيْهِ، وَاجْعَلْهَا سَبَبًا فِي عَفْوِكَ وَمَرْضَاتِكَ، وَمَدْخَلًا إِلَى طَرِيقِ هِدَايَتِكَ، وَسَبِيلًا إِلَى رِضَاءِ أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، الَّذِي أَحَبَّهُ رَبُّهُ وَرَعَاهُ، وَأَدَّبَهُ أَدَبًا رَبَّانِيًّا وَاجْتَبَاهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ وَارْتِضَاهُ، وَبَعَثَهُ بِالنُّورِ وَالْهُدَى لِمَنْ وَفَّقَهُ لِاتِّبَاعِ هُدَاهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تُسَعِّدُ بِهَا قَلْبَهُ فِي مَثْوَاهُ، وَتُرْضِي بِهَا رُوحَهُ فِي عُلَاهُ، وَتُكْرِمُ بِهَا وَمَنْ وَالآه.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَالْآلِ صَلَاةً تُكَافِئُ بِهَا كُلَّ مَنْ أَرَادَ الطَّاعَةَ لِأَمْرِكَ فِي صَلَوَاتِهِ، وَرَغِبَ فِي أَنْ يَتَشَبَّهَ بِالْمَلَائِكَةِ فِي قُرْبَاتِهِ.

إِلَهِي: إِنَّ رَسُولَنَا سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا هُوَ صَفِيكَ وَحَبِيبِكَ، وَلَيْسَ فَوْقَ هَذَا فِي الشَّرَفِ مَقَامٌ، وَلَيْسَ بَعْدَهُ فِي السُّمُوِّ مَرَامٌ، وَإِنَّا نَحْمَدُكَ وَنَشْكُرُكَ، أَنْ جَعَلْتَنَا مِنْ أُمَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَالرَّسُولِ الْهَادِي الْعَظِيمِ، وَنَدْعُوكَ يَا مُوَفِّقَ الطَّائِعِينَ، وَنَاصِرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ تَجْعَلَنَا بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ عَالِمِينَ عَامِلِينَ، وَبِسُنَّتِهِ وَخُلُقِهِ مُقْتَدِينَ مُهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتِي عَلَى هَذَا النَّبِيِّ وَافِرَةً، وَمَحَبَّتِي لَهُ بَاطِنَةً وَظَاهِرَةً، وَأَشْوَاقِي إِلَيْهِ صَادِقَةً وَمُعَبَّرَةً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَضَائِلَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، وَشَرَائِفَ زَكَوَاتِكَ،

وَرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَتَحِيَّتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ،
وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَائِدِ الْخَيْرِ، وَفَاتِحِ الْبَرِّ، وَنَبِيِّ
الرَّحْمَةِ، وَسَيِّدِ الْأُمَّةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً، تُزْلَفُ بِهِ قُرْبَهُ، وَتَقْرَأُ
بِهِ عَيْنُهُ، يَغِيظُهُ بِهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِهِ الْفُضْلَ وَالْفَضِيلَةَ، وَالشَّرَفَ وَالْوَسِيلَةَ، وَالذَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ،
وَالْمَنْزِلَةَ الشَّامِخَةَ الْمُنِيفَةَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا سُؤْلَهُ، وَبَلَّغْهُ مَأْمُولَهُ، وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ
مُشْفَعٍ. اللَّهُمَّ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ، وَأَبْلِغْ حُجَّتَهُ، وَارْفَعْ فِي أَعْلَى
الْمُقَرَّبِينَ دَرَجَتَهُ. اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ،
وَأَحِينَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا
بِكَأْسِهِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا فَاتِنِينَ وَلَا مَفْتُونِينَ، آمِينَ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ خَلْقِكَ، وَرِضَا نَفْسِكَ، وَزِنَةَ
عَرْشِكَ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ
عِلْمُ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةَ تَرْضِيكَ وَتَرْضِيهِ وَتَرْضَى بِهَا عَنَّا
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ كُلَّمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ. وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً دَائِمَةً مُتَجَدِّدَةً
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا وَآتِهِ سُؤْلَهُ فِي
الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنِي مَا عِشْتُ لِلصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، وَاجْعَلْ صَلَاتِي عَلَى النَّبِيِّ
وَالِهِ فِي دُنْيَايَ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَتِي، وَفِي كُلِّ الشَّدَائِدِ مِنْ دَوَاعِي فَرْجِي
وَنُصْرَتِي، وَفِي كُلِّ مَا أَرْجُوهُ مِنْ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ عَوْنِي وَعُدَّتِي .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِكَ الْكَرِيمِ ذِي الْقَلْبِ
الرَّحِيمِ، وَالْخَلْقِ الْعَظِيمِ، صَلَاةً يَكُونُ فِيهَا لِأَمْرِكَ أتمَّ الوفاء، وَلِحَقِّهِ
أَحْسَنُ الأَدَاءِ، وَلِقَلْبِهِ خَيْرُ الرِّضَا، فَهُوَ عِنْدَكَ أَهْلٌ لِكُلِّ حَمْدٍ وَثَنَاءٍ،
وَعِنْدَ خَلْقِكَ جَدِيرٌ بِكُلِّ تَكْرِيمٍ وَإِطْرَاءٍ، وَعِنْدَ عَارِفِيهِ خَلِيقٌ بِكُلِّ حُبِّ
وَوَلَاءٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتِنَا عَلَيْهِ مِنْ رُوحِ الطَّاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِكَ، وَمِنْ
وَحْيِ الْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ لِنَبِيِّكَ، وَمِنْ بَوَاعِثِ الْحَنِينِ لِمَرْضَاتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ .
اللَّهُمَّ اْمْنَحْنَا بِسِرِّ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ نُورًا قَلْبِيًّا نُبْصِرُ بِهِ جَمَالَهُ وَبَهَاءَهُ،
وَشُعُورًا رُوحِيًّا نَعْرِفُ بِهِ فَضْلَهُ وَعِلاَهُ، وَتَوْفِيقًا عُلُوبِيًّا يُبَلِّغُنَا عَطْفَهُ
وَرِضَاهُ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَجَالِي
الظُّلْمَةِ، وَهَادِي الأُمَّةِ، صَلَاةً مُبَارَكَةً تُجَازِي بِهَا صَبْرَهُ وَصِدْقَ جِهَادِهِ،

وَتُوَازِي كَرَمَهُ وَحُسْنَ وَدَادِهِ، وَتُكَافِي عَفْوَهُ عَنْ أَعْدَائِهِ وَحُسَادِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْمَوْصُوفِ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ، وَالْمَعْرُوفِ
بِالرَّأْفَةِ بِالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْهَادِي إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا وَحَبِيبِنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَخْصُهَا بِجَنَانِكَ،
وَتَتَوَجَّهْهَا بِرِضْوَانِكَ، وَتَعْمُرْهَا بِإِحْسَانِكَ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَهْدِينَا
رَحْمَاتِهَا إِلَى طَاعَتِكَ، وَتُلْهِمُنَا بَرَكَاتِهَا طَرِيقَ هِدَايَتِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتِنَا عَلَيْهِ خَالِصَةً لِمَرْضَاتِكَ وَمَرْضَاتِهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ يَا
رَبَّنَا صَلَاةً تَصِلُنَا بِهِذَا النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ، وَتَزِيدُ الشُّوقَ مِنَّا
إِلَيْهِ وَالْحَنِينَ، وَتَنْفَعُنَا بِسِرِّهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا الْمُخْتَارِ، وَصَلِّ عَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ،
وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ صَلَاتِنَا عَلَيْهِ بِمَنَّا وَكَرَمِكَ، مَقْبُولَةً الرَّجَاءِ وَالِدُّعَاءِ، كَثِيرَةً
الْفَيْضِ وَالسَّنَاءِ، صَلَاةً تَعْمُ الْمُصَلِّينَ رَحْمَاتِهَا، وَتَتَوَالَى عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِهَا،
وَتَشْمَلُهُمْ نَفَحَاتِهَا .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا وَحَبِيبِنَا صَلَاةً بَاهِرَةً السَّنَاءِ، وَأَرْزَنَا مِنْ
أَنْوَارِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ جَمَالَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَبَصِّرْنَا بِشَمَائِلِهِ وَعُلُوَّ دَرَجَاتِهِ،
وَأَسْعِدْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي صَلَوَاتِنَا وَتَسْلِيمَاتِنَا عَلَيْهِ
وَحَيًّا مِنْكَ، يُلْهِمُنَا كَيْفَ نَتَأَسَى بِخُلُقِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَنَتَأَلَّفُ، وَكَيْفَ
نَسْعُدُ بِحُبِّهِ وَنَتَشَرَّفُ .

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ حَمْدَنَا وَذِكْرَنَا، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِنَا وَسَلَامَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي

أَعْمَالِنَا، وَارزُقْنَا اليَقِينَ فِي إِيمَانِنَا، وَالتَّوْفِيقَ فِي أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا .
اللَّهُمَّ نَوْزُ بَصَائِرِنَا لِنَرَى نُورَكَ أَمَامَنَا، وَنُشَاهِدَ آثَارَ قُدْرَتِكَ حَوْلَنَا،
وَنُحِسَّ وَنَشْعُرَ بِرَحْمَتِكَ تُحِيطُ بِنَا، حَتَّى نَزْدَادَ بِكَ إِيمَانًا، وَعَلَيْكَ
تَوَكَّلًا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَهْلِ
بَيْتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَمُجِبِّيهِ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا
كَرِيمُ .

أسماء الله الحسنى

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ . .

الْقُدُّوسُ	السَّلَامُ	الْمُؤْمِنُ	الْمُهَيِّمُ	الْعَزِيزُ	الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ	الْخَالِقُ	الْبَارِئُ	الْمُصَوِّرُ	الْعَفَّارُ	الْقَهَّارُ
الْوَهَّابُ	الرَّزَّاقُ	الْفَتَّاحُ	الْعَلِيمُ	الْقَابِضُ	الْبَاسِطُ
الْخَافِضُ	الرَّافِعُ	الْمُعِزُّ	الْمُذِلُّ	السَّمِيعُ	الْبَصِيرُ
الْحَكَمُ	الْعَدْلُ	اللَّطِيفُ	الْخَبِيرُ	الْحَلِيمُ	الْعَظِيمُ
الْغَفُورُ	الشَّكُورُ	الْعَلِيُّ	الْكَبِيرُ	الْحَفِيفُ	الْمُغِيثُ
الْحَسِيبُ	الْجَلِيلُ	الْكَرِيمُ	الرَّقِيبُ	الْمُجِيبُ	الْوَاسِعُ
الْحَكِيمُ	الْوَدُودُ	الْمَجِيدُ	الْبَاعِثُ	الشَّهِيدُ	الْحَقُّ
الْوَكِيلُ	الْقَوِيُّ	الْمَتِينُ	الْوَلِيُّ	الْحَمِيدُ	الْمُحْصِي
الْمُبْدِيُّ	الْمُعِيدُ	الْمُجِيبُ	الْمُمِيتُ	الْحَيُّ	الْقَيُّومُ
الْوَاحِدُ	الْمَاجِدُ	الْوَاحِدُ	الصَّمَدُ	الْقَادِرُ	الْمُقْتَدِرُ
الْمُقَدَّمُ	الْمُؤَخَّرُ	الْأَوَّلُ	الْآخِرُ	الظَّاهِرُ	الْبَاطِنُ
الْوَالِي	الْمُتَعَالِي	الْبِرُّ	التَّوَّابُ	الْمُسْتَقِيمُ	الْعَفُوُّ
الرَّؤُوفُ	مَالِكُ الْمَلِكِ		ذُو الْجَلَالِ	وَالْإِكْرَامِ	
الْمُقْسِطُ	الْجَامِعُ	الْعَنِيُّ	الْمُعْنِي	الْمَانِعُ	الضَّارُّ
النَّافِعُ	الثَّوْرُ	الْهَادِي	الْبَدِيعُ	الْبَاقِي	الْوَارِثُ
الرَّشِيدُ	الصَّبُورُ				

دعاء

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجِبْتَ،
وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ، وبِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْنَا وَمَا لَمْ
نَعْلَمْ، أَنْ تَسْتَجِيبَ لَنَا دَعْوَاتِنَا وَتُحَقِّقَ رَغْبَاتِنَا وَتَقْضِيَ حَوَائِجَنَا وَتَفْرَجَ
كُرُوبَنَا وَتَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَسْتُرَ عُيُوبَنَا وَتَتُوبَ عَلَيْنَا وَتُعَافِنَا وَتَعْفُوَ عَنَّا
وَتُصْلِحَ أَهْلِينَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَتَكْلَأَنَا بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ وَتُحَسِّنَ عَاقِبَتِنَا فِي الْأُمُورِ
كُلِّهَا وَتَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ رَحْمَةً تُغْنِينَا بِهَا عَمَّنْ سِوَاكَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، السَّابِقِ لِلْخَلْقِ نُورُهُ،
الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ ظُهُورُهُ، عَدَدَ مَنْ قَضَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَنْ بَقِيَ، وَمَنْ
سَعَدَ مِنْهُمْ وَمَنْ شَقِيَ، صَلَاةً تَسْتَعْرِقُ الْعَدَّ، وَتُحِيطُ بِالْحَدِّ، صَلَاةً لَا
غَايَةَ لَهَا وَلَا انْتِهَاءَ، وَلَا أَقْدَ لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ، صَلَاتِكَ الَّتِي صَلَّيْتَ
عَلَيْهِ، صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِكَ، بَاقِيَةً بِبِقَائِكَ، لَا مُنْتَهَى لَهَا دُونَ عِلْمِكَ،
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ كَذَلِكَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ.

باقة من الابتهالات

للإمام الشافعي (رضي الله عنه)

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلتُ الرّجا مني لعفوك سلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ولبعضهم:

إلهي لستُ للفردوس أهلاً ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبةً واغفر ذنوبي فإنك غافرُ الذنبِ العظيم

ولبعضهم:

يا ربّ إنّ عظمتُ ذنوبي كثرة فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرّجا وجميلُ عفوك ثم أني مسلم
أدعوك ربّ كما أمرتَ تضرّعاً فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا مُحسِنُ فبمن يلوذ ويستجير المجرم؟

ولأبي العتاهية:

إلهي لا تعذبني فإني
وما لي حيلة إلا رجائي
وكم من زلة لي في الخطايا
إذا فكرت في ندمي عليها
أجنُّ بزهرة الدنيا جنوناً
ولو أني صدقت الزهد عنها
يظنُّ الناس بي خيراً وإني
مُقرُّ بالذي قد كان مني
لعفوك، إن عفوت، وحسن ظني
وأنت عليّ ذو فضلٍ ومَن
عضضتُ أناملي وقرعتُ سني
وأقطع طولَ عمري بالتمني
قلبتُ لأهلها ظهرَ المَجَنِّ
لَسُرُّ الناسِ إن لم تعفُ عني

ولشاعرنا الكبير الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي:

قال - حفظه الله - بعنوان (تذكر):

تزود من الدنيا فإنك عابرٌ
تصيح بك الأيام تترى عظامها
وتطلع يغشاك الدجى بظلامه
سبيلك في الدنيا وأنت مسافرٌ
أمامك والماضي وراءك حاضر
وتلقاءك (البرهان) فيه تكابر

نصحتك فإنه النفس قهراً عن الهوى
وأحسنُ فما الإيثارُ إلا ذخيرةٌ
فما أمرها بالسوءِ إلا الجرائرُ
لديك، وما الأطماعُ إلا التكاثرُ

تذكر إذا ما حشرجت وتصدت
وبادِرْ إلى استدراك ما فات خاشعاً
بدمعك مذاراراً، وربك غافرٌ
من الخير تحصد كل ما أنت باذرٌ
سيفنى وتبقى (يوم تبلى السرائرُ)
بك الروح، ما تجزى به أو تحاذرُ
وما اسطعت فاغرس للمعاد سنابلاً
وإياك من هذا الحطام فإنه

وله المقطوعات الآتية من قصيدة بعنوان (تلبية وابتهاال):

لَبَّيْكَ رَبُّ الْكَائِنَاتِ
لبيك يا مهوى الحجيج
وصاحب العرش العظيم
لبيك ما سطع منها
ج، وغافر الذنب الجسيم
لبيك في عرض البحا
ر وعسَّس الليل البهيم
لبيك لا نُحصي ثنا
ر وفي الفجاج وفي السديم
لبيك لا نُحصي ثنا
ءك أيها الربُّ الكريم

لَبَّيْكَ مِنْ أَعْمَاقِنَا
لبيك والدنيا رؤى
والأرضُ ترجفُ والسما
لبيك والأكبَادُ تَز
بين البقاء أو الفناء
لبيك والإنسانُ مغ
فُرُ مِنْ مُكَابِدَةِ الْبَلَاءِ
لبيك ما قَدَّرْتَهُ
رور، يضلُّ به الفضاء
يمضي، وفيه لك القضاء

يَا مُنْشَى الْأَحْيَاءِ مِنْ
يا باعثَ الأشلاءِ مِنْ
عَلَقٍ، وَمِنْ طِينِ وَمَاءِ
يا مَنْ لَهُ آيَاتُهُ
أَجْدَائِهِمْ بَعْدَ الْفَنَاءِ
ها نحنُ مِنْكَ بِمَا وَعَدُ
تَجَلَّى وَتَبَهَّرَ بِالضِيَاءِ
إِنَّا لِنَطْمَعُ فِي رِضَا
تَ نُلِحُ فِي هَذَا الدُّعَاءِ
كَ فَهَبْ لَنَا مِنْكَ الرِّضَاءِ

يَا صَاحِبَ الطَّوْلِ الَّذِي
يا مَنْ إِلَيْكَ مَصِيرُنَا
لِجَلَالِهِ تَعْنُو الْجِبَاهِ
يا حيُّ يا قيُّومُ يا
والموتُ أَمْرُكَ وَالْحَيَاةُ
مَنْ لَا إِلَهَ لَنَا سِوَاهِ

يا مالكَ المُلْكِ اسْتَمِرَّ الهرج، واشتط الفواه
ثَبُتْ قلوبَ المؤمنيـن ن، وولَّهم سُبُلَ النجاه

سبحانك اللّهُمَّ أنت أماننا مما نخاف
ما راعنا إلا التشا حن، والتفرُّق والخلاف
فاجمع بفضلك شملنا بين المقام وفي المطاف
بالوحي بالنور الذي (فرقانه) (صاد) و (قاف)
واغفر لنا وتولَّنا ما عَجَّ وفدك واستضاف

يا فالقَ الإصباحِ إنا عن جنابك لا نريم
ذابت بنا عبراتنا بذنوبنا حولَ الحطيم
وإليك أشخصنا الرجا ء، وأنتَ تَوَابٌ رحيم
هيئ لنا من أمرنا رَشِداً وجنِّبنا الجحيم
وقنا عذابك واهدنا منك الصراطِ المستقيم

رَبَّاهُ

ابتهاج للشاعر الحجازي الأستاذ طاهر الزمخشري .

قال بارك الله فيه :

رَبَّاهُ كَفَّارَتِي عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ إِنِّي أَتَيْتُ وَمَلَأَ النَّفْسَ إِيمَانُ
أَتَيْتُ أَطْرُقُ بَاباً كُلُّ مُجْتَرِمٍ أَتَاهُ يَرْجِعُ مِنْهُ وَهُوَ خَذْلَانُ
قَدْ اسْتِضَافَ كَرِيماً لَا يَمُنُّ بِمَا يَعْطِي وَفِي مَنِّهِ لِلْعَبْدِ رِضْوَانُ
فَاغْفِرْ وَسَامِحْ وَتُبْ وَاصْفَحْ فِي كِبْدِي الْإِثْمُ يَصْرُخُ وَالْإِحْسَاسُ يَقْظَانُ

رَبَّاهُ هَذَا يَدِي تَمْتَدُّ ضَارِعَةً وَمَنْ نَدَاكَ لَهَا صَفْحٌ وَغَفْرَانُ
وَفِي الْحَنَايَا بَرَائِكِينَ مَعْرَبِدَةً وَمَنْ لَظَاهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ طُوفَانُ
جَرَّتْ بِهِ عَيْنٌ مَنِ نَدَاكَ مَبْتَهَلًا وَمَنْ نَدَاكَ لَهُ صَفْحٌ وَغَفْرَانُ
أَيَّامِهِ الْبَيْضُ فَرَّتْ مِنْ أَنْمَلِهِ لَمَّا عَصَاكَ فَعَاثَتْ فِيهِ أَحْزَانُ

رَبَّاهُ جَاءَكَ لَا يَرْجُوكَ نَائِلَةً إِلَّا رِضَاكَ فِي الْعَيْنَيْنِ هَتَانُ
جَاشَتْ بِهِ حَسْرَةٌ فِي النَّفْسِ جَامِحَةً وَانْسَابَ فِيهِ فَوْادٌ وَهُوَ حَرَّانُ

فإن أخذتَ مسيئاً بالذي اقترفتُ منه اليمين، فقد أغواه شيطان
فإنالَ عدلاً ولم تخسرْ بضاعته فالعدلُ شرعك، والغفرانُ إحسان
وإن رحمتَ ففضلٌ واسعٌ كرمأً وأنتَ بالفضلِ حنَّانٌ ومَنَّان
عن ديوان (أغاريد الصحراء) للشاعر.

ابتهال الختام

إلهي قد أتيتك مستجيراً
لجأت إليك أشكو ضراً نفس
تجاوزَ عمري الستين عاماً
قطعتُ العمرَ في لهوٍ وحرصٍ
تخادعني المنى الغراء حتى
تَسوُلُ لي بأني ذو رَشادٍ
وأني قد بذرتُ بذورَ برٍّ

وجئتكَ ضارعاً وِجلاً كسيراً
تنوءُ بما جَنَّتْ إثماً وزُوراً
بسبع تحطمُ الجلدَ الصبوراً
على اللذاتِ لا أخشى المصيراً
أُمنِّي نفسي العيشَ النضيراً
سَيُبَلِّغُنِي غداً شأواً خطيراً
وأينعَ غرسُها وزهتُ زهوراً

إلى أن دقَّ ناقوسُ المنايا
يذكّرني بما اجتراحته نفسي
فلما أن فكرتُ بما جَنَّتْهُ
فما قدّمتُ من عملٍ يُرجى
فيا ويحي وقد فارقتُ أهلي
وغادرتُ الأحبّةَ والصحابا
ويا ويحي إذا نوقشتُ يومَ الحِسابِ،

ينبّه مني العقلَ الغريراً
ويوماً كان شرُّه مستطيراً
يदाي، رجعتُ محزوناً حسيراً
ولم أذخرُ ليومَ غدٍ ذخييراً
وودّعتُ الملاعبَ والقصوراً
وجاورتُ الحفائرَ والقبوراً
ولم يكن سهلاً يسيراً

فكُنْ لي سيّدي سَنَدًا مُجِيرًا
على الأهوالِ معوانًا نصيرا
وجئتكَ ضارعاً بك مستجيرا
أؤمِّلُ سيّداً براً غفورا
ويقصدُ بابك الرَّحَبَ الكبيرًا
عليّ من الرُّضا برداً حبيرا
رجا عبدٍ بابك لن يحورا
يزيحُ بشيره الكربَ المبيرا
وألهمني أكنُ عبداً شكورا
وتهديني السبيلَ المستنيرا
أكون بحُسنِ خاتمةٍ جديرا

فما لي ملجأً إلاك ربي
أجرني من خطيئاتي وكن لي
فهاأنذا أتيتك مستغيثاً
دعوتك لائذاً بحمّاك ربي
فما خابَ الذي يدعوك حقاً
وظني أن عفوك سوف يُضفي
فجدّ لي بالقبول ولا تخيّب
وهب لي سيّدي فرجاً قريباً
ووفقني لنيلِ رضاك ربي
وهب لي توبةً تمحو ذنوبي
وثبّتني على الإيمانِ حتى

دعاء الختام

اللَّهُمَّ لك الحمد على هدايتك وتوفيقك، ولك الشكر على نعمك السابغة، وآلائك الظاهرة والباطنة، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد ولك الشكر حتى ترضى .

اللَّهُمَّ إنك قلت وقولك الحق: «أدعوني أستجب لكم»، فتقبل يا إلهي ضراعتنا وتوبتنا، واستجب يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما دُعاءنا، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك، واعفُ عنا يا عفوُ يا كريم، ووقفنا لطاعتك وحسن عبادتك، وارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا، ولرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وثبتنا بالقول الثابت، ولا تُزغُ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتوفنا على الإيمان، واغفر لنا ولوالدينا، ولذريَّاتنا وأهلينا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، واجعلْ خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك .

وصلِّ اللَّهُمَّ وسلمْ على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ١٧٥٤٣
التاريخ ١٤٠١/٧/٢٢

سعادة السيد أحمد العربي - عضو مجلس الشورى
بعد التحية :

اطلعنا على كتاب الامين العام لمجلس الشورى بالنتيابه رقم ٢/١٧٣ وتاريخ ١٤٠١/٧/٢ هـ
المشار فيه الى وفاة سعادة نائب رئيس المجلس الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزالي رحمه الله . .
وايضاحه أنه بوفاته توقفت جميع الاعمال المناطة بسعادته ، ولا يوجد تفويض لاحد بذلك .
ونرغب اليكم القيام بادارة شؤون المجلس . والله يحفظكم . . .

نائب رئيس مجلس الوزراء*

هـ.

- نسخة لوزارة المالية والاقتصاد الوطني .
- نسخة لديوان المراقبة العامة .
- نسخة للديوان العام للخدمة المدنية .
- نسخة لهيئة التحقيق والتأديب .
- نسخة لامين عام مجلس الشورى .

التكليف بالقيام بأعمال نائب رئيس مجلس الشورى من خلام الحرمين الملك فهد
والذي كان آنذاك ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء، وقد اعتذر عن القيام بهذا العمل لمرضه.



الدَّوْلَةُ الْمَصْرِيَّةُ

وزارة المعارف العمومية

إجازة المدرسين

نحن وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على القرار الصادر من الوزارة بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٢ رقم ٣٧٧٢ أمرنا بإعطائه
هذه الإجازة الشيخ أحمد العريف بن الشيخ أحمد العريف المولود في المدينة المنورة
في سنة الميلاية الذي جاز امتحان إجازة المدرسين لدار العلوم في سنة ١٩١٢ ليكون له
حق التمتع بما تخوله القوانين والأوامر المتبعة

وزير المعارف
عمومية

القاهرة في هجربان سنة ١٩٢٢ و١١ ديسمبر سنة ١٩٢٢

كاتب الأمانة في هجربان

تمت بمدسة دار العلوم رقم ٢

أعطيت هذه الإجازة في ١٠ ديسمبر ١٩٢٢

لعمري
نعمت

Amad Naby





”الدرع“ المقدم مع براءة تكريم الأدياء السعوديين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



نادي مكة الثقافي الأدبي
تأسس سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

الرقم: _____
التاريخ: _____
المرقات: _____

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هدية / رمز شكر وتقدير

سعادة الأستاذ / السيد أحمد بن محمد العربي

يسر نادي مكة الثقافي الأدبي أن يقدم لحضرتكم هذا الدرع تقديراً من النادي
لدوركم البارز في سبيل خدمة التربية والتعليم في بلادنا الحبيبة المملكة العربية
السعودية . وذلك بمناسبة مشاركة المملكة باليوم العالمي للمعلم .
وبالله التوفيق

رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي

١٤١٩/٦/١٦

أ . د . / راشد الراجح

١٤١٩/٦/١٦هـ



حديث هامس بين المرينين الأكبرين الشيخ عثمان الصالح والسيد أحمد العربي في مناسبة زفاف نجل الأخير «أحمد». انظر المثال ص ١٣٠٩

السنة السابعة والخمسون - العدد ١٦٧٤٠ - 17 • 7 • 1931

تفويض بشأنها الادارة بشارع مظلوم باشانمرة ١٤ بمصر
أر شركة الاعلانات الشرقية بمصر بشارع قصر النيل فرقة ٣٠

الاعلانات

الأهرام

Al-Ahram

EGYPTIAN DAILY PAPER FOUNDED 1875



السيد احمد العربي

عضو اللجنة الحجازية في مصر وقد جاز

امتحان دبلوم دار العلوم العليا و آتم
دراسته في أقل من اربع سنوات وكان
من أوائل الناجحين وهو من اعيان
المدينة المنورة